صحيفه

صحيفه

تم فهرست الجزء الثانى من السيرة النبوية

الجزء الثاني من السيرة النبويه والآثار المحمديه

لمؤلفها الامام الفاضل والجهبذا لكامل

مفتي السادة الشافعية بمكة المشرفه

السيد أحمد زيني المشهور

بدحلان نفع الله به

المسلمين

آمين

الله

الجزء الثاني من السيرة النبوية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(غزوة الخندق)

وتسمى غزوة الاحزاب قال موسى بن عقبة كانت سنة أربع وقال ابن اسحاق سنة خمس في شوال وبذلك جزم أهل المغازي ومال البخاري الى قول موسى بن عقبة وسبب هذه الغزوة انه لما وقع اجلاء بني النضير سار نفر من اليهود منهم سلام بن مشكم وابن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وغيرهم وخرجوا من خيبر حتى قدموا مكة على قريش فقالوا لهم انا سنكون معكم على محمد حتى نستأصله قال ابن اسحاق فقالت لهم قريش انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فأنزل الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فسرت قريش بقول اليهود لهم ذلك وبشهادتهم لهم فنشطوا لما دعوهم اليه فاجتمعوا لذلك واستعدوا وتواعدوا على وقت يخرجون فيه ثم خرج اولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس بن عيلان فدعوهم الى حربه صلى الله عليه وسلم وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ان هم نصروهم وأخبروهم ان قريشا تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم وخرجت قريش في أربعة آلاف وعقدوا اللواء في دار الندوة وحمله عثمان بن أبي طلحة وقائد القوم أبو سفيان بن حرب وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وقادوا معهم ثلثمائة فرس وألفا وخمسمائة بعير ولاقتهم بنو سليم بمر الظهران في سبعمائة يقودهم سفيان ابن عبد شمس حليف حرب بن أمية وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الاسدي وقد أسلم

بعد ذلك رضى الله عنه وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزارى وقد أسلم بعد ذلك ثم ارتد ثم أسلم فى زمن الصديق رضى الله عنه وخرج الحارث بن عوف المرى فى بنى مرة وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وكان قومه الذين خرجوا معه أربعمائة وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعود ابن رخيلة وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وخرج غيرهم من قبائل العرب وكان عدة أولئك الاحزاب عشرة آلاف كما قال ابن اسحاق وكان المسلمون ألفا وقيل ثلاثة آلاف وكان مع المسلمين ست وثلاثون فرسا ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحزاب وما أجمعوا عليه من الامر الذى زعموه وهو استئصال المسلمين اتخذ الخندق ولم يكن ذلك من شأن العرب ولكنه من مكايد الفرس وكان الذى أشار به سلمان الفارسى رضى الله عنه فقال يارسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفره وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه بالجد ووعدهم النصر ان هم صبروا واتقوا وأمرهم بالطاعة وكان الخندق فى شامى المدينة من طرف الحرة الشرقية الى طرف الحرة الغربية عند جبل سلع وخط صلى الله عليه وسلم لكل عشرة من الناس عشرة أذرع يعملون فيها وكان سلمان رضى الله عنه يعمل عمل عشرة فتنافس فيه المهاجرون والانصار فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا فقال النبى صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت وتأخر عن العمل أناس من المنافقين ومن خرج منهم صار يعمل عملا ضعيفا ويعتذرون بالضعف وفى البخارى عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الخندق ونحن ننقل التراب على أكتادنا فقال صلى الله عليه وسلم

اللهم لاعيش الاعيش الآخره * فاكرم الانصار والمهاجره

وهو من كلام ابن رواحة رضى الله عنه وأصله * لاهم ان العيش عيش الآخره * فنطق به النبى صلى الله عليه وسلم اللهم لاعيش الخ لانه يعسر عليه النطق بالشعر وان كان من قول غيره وفى البخارى أيضا عن أنس رضى الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون فى غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى صلى الله عليه وسلم مابهم من النصب قال * اللهم ان العيش عيش الآخره فاغفر للانصار والمهاجره * وأراد صلى الله عليه وسلم تسلية أصحابه وتهوين الامر عليهم فان العيش الدائم المعتبر عيش الآخرة لاعيش الدنيا لكدورته وكونه مع المنغصات التى لاتتناهى ثم هو فان وان طال فى متاع الدنيا قليل وقال المهاجرون والانصار مجيبين للنبى صلى الله عليه وسلم

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد مابقينا أبدا

وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم كان يجيبهم بقوله اللهم ان العيش الخ ويحتمل انه كان يجيبهم ويجيبونه فلاتنافى وفى انشاد الشعر تنشيط على العمل وبذلك جرت عادتهم فى الحرب وأكثر مايستعملونه الرجز وفى البخارى من حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما قال لما كان يوم الاحزاب وخندق صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى الغبار جلدة بطنه الشريفة صلى الله عليه وسلم وكان كثير الشعر وكان يرتجز وهو ينقل التراب بقول ابن رواحة رضى الله عنه

والله لولا أنت مااهتدينا * ولاتصدقنا ولاصلينا * فأنزلن سكينة علينا

وثبت الاقدام ان لاقينا * ان الالى قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع صوته بقوله أبينا أبينا وأخرج البيهقى عن سلمان رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم حين ضرب فى الخندق قال

* باسم الاله وبه بدينا * ولو عبدنا غيره شقينا * فحبذا ربا وحب دينا

وهو من كلام بعض أصحابه يتمثل به أو من كلامه بناء على ان الرجز ليس بشعر أو ان الشعر شرطه أن يكون مقصودا كونه شعرا موزونا أما اذا خرج موزونا بلا قصد فلا يسمى شعرا وقد وقع في حفر الخندق آيات من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم منها ما في صحيح البخاري وغيره عن جابر رضي الله عنه انا يوم الخندق نحفر فعرضت أي ظهرت لنا كدية شديدة بضم الكاف مصغرا وهي القطعة الصلبة من الارض لا يعمل فيها المعول فجاؤا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هذه كدية عرضت في الخندق فقال رشوها بالماء فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فسمى ثلاثا ثم ضرب فعاد المضروب كثيبا أهيل أي رملا يسيل وفي رواية دعا باناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية قال من حضرها فوالذي بعثه بالحق لقد انهالت حتى عادت مثل الكثيب لا ترد فاسا ولا مسحاة وفي رواية البراء بن عازب رضي الله عنهما عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء وأخذ المعول من سلمان رضي الله عنه فقال باسم الله ثم ضربها فنثر ثلثها وخرج نور أضاء ما بين لابتي المدينة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله اني لابصر قصورها الحمر الساعة من مكاني ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فبرقت برقة من جهة فارس أضاءت ما بين لابتيها فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله اني لابصر قصر المدائن الابيض الآن أي مدائن كسرى وفي رواية والله اني لابصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب من مكاني هذا وأخبرني جبريل ان أمتي ظاهرة عليها فابشروا بالنصر فسر المسلمون ثم ضرب الثالثة وقال باسم الله فقطع بقية الحجر وخرج نور من قبل اليمن فأضاء ما بين لابتي المدينة حتى كأنه مصباح في جوف ليل مظلم فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله اني لابصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة وقد حكى الله عن المنافقين انهم حين سمعوا ذلك قالوا ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقال ابن اسحاق وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة رضي الله عنه انه كان يقول حين فتحت هذه الامصار في زمان عمر وعثمان رضي الله عنهما افتحوا ما بدا لكم والذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها الى يوم القيامة الا وقد أعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك * ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ما ثبت في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه من تكثير الطعام القليل فانه رضي الله عنه كان عنده صاع من شعير وشويهة فأحب أن يدعو النبي صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه عليه فلما أخبره دعا أهل الخندق وكفاهم ذلك الطعام كما سيأتي ان شاء الله تعالى في مبحث المعجزات وجاءت ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بحفنة من تمر لابيها وخالها ابن رواحة رضي الله عنهما ليتغديا به فقال لها صلى الله عليه وسلم هاتيه فصبته في كفيه فما ملأهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم قال لانسان اصرخ في أهل الخندق أن هلم الى الغداء فاجتمعوا عليه فجعلوا يأكلون وجعل التمر يزيد حتى صدر وا عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب وأقاموا في حفر الخندق ستة أيام وقيل عشرين يوما وقيل أربعة وعشرين وقيل شهرا ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفره أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول بين الجرف والغابة هم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة ونزل عيينة بن حصن مع غطفان ومن تبعهم من أهل نجد الى جنب أحد وكانوا عشرة آلاف كما تقدم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف فجعلوا ظهورهم الى سلع وهو جبل معروف بالمدينة فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وكان لواء المهاجرين بيد زيد

ابن

ابن حارثة رضى الله عنه ولواء الانصار بيد سعد بن عبادة رضى الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم
فى تلك المدة يبعث سلمة بن أسلم رضى الله عنه فى مائتى رجل و زيد بن حارثة رضى الله عنهما فى ثلثمائة رجل
يحرسون المدينة و يظهرون التكبير خوفا على الذرارى من بنى قريظة وخرج عدو الله حيى بن أخطب
حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم وكان قد صالح رسول الله صلى الله عليه
وسلم على قومه وعاقده فأغلق كعب دونه باب حصنه وأبى أن يفتح له فقال له حيى ويحك يا كعب افتح لى
أكلمك فقال له اذهب عنى انك امرؤ مشؤم وانى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى و بينه فانى
لم أر منه الا وفاء وصدقا فنسبه حيى الى البخل وقال له والله ما أغلقت دونى الا تخوفا على جشيشتك ان
آكل معك منها والجشيشة بالجيم والشين البر يطحن غليظا و يقال الدشيش بالدال ولم يزل به حتى فتح له
فقال و يلك يا كعب ان توافقنى جئتك بعز الدهر جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع السيول ومن دون
منزل قريش غطفان وقد عاهدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه فقال كعب جئتنى
والله بذل الدهر وبجهام قد أهراق ماءه يرعد و يبرق وليس فيه شئ ويحك يا حيى دعنى وما أنا عليه فانى لم
أر من محمد الا صدقا و وفاء ولم يزل به يفتله فى الذروة والغارب حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه حيى عهدا على أنه ان رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا
ان أدخل معك فى حصنك يصيبنى ما أصابك ثم أرسل حيى بن أخطب الى قريش أن يأتيه منهم ألف
رجل والى غطفان أن يأتيه منهم ألف ليغيروا على المدينة وجاء الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعظم البلاء وصار الخوف على النساء والذرارى أشد من الخوف على أهل الخندق ولما بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى قريظة نقضوا العهد قال من يأتى بنى قريظة فيأتينى بخبرهم قال الزبير
رضى الله عنه فقلت أنا يا رسول الله فانطلقت اليهم فلما رجعت اليه جمع لى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين أبويه فى الفداء أى قال فداك أبى وأمى وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد
ابن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير رضى الله عنهم ليعرفوا الخبر فقال انطلقوا وانظروا
أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد الناس أى
تكلموا الى بكلام فيه اشارة وتلويح ولا تأتوا بكلام صريح لئلا يفهمه كل الناس خوفا على الناس أن يقع
لهم تثبط وأصل اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الا صاحبه
وان كانوا على الوفاء فيما بيننا فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغه عنهم
حتى ان بعضهم كلم بنى قريظة فى شأن عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا من رسول الله
وتبرؤا من عقده وعهده وقال بعضهم لا عهد بيننا و بين محمد ولا عقد ثم أقبل السعدان ومن معهما
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحنوا له كما أمرهم وقالوا عضل والقارة كغدرهما بأصحاب الرجيع
أى غدروا كغدرهما بأصحاب الرجيع فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين ولا
منافاة بين ارسال هؤلاء وارسال الزبير رضى الله عنه لاحتمال أنهم أرسلوا دفعة أو بعد ارساله وخص
هؤلاء القوم بالارسال لانهم حلفاؤهم فيحتمل أن يرجعوا الى العهد بعد نقضه حياء من حلفائهم
فغلبت عليهم الشقوة فعند ذلك عظم البلاء واشتد الخوف فأتاهم عدوهم من فوقهم أى من أعلى
الوادى من قبل المشرق فانه نزل به غطفان ومن أسفل منهم أى من أسفل الوادى من قبل المغرب فانه
نزل به قريش قال ابن عباس رضى الله عنهما اذ جاؤكم من فوقكم عيينة بن حصن ومن معه ومن
أسفل منكم أبو سفيان بن حرب ومن معه واذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله
الظنونا أى الظنون المختلفة بالنصر واليأس وظهر النفاق من بعض المنافقين كما قال تعالى واذ يقول

المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قال ذلك معتب بن قشير وكان منافقا قال كان محمد يرى أن نأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب الى الغائط وقيل ان قائل ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول وقال رجال من المنافقين يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا الى منازلكم بالمدينة فقالوا يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو أي غير حصينة فأذن لنا نرجع الى ديارنا فانها خارج المدينة قال تعالى وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا ثم أقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم في زعمه على فرس له ليعوص الخندق فوقع في الخندق فاندقت عنقه فقتله الله وقيل رماه المسلمون بالحجارة ثم نزل اليه علي رضي الله عنه فقتله وعظم ذلك على المشركين فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيكم الدية أي وأذنوا لنا في دفنه وفي رواية انهم أعطوا في جسده عشرة آلاف على أن يدفع اليهم ليدفنوه فرد اليهم النبي صلى الله عليه وسلم انه خبيث لونه كافر محارب لله ورسوله وخبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم أن تدفنوه ولا أرب لنا في ديته وأقام عليه الصلاة والسلام على الخندق وعدوهم يحاصرهم ولم يكن بينهم قتال الا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل يطمعون في الغارة ووقع بينهم مراماة بالنبل ولما نظر المشركون الى الخندق قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها وصار المشركون يتناوبون فيغدو أبو سفيان وأصحابه يوما ويغدو خالد ابن الوليد يوما ويغدو عمرو بن العاص يوما ويغدو هبيرة بن وهب يوما ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوما ويغدو ضرار بن الخطاب يوما فلا يزالون يجيلون خيلهم ويفترقون مرة ويجتمعون أخرى ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يقربون منهم ويقدمون رجالهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر المسلمين ويثبتهم ويقول لهم أبشروا بعون الله ونصره اني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق وآخذ المفتاح وليهلكن كسرى وقيصر ولتنفقن أموالهما في سبيل الله يقول ذلك حين يرى ما بالمسلمين من الكرب ثم انه صلى الله عليه وسلم أراد أن يعطي عيينة بن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا فمنعه السعدان رضي الله عنهما وقالا كنا نحن وهم على الشرك لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة الا بقرى أو بيع أحين أكرمنا الله بالاسلام وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله ما نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله فقال صلى الله عليه وسلم أنتما وذاك وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى عيينة بن حصن الفزاري والى الحارث بن عوف المزني في أن يقطعهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه مخذلين من أبي سفيان والتقيا مع النبي صلى الله عليه وسلم ووافقاه على ذلك بعد أن طلبا النصف فأبى عليهما الا الثلث فرضيا بذلك وأراد أن يكتب بذلك صحيفة وأحضر الدواة ليكتب عثمان رضي الله عنه فقبل أمره النبي صلى الله عليه وسلم فكتب ثم استشار سعدا وقيل قبل أن يكتب بعث صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما واستشارهما في ذلك فقالا يا رسول الله أمر تحبه فتصنعه أم شيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيء تصنعه لنا وفي رواية قالا ان كان أمرا من السماء فامض له وان كان أمرا لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمع وطاعة وان كان انما هو الرأي ما لهم عندنا الا السيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرني الله ما شاورتكما والله ما أصنع ذلك الا اني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر شوكتهم الى أمر ما فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم يعني غطفان على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة الا قرى أو بيعا وان كانوا ليأكلون العلهز في الجاهلية من الجهد أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا وفي رواية نعطي الدنية بالنا

منا

أبدا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت وذاك فأخذ سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة وهذا يوافق القول بأنها كتبت وقيل انه منع من كتابتها وجاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال له شق الكتاب فشقه سعد وقال لعيينة والحارث ارجعوا بيننا وبينكم السيف رافعا صوته وروى البزار والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى الحارث يعني ابن عوف الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ناصفنا تمر المدينة والا ملأناها عليك خيلا ورجالا فقال حتى أستأمر السعود سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة وسعد بن مسعود وقيل ان ذكر سعد بن الربيع وهم لانه استشهد يوم أحد فكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لا والله ما أعطينا الدنية في أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالاسلام فأخبر الحارث فقال غدرت يا محمد ثم ان جماعة من قريش اقتحموا الخندق من ناحية ضيقة وهم على خيولهم وكان منهم عمرو بن عبد ود العامري وهو ابن تسعين سنة وكان من الشجعان المشهورين ومنهم عكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزومي وضرار بن الخطاب أخو عمر رضي الله عنه وقد أسلم ضرار وعكرمة رضي الله عنهما وأما هبيرة فمات على كفره فلما صاروا بالسبخة بين الخندق وسلع طلب عمرو بن عبد ود المبارزة وقال من يبارز فقام علي رضي الله عنه وقال أنا له يا نبي الله فقال صلى الله عليه وسلم اجلس انه عمرو ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول أين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم يدخلها أفلا تبرزون لي رجلا فقام علي رضي الله عنه فقال أنا يا رسول الله فقال اجلس انه عمرو فقال وان كان عمرا فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال اللهم أعنه عليه اللهم هذا أخي وابن عمي فلا تذرني فردا وأنت خير الوارثين وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم رفع عمامته الى السماء وقال الهي أخذت عبيدة مني يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا علي أخي وابن عمي فلا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فمشى اليه علي رضي الله عنه فقال يا عمرو انك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين أي خصلتين الا قبلتها قال له أجل أي نعم قال علي رضي الله عنه فاني أدعوك الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام فقال لا حاجة لي بذلك قال له علي فاني أدعوك الى البراز وفي رواية انك كنت تقول لا يدعوني أحد الى واحدة من ثلاث الا قبلتها قال أجل قال علي فاني أدعوك أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتسلم لرب العالمين فقال يا ابن أخي أخر عني هذه قال وأخرى ترجع بلادك فان يك صادقا كنت أسعد الناس به وان يك كاذبا كان الذي تريد قال هذا مما لا يتحدث به نساء قريش أبدا كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت أي لانه نذر لما أفلت هاربا يوم بدر وقد جرح أن لا يمس رأسه دهن حتى يقتل محمدا قال فالثالثة قال وما هي قال البراز فضحك عمرو وقال ان هذه لخصلة ما كنت أظن أن أحدا من العرب يروعني بها وفي رواية يرومني بهذه ثم قال له عمرو ومن أنت لان عليا رضي الله عنه كان مقنعا بالحديد فما عرفه عمرو فأجابه وقال علي قال ابن عبد مناف فقال أنا علي بن أبي طالب فقال غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أشد منك فاني أكره أن أهريق دمك وان أباك كان صديقا لي وفي لفظ كنت نديما له فقال له علي رضي الله عنه أنا والله ما أكره أن أهريق دمك وفي رواية قال عمرو يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك فقال علي لكني والله أحب أن أقتلك فحمي عمرو عند ذلك أي أخذته الحمية وفي رواية فغضب فقال له علي كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معي فاقتحم عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار وعقر فرسه وضرب وجهه كيلا يفر وأقبل على علي رضي الله عنه ودنا أحدهما من الآخر وثارت بينهما غبرة فاستقبله علي رضي الله عنه بدرقته فضربه

عمرو فلم اقتدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه فضربه على على حبل عاتقه وهو موضع الرداء من العنق وقيل طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه فسقط وكبر المسلمون فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير عرف ان عليا رضي الله عنه قد قتل عمرا ثم أقبل على رضي الله عنه نحو النبي صلى الله عليه وسلم وهو متهلل فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس في العرب درع خير منها فقال انه حين ضربته استقبلني بسوأته فاستحييت قال الحاكم سمعت الاصم قال سمعت العطاردي قال سمعت الحافظ يحيى بن آدم يقول ما شبهت قتل على عمرا الا بقوله تعالى فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وفي تفسير الفخر الرازي انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه بعد قتله عمرو بن عبدود كيف وجدت نفسك معه قال وجدت أن لو كان أهل المدينة في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم

• وذكر ابن اسحاق ان المشركين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى وحين قتل عمرو رجع من اقتحم الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير بن العوام رضي الله عنه وضرب نوفل بن عبد الله بالسيف فشقه نصفين ووصلت الضربة الى كاهل فرسه فقيل له يا أبا عبد الله ما رأينا مثل سيفك فقال والله ما هو السيف ولكنها الساعد وقيل ان الذي قتل نوفلا على رضي الله عنه وفي رواية ان رجلا من المشركين قال يوم الخندق من يبارز فقال صلى الله عليه وسلم قم يا زبير فقالت أمه صفية واحدي يا رسول الله فقال قم يا زبير فقام فقتله ثم جاء بسلبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فنفله اياه وفي رواية ان نوفلا لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب فنزل اليه على رضي الله عنه فقتله ويمكن ان عليا والزبير رضي الله عنهما اشتركا في قتله ورجعت الخيول مهزومة وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فعيره حسان رضي الله عنه بأبيات فلما رجعوا الى أبي سفيان قال هذا يوم لم يكن لنا فيه شيء فارجعوا وجاء في رواية ان الزبير رضي الله عنه حمل على هبيرة بن وهب وهو زوج أم هانئ أخت على رضي الله عنهما فضرب ثفر فرسه فقطعه وسقط درع كان يحتشها الفرس أي يجعلها على مؤخر ظهرها فأخذها الزبير رضي الله عنه وفي رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب أخو عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهبيرة بن وهب على على رضي الله عنه فأقبل على رضي الله عنه عليهما فأما ضرار فولى هاربا ولم يثبت وأما هبيرة فثبت أولا ثم ألقى درعه وهرب وكان فارس قريش وشاعرها وفي رواية ان ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه أخوه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصار يشتد في أثره فكر ضرار راجعا وحمل على عمر بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال يا عمر هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك ويدلي عندك غير مجزي بها فاحفظها ووقع له مع عمر رضي الله عنه نظير ذلك في أحد فانه التقى معه فضرب عمر بالقناة ثم رفعها عنه وقال ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب ثم من الله على ضرار بالاسلام فأسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وكان شعار المسلمين يوم الخندق حم لا ينصرون ولعل المراد خصوص الانصار فلا يخالف رواية ان شعار المسلمين يا خيل الله ورمى سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم قطع أكحله وهو عرق في الذراع تتشعب منه عروق البدن ويقال لهذا العرق عرق الحياة وكان الذي رمى سعدا هو ابن العرقة العامري والعرقة بفتح العين وكسر الراء وهي أمه واسمها قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم وتكنى أم فاطمة سميت العرقة لطيب ريحها وهي جدة خديجة رضي الله عنها أم أبيها وابن العرقة هذا اسمه حبان بن عبد مناف بن منقذ بن هصيص بن عامر بن لؤي وقيل العرقة انما هي أم عبد مناف أبي حبان ولما رمى سعدا قال خذها وأنا ابن العرقة فقال سعد رضي الله عنه عرق الله وجهك في النار وقيل ان الذي قال ذلك هو النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد رضي الله عنه اللهم ان كنت وضعت الحرب بيننا

وبينهم يعني قريشا فاجعلها الى شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني وفي رواية حتى تشفيني من بني قريظة وفي لفظ اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها فانه لاقوم أحب الي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها الى شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وقد استجاب الله له فلم يقم لقريش حرب بعدها وما مات حتى حكم في بني قريظة كما يأتي وقيل ان الذي أصاب سعدا أبو اسامة الجشمي حليف بني مخزوم وقيل خفاجة بن عاصم بن حبان والله أعلم واستمرت المقاتلة في يوم من أيام الخندق من سائر جوانب الخندق الى الليل ولم يصل صلى الله عليه وسلم ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصار المسلمون يقولون ما صلينا فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أنا فلما انكشف القتال جاء صلى الله عليه وسلم الى قبته فأمر بلالا فأذن وأقام للظهر فصلى ثم أقام لكل صلاة وصلى هو وأصحابه وجاء في رواية جابر رضي الله عنه انه أذن وأقام لكل صلاة وجمع النووي بأنهما قضيتان جرتا في أيام الخندق فانها كانت خمسة عشر يوما وفي رواية ان التي فاتت صلاة العصر ويحمل ذلك على انه وقع في بعض تلك الايام وجاء في بعض الروايات شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غابت الشمس ملأ الله أجوافهم وفي لفظ بطونهم وقبورهم نارا ثم ان طائفة من الانصار خرجوا ليدفنوا ميتا بالمدينة منهم فصادفوا عشرين بعيرا محملة شعيرا وتمرا وتبنا حمل ذلك حيي بن أخطب مددا وتقوية لقريش فأخذها الانصار وأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوسع بها أهل الخندق ولما بلغ أبا سفيان ذلك قال ان حييا لمشؤم ثم ان خالد بن الوليد كر بطائفة من المشركين يطلب غرة المسلمين أي غفلتهم فصادف أسيد بن حضير رضي الله عنه على الخندق في مائتين من المسلمين فناوشهم أي تقاربوا منهم ساعة وكان في أولئك المشركين وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه فزرق وحشي الطفيل بن النعمان رضي الله عنه فقتله ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل يطمعون في الاغارة فأقام المسلمون في شدة من الخوف وفي الصحيحين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم وقام صلى الله عليه وسلم في الناس فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فان لقيتم العدو فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف أي السبب الموصل الى الجنة عند الضرب بالسيف في سبيل الله ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى ما نزل بي وبأصحابي وقال له المسلمون هل من شئ نقوله فقد بلغت الروح الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا فأتاه جبريل فبشره ان الله يرسل عليهم ريحا وجنودا وأعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه وصار يرفع يديه ويقول شكرا شكرا وجاء ان دعاءه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء واستجيب له ذلك اليوم الذي هو يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فعرف السرور في وجهه أي ومن ثم كان جابر يدعو في مهماته في ذلك اليوم في ذلك الوقت ويتحرى ذلك اليوم وأما الاحاديث التي جاءت بذم يوم الاربعاء فمحمولة على آخر أربعاء في الشهر فان في ذلك اليوم ولد فرعون وادعى الربوبية وأهلكه الله فيه وهو اليوم الذي أصيب فيه أيوب عليه السلام وكان النبي صلى الله عليه وسلم يختلف الى ثلمة في الخندق والثلمة الخلل في الحائط فعن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يذهب الى تلك الثلمة فاذا أخذه البرد جاءني فأدفأته في حضني فاذا دفئ خرج الى تلك الثلمة ويقول ما أخشى أن يؤتى المسلمون الا منها فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حضني صار يقول ليت رجلا صالحا يحرس هذه الثلمة الليلة فسمع صوت السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال سعد بن أبي وقاص أتيت أحرسك

يارسول الله فقال عليك هذه الليلة فاحرسها ونام صلى الله عليه وسلم حتى غط ثم قام في قبته يصلي لأنه كان صلى الله عليه وسلم اذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قبته فقال هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ثم نادى يا عباد بن بشر قال لبيك قال هل معك أحد قال نعم انا في نفر حول قبتك يارسول الله وكان عباد ألزم الناس لقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسها فبعثه صلى الله عليه وسلم يطيف بالخندق وأعلمه بأن خيل المشركين تطيف بهم ثم قال اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم لا يغلبهم غيرك واذا أبو سفيان في خيل يطيفون بمضيق من الخندق فرماهم المسلمون حتى رجعوا * ثم ان نعيم بن مسعود الأشجعي رضي الله عنه أسلم وكتم اسلامه وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فرني بما شئت وفي رواية ان نعيما لما سارت الاحزاب سار مع قومه غطفان وهو على دينهم فقذف الله في قلبه الاسلام فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء فوجده يصلي فلما رآه جلس ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء بك يا نعيم قال جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق فأسلم ثم قال يارسول الله ان قومي لم يعلموا باسلامي فرني بما شئت فقال له صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل واحد فخذل عنا فان الحرب خدعة بفتح الخاء وسكون الدال وبضم الخاء أيضا مع سكون الدال وضمها أي ينقضي أمرها بالمخادعة ففيه التحذير من مكر الكافرين وانه لا ينبغي التهاون بهم والندب الى خداع الكفار وان من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الامر عليه وفي الحديث أيضا الاشارة الى استعمال الرأي في الحرب بل الاحتياج اليه آكد من الشجاعة فلذا اقتصر الحرب على الخدعة في قوله فان الحرب خدعة فهو كقوله الحج عرفة ثم قال نعيم يارسول الله اني أقول أي ما يقتضيه الحال وان كان خلاف الواقع فقال قل ما بدا لك فأنت في حل فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما قال فلما رأوني رحبوا بي وعرضوا على الطعام والشراب فقلت اني لم آت لشئ من هذا انما جئتكم تخوفا عليكم لأشير عليكم برأيي يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم اكتموا عني قالوا نفعل قال لقد رأيتم ما وقع لبني قينقاع ولبني النضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم وبه نساؤكم وأموالكم وأبناؤكم لا تقدرون على أن ترحلوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم أي عاونتموهم عليهم وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فان رأوا نهزة أي فرصة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلادكم والرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم سبعين رجلا يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه أي يقاتلوه قالوا لقد أشرت بالرأي والنصح ودعوا له وشكروا وقالوا نحن فاعلون قال ولكن اكتموا على قالوا نفعل ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابي سفيان ومن معه من أشراف قريش قد عرفتم ودي لكم وفراقي لمحمد وانه قد بلغني أمر قد رأيت ان أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون أن معشر يهود بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد من نقض عهده وقد أرسلوا اليه وأنا عندهم انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك انا نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم أي سبعين رجلا فنعطيك اياهم فتضرب أعناقهم وترد جناحنا الذي كسرت الى ديارنا يعنون بني النضير ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم فأرسل اليهم نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا واحذروهم على أسراركم ولكن اكتموا عني ولا تذكروا هذا الامر قالوا لا نذكره

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يامعشر غطفان انكم أهلى وعشيرتى وأحب الناس لى ولا أراكم تتهمونى قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال فاكتموا على قالوا نعم ثم قال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم فلما كان ليلة السبت أرسل أبوسفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال حتى نناجز أى نقاتل محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فقالوا لهم ان اليوم أى الذى يلى هذه الليلة يوم السبت وقد علمتم مانال منا من تعدى فى السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا سبعين رجلا فقالوا صدق والله نعيمان وفى رواية أن بنى قريظة أرسلت لقريش قبل مجىء رسل قريش اليهم رسولا يقول لهم ماهذا التوانى والرأى أن تتواعدوا على يوم يكونون معكم فيه لكنكم لا تخرجوا حتى ترسلوا اليهم رهنا سبعين رجلا من أشرافكم فانهم يخافون ان أصابكم ماتكرهون رجعتم وتركتموهم فلم تردلهم قريش جوابا وجاءهم نعيم وقال لهم كنت عند أبى سفيان وقد جاءه رسولكم فقال لو طلبوا منى عناقا مادفعتها لهم فاختلفت كلمتهم وجاء حيى بن أخطب لبنى قريظة فلم يجد منهم موافقة له وقالوا لانقاتل معهم حتى يدفعوا الناسبعين رجلا من قريش وغطفان رهنا عندنا وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح أى ريح الصبا فى ليال شديدة البرد فأكفأت قدورهم وطرحت آنيتهم وقلعت بيوتهم وقطعت أطنابها وصارت الريح تلقى الرجال على أمتعتهم وفى رواية دفنت الرجال وأطفأت نيرانهم وأرسل الله عليهم ملائكة زلزلتهم قال الله تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ولم تقاتل الملائكة بل نفثت فى روعهم الرعب قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفى لفظ نصر الله المسلمين بالريح وكانت ريحا صفراء ملأت عيونهم ودامت عليهم واشتدت عليهم فى ليلة باردة مع أصوات مثل الصواعق ولم تجاوز عسكر المشركين أى لم تجاوز شدة ذلك عسكر المشركين وكانت تلك الليلة شديدة الظلمة بحيث لايرى الشخص أصبعه اذا مدها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون ان بيوتنا عورة أى من العدو لانها خارج المدينة وحيطانها قصيرة يخشى عليها السرقة فأذن لنا نرجع الى نسائنا وأبنائنا وذرارينا فيأذن صلى الله عليه وسلم لهم قيل ولم يبق معه تلك الليلة الا ثلثمائة وكان رجوع المنافقين فرارا كما قال الله تعالى يقولون ان بيوتنا عورة وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا وأما المؤمنون الصادقون فمن رجع منهم انما رجع لألم البرد والجوع الشديدين أو الخوف الحقيقى على بيوتهم أو لفهمهم عدم التغليظ فى ذهاب من يذهب فكشفوا حال بيوتهم ثم رجعوا ثم قال صلى الله عليه وسلم من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير أنا يارسول الله قال ذلك ثلاثا والزبير رضى الله عنه يجيبه بماذكر فقال صلى الله عليه وسلم لكل نبى حوارى أى ناصر وان حوارى الزبير وهذا قاله صلى الله عليه وسلم له أيضا عند ارساله لكشف خبر بنى قريظة هل نقضوا العهد أم لا كما تقدم وسيأتى قوله له ذلك أيضا فى خيبر وجاء فى حديث آخر حوارى من الرجال الزبير ومن النساء عائشة رضى الله عنهما وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال أى رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم ثم يرجع وأسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة وفى لفظ يكون معى يوم القيامة وفى لفظ يكون رفيق ابراهيم يوم القيامة قال ذلك ثلاثا فما قام أحد من شدة الجوع والبرد فدعا حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما وأرسله كما يأتى ولم يرسل الزبير رضى الله عنه مع سؤاله ذلك ثلاثا لان له حدة وشدة لا يملك معها نفسه أن يحدث بالقوم شيئا مما نهى عنه حذيفة فيما يأتى فاختار ارسال حذيفة لذلك هذا هو التحقيق عند أئمة السير وهو ان المرسل انما هو حذيفة رضى الله عنه ونسب بعضهم الارسال الى الزبير رضى الله عنه وهو اشتباه وانما ارسال الزبير رضى الله عنه فى كشف خبر بنى قريظة لما نقضوا العهد كما تقدم قال حذيفة

رضي الله عنه لقد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجد بدا من القيام حين نوه باسمي فجئته صلى الله عليه وسلم فقال تسمع كلامي منذ الليلة ولا تقوم فقلت والذي بعثك بالحق ان قدرت أي ما قدرت على ما بي من الجوع والخوف والبرد فقال اذهب حفظك الله من أمامك ومن خلفك ومن يمينك وعن شمالك حتى ترجع الينا قال حذيفة رضي الله عنه فلم يكن لي بد من الذهاب فقمت مستبشرا بدعائه ما شق علي شيء مما كان وقال يا حذيفة اذهب فادخل في القوم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما كرر قوله الا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ولم يجبه أحد قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله حذيفة بن اليمان قال حذيفة رضي الله عنه فمر علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علي الا مرط لامرأتي ما يجاوز ركبتي وأنا جاث على ركبتي فقال من هذا فقلت حذيفة فقال صلى الله عليه وسلم حذيفة قال حذيفة فتقاصرت في الارض قلت بلى يا رسول الله قال قم فقمت فقال انه كان في القوم خبر فأتني بخبرهم فقلت والذي بعثك بالحق ما قمت الا حياء منك من البرد قال لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع الي فقلت والله ما بي أن أقتل ولكني أخشى أن أوسر فقال انك لن تؤسر اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال حذيفة فخرجت كأني في حمام وفي رواية فأذهب الله عني القر أي البرد والفزع أي الخوف وفي رواية فوالله ما خلق الله تعالى في جوفي قرا ولا فزعا الا خرج وما وجدت منه شيئا. وخرجت كأنما أمشي في حمام فلما وليت دعاني فقال لي لا تحدث شيئا وفي رواية لا ترم بسهم ولا حجر ولا تضرب بسيف حتى تأتيني فجئت اليهم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فدخلت في غمارهم فسمعت أبا سفيان يقول يا معشر قريش ليعرف كل امرئ جليسه واحذروا الجواسيس والعيون فأخذت بيد جليسي على يميني وقلت من أنت قال معاوية بن أبي سفيان وقبضت بيدي على من على يساري وقلت من أنت قال عمرو بن العاص فعلت ذلك خشية أن يفطن بي فقال أبو سفيان يا معشر قريش والله انكم لستم بدار مقام وقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فما حل عقاله الا وهو قائم أي فانه لما ركبه كان معقولا فلما ضربه وثب على ثلاث قوائم ثم حل عقاله فقال له عكرمة بن أبي جهل انك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس فاستحيا أبو سفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وجعل يقوده ويقول ارحلوا فجعل الناس يرحلون وهو قائم ثم قال لعمرو بن العاص رضي الله عنه يا أبا عبد الله تقيم في جريدة من الخيل بازاء محمد وأصحابه فانا لا نأمن من أن نطلب فقال عمرو أنا أقيم وقال لخالد بن الوليد ما ترى أبا سليمان فقال أنا أيضا أقيم فأقام عمرو وخالد في مائتي فارس وسار جميع العسكر قال حذيفة رضي الله عنه ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الي حين بعثني أن لا أحدث شيئا لقتلته يعني أبا سفيان بسهم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاشتدوا راجعين الى بلادهم وفي رواية عن حذيفة رضي الله عنه فدخلت العسكر فاذا الناس في عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لا مقام لكم والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضربهم بالحجارة لا تجاوز عسكرهم فلما انتصفت الطريق اذا أنا بنحو عشرين فارسا معتمين فخرج الي منهم فارسان وقالا أخبر صاحبك ان الله كفاه القوم قال حذيفة رضي الله عنه ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قائما يصلي فأخبرته الخبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وفي رواية فضحك حتى بدت ثناياه في سواد الليل وعاودني البرد وجعلت أقرقف فأومأ الي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فدنوت منه فسدل علي من فضل شملته فنمت ولم أزل نائما حتى الصبح أي طلوع الفجر فلما أصبحت أي دخلت وقت صلاة الصبح قال

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا نومان أى يا كثير النوم وانما جاءه البرد بعد رجوعه لان النبى صلى
الله عليه وسلم انما قال له لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع الى وقد رجع وفى رواية عن حذيفة
رضى الله عنه لما دخلت بينهم نظرت فى ضوء نار توقد واذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح
خاصرته وحوله عصبته قد تفرق عنه الاحزاب وهو يقول الرحيل الرحيل ولم أعرف أبا سفيان قبل ذلك
فانتزعت سهما من كنانتى أبيض الريش لاضعه فى كبد القوس لارميه فى ضوء النار فذكرت قوله
صلى الله عليه وسلم لا تحدثن شيئا حتى تأتينى فأمسكت ورددت سهمى فلما جلست فيهم أحس
أبو سفيان انه قد دخل فيهم من غيرهم فقال ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فضربت بيدى على
يد الذى عن يمينى فقلت من أنت قال معاوية بن أبى سفيان ثم ضربت بيدى على يد الذى عن شمالى
فقلت من أنت قال عمرو بن العاص فعلت ذلك خشية أن يفطن بى فبدرتهم بالمسألة ثم تلبثت فيهم
هنيهة فأتيت قريشا اى بقية قريش وبنى كنانة وقيسا وقلت ما أمرنى به صلى الله عليه وسلم أى فانه
صلى الله عليه وسلم قال له ادخل حتى تدخل بين ظهرانى القوم فأت قريشا فقل يا معشر قريش انما يريد
الناس اذا كان غدا أن يقال أين قريش أين قادة الناس أين رؤس الناس فيقدمونكم فتصلوا
القتال فيكون القتل فيكم ثم ائت بنى كنانة فقل اذا كان غدا فيقال أين الرماة فيقدمونكم فتصلوا
القتال فيكون القتل فيكم ثم ائت قيسا فقل يا معشر قيس انما يريد الناس اذا كان غدا أن يقال أين
احلاس الخيل أين الفرسان فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم ثم ذكر بقية ارتحالهم
كما تقدم وفى البخارى من حديث عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما قال دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم
أى حتى لا يثبتوا للقتال عند اللقاء بل تطيش عقولهم وترعد أقدامهم وقد استجاب الله لرسوله صلى الله
عليه وسلم فأرسل عليهم ريحا وجنودا فهزمهم الله حتى قال طليحة بن خويلد الاسدى أما محمد
فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله يا أيها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها الآية وكذا
قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا
وتقدم أن بعض الصحابة رضى الله عنهم قالوا يا رسول الله هل من شئ نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر
فقال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه فضرب الله
وجوه أعدائنا بالريح فهزمهم بالريح وكفى الله المؤمنين القتال فانصرف الكفار خائبين خائفين حتى
ان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد أقاما فى مائتى فارس فى ساقة عسكر المشركين مخافة الطلب
وفى حديث جابر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أتى مسجد الاحزاب يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم
الاربعاء بين الظهر والعصر فوضع رداءه فقام فرفع يديه يدعو عليهم فرأينا البشر فى وجهه ومما دعا به
صلى الله عليه وسلم كما تقدم قوله يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همى وغمى
وكربى فانك ترى ما نزل بى وبأصحابى فأتاه جبريل فبشره بأن الله تعالى يرسل عليهم ريحا وجنودا
فأخبر أصحابه بذلك ليزول خوفهم ورفع يديه قائلا شكرا شكرا وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد
وأطفأت النيران وألقت عليهم الابنية وأكفأت القدور على أفواهها وسفت عليهم التراب ورمتهم
بالحصباء وسمعوا فى جوانب معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هاربين فى ليلتهم وتركوا
ما استثقلوا من متاعهم فغنمه المسلمون وانصرف صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق يوم الاربعاء لسبع
بقين من ذى القعدة وكان قد أقام بالخندق محاصرا خمسة عشر يوما وقيل أربعة وعشرين يوما وقيل

شهرا وقال صلى الله عليه وسلم بعد انصراف الاحزاب لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا وفى رواية الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم وقد كان كما أخبر صلى الله عليه وسلم ففى ذلك علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وفى السيرة الحلبية ان أباسفيان قبل أن يرتحلوا كتب كتابا أرسله للنبى صلى الله عليه وسلم فيه باسمك اللهم فانى أحلف باللات والعزى واساف ونائلة وهبل لقد سرت اليك فى جمع وأنا أريد أن لا أعود أبدا حتى أستأصلكم فرأيتك قد كرهت واعتصمت بالخندق وفى رواية قد اعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها وانما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها وما فعلت هذا الا فرارا من سيوفنا ولقائنا ولك منى يوم كيوم أحد فارسل له رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابه فيه أما بعد أى بعد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى صخر بن حرب فقد أتانى كتابك وقديما غرك بالله الغرور أما ما ذكرت انك سرت الينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله تعالى بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى واساف ونائلة وهبل حتى أذكرك ذلك يا سفيه بنى غالب انتهى وقد حقق الله قوله صلى الله عليه وسلم وكسر اللات والعزى وغيرهما من الاصنام وأعز الله الاسلام فاخباره بذلك قبل وقوعه علم من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وقد ذكر ابن اسحاق انه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستة لا غير سعد بن معاذ رضى الله عنه وسيأتى بيان وفاته وأنس بن أوس وعبد الله بن سهل والثلاثة من الاوس ومن الخزرج الطفيل بن النعمان وثعلبة ابن غنمة وكعب بن زيد وزاد الحافظ الدمياطى قيس بن زيد بن عامر وعبد الله بن أبى خالد وذكر الحافظ ابن حجر فى السكنى أباسنان بن صيفى بن صخر وقال شهد بدرا واستشهد فى الخندق وقتل من المشركين ثلاثة منبه بن عبيد العبدرى أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله المخزومى وعمرو بن عبد ود وفى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قفل من الغزو أو الحج أو العمرة يبدأ فيكبر ثلاث مرات ثم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وهذا من السجع المحمود وهو ما جاء بانسجام واتفاق بلا قصد والمذموم ما يأتى بتكلف واستكراه والله سبحانه وتعالى أعلم

(غزوة بنى قريظة)

وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الاوس وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الخندق دخل المدينة فى اليوم الذى انصرف فيه لسبع بقين من ذى القعدة هو وأصحابه ووضعوا السلاح وكان قد صلى الظهر ودخل بيت عائشة رضى الله عنها وقيل بيت زينب بنت جحش رضى الله عنها ودعا بماء فبينما هو صلى الله عليه وسلم يغتسل وقد غسل شق رأسه الشريف وفى رواية بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغسل يرجل رأسه قد رجل أحد شقيه وفى رواية غسل رأسه واغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر أتاه جبريل عليه السلام معتجرا بالعمامة سوداء من استبرق وهو نوع من الديباج رخاها بين كتفيه وفى رواية عليه لامة ولا معارضة لانه يجوز أن الاعتجار بالعمامة على تلك اللامة وهو على بغلة شهباء عليها قطيفة وهى كساء له وبر من ديباج أحمر فقال أوقد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال جبريل ما وضعت الملائكة السلاح وفى رواية قال يا رسول الله غفر الله لك أوقد وضعتم السلاح وما رجعنا الآن الا من طلب القوم يعنى الاحزاب وقد بلغنا الاسد يعنى حمراء الاسد ان الله يأمرك يا محمد بالسير الى بنى قريظة فانى عامد اليهم بمن معى من الملائكة فمزلزل بهم الحصون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى أصحابى جهدا فلو أنظرتهم أياما فقال جبريل انهض اليهم أى بنى قريظة

فوالله لادقنهم كدق البيض على الصفا ولادخلن عليهم فى حصونهم ثم لاضعضعنها فادبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار فى زقاق بنى غنم وهم طائفة من الانصار وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال كانى أنظر الى الغبار ساطعا فى زقاق بنى غنم لموكب جبريل حين سار لبنى قريظة وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بينما هو عندى اذ دق الباب وفى رواية نادى مناد فارتاع لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فزع ووثب وثبة منكرة وخرج فخرجت فى اثره فاذا رجل على دابة والنبى صلى الله عليه وسلم متكئ على معرفة الدابة يكلمه فرجعت فلما دخل قلت من ذلك الرجل الذى كنت تكلمه قال ورأيتيه قلت نعم قال بمن شبهتيه قالت بدحية الكلبى قال ذاك جبريل أمرنى أن امضى الى بنى قريظة وهذا يؤيد أنه صلى الله عليه وسلم كان عند منصرفه من الخندق فى بيت عائشة رضى الله عنها وجاء فى رواية عنها فكانى برسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه جبريل وهو أى جبريل ينفض رأسه من الغبار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا وهو بلال رضى الله عنه أن ينادى فى الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة وفى رواية لا يصلين الظهر وجمع بينهما بأن من الناس من صلى الظهر ومنهم من لم يصلها فقيل للذين لم يصلوا الظهر لا تصلوا الظهر الا فى بنى قريظة وللذين صلوها لا تصلوا العصر الا فى بنى قريظة وبعث مناديا يقول ياخيل الله اركبى أى يا فرسان خيل الله ثم سار اليهم وبعث عليا رضى الله عنه على المقدمة ودفع اليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل عند مرجعهم من الخندق واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه ولبس صلى الله عليه وسلم السلاح والدرع والمغفر والبيضة وأخذ قناته بيده وتقلد القوس وركب فرسه اللحيف بالضم وقيل ركب حمارا وهو اليعفور عريا ويمكن انه ركب فى بعض الطريق حماره وفى بعضه فرسه وسار والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا ومر بنفر من الانصار وقد لبسوا السلاح فقال هل مر بكم أحد قالوا نعم دحية الكلبى مر على بغلة بيضاء وفى رواية على فرس أبيض عليه اللامة وأمرنا بحمل السلاح وقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل بعث الى بنى قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم فلما دنا على بن أبى طالب رضى الله عنه من الحصن أى ومعه نفر من المهاجرين والانصار وغرز اللواء عند أصل الحصن سمع من بنى قريظة مقالة قبيحة فى حقه صلى الله عليه وسلم فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا وبينكم فلما رأى على رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا أمر أبا قتادة الانصارى ان يلزم اللواء ورجع اليه صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لعلك سمعت منهم لى اذى قال نعم قال لو رأونى لم يقولوا شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا وفى رواية نادى بأعلى صوته نفرا من أشرافهم حتى اسمعهم وقال اجيبوا يا اخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت وهو ما عبد من دون الله هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته أتشتمونى فجعلوا يحلفون ما قلنا ويقولون يا أبا القاسم ما كنت جهولا وفى رواية ما كنت فاحشا وقال لهم اسيد بن حضير يا اعداء الله لا تبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعا انما انتم بمنزلة ثعلب فى جحر فقالوا يا ابن الحضير نحن مواليك وخاروا أى خافوا فقال لا عهد بينى وبينكم وانما قال لهم يا اخوة القردة والخنازير لان اليهود مسخ شبابهم قردة وشيوخهم خنازير عند اعتدائهم يوم السبت بصيد السمك ثم ان جماعة من

الصحابة شغلهم مالم يكن لهم منه بد عن المسير لبني قريظة ليصلوها بها العصر فأخروا صلاة العصر الى أن جاؤا بعد صلاة العشاء الآخرة امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم فلا يصلين العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة وبعضهم قال نصلي ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم منا أن ندع الصلاة ونخرجها عن وقتها وانما أراد الحث على الاسراع فصلوا في أماكنهم قيل وجماعة صلوا على ظهور دوابهم ثم ساروا وما عابهم الله في كتابه ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان كلا من الفريقين مأجور بقصده لانهم مجتهدون ولم يعنف الذين أخروها القيام عذرهم في التمسك بظاهر الامر وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر يوما وقيل شهرا وكان طعام الصحابة رضي الله عنهم التمر يرسل به اليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ نعم الطعام التمر واشتد الحصار على بني قريظة وقذف الله الرعب في قلوبهم وكان حيي بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت الاحزاب وفاء لكعب بما عاهده عليه كما تقدم فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم أي يقاتلهم قال كبيرهم كعب بن أسد يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هي قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وما منعنا من الدخول معه الا الحسد للعرب حيث لم يكن من بني اسرائيل ولقد كنت كارها لنقض العهد ولم يكن البلاء والشؤم الا من هذا الجالس يعني حيي بن أخطب أتذكرون ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم انه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصارا وتكونون آمنتم بالكتابين الاول والآخر يعني التوراة والقرآن أي وكانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويعلمون الولدان صفته وان مهاجره المدينة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت يهود قريظة وبني النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة ولما قال لهم كعب ذلك قالوا لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره قال كعب فاذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا أي ولدا نخشى عليه وان نظهر فلعمري لنجدن النساء والابناء قالوا أنقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة أي غفلة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا الا وأصابه مالم يخف عليك من المسخ وقال لهم عمرو بن سعدى قد خالفتم محمدا فيما عاهدتموه عليه ولم أشرككم في غدركم فان أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوه الجزية فوالله ما أدري أيقبلها أم لا قالوا نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه وان القتل خير من ذلك قال فاني بريء منكم وخرج في تلك الليلة فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة فقال محمد بن مسلمة من هذا قال عمرو بن سعدى قال مر اللهم لا تحرمني اقالة عثرات الكرام وخلى سبيله وبعد ذلك لم يدر أين هو ولما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وفي لفظ انه قال لهم قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم لحصارهم يا بني قريظة لقد رأيت عبرا رأيت دار اخواننا يعني بني النضير خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف والرأي الفاضل والعقل قد تركوا أموالهم يملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل لا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط ولله بهم حاجة وقد أوقع بني قينقاع نقضهم العهد في الذل والسبي وكانوا أهل عدة وسلاح

ونحوه فلم يخرج منهم أحد رأسه حتى سباهم صلى الله عليه وسلم فنكم فيهم فتركهم على اجلائهم من يثرب يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى وتعالوا نتبع محمدا فوالله انكم لتعلمون انه نبى وقد بشرنا به علماؤنا ثم لا زال يخوفهم بالحرب والسبا والجلاء ثم أقبل على كعب بن أسد وقال والتوراة التى نزلت على موسى يوم طور سينا انه العز والشرف فى الدنيا فبينما هم على ذلك لم يرعهم الا مقدمة جيش النبى صلى الله عليه وسلم قد حلت بساحتهم فقال هذا الذى قلت لكم أى وبعد الحصار أرسلوا شاس بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من أن لهم ما حملت الابل الا الحلقة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقن دماءهم ويسلم لهم نساءهم والذرية فأرسلوا اليه ثانيا بأنهم لا حاجة لهم بشئ من الاموال لا من الحلقة ولا من غيرها فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد شاس اليهم بذلك ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث الينا أبا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر الانصارى رضى الله عنه لنستشيره فى أمرنا أى لانه كان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كانت فى بنى قريظة وكانوا حلفاء الاوس وهو منهم فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وأسرع اليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه من شدة المحاصرة وتشتيت مالهم فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه أى انه الذبح أى وفى لفظ ما ترى ان محمدا قد أبى أن ننزل الا على حكمه قال فانزلوا وأومأ بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت انى خنت الله ورسوله أى لان فى ذلك تنفيرا لهم عن الانقياد له صلى الله عليه وسلم ومن ثم أنزل الله فى ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم وقيل الذى نزل فى ذلك قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم والحق ان كلا من الآيتين نزل فيه الاولى فى اللوم عليه والثانية فى توبته وفى رواية عن أبى لبابة رضى الله عنه لما أرسلت بنو قريظة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسلنى اليهم دعانى فقال اذهب الى حلفائك فانهم أرسلوا اليك من بين الاوس فذهبت اليهم فقام كعب بن أسد فقال يا أبا بشير قد عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ومحمد لا يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه فلو زال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نطأ له أرضا ولم نكثر عليه جمعا أبدا ما ترى فانا قد اخترناك على غيرك أننزل على حكم محمد قال أبو لبابة نعم فانزلوا وأومأ الى حلقه بالذبح قال أبو لبابة فندمت واسترجعت فقال لى كعب ما لك يا أبا لبابة فقلت قد خنت الله ورسوله ثم نزلت من عندهم وان عينى لتسيل من الدموع ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتبط فى المسجد بعمود من عمده وهى التى كانت عند باب أم سلمة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم وكان أكثر تنفل النبى صلى الله عليه وسلم عندها وتعرف باسطوانة أبى لبابة واسطوانة التوبة وكان الوقت شديد الحر وكان ارتباطه بسلسلة ثقيلة وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله ان لا يطأ بنى قريظة أبدا ولا يرى فى بلد خان الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال اما لو جاءنى لاستغفرت له وأما اذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه حتى يتوب الله عليه ومن قال انه انما فعل ذلك حين تخلف عن غزوة تبوك فقد أغرب ثم مكث أبو لبابة رضى الله عنه مربوطا ست ليال لا يذوق طعاما ولا شرابا وتأتيه امرأته فى كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فتربطه بالجذع وقيل مكث مربوطا بضع عشرة ليلة يطلقونه للصلاة ثم يأمرهم

باعادة الربط حتى خر مغشيا عليه ثم أنزل الله توبته على النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم وكان نزول توبته ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أم سلمة رضي الله عنها قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك فرحا بالتوبة لانه بالمؤمنين رؤف رحيم قالت فقلت يا رسول الله مم تضحك أضحك الله سنك قال تيب على أبي لبابة قالت قلت افلا أبشره يا رسول الله قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك فثار الناس اليه ليطلقوه وقيل قالوا له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج لصلاة الصبح فحله فقال يا رسول الله ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال له صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تتصدق به وجاء في بعض الروايات عن أبي لبابة رضي الله عنه عند ذكره هذه القصة حين ربط نفسه قال فكنت في أمر عظيم في حر شديد عدة ليال لا آكل فيهن شيئا ولا اشرب وقلت لا ازال هكذا حتى افارق الدنيا أو يتوب الله علي وذكرت رؤيا رأيتها ونحن نحاصر بني قريظة فاني رأيت كأني في حمأة أي طين أسود آسنة أي متغيرة فلم أخرج منها حتى كدت أموت من ريحها ثم رأيت نهرا جاريا فأراني اغتسلت فيه حتى استنقيت وأراني أجد ريحا طيبة فاستعبرتها أبا بكر رضي الله عنه فقال لتدخلن في أمر تغتم له ثم يفرج الله عنك فكنت اذكر قوله وانا مرتبط فأرجو أن ينزل الله توبتي فلم أزل كذلك حتى كنت ما اسمع الصوت من الجهد ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الي حتى انزل الله توبتي ثم ان بني قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بهم فكتفوا وجعلوا ناحية وكانوا ستمائة وقيل سبعمائة وخمسين مقاتلا وهو الذي تقدم عن حيي بن اخطب وقيل كانوا بين الثمانمائة والسبعمائة وقيل كانوا أربعمائة ويجوز ان يكون مازاد على ذلك أتباعا لا يعدون فلا تخالف وأخرج النساء والذراري من الحصون وجعلوا ناحية وكانوا ألفا واستعمل عليهم عبد الله بن سلام فتواثب الاوس فقالوا يا رسول الله موالينا وحلفاؤنا وقد فعلت في موالي اخواننا بالامس ما قد فعلت يعنون بني قينقاع لانهم كانوا حلفاء الخزرج ومن الخزرج عبد الله بن أبي ابن سلول وقد نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كلمه فيهم عبد الله ابن أبي ابن سلول فوهبهم له على أن يجلوا كما تقدم فظنت الاوس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهب لهم بني قريظة كما وهب بني قينقاع للخزرج فلما كلمته الاوس أبى ان يفعل ببني قريظة ما فعل ببني قينقاع ثم قال لهم أما ترضون يا معشر الاوس ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى فقال ذلك الى سعد ابن معاذ وقيل انه صلى الله عليه وسلم قال لهم اختاروا من شئتم من أصحابي فاختاروا سعد بن معاذ وهو سيد الاوس حينئذ وقيل ان بني قريظة هم الذين قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن هشام حدثني من أثق به ان عليا رضي الله عنه صاح على بني قريظة وهم محاصرون يا كتيبة الايمان ثم تقدم هو والزبير وقال والله لاذوقن ما ذاق حمزة أو لاقتحمن حصنهم فحاذروا وقالوا ننزل على حكم سعد قال الحافظ ابن حجر كأنهم أذعنوا أولا للنزول على حكم المصطفى صلى الله عليه وسلم فلما سأله الانصار فيهم رد الحكم الى سعد وروى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها فلما اشتد بهم البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استشاروا أبا لبابة قالوا ننزل على حكم سعد فحصل في سبب رد الحكم الى سعد أمران احدهما سؤال الاوس والآخر اشارة أبي لبابة وكانوا حلفاء سعد وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه

يومئذ في المسجد النبوي في خيمة رفيدة رضي الله عنها وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لقوم سعد بن معاذ رضي الله عنه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قرب ورفيدة هذه امرأة من أسلم كانت لها خيمة في المسجد تداوي فيها الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له من يقوم عليه فأتاه قومه فحملوه على حمار ثم أقبلوا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون له يا أبا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فأحسن فيهم فقد رأيت من ابن أبي ماصنع في حلفائه وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فقال بعضهم واقوماه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين وهم حوله جلوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم وفي رواية الى خيركم فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم وفي رواية فقمنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم ياسعد فقال الله ورسوله أحق بالحكم قال قد أمرك الله ان تحكم فيهم فقال سعد أي لمن في الناحية التي ليس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم بما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا مثل ذلك واشار الى الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له ثم قال سعد لبني قريظة أترضون بحكمي قالوا نعم فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه ان الحكم ما حكم به سعد قال سعد فاني أحكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء وتكون الديار للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار اخواننا يعنون المهاجرين لنا معهم فقال اني أحببت أن يستغنوا عنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الملك بكسر اللام وفي رواية لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات قد طرقني بذلك الملك سحرا والمراد ان شأن هذا الحكم العلو والرفعة ثم أمر ان يجمع ما في حصونهم من الحلقة والسلاح وغير ذلك فجمع فوجد فيها ألف وخمسمائة سيف وثلثمائة درع وألفارمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجد أثاث كثير وآنية كثيرة وجمال نواضح أي يسقى عليها الماء وماشية وشياه كثيرة وخمس ذلك مع النخل والسبي ثم قسم الباقي على الغانمين وفي رواية ثم أمر بالباقي فبيع ثم قسمه بين المسلمين وكانت اسهم القسمة ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهما لان المسلمين ثلاثة آلاف والخيل ست وثلاثون وللفرس سهمين ولصاحبه سهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالاسارى ان يكونوا في دار اسامة بن زيد والنساء والذرية في دار بنت الحارث النجارية ثم غدا صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم خرج الى سوق المدينة فخندق فيها خنادق أي حفر فيها حفائر وفي رواية شق أخدودا وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه ثم أمر بقتل كل من نبت شعر عانته فبعث اليهم فجاؤا أرسالا تضرب اعناقهم ويلقون في تلك الخنادق وقد قال بعضهم لسيدهم كعب بن أسيد يا كعب ماترى يصنع بنا قال أنتم في كل موطن لا تعقلون الاترون انه من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل قد دعوتكم الى غير هذا فأبيتم علي قالوا ليس حين عتاب فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم التراب في تلك الخنادق وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشققت جيوبها ونشرت شعورها وضربت خدودها وملئت المدينة بالنوح والعويل وكان من جملة من أتي به معهم عدو الله حيي بن أخطب مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم يمكن الله منك يا عدو الله قال بلى أبى الله الا تمكينك مني والله مالمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل. وفي رواية قال بلى ولقد قلقلنا

انه لا بأس بأمر الله كل مقلقل ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس
كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه ولما أتي بكعب بن أسيد سيد
بني قريظة قال له صلى الله عليه وسلم يا كعب قال نعم يا أبا القاسم قال ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم وكان
مصدقاً بي أما أمركم باتباعي وانكم ان رأيتموني تقرؤني منه السلام قال بلى والتوراة يا أبا القاسم
ولولا أن تعيرني يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنه على دين يهود فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يقدم فتضرب عنقه ففعل به ذلك وكان المتولي لقتلهم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله
عنهما وقيل ان بعضا منهم تولى قتله الاوس لما جاء أن سعد بن عبادة والحباب بن المنذر رضي الله عنهما قالا
يا رسول الله ان الاوس قد كرهت قتل بني قريظة لمكان حلفهم فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه
ما كرهه من الاوس أحد فيه خير فمن كرهه فلا أرضاه الله وقام أسيد بن حضير رضي الله عنه فقال
يا رسول الله لا تبق دارا من الاوس الا فرقتهم منهم فمن سخط فلا رغم الله الا أنفه فابعث الى داري
أول دورهم ففرق صلى الله عليه وسلم منهم فيها فقتلوهم قال بعضهم ان الطائفة الذين كرهوا ذلك بعض
من الاوس فقتلوا من بعث به الى دورهم اتباعا لرضى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وازالة لما جال
في صدورهم وما عدا ذلك تعاطى قتله علي والزبير رضي الله عنهما فلا تنافي وبقي صلى الله عليه
وسلم عند الاخدود حتى فرغوا منهم عند الغروب فرد عليهم التراب وكان الذين أرسلوا الى الاوس
جلوا بعد القتل الى الاخدود وكانوا كلهم ما بين الستمائة والسبعمائة كما تقدم ولم يقتل من النساء
الا واحدة خرجت من بين النساء يقال لها بنانة وقيل مزنة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد
رضي الله عنه فقتلته بارشاد زوجها الا انه أحب أن لا تبقى بعده فيتزوجها غيره وقد أسهم النبي صلى
الله عليه وسلم لخلاد بن سويد هذا وقال ان له أجر شهيدين وأسهم لسنان بن محصن وقد مات في زمن
الحصار وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت لم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة قالت والله انها
لعندي تحدث وتضحك ظهرا وبطنا أي وكانت جارية حلوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل
رجالها أي لانها دخلت على عائشة رضي الله عنها وبنو قريظة يقتلون اذ هتف هاتف باسمها أين بنانة
فقالت ها أنا والله قالت عائشة رضي الله عنها فقلت لها مالك ويلك قالت اقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته
وفي لفظ قالت قتلني زوجي فقالت لها عائشة رضي الله عنها كيف قتلك زوجك قالت أمرني أن ألقي
رحى على أصحاب محمد الذين كانوا تحت الحصن مستظلين في فيئه فأدركت خلاد بن سويد فشدخت
رأسه فمات وأنا أقتل به وفي رواية قالت كنت زوجة رجل من بني قريظة وكان بيني وبينه كأشد
ما يتحاب الزوجان فلما اشتدت المحاربات لزوجي يا حسرتا على أيام الوصال كادت أن تنقضي وتبدل
بليالي الفراق وما أصنع بالحياة بعدك فقال لزوجي ان كنت صادقة في دعوى المحبة تعالى فان جماعة من
المسلمين جالسون في ظل حصن الزبير بن باطا وهو بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة فألقي عليهم حجر
الرحى لعله يصيب واحدا منهم فيقتله فان ظفروا بنا فانهم يقتلونك بذلك ففعلت قالت عائشة رضي الله
عنها فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة رضي الله عنها تقول ما رأيت أعجب من طيب نفسها
وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل وكان في بني قريظة الزبير بن باطا وكان شيخا كبيرا وكان قد
من على ثابت بن قيس في الجاهلية يوم بعاث وهي الحرب التي كانت بين الاوس والخزرج قبل قدومه
صلى الله عليه وسلم المدينة وكان الظفر فيها للاوس على الخزرج وذلك ان الزبير بن باطا أخذ ثابت بن
قيس فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء ثابت الزبير يوم قتل بني قريظة فقال له يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني
فقال وهل يجهل مثلي مثلك قال اني أردت أن أجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم

وأحوج ما كنت اليه الآن ثم أتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انه كان للزبير على منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لى دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمك فهو لك فقال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة قال ثابت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله بأبى أنت وأمى امرأته وولده فقال هم لك فأتيته فقلت أهلك وولدك لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يارسول الله ماله قال هو لك فأتيته فقلت له قد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك فقال أى ثابت أما أنت فقد كافأتنى وقد قضيت الذى عليك ما فعل بالذى كان وجهه مرآة تتراءى فيه عذارى الحى كعب بن أسد سيد بنى قريظة قلت قتل قال فما فعل بسيد الحاضر والبادى من يحملهم فى الجدب ويطعمهم فى المحل حيى بن أخطب فقلت قد قتل قال فما فعل بمقدمنا بكسر الدال مشددة اذا شددنا وحامنا اذا فررنا عزال بتشديد الزاى ابن سموأل بفتح السين وكسرها قلت قتل قال ما فعل المجلسان بكسر اللام محل الجلوس وبفتحها المصدر يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة قلت قتلوا قال فانى أسألك يا ثابت بيدك عندى الا ألحقتنى بالقوم فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير أرجع الى دار قد كانوا حلولا فيها فأخلد فيها بعدهم لا حاجة لى بذلك فما أنا بصابر افراغة دلو ناضح حتى ألقى الاحبة اى مقدار الزمن الذى يفرغ فيه ماء الدلو قال ثابت فقلت له ما كنت لاقتلك فقال لا أبالى من قتلنى فقتله الزبير بن العوام رضى الله عنه ولما بلغ أبا بكر رضى الله عنه قوله ألقى الاحبة قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا فيها مخلدا وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لثابت بن قيس لك أهله وماله ان أسلم أو لم يسلم ثم ان القتل كان لمن أنبت ومن لم ينبت يكون فى السبى قال عطية القرظى كنت غلاما فوجدونى لم أنبت فخلوا سبيلى عن القتل وكان رفاعة القرظى قد أنبت فأرادوا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر وكانت احدى خالاته صلى الله عليه وسلم أى خالات جده عبد المطلب لانها من بنى النجار فقالت يارسول الله بأبى أنت وأمى هب لى رفاعة فوهبه لها فأسلم رضى الله عنه واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه الكريمة من نساء بنى قريظة ريحانة بنت شمعون بن زيد القرظى فتزوجها بعد ان أسلمت وحاضت حيضة وكانت جميلة وسيمة وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشا أى نصف أوقية وأعرس بها فى المحرم سنة ست وقيل كان يطؤها بملك اليمين وقد أشار سبحانه وتعالى الى قصة بنى قريظة بعد ذكر قصة الاحزاب بقوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك والى نقضهم العهد الذى كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم واغترارهم بالاحزاب بقوله

وتعدوا الى النبى حدودا * كان فيها عليهم العدواء

واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا * نهم اننا لكم أولياء

ويوم الاحزاب اذ زاغت الابصار فيه وضلت الآراء

وتعاطوا فى أحمد منكر القو * ل ونطق الاراذل العوراء

كل رجس يزيده الخلق السو * ء سفاها والملة العوجاء

فانظروا كيف كان عاقبة القو * م وما ساق للبذى البذاء

وجد السب فيه سما ولم يد * ر اذ الميم فى مواضع باء

كان من فيه قتله بيديه * فهو من سوء فعله الزباء

أو هو النحل قرصها يجلب الحتـ ـف اليها وماله انكاء

ولما انقضى شأن بنى قريظة قال صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم وأقر الله عين سعد بن معاذ بقتل بنى قريظة فانه سأل الله لما أصيب بالسهم فى الخندق وقال اللهم لا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة وقيل ان دعاءه بذلك كان فى الليلة التى فى صبيحتها نزلوا على حكمه ويجوز أن يكون دعا بتلك الدعوة مرتين وفى لفظ فدعا الله أن لا يميته حتى يشفى صدره من بنى قريظة فاستجاب الله دعوته وكان جرحه قارب البرء فدعا الله وقال اللهم انك تعلم انه ليس احد أحب الى أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه من وطنه اللهم انى أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فان كان قد بقى من حرب قريش شئ فأبقنى له حتى أجاهدهم فيك وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها أى الجراحة واجعل موتى فيها فانفجرت تلك الجراحة من ليلته تلك فلم يرعهم أى أهل المسجد الا الدم يسيل اليهم من خيمة لرجل من بنى غفار وهو زوج رفيدة الاسلمية فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا الدم الذى يأتينا من قبلكم فاذا سعد يسيل جرحه دما فمات منها وجاء فى رواية ان عنزا مرت به وهو مضطجع فأصابت الجرح بظلفها فانفجرت جراحته وسال الدم حتى مات ولم يحضر النبى صلى الله عليه وسلم موته بل جاءه جبريل عليه السلام فقال يا محمد من هذا العبد الصالح وفى رواية من هذا الميت الذى فتحت أبواب السماء لصعود روحه واهتز العرش لقدومها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه الى سعد بن معاذ رضى الله عنه فوجده قد مات وجاء انه شهد جنازته سبعون ألفا من الملائكة ما وطئوا الارض الا يومهم ذلك واختلف العلماء فى اهتزاز العرش ما المراد منه فقيل ان اهتزازه تحركه فرحا بقدوم روح سعد وقيل جعل الله حركته علامة للملائكة على موته وقيل المراد الاستبشار والقبول فانه يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه اهتز له ومنه اهتزت الارض بالنبات اذا اخضرت وحسنت ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم فانهم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما يريدون ارتياحه لها واقباله عليها وقيل هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته والعرب تنسب الشئ المعظم الى أعظم الاشياء فيقولون أظلمت لموت فلان الارض وقامت له القيامة فهذه منقبة عظيمة لسعد رضى الله عنه تفيد كرامته على ربه حيث تحرك العرش أسفا عليه لمحافظته على الحق ولذا قال كثير من المحققين انه كان فى الانصار كالصديق رضى الله عنه فى المهاجرين ولما حملت جنازته رضى الله عنه قال بعض المنافقين ما أخف جنازته وكان رجلا بادنا وكان المنافقين قالوا ذلك استهزاء به وان خفته لخفة ميزانه بزعمهم الفاسد فقال النبى صلى الله عليه وسلم ردا عليهم ان الملائكة كانت تحمله ولما احتمل على نعشه بكت أمه وقالت

ويل أم سعد سعدا * صرامة وحدا * وسوددا ومجدا

وفارسا معدا * سد به مسدا

فقال صلى الله عليه وسلم كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ رضى الله عنه وفى رواية قال لها لا تزيدى على هذا وكان فيما علمته والله حازما فى أمر الله قويا فى أمره كل النوائح تكذب الا أم سعد وروى أنه قال لها ليرقأ دمعك ويذهب حزنك فان ابنك يضحك الله له وذلك كناية عن اقبال الله عليه بالروح والريحان والمغفرة والرضوان * وروى البيهقى أنه صلى الله عليه وسلم حمل جنازة سعد بين العمودين ومشى امام جنازته ثم صلى عليه وجاءت أمه ونظرت اليه فى اللحد وقالت احتسبتك عند الله عز وجل وعزاها صلى الله عليه وسلم وهو واقف على قدميه على القبر فلما سوى التراب على قبره رش عليه الماء ثم

وتقف ودعاله وأم سعد بن معاذ رضى الله عنها هى كبشة بنت رافع بن عبيد الانصارية الخدرية وهى أول من بايع النبى صلى الله عليه وسلم من نساء الانصار وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال أهديت للنبى صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها و يعجبون من لينها فقال صلى الله عليه وسلم لهم أتعجبون من لين هذه الحلة والذى نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير منها وألين وهذا الحديث فيه اشارة الى عظم منزلة سعد عند الله تعالى فى الجنة وان أدنى ثيابه خير من هذه الحلة لان المنديل أدنى الثياب لانه معد للوسخ والامتهان فغيره أفضل منه بالاولى وأخرج ابن سعد وأبونعيم من طريق محمد بن المنكدر قال قبض انسان قبضة من تراب قبر سعد فذهب بها ثم نظر اليها بعد ذلك فاذا هى مسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله مرتين تعجبا من كون تراب قبره صار مسكا ثم قال الحمد لله شكر اله على تفريجه عن سعد لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه وعن جابر رضى الله عنه قال لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا يارسول الله مم سبحت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه وأخرج ابن سعد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا وجاء انه صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن زيد الانصارى بسبايا بنى قريظة الى النجد فابتاع لهم بها سلاحا وخيلا وفى رواية بعث بها سعد بن عبادة رضى الله عنه الى الشام واشترى بها سلاحا وخيلا كثيرا ثم قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية القرطا وحديث ثمامة)

وكانت هذه السرية لعشر خلون من المحرم سنة ست من الهجرة والقرطا بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة والمدعوهم من بطن من بنى بكر وكانوا ينزلون بناحية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء ثم تاء تأنيث وهى قرية لبنى كلاب على طريق البصرة الى مكة وهى الى مكة أقرب وبها جبل يسمى البكرات وبين ضرية والمدينة سبع ليال بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى فى ثلاثين راكبا ابلا وخيلا وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وأن يشن الغارة عليهم أى يفرق الخيل المغيرة على العدو ففعل ما أمره به فلما أغار عليهم هرب سائرهم أى باقيهم بعد من قتل وكان المقتول منهم عشرة وقيل نحو العشرين واستاق مائة وخمسين بعيرا وثلاثة آلاف شاة فعدلوا الجزور بعشرة من الغنم وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم وغاب تسع عشرة ليلة وأسر ثمامة بن أثال بضم الهمزة وفتح الثاء مخففة الحنفى روى ابن اسحاق عن أبى هريرة رضى الله عنه ان خيلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت رجلا ولا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون من أخذتم هذا ثمامة بن أثال الحنفى فربطوه بسارية من سوارى المسجد بأمره صلى الله عليه وسلم لينظر حسن صلاة المسلمين واجتماعهم عليها فيرق قلبه فخرج اليه صلى الله عليه وسلم فقال ماذا عندك ياثمامة قال عندى خير يامحمد ان تقتل تقتل ذادم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فتركه حتى كان الغد ثم قال له ماعندك ياثمامة قال ماقلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد فقال ماعندك ياثمامة قال عندى ماقلت لك فقال أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال والله يامحمد ما كان على وجه الارض وجه أبغض الى من وجهك وقد أصبح وجهك أحب الوجوه الى والله ما كان من دين أبغض الى من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله الى والله ما كان من بلد أبغض

الى من بلدك فاصبح بلدك أحب البلاد الى وان خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره
النبي صلى الله عليه وسلم أي بخير الدنيا والآخرة أو بالجنة أو بمحو ذنوبه وتبعاته وأمره أن يعتمر
فلما قدم مكة يلبي وينفي الشريك عن الله قال له قائل صبوت أي خرجت عن دينك قال لا ولكن أسلمت
لله رب العالمين مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى
يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم وروى أنهم قدموه ليضربوا عنقه فقال قائل منهم دعوه فانكم
تحتاجون الى اليمامة خلوا سبيله ولذا قيل فيه

ومنا الذى لبى بمكة معلنا * برغم أبى سفيان فى الاشهر الحرم

ثم خرج الى اليمامة فمنعهم أن يحملوا الى مكة شيئا فكتبوا اليه صلى الله عليه وسلم انك تأمر بصلة
الرحم وانك قد قطعت أرحامنا فكتب صلى الله عليه وسلم الى ثمامة أن يخلي بينهم وبين الحمل
وروى البيهقي فى الدلائل ان ثمامة بن أثال الحنفي لما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وهو أسير خلى سبيله
فأسلم ولحق بمكة ثم رجع فحال بين أهل مكة والميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز أي الوبر
والدم فجاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال بلى قال
فقد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع وفى رواية أنشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز فكتب
اليه أن يخلي بينهم وبين الحمل فانظر الى هذا الحلم العظيم والرحمة الشاملة والرأفة العميمة يواجهه بهذا
الخطاب الخشن مع شدة حاجته اليه ومحاربته له قريبا فى وقعة الاحزاب ومع ذلك لم يمتنع من قضاء حاجته
تصديقا لقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم بل جاء فى بعض الروايات أنه دعا الله لهم بالمطر فسقاهم
الله وفى قصة ثمامة رضى الله عنه فوائد منها جواز ربط الكافر فى المسجد والمن على الاسير الكافر
والاغتسال عند الاسلام وان الاحسان يزيل البغض ويثبت الحب وان الكافر اذا أراد عمل
خير ثم أسلم يشرع له أن يستمر فى ذلك الخير وملاطفة من يرجى اسلامه من الاسرى اذا كان فى ذلك
مصلحة للاسلام ولاسيما من يتبعه على الاسلام العدد الكثير من قومه وفيه بعث السرايا الى بلاد
الكفار وأسر من وجد منهم والتخيير بعد ذلك فى قتله وابقائه وفيه تعظيم أمر العفو عن المسيء لانه
أقسم أن بغضه انقلب حبا فى ساعة واحدة لما أسداه اليه صلى الله عليه وسلم من العفو والمن من غير
مقابل وجاء فى بعض الروايات انه بعد ان أسلم جاؤه بالطعام فلم ينل منه الا قليلا وباللقحة فلم يصب من
حلابها الا يسيرا فتعجب المسلمون فقال صلى الله عليه وسلم مم تعجبون أمن رجل أكل أول النهار فى معى
كافر وأكل آخر النهار فى معى مسلم ان الكافر يأكل فى سبعة أمعاء وان المسلم يأكل فى معى واحد ثم
صار ثمامة رضى الله عنه من فضلاء الصحابة وهدى الله به خلقا كثيرا من قومه ولم يرتد مع من ارتد من
أهل اليمامة ولا خرج عن الطاعة قط رضى الله عنه بل جاء انه قام مقاما حميدا بعد وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم حين ارتدت اليمامة مع مسيلمة فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز
العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ثم قال لهم فأين هذا من هذيان مسيلمة فأطاعه ثلاثة آلاف
وانحازوا الى المسلمين رضى الله عنه ونفعنا به

(غزوة بنى لحيان)

بكسر اللام وفتحها نسبة الى لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وكانت فى غرة شهر
ربيع الاول سنة ست من الهجرة وقيل سنة خمس وقيل أربع وسببها انه صلى الله عليه وسلم وجد أي
حزن على عاصم بن ثابت وأصحابه وجدا شديدا والمراد بأصحابه ما يشمل المقتولين ببئر معونة وهم القراء
السبعون وان كانوا فى سرية وحدهم وأظهر صلى الله عليه وسلم انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة

وعسكر فى مائتى رجل ومعهم عشرون فرسا واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وسلك على غراب وهو جبل بناحية المدينة ثم على طريقه الى الشام ثم عدل ذات اليسار حتى استقام به الطريق على الجحفة من طريق مكة ثم أسرع السير حتى انتهى الى بطن غراب واد بينه و بين عسفان خمسة أميال وهى منازل بنى لحيان حيث كان مصاب أصحابه أهل الرجيع الذين قتلوا فترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة فسمعت به بنو لحيان فهربوا فى رؤس الجبال خوفا من المنصور بالرعب صلى الله عليه وسلم فلم يقدر على أحد منهم فأقام يوما أو يومين يبعث السرايا فى كل ناحية من نواحيهم ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث أبا بكر رضى الله عنه فى عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم فأتوا كراع الغميم وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال يضاف كراع اليه وكراع جبل اسود بطرف الحرة ممتد اليه ثم رجع صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه ولم يلقوا كيدا * قال ابن اسحاق انه صلى الله عليه وسلم لما حصل من غرتهم ما أراد قال صلى الله عليه وسلم لو أنا نزلنا بعسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم أرسل أبا بكر رضى الله عنه مع عشر فوارس وانصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهو يقول آيبون تائبون لربنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنظر فى الاهل والمال اللهم بلغنا بلاغا صالحا يبلغ الى خير مغفرتك ورضوانك وفى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان صلى الله عليه وسلم اذا أوفى على ثنية أو فدفد كبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم عن المدينة فى هذه الغزوة أربع عشرة ليلة والله سبحانه وتعالى أعلم

(غزوة الغابة)

وتعرف بذى قرد بفتح القاف والراء آخره دال مهملة وهو ماء على نحو بريد من المدينة مما يلى بلاد غطفان وكانت فى ربيع الاول سنة ست وقيل فى جمادى الاولى وقيل فى شعبان وفى البخارى انها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام وبعد الحديبية بعشرين يوما وسببها انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة بكسر اللام وقد تفتح وهى ذات اللبن القريبة العهد بالولادة وكانت ترعى بالغابة تارة وهو موضع الشجر الذى لا مالك له بل هو لاحتطاب الناس ومنافعهم وبذى قرد تارة اخرى لتقارب الموضعين وكان أبو ذر وابنه وامرأته رضى الله عنهم فيها فأغار عليها عيينة بن حصن الفزارى ليلة الاربعاء فى أربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن أبى ذر رضى الله عنه واسمه ذر وكان يرعى الابل وأسروا المرأة واسمها ليلى وفى رواية ان أبا ذر رضى الله عنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم لا لقاحه فقال صلى الله عليه وسلم انى أخاف عليك ونحن لا نأمن عيينة بن حصن فألح عليه فقال صلى الله عليه وسلم لكأنى بك قد قتل ابنك وأخذت امرأتك وجئت تتوكأ على عصاك قال أبو ذر رضى الله عنه بعد ذلك عجبا لى يقول لى ذلك وأنا ألح عليه فكان والله ما قال فلما كان الليل أحدق بنا عيينة مع أصحابه فأشرف لهم ابنى فقتلوه وأسروا امرأتى ثم انها نجت منهم بعد تمام الغزوة ورجوع النبى صلى الله عليه وسلم لانهم أوثقوها وكانوا يريحون نعمهم بين يدى بيوتهم فانطلقت وركبت ناقة للنبى صلى الله عليه وسلم ليلا على حين غفلتهم وفى رواية انهم أوثقوا المرأة فانفلتت ليلا من الوثاق فأتت الابل فكانت اذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى انتهت الى العضباء لانها من جملة ما استاقه عيينة ولم تسترجعها الصحابة فيما استرجعوه لما يأتى ذكره فلم ترغ فقعدت فى عجزها ثم زجرتها فانطلقت وعلموا بها فطلبوها فأعجزتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنها فلما قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم

اخبرته بذلك وقالت يارسول الله انى نذرت لله تعالى ان انحرها ان نجانى الله عليها فقال بئسما جزيتها ان حملك الله عليها ونجاك ان تنحريها انه لانذر لاحد فى معصية ولالاحد فيما لايملك انما هى ناقة من ابلى ارجعى الى اهلك على بركة الله وحاصل قصة هذه الغزوة انهم لما اغاروا على اللقاح فى يوم هم ذلك جاء الصريخ فنادى الفزع الفزع ونودى ياخيل الله اركبى وركب صلى الله عليه وسلم فى خمسمائة وقيل سبعمائة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وخلف سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه فى ثلثمائة يحرسون المدينة وعقد لواء المقداد رضى الله عنه فى رمحه وقال امض حتى تلحقك الخيول وأنا على اثرك فأدرك أخريات العدو وفى البخارى ومسلم عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال خرجت قبل ان يؤذن بالاولى وكانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعى بذى قرد فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال أخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من أخذها قال غطفان وفزارة فصرخت ثلاث صرخات ياصباحاه ياصباحاه فأسمعت مابين لابتى المدينة وفى رواية للطبرانى وابن اسحاق فأشرفت من سلع ثم صحت ياصباحاه فانتهى صياحى الى النبى صلى الله عليه وسلم فنودى فى الناس الفزع الفزع فترامت الخيول اليه فكان أول من انتهى اليه فارسا المقداد ثم عبادة بن بشر وسعد بن زيد الانصارى واسيد بن حضير وعكاشة بن محصن ومحرز بن نضلة وأبو قتادة وأبو عياش وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن زيد وقال اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس وقيل أمر المقداد فساروا وتقدمهم أبو قتادة فأدرك فى طريقه مسعدة بن حكمة الفزارى فقتله وسجاه ببرده فلما وصل المسلمون اليه وهو مسجى استرجعوا أى قالوا انا لله وانا اليه راجعون ظنا منهم ان المسجى هو أبو قتادة وانه قتل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لبس بأبى قتادة ولكنه قتيله وضع عليه برده لتعرفوه فتخلوا عن قتيله وسلبه وقيل ان قتيل أبى قتادة هذا هو حبيب بن عيينة الفزارى ويحتمل أن له اسمين فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه ولقى عكاشة بن محصن رضى الله عنه فى طريقه أبان بن عمرو وابنه عمرا على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذ بعض اللقاح وقتل من المسلمين محرز بن نضلة من بنى أسد بن خزيمة ممن شهد بدرا رضى الله عنه قال ابن اسحاق كان أول فارس لحق بالقوم فقال قفوا يامعشر بنى اللكيعة فحمل عليه رجل منهم فقتله وتحول على فرسه فلحقه أبو قتادة فقتله وتحول على الفرس وأدرك سلمة بن الاكوع رضى الله عنه القوم قال ابن اسحاق ان سلمة رضى الله عنه صرخ واصباحاه ثم خرج يشتد فى آثار القوم فكان مثل السبع وكان يسبق الخيل فى جريه فلم يزل يشتد حتى لحق بالقوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل وفى البخارى عنه رضى الله عنه ثم اندفعت على وجهى حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلى وكنت راميا وأقول

أنا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع

وأرتجز حتى استنقذت اللقاح وثلاثين بردة وفى صحيح مسلم فأقبلت أرميهم بالنبل وأرتجز فمازلت أرميهم وأعقر بهم فاذا رجع الى فارس منهم أتيت شجرة فجلست فى أصلها ثم رميته فعقرته فاذا تضايق الجبل ودخلوا فى مضايقه علوت الجبل فرميتهم بالحجارة فمازلت كذلك حتى ماخلق الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم من بعير الاخلفته وراء ظهرى ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا يخففون بها فأتوا مضيقا فأتاهم عيينة مددا لهم فجلسوا يتغدون وجلست على رأس قرن فقال من هذا قالوا لقينا من هذا البرح بفتح الباء وسكون الراء يعنى الشدة والاذى مافارقنا السحر حتى الآن وأخذ كل شئ فى أيدينا وجعله وراء ظهره فقال عيينة لولا انه يرى وراءه طلبا لكم لترككم ليقم اليه أربعة منكم قال سلمة فصعدوا فى الجبل فقلت لهم أتعرفونى فقالوا ومن أنت قلت ابن الاكوع

والذى أكرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا يطلبنى رجل منكم فيدركنى ولا اطلبه فيفوتنى فقال رجل منهم أظن فرجعوا فما برحت مكانى حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله اليوم يوم الرضع بضم الراء وشدّ المعجمة جمع راضع والمراد يوم هلاك اللئام من قولهم لئيم راضع أى رضع اللؤم وقيل معناه اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره وتدرب بها او يعرف غيره وقيل معنى هذا يوم شديد عليكم تفارق فيه المرضعة من أرضعته فلا يجد من يرضعه ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس والخيول عشاء فنزلوا بذى قرد وأقام يوما وليلة قال سلمة لما لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يارسول الله ان القوم يعنى غطفان وفزارة عطاش لا يقدرون على الحرب فلو بعثتنى فى مائة لاستنقذت ما فى أيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم اى أسرتهم وقتلتهم وفى رواية لمسلم وأتانى عمى عامر بماء ولبن فتوضأت وشربت ثم أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذى أجليتهم عنه فاذا هو قد أخذ كل شئ استنقذته منهم ونحر له بلال رضى الله عنه ناقة وشوى له من كبدها وسنامها فقلت يارسول الله خلنى أنتخب من القوم مائة رجل فاتبعهم فلا يبقى منهم مخبر فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال أتراك كنت فاعلا قلت نعم والذى أكرمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الاكوع ملكت فأسجح أى قدرت عليهم فأحسن وارفق والسجاحة بالكسر السهولة أى لا تأخذ بالشدة بل ارفق وأحسن العفو فقد حصلت النكاية فى العدو فهزموا وقتل رؤساؤهم وسلبت منهم الرماح والبرد ولله الحمد على نصر الاسلام ثم قال صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليقرون فى قومهم يعنى انهم وصلوا الى غطفان وهم يضيفونهم ويساعدونهم فلا فائدة فى البعث فى اثرهم لانهم لحقوا بأصحابهم وزاد مسلم فجاء رجل من غطفان فقال مروا على فلان الغطفانى فنحر لهم جزورا فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وقالوا أتاكم القوم وخرجوا هرابا وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بذلك فكان كما قال وقال سلمة رضى الله عنه فلما أصبحنا قال صلى الله عليه وسلم خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا اليوم سلمة فأعطانى سهم الراجل والفارس جميعا وفى رواية وذهب الصريخ الى بنى عمرو بن عوف من الانصار فجاءت الامداد فلم تزل الخيل تأتى والرجال على أقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستنقذوا عشر لقاح وأفلت القوم بما بقى وهى عشر من اللقاح وهذه الرواية مخالفة لقول سلمة فى الصحيحين انه استنقذ جميع اللقاح وأجاب بعضهم بأن سلمة قال ذلك بحسب ظنه وهو فى الواقع نصف اللقاح واستبعده بعضهم ثم كون اللقاح عشرين لا ينافى بمجرده ان معها زيادة عليها لما روى أن معها جملا كان لابى جهل ومعها الناقة التى رجعت عليها امرأة أبى ذر رضى الله عنهما وكان عودها بعد عود النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كما تقدم وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد صلاة الخوف وأقام به يوما وليلة يتحسس الخبر ورجع وقد غاب خمس ليال وأردف اسامة رضى الله عنه خلفه فى رجوعه وقسم فى كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها وبعث اليهم سعد بن عبادة رضى الله عنه باحمال تمر وبعشر جزائر فيحتمل أن الجزائر المنحورة مما بعثه أو مما أخذوه من القوم قال الحافظ ابن حجر وفى القصة من الفوائد جواز العدو الشديد فى الغزو والانذار بالصياح العالى وتعريف الشجاع بنفسه ليرعب خصمه واستعمال الثناء على الشجاع ومن فيه فضيلة لاسيما عند الصنع الجميل ليزيد منه ومحله حيث يؤمن الافتتان والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية الغمر)

وتعرف بسرية عكاشة بن محصن الاسدى رضى الله عنه الى غمر مرزوق بفتح الغين المعجمة وسكون الميم

ومدهارا ، وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد بفتح الفاء وسكون الياء آخره دال قال في القاموس قلعة بطريق مكة وكانت في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة فخرج عكاشة رضي الله عنه في أربعين رجلا عقب أمره صلى الله عليه وسلم له بالخروج دون تراخ فتنذر به القوم فهربوا فنزلوا أعلى بلادهم فوجد دارهم خلوا أي خلية عن سكانها الهاربين فبعث المسلمون طليعة فرأوا أثر النعم قريبا فقصدوها فأصابوا رجلا منهم فأمنوه فدلهم على نعم لبني عم لهم فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير وأطلقوا الرجل وقدموا بالابل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا

(سرية محمد بن مسلمة الانصاري)

الى ذي القصة بفتح القاف والصاد المشددة موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا من طريق الربذة وكانت في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة ومعه عشرة الى بني ثعلبة فورد عليهم ليلا بمن معه وقد كمن لهم المشركون لشعورهم بمجيئهم اليهم فتركوا محمد بن مسلمة حتى نام هو وأصحابه ثم أحدقوا بهم فما شعر المسلمون الا بالنبل قد خالطهم فوثب محمد بن مسلمة ومعه قوس فصاح في أصحابه السلاح فوثبوا فتراموا بالنبل ساعة من الليل ثم اغار أصحاب محمد اليه وقد قتلوا من القوم رجلا ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم الا محمد بن مسلمة فوقع جريحا يضرب كعبه فلا يتحرك فجردوهم من ثيابهم وانطلقوا فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة وأصحابه فرآهم صرعى فاسترجع فتحرك له محمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة جريحا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الامة أحد العشرة المبشرين رضي الله عنهم في ربيع الآخر في أربعين رجلا الى مصارعهم فأغاروا عليهم فلم يجدوا أحدا ووجدوا نعما وشاء فساقه ورجع وصريح هذا ان سبب بعث أبي عبيدة رضي الله عنه طلب ثار المقتولين وقيل ان سببه ان بني ثعلبة وأنمارا اجمعوا على أن يغيروا على سرح المدينة وهي ترعى بهيفاء وهو موضع على سبعة أميال من المدينة فبعث صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة في أربعين حين صلوا المغرب فمشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع الصبح فأغاروا عليهم فأعجزوهم هربا في الجبال وأصابوا رجلا واحدا فأسلم فتركوه وأخذوا نعما من نعمهم فاستاقه وشيئا من متاعهم وقدم به المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم ما بقي عليهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه)

الى بني سليم بالجموم ناحية بطن نخل على أربعة أميال من المدينة وكانت في شهر ربيع الآخر سنة ست فأصابوا امرأة من مزينة اسمها حليمة فأسروها فدلتهم على منازل بني سليم فأصابوا نعما وشاء ووجدوا جماعة منهم فأسروهم فكان فيهم زوج حليمة المزنية فلما رجع زيد بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية نفسها وزوجها والظاهر انها أسلمت وتوقف بعضهم في ثبوت ذلك وقال لا أعلم لها اسلاما ولا صحبة ولا ترجمة وليس في الصحابيات حليمة الا المرضعة رضي الله عنها ولم يذكروا عدة الابل والغنم والاسرى والله أعلم

(ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه)

أيضا الى العيص قالت عائشة رضي الله عنها ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضي الله عنه في سرية الا أمره عليهم ولو بقي لاستخلفه أخرجه ابن أبي شيبة وفي البخاري عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ومع زيد بن حارثة رضي الله عنه سبع غزوات يؤمره علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والعيص موضع على أربع ليال من المدينة

وكانت غزوة زيد هذه فى جمادى الاولى سنة ست من الهجرة وسببها انه عليه الصلاة والسلام بلغه ان عيرا لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيدا ومعه سبعون راكبا وقيل مائة وسبعون ليتعرض لها فأدركها وأخذها ومافيها وأخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية بن خلف وأسر منهم ناسا منهم أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف واسمه لقيط أو الزبير أو هشيم أو مهشم أو ياسر وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين تجارة ومالا وأمانة وهو زوج زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها فلما قدم المدينة أسيرا أجارته زوجته السيدة زينب رضى الله عنها بنت النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان استجار بها ونادت فى الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وفى رواية حين كبر وكبر الناس معه نادت أيها الناس انى قد أجرت أبا العاص فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال أيها الناس هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم ثم قال والذى نفس محمد بيده ما علمت بشئ من هذا حتى سمعت ما سمعتم المؤمنون يد واحدة يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجارت ثم دخل صلى الله عليه وسلم منزله فدخلت عليه زينب فسألته أن يرد عليه ما أخذ منه فقبل وقال لها أكرمى مثواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له وفى رواية ان زينب رضى الله عنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ان أبا العاص ان قرب فابن عم وان بعد فأبو ولد وانى قد أجرته فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضى الله عنهم ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فان تحسنوا وتردوا عليه الذى له فانا نحب ذلك وان أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم فأنتم أحق به فقالوا يا رسول الله بل نرده عليه حتى ان الرجل ليأتى بالدلو والرجل بالاداوة حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئا ثم ذهب الى مكة فأدى الى كل ذى مال ماله ثم قال هل بقى لاحد منكم عندى مال لم يأخذه قالوا لا قال هل أوفيت ذمتى قالوا اللهم نعم فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما قال فانى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله والله ما منعنى من الاسلام عنده الا تخوفا ان تظنوا انى انما أردت ان آكل أموالكم فلما ردها الله عليكم وفرغت منها أسلمت ثم خرج فقدم المدينة وأخرج الحاكم بسند صحيح ان زينب رضى الله عنها هاجرت وأبو العاص على دينه فخرج الى الشام فى تجارة فلما كان قرب المدينة أراد بعض المسلمين الخروج اليه ليأخذوا ما معه ويقتلوه فبلغ ذلك زينب فقالت يا رسول الله أليس عقد المسلمين وعهدهم واحدا قال نعم قالت فاشهد أنى قد أجرت أبا العاص فلما رأى ذلك الصحابة رضى الله عنهم خرجوا اليه بغير سلاح فقالوا له انك فى شرف من قريش وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لك ان تسلم فتغنم ما معك من أموال أهل مكة فقال بئس ما أمرتمونى به أن افتتح دينى بغدرة فمضى الى مكة فسلمهم اموالهم وأسلم عندهم ثم هاجر وقيل ان اسره هذا كان بعد الحديبية على يد أبى بصير ومن معه من المسلمين لما أقاموا بالساحل يقطعون الطريق على تجار قريش مدة الهدنة وتقدم ان زينب كانت هاجرت قبله وتركته على شركه ثم بعد ان أسلم وهاجر ردها صلى الله عليه وسلم اليه بالنكاح الاول وقيل بنكاح جديد وهذا هو الذى عليه العمل لان الاسلام فرق بينهما قال الله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وقيل ان هذه الآية متأخرة عن هذه الواقعة فلم يكن اختلاف الدينين مقتضيا للتحريم الا بعد نزولها وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم اثنى على أبى العاص فى مصاهرته خيرا وقال حدثنى فصدقنى ووعدنى ووفى لى وانه صلى الله عليه وسلم كان يصلى وهو حامل أمامة بنت زينب من أبى العاص رضى الله عنهما مات رضى الله عنه سنة اثنتى عشرة فى خلافة الصديق رضى الله عنه وأما زينب رضى الله عنها فتوفيت فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وهى اكبر بناته رضى الله عنهن والله أعلم

(ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه أيضا)

الى الطرف بفتح الطاء وكسر الراء وبالفاء كـكتف وهو ماء أي ماء عين على ستة وثلاثين ميلا من المدينة بطريق العراق وكانت في جمادى الآخرة سنة ست فخرج الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا فأصاب نعما وشاء وهربت الاعراب لانهم خافوا ان يكون صلى الله عليه وسلم سار اليهم بنفسه وان هؤلاء مقدمة له وصبح زيد بالنعم المدينة وغاب اربع ليال عن المدينة

(ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه أيضا)

الى حسمى بكسر الحاء المهملة وكسر السين المهملة مقصورا وهي اسم أرض ينزلها جذام وراء وادي القرى وذلك من جهة الشام وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وقيل سنة سبع فتكون بعد الحديبية لانها بعد رجوع دحية من عند قيصر وبعث دحية الى قيصر كان آخر سنة ست بعد الحديبية وسبب هذه السرية انه أقبل دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه من عند قيصر لما أرسله صلى الله عليه وسلم اليه بكتابه يدعوه الى الاسلام وقد أعطاه قيصر جائزة وكساه لانه قارب ان يسلم ولم يسلم خوفا على ملكه فلقيه الهنيد بن عارض في ناس من جذام بضم الجيم وبالذال المعجمة وهي قبيلة من معد بجبال حسمى فقطعوا عليه الطريق وأصابوا كل شئ كان معه ولم يتركوا عليه الا سمل ثوب وهو الخلق البالي من الثياب فسمع بذلك نفر من بني الضبيب رهط رفاعة بن زيد الجذامي ممن كان أسلم فاستنقذوا لدحية متاعه وفي رواية فنفروا الى الهنيد ومن معه حتى لقوهم فاقتتلوا معهم واستنقذوا ما كان في أيديهم وردوه على دحية فقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة رضي الله عنه في خمسمائة رجل ورد معه دحية فكان زيد يسير بالليل و يكمن بالنهار ومعه دليل من بني عذرة فأقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم فأغاروا عليهم فقتلوا فيهم فأوجعوا أي أكثروا فيهم القتل وقتلوا الهنيد وابنه واخذوا ماشيتهم ونساءهم فأخذوا من الابل ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف شاة ومن السبي مائة من النساء والصبيان فرحل رفاعة بن زيد الجذامي في نفر من قومه فدفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الذي كان كتبه له ولقومه ليالي قدم عليه فأسلم وفيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله الى رفاعة بن زيد اني بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فمن أقبل ففي حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم على قومه أسلموا فلم يلبث ان جاء دحية من عند قيصر الى آخر القصة المتقدمة فلما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد بن حارثة رضي الله عنه ركب نفر منهم حسان بن ملة وأبو زيد بن عمرو فلما وقفوا على زيد بن حارثة رضي الله عنه قال حسان انا قوم مسلمون فقال اقرأ أم الكتاب فقرأها فقال زيد نادوا في الجيش ان الله قد حرم علينا ثغرة القوم التي جاؤا منها الا من ختر وكانت أخت حسان في الاسارى فقال له زيد خذها فقالت امرأة أتنطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم فقال زيد لاخت حسان اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن ونهى الجيش ان يهبطوا الى واديهم الذي جاؤا منه فأمسوا في أهلهم فلما شربوا عتمتهم ركبوا حتى صبحوا رفاعة فقال له حسان بن ملة انك لجالس تحلب المعز ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذي جئت به فدعا رفاعة بجمل فشد عليه رحله وخرج معه جماعة فساروا ثلاث ليال فلما دخلوا المدينة وانتهوا الى المسجد دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهم ألاح لهم بيده أن تعالوا من وراء الناس فاستفتح رفاعة المنطق فقام رجل فقال يا رسول الله ان هؤلاء قوم سحرة فردده مرتين أي عندهم فصاحة لسان و بيان فقال رفاعة رحم الله من لم يحذنا في يومنا هذا الا خيرا ثم دفع كتابه اليه صلى الله عليه وسلم فقال دونك يا رسول الله

فقال صلى الله عليه وسلم ياغلام اقرأه وأعلن فلما قرأه استخبرهم فأخبروه الخبر فقال صلى الله عليه وسلم كيف أصنع بالقتلى ثلاث مرار فقال رفاعة أنت أعلم يارسول الله لانحرم عليك حلالا ولانحل لك حراما فقال أبوزيد بن عمرو أطلق لنا يارسول الله من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمي هذه فقال صلى الله عليه وسلم صدق أبوزيد اركب معهم ياعلى فقال ان زيدا لن يطيعني فقال خذ سيفي هذا فأعطاه سيفه فقال ليس لى راحلة فحملوه على بعير وخرجوا فاذا رسول لزيد على ناقة من ابلهم فانزلوه عنها فقال ياعلى ماشأنى قال مالهم عرفوه فأخذوه ثم ساروا فوجدوا الجيش بفيفاء فأخذوا ما في أيديهم حتى كانوا ينزعون المرأة من تحت فخذ الرجل وأخبروهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم انما بعث عليا رضى الله عنه الى زيد بن حارثة رضى الله عنه يأمره أن يخلى بينهم وبين حرمهم وأموالهم وفي رواية فقال على رضى الله عنه لزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترد على هؤلاء القوم ما بيدك من أسرأ وسبي أومال فقال زيد رضى الله عنه علامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أى أطلب علامة فقال على رضى الله عنه هذا سيفه فعرفه زيد فنزل وصاح بالناس فاجتمعوا فقال من كان معه شئ من سبي أومال فليرده فهذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليهم كل ما أخذ منهم وظاهر السياق يقتضى انهم كانوا يطؤن الجوارى بلا استبراء وهو كذلك لان وجوبه انما كان فى سبي هوازن والله أعلم

(ثم سرية زيد بن حارثة أيضا)

رضى الله عنه الى وادى القرى وهو موضع قريب من المدينة على طريق الحاج من جهة الشام وكانت فى رجب سنة ست سار رضى الله عنه الى وادى القرى فلقى به بنى فزارة وقاتلهم فقتل منهم وقتل من المسلمين قتلى منهم وردبن مرداس رضى الله عنه وحمل منهم جريح به رمق والله أعلم

(سرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه)

الى دومة الجندل بضم الدال المهملة وبفتحها وبفتح الجيم وسكون النون وفتح الدال وباللام آخره وهو حصن وقرى من طرف الشام بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة أوست عشرة ليلة وكانت فى شعبان سنة ست من الهجرة وقد ذكر ابن اسحاق فى أول هذه القصة حديثا فى أوله زيادة لا بأس بذكرها فقال حدثنى من لا أتهم عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنت عاشر عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ وحذيفة وأبو سعيد اذ أقبل فتى من الانصار فسلم ثم جلس فقال يارسول الله أى المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فأى المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأكثرهم له استعدادا قبل أن ينزل به أولئك هم الاكياس ثم سكت الفتى وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعشر المهاجرين خمس خصال اذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن انه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم الا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم ما مطروا وما نقضوا عهد الله عزوجل وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فأخذوا ماكان فى أيديهم ومالم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله الا جعل بأسهم بينهم ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سود فأدناه صلى الله عليه وسلم منه فأقعده بين يديه وعممه بيده وفى رواية نقضها ثم عممه بها فأرسل من خلفه أربع أصابع أونحو ذلك ثم قال هكذا يا ابن عوف فاعتم فانه أحسن وأعرف ثم أمر بلالا أن يدفع اليه اللواء فدفعه اليه ثم حمد الله وصلى على نفسه صلى الله

عليه وسلم ثم قال خذه يا ابن عوف اغزوا جميعا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم وأخذ عبد الرحمن اللواء وفي رواية بعثه الى كلب بدومة الجندل وقال ان استجابوا لك أي أطاعوك فأسلموا فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بجيشه حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم الى الاسلام وقد كانوا أبوا أول ما قدم عليهم أن يعطوا الا السيف ثم أسلم في اليوم الثالث الاصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا وكان ملكهم ورئيسهم وأسلم معه ناس كثير من قومه وأقام عبد الرحمن بقيتهم بالجزية وتزوج تماضر بنت الاصبغ وقدم بها المدينة فقازت بشرف الصحبة رضي الله عنها وفي رواية أن عبد الرحمن رضي الله عنه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره باسلام من أسلم من القوم وانه أراد أن يتزوج فيهم فكتب اليه صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بنت الاصبغ فتزوجها ويمكن الجمع بين الروايتين بأن عبد الرحمن لم يكتف بقوله أولا فان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم لاحتمال انه أراد ان أسلم الجميع مع انه قد بقي منهم جماعة على الجزية فكتب اليه احتياطا وولدت له بعد ذلك سنة بضع وعشرين من الهجرة أبا سلمة وهو الحافظ الثقة كثير الحديث امام العلماء وهو من كبار التابعين واسمه عبد الله وقيل اسماعيل توفي سنة أربع وتسعين والله أعلم

(سرية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه)

ومعه مائة رجل الى بني سعد بن بكر أي الى حي منهم وكانت في شعبان سنة ست من الهجرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم انهم ساعون في جمع الناس يريدون أن يمدوا يهود خيبر فسار علي رضي الله عنه الليل وكمن النهار حتى انتهى الى الغمج بفتح الغين وكسر الميم آخره جيم اسم ما بين فدك وخيبر فوجد وابه رجلا فقالوا ما أنت قال باغ أي طالب لشئ ضل مني فقالوا هل لك علم بما وراءك من جمع بني سعد قال لا علم لي به فشددوا عليه فأقر انه عين لهم بعثوه الى خيبر يعرض على يهودها نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرها كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم فقالوا له فأين القوم قال تركتهم قد تجمع منهم مائتا رجل قالوا فسر بنا حتى تدلنا قال على أن تؤمنوني قالوا ان دللتنا عليهم أو على سرحهم أمناك والا فلا أمان لك قال فذلك فخرج بهم دليلا حتى ساء ظنهم به ثم أفضى بهم الى أرض مستوية فاذا نعم كثيرة وشاء فقال هذه نعمهم وشاؤهم فأغاروا عليها فقال أرسلوني فقالوا حتى نأمن الطلب وهرب الرعاء الى جمعهم فحذروهم فتفرقوا فقال الدليل علام تحبسوني وقد تفرقت الاعراب قال علي حتى نبلغ معسكرهم فانتهى بهم اليه فلم ير أحدا فأرسلوه وساقوا النعم والشاء معهم وكانت خمسمائة بعير وألفي شاة وهربت بنو سعد بالظعن وقدم علي رضي الله عنه ومن معه المدينة ولم يلقوا كيدا ورد الله كيد المشركين فلم يمدوا اليهود والله أعلم

(سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه)

الى أم قرفة بكسر القاف وسكون الراء وبالفاء وتاء التأنيث وهو اسم امرأة وهي بنت ربيعة بن بدر الفزاري التي جرى فيها المثل أمنع من أم قرفة لانها كان يعلق في بيتها خمسون سيفا لخمسين رجلا كلهم لها محرم كنيت بابن لها يسمى قرفة وكان لها عشرة بنين وبنات وكانت بناحية وادي القرى على سبع ليال من المدينة جهة الشام وكانت هذه السرية في رمضان سنة ست من الهجرة وسببها ان زيد بن حارثة رضي الله عنه خرج في تجارة الى الشام ومعه بضائع لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره وفى رواية أن زيدا رضى الله عنه حلف أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة فرجع وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم فبعثه اليهم فى جيش وقال لهم اكمنوا النهار وسيروا الليل فكمن هو وأصحابه بالنهار وساروا بالليل ومعهم دليل من فزارة فعلمت بهم بنو فزارة فجعلوا لهم ناظورا حين يصبحون يصعد على جبل مشرف فينظر وجه الطريق الذى يرون انهم يؤتون منه فينظر مسافة يوم فأكثر فيقول اسرحوا اسرحوا لا بأس عليكم فاذا كان العشاء أشرف على ذلك الجبل فنظر مسيرة ليلة فيقول نادوا لا بأس عليكم فلما كان الصحابة على نحو ليلة أخطأ دليلهم الطريق فسار فى آخر حتى أمسوا وهم على خطأ فعاينوا الحاضرين من بنى فزارة فحمدوا اخطاءهم ثم صبحهم زيد وأصحابه وكبروا وأحاطوا بمن حضر من بنى فزارة فقتلوهم وأخذوا أم قرفة وكانت ملكة رئيسة وكانت ذات شرف فى قومها وأخذوا بنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وعمد قيس بن المحسر وقيل ابن سحل الى أم قرفة وهى عجوز كبيرة فأسرها وبنتها فقتلها قتلا عنيفا ربط رجلها بحبلين ثم ربطهما الى بعيرين حتى شقها وانما قتلها كذلك لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت اغزوا المدينة واقتلوا محمدا وقدم زيد بن حارثة رضى الله عنه من وجهه ذلك فقرع باب النبى صلى الله عليه وسلم فقام صلى الله عليه وسلم اليه وهو يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما ظفره الله به وكان سلمة بن الاكوع رضى الله عنه هو الذى أسر بنت أم قرفة فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبها له ثم وهبها صلى الله عليه وسلم لخاله حزن بن أبى وهب فولدت له عبد الرحمن بن حزن

(سرية عبد الله بن عتيك)

لقتل أبى رافع عبد الله أو سلام بشد اللام ابن أبى الحقيق بضم الحاء وقافين بينهما تحتية مصغرا اليهودى وهو من الذين حزبوا الاحزاب يوم الخندق وأعان المشركين بالمال الكثير بعث اليه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك بفتح العين المهملة وكسر التاء الفوقية وسكون الياء وبالكاف الخزرجى الانصارى رضى الله عنه فى رمضان سنة ست وقيل فى ذى الحجة سنة خمس بعد وقعة الاحزاب وفى البخارى قال الزهرى بعد قتل كعب بن الاشرف الواقع سنة ثلاث قال ابن اسحاق ان الزهرى أخذ ذلك عن عبد الله بن كعب بن مالك فقال لما قتلت الاوس كعب بن الاشرف فى عداوته للنبى صلى الله عليه وسلم بعد اذنه صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه استأذنته الخزرج فى قتل سلام بن أبى الحقيق وهو بخيبر قال ابن اسحاق حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب عن عبد الله بن كعب بن مالك قال كان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ان الاوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين أى يحمل كل منهما على الآخر والمراد أن كلا من الاوس والخزرج يدفع عن النبى صلى الله عليه وسلم ويتفاخر بذلك لا يصنع الاوس شيئا فيه عنه صلى الله عليه وسلم غنى الا قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الاسلام واذا فعلت الخزرج شيئا قالت الاوس مثل ذلك ولما أصابت الاوس كعب بن الاشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا أبدا فتذاكروا من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العداوة كابن الاشرف فذكروا سلام بن أبى الحقيق فاستأذنوه صلى الله عليه وسلم فى قتله فأذن لهم فخرج اليه من الخزرج خمسة عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة واسمه الحارث بن ربعى والاسود بن خزاعى ومسعود بن سنان الاسلمى حليف بنى سلمة بطن من الخزرج فأمرهم صلى الله عليه وسلم بقتله ونهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدأت

الرجل عن الحركة جاؤا الى منزله وكان في حصن مرتفع فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله بن عتيك لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أدخل الحصن فاقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه ليخفي شخصه كي لا يعرف كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس وكانوا فقدوا حمارا لهم فخرجوا بقبس يطلبونه فكان ذلك سبب تقنع عبد الله بن عتيك بثوبه وجلوسه كأنه يقضي حاجته مخافة أن يعرف فناداه البواب يا هذا ان كنت تريد أن تدخل فادخل فاني أريد أن أغلق الباب لانه ظن انه من أهل الحصن الذين خرجوا لطلب الحمار قال ابن عتيك فدخلت ثم اختبأت في مربط حمار عند باب الحصن فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الاقاليد أي المفاتيح على وتد في كوة فقمت الى الاقاليد فأخذتها ففتحت الباب وكان أبو رافع يسمر الناس عنده وفي رواية فتعشوا عند أبي رافع وتحدثوا حتى ذهبت ساعة من الليل وكان في غرفة عالية له اليها عجلة من خشب فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلق علي من داخل وقلت ان القوم ان نذروا بي لم يخلصوا الي حتى أقتله فانتهيت اليه فاذا هو وسط عياله في بيت مظلم قد طفئ سراجه لا أدري أين هو وكان عبد الله بن عتيك يتكلم باليهودية فتقدمه أصحابه ليتكلم بكلام أبي رافع فيظنه انه من قومه فلا يفزع منه فاستفتح باب غرفته فرأته امرأته فقالت من أنت قال جئت أبا رافع بهدية ففتحت له وقالت ذاك صاحبك فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشار اليها بالسيف فسكتت قال فقلت أبا رافع لاعرف موضعه فقال من هذا فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة وانا دهش فما أغنت شيئا ولم أقتله وصاح أبو رافع فخرجت من البيت وكنت غير بعيد فقالت امرأته يا أبا رافع هذا صوت عبد الله بن عتيك قال ثكلتك أمك وأين عبد الله بن عتيك قال ثم دخلت عليه كاني اغيثه وغيرت صوتي فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع قال لامك الويل ان رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف فضربته ضربة أثخنته ولم أقتله فصاح وقام أهله وصاحت امرأته ثم وضعت ظبة السيف أي حده في بطنه حتى دخل في ظهره وسمعت صوت العظم فعرفت اني قد قتلته فجعلت افتح الابواب بابا بابا حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلي وأنا أرى اني قد انتهيت الى الارض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ثم خرجت وكنت في موضع وأوقدت اليهود النيران وذهبوا في كل وجه يطلبون حتى اذا ايسوا رجعوا اليه وجلست كامنا وقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته فلما صاح الديك سعد الناعي على السور فقال أنعى أبا رافع تاجر الحجاز فانطلقت الى أصحابي فقلت النجاء أي أسرعوا فقد قتل الله أبا رافع وفي رواية فعصبت رجلي وأتيت أصحابي أحجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني لا أبرح حتى أسمع الناعي فلما كان وجه الصبح صعد الناعي فقال انعي أبا رافع فقمت أمشي ما بي قلبة فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فبشرته صلى الله عليه وسلم وفي رواية فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطتها فمسحها بيده المباركة صلى الله عليه وسلم فكاني لم أشتكها قط وجاء في رواية ان الاسود بن خزاعي أحد الاربعة الذين كانوا مع عبد الله بن عتيك تخلف ليتحقق موت أبي رافع قال فذهبت انظر حتى دخلت في الناس فوجدت امرأته ورجال اليهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدثهم وتقول أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي وقلت أنى لابن عتيك بهذه البلاد ثم نظرت في وجهه فقالت فاظ أي مات واله يهود فما سمعت من كلمة كانت ألذ في نفسي منها ثم أدركت أصحابي فأخبرهم الخبر وجاء في بعض الروايات أن عبد الله بن عتيك لما تمادى عليه المشي أحس بألم رجله وهو سائر مع أصحابه في الطريق فحملوه ثم لما أتاه صلى الله عليه وسلم مسح عليه فزال عنه جميع الالم ببركته صلى الله عليه وسلم وفي رواية لما كم

عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال توجهنا من خيبر فكنا نكمن النهار ونسير الليل واذا كنا أقعدنا منا واحدا يحرسنا فاذا رأى ما يخافه أشار الينا فلما قربنا من المدينة كانت نوبتي فأشرت اليهم فخرجوا سراعا ثم لحقتهم فدخلنا المدينة فقالوا ماذا رأيت قلت ما رأيت شيئا ولكن خشيت أن تكونوا عييتم فأردت أن يحملكم الفزع وروى ابن منده عن عبد الله بن عتيك رضي الله عنه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن قتل ابن أبي الحقيق وهو على المنبر فلما رآنا قال أفلحت الوجوه وفي هذه القصة من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر وقتل من أعان عليه صلى الله عليه وسلم بيده أو ماله أو لسانه وجواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم والاخذ بالشدة في محاربتهم وايهام القول للمصلحة وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبي رافع بصوته واعتماده على صوت الناعي بموته ووقع في بعض الروايات ان الذي قتل أبا رافع عبد الله بن أنيس والصواب ما في صحيح البخاري ان الذي قتله عبد الله بن عتيك وفي قتل أبي رافع وكعب بن الأشرف يقول حسان رضي الله عنه

لله در عصابة لاقيتهم * يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الاشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم * مرحا كأسد في عرين مغرف
حتى أتوكم في محل بلادكم * فسقوكم حتفا ببيض ذفف
مستنصرين لنصر دين نبيهم * مستصغرين لكل أمر مجحف

(سرية عبد الله بن رواحة الانصاري الخزرجي رضي الله عنه)

الى أسير بضم الهمزة وفتح السين وسكون التحتية وبالراء ابن رزام براء مكسورة فزاي مخففة فألف فميم اليهودي بخيبر وكانت في شوال سنة ست وسببها انه لما قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق أمرت يهود عليها أسيرا فقال والله ما سار محمد الى أحد من يهود ولا بعث احدا من أصحابه الا أصاب منهم ما أراد ولكني أصنع ما لم يصنع أصحابي فقالوا وما عسيت أن تصنع قال أسير في غطفان فأجمعهم ونسير الى محمد في عقر داره بفتح العين وضمها وسكون القاف أي أصلها فانه لم يغز أحد في عقر داره الا أدرك منه عدوه بعض ما يريد قالوا نعم ما رأيت فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحربه صلى الله عليه وسلم وبلغه صلى الله عليه وسلم ذلك فوجه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في ثلاثة نفر في شهر رمضان سرا ليستكشف له الخبر فسأل عن خبره وغرته أي غفلته فأخبر بذلك وذلك انه أتى ناحية خيبر فدخل في الحوائط وفرق الثلاثة في ثلاثة من حصونها فوعوا ما سمعوا من أسير وغيره ثم خرج بعد ثلاثة أيام فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم لليال بقين من رمضان فأخبره بكل ما رآه وسمعه وقدم عليه أيضا خارجة بن حسيل بمهملتين مصغرا فاستخبره صلى الله عليه وسلم ما وراءه فقال تركت أسير بن رزام يسير اليك في كتائب يهود فندب صلى الله عليه وسلم الناس له فانتدب له ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا عليه فقالوا انحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له قال نعم ولي منكم مثل ذلك فقالوا نعم فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع في ذلك فشاور يهود فخالفوه في الخروج وقالوا ما كان محمد يستعمل رجلا من بني اسرائيل قال بلى قد مللنا الحرب وخرج وفي رواية لابن اسحاق فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له وقالوا له انك ان قدمت على رسول الله استعملك وأكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين وفي رواية فحمله أي أسيرا عبد الله بن رواحة حتى اذا كانوا بقرقرة موضع على ستة أميال من خيبر ندم أسير على مسيره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد الفتك بعبد الله

ابن رواحة ففطن له وهو يريد السيف فاقتحم به عبد الله ثم ضربه بالسيف فقطع رجله فضربه أسير بمخرش
في يده من شوحط فأمه وفي رواية عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وأهوى أسير بيده إلى سيفي
ففطنت له فدفعت بعيري وقلت غدرا أي عدو الله مرتين فنزلت فسقت بالقوم حتى انفرد لي أسير
فضربته بالسيف فأندرت عامة فخذه وساقه فسقط عن بعيره ومال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على
أصحابه فقتلوهم لظهور إرادة الغدر منهم غير رجل واحد أعجزنا شدا أي جريا أفلت على رجليه
ولم يصب من المسلمين أحد ولله الحمد فما قتلوا اليهود بعد التأمين إلا لكونهم غدروا ثم قدموا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه فقال تمشوا بنا إلى الثنية لنتحسس عن
أصحابنا الخبر جوامعه فلما أشرفوا عليها إذا هم بسرعان أصحابنا فجلس صلى الله عليه وسلم في أصحابه
فأتينا فحدثناه الحديث فقال قد نجاكم الله من القوم الظالمين وتفل صلى الله عليه وسلم على شجة
عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فلم تقح ولم تؤذه حتى مات وفي رواية قال عبد الله بن رواحة رضي الله
عنه ومسح صلى الله عليه وسلم وجهي ودعا لي وقطع لي قطعة من عصاه فقال أمسك هذه معك علامة
بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها فإنك تأتي يوم القيامة متخصرا فلما دفن عبد الله جعلت معه على
جلده دون ثيابه ومر له مثل ذلك لما جاء برأس الهذلي قيل فيحتمل أن هذا وهم من بعض الرواة والحق
أنه لا مانع من تكرار إعطائه عصاه وأنه جعل الكل بين جلده وكفنه والشارع إذا خص بعض صحبه
بشيء لا يسئل لم يفعله مع بقية الصحابة والله أعلم

(قصة عكل وعرينة)

وهي سرية كرز بن جابر الفهري رضي الله عنه كان أحد رؤساء قريش استشهد عام الفتح وعكل حي من
قضاعة وعرينة حي من بجيلة وكانت هذه السرية في جمادى الأولى سنة ست وقيل في شوال سنة ست
وسببها أن ناسا من عكل وعرينة سبعة أو ثمانية قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على
الإسلام وتلفظوا بكلمة التوحيد وأظهروا الإسلام وكانوا حين قدموا المدينة سقاما مصفرة ألوانهم
عظيمة بطونهم فقالوا يا رسول الله إنا كنا أهل ضرع أي ماشية وإبل ولم نكن أهل ريف وكرهنا الإقامة
بالمدينة فلو أذنت لنا فخرجنا إلى الإبل فأمر لهم بذود من الإبل وهي من الثلاثة إلى العشرة ومعها راع
وأمرهم باللحوق بها ليشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة وصحت
أجسامهم كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم وكان عبدا له صلى الله عليه وسلم
اسمه يسار وحين قتلوه مثلوا به فقطعوا يده ورجله وجعلوا الشوك في عينيه واستاقوا الذود فجاء
الصريخ بما وقع منهم فبعث صلى الله عليه وسلم في آثارهم خيلا من المسلمين قريبا من العشرين وأمر
عليهم كرز بن جابر الفهري رضي الله عنه فلحقهم فجاء بهم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع أيديهم
وأرجلهم وسمر أعينهم يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث الطلب في آثارهم قال اللهم أعم
عليهم الطريق واجعله عليهم أضيق من مسك جمل فأعمى الله عليهم السبل وفي رواية فجاء الخبر
في أول النهار فبعث في آثارهم فلما ارتفع النهار جيء بهم وفي رواية فبعث في آثارهم فغدوا فإذا هم
بامرأة تحمل كتف بعير فسألوها فقالت مررت بقوم قد نحروا بعيرا فأعطوني هذا وهم بتلك المفازة
فساروا فوجدوهم فأسروهم ولم يفلت منهم إنسان فربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا المدينة
فأمر بهم فقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمروا أعينهم وتركوا في ناحية الحرة في الشمس حتى
ماتوا وإنما سمر أعينهم لأنهم فعلوا مثل ذلك بالراعي كما مر فكان ذلك قصاصا أي كالقصاص قال أنس
رضي الله عنه فلقد رأيتهم يكدم أي يعض بعضهم الأرض بفيه حتى ماتوا وفي رواية كانوا يستقون

أي يطلبون الماء فلا يسقون لانهم ارتدوا فلا حرمة لهم وأنزل الله في هؤلاء انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية وهؤلاء كفروا وقتلوا وحاربوا وقطعوا الطريق وسرقوا *وفي القصة من الفوائد قدوم الوفود على الامام ونظره في مصالحهم ومشروعية الطب والتداوي بألبان الابل وأبوالها وان كل جسد يطب بما اعتاد وقتل الجماعة بالواحد سواء قتلوه غيلة أو حرابة ان قلنا ان قتلهم كان قصاصا والمماثلة في القصاص وانه ليس من المثلة المنهي عنها وثبوت حكم المحاربة في الصحراء وأما في القرى ففيه خلاف وجواز استعمال أبناء السبيل ابل الصدقة في الشرب وفي غيره قياسا عليه باذن الامام والله أعلم

(سرية عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه)

الى أبي سفيان بعثه صلى الله عليه وسلم الى أبي سفيان ليقتله غيلة لان أباسفيان أرسل للنبي صلى الله عليه وسلم من يقتله وذلك ان أباسفيان قال لنفر من قريش ألا أحد يغدر محمدا فانه يمشي في الاسواق فأتاه رجل من الاعراب في منزله فقال قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم شدا أي جريا فان أنت قويتني خرجت اليه حتى أغتاله ومعي خنجر مثل خافية النسر فأسوره ثم آخذ في عير فأسير وأسبق القوم عدوا فاني هاد بالطريق فقال أنت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة وقال اطو أمرك فخرج ليلا فسار على راحلته خمسا وصبح ظهر الحرة صبح سادسة ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دل عليه فعقل راحلته ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد بني عبد الاشهل فأقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا البريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد فذهب لينحني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه أسيد بن حضير رضي الله عنه بداخلة ازاره أي طرفه وحاشيته فاذا بالخنجر فأسقط في يده أي ندم وقال دمي دمي أي اتركوا دمي أو خلوا دمي فأخذ أسيد بلببه أي منحره وخنقه أشد الخنق فقال صلى الله عليه وسلم أصدقني ما أنت قال وأنا آمن قال نعم فأخبره بخبره فخلى عنه صلى الله عليه وسلم فأسلم رضي الله عنه وقال يا محمد والله ما كنت أفرق أي أخاف الرجال فما هو الا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ثم انك اطلعت على ما هممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت انك ممنوع وانك على حق وان حزب أبي سفيان حزب الشيطان فجعل صلى الله عليه وسلم يتبسم فأقام الرجل أياما ثم استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج فأذن له فخرج ولم يسمع له بذكر ولم يعرف أحد من الحفاظ اسم ذلك الرجل ثم بعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري ومعه سلمة بن أسلم الانصاري رضي الله عنه وقيل جبار بن صخر الى أبي سفيان وقال ان أصبتما منه غرة فاقتلاه فدخلا مكة ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن أبي سفيان وفي رواية قدما مكة وجلسا بشعب ثم دخلا مكة ليلا فقال جبار لعمرو لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين فقال عمرو ان القوم اذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم وانهم ان رأوني عرفوني فاني أعرف بمكة من الفرس الابلق فقال كلا ان شاء الله قال عمرو فأبى أن يطيعني فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا نريد أباسفيان فوالله انا لنمشي بمكة اذ نظر الي رجل من أهلها فعرفني فقال عمرو بن أمية فوالله ان قدمها الا لشر فقيل ان هذا الرجل الذي أبهم هو معاوية بن أبي سفيان وقيل غيره فأخبر أباسفيان وقريشا بوجود عمرو بمكة فخافوه وطلبوه وكان فاتكا جريا في الجاهلية والفتك القتل على غفلة فحشد أي جمع له أهل مكة وصاروا يطلبونه فهرب عمرو وسلمة أو وجبار بن صخر فلقي عمرو رجلا من رؤس المشركين وهو عبد الله بن مالك التيمي فقتله وقتل آخر من بني الدئل سمعه يتغنى ويقول

ولست بمسلم ما دمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا

ولقي رسولين لقريش بعثهما قريش الى المدينة يتحسسان الاخبار فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره و يضحك ثم دعا له بخير * وفي سيرة ابن هشام بعد قوله السابق ان قدمها الا الشر فقلت لصاحبي النجا فخرجنا نشتد حتى أصعدنا في جبل وخرجوا في طلبنا حتى اذا علوا الجبل يئسوا منا فرجعنا فدخلنا كهفا في الجبل فبتنا فيه وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يعني به عبد الله بن مالك التيمي المتقدم ذكره يقود فرسا له و يختلي عليها فغشينا ونحن في الغار فقلت ان رآنا صاح بنا فأخذنا وقتلنا قال ومعي خنجر قد أعددته لابي سفيان فخرجت اليه فضربته على ثديه ضربة فصاح صيحة أسمع أهل مكة ورجعت فدخلت مكاني وجاء الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا من ضربك قال عمرو بن أمية وغلبه الموت فمات مكانه ولم يدل على مكاننا فاحتملوه فقلت لصاحبي لما أمسينا النجا فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس وهم يحرسون جثة خبيب بن عدي فقال أحدهم والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية لولا انه بالمدينة لقلت انه عمرو بن أمية فلما حاذى الخشبة التي عليها خبيب شد عليها فاحتملها وخرج يشتد فخرجوا وراءه حتى أتى جرفا أي مهبط مسيل فرمى الجثة في الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه وقلت لصاحبي النجا ومضيت ثم أويت الى جبل ودخلت كهفا فبينا أنا فيه اذ دخل علي شيخ من بني الديل أعور في غنيمة له فقال من الرجل فقلت من بني بكر فمن أنت قال من بني بكر فقلت مرحبا فاضطجع ثم رفع عقيرته فقال

ولست بمسلم مادمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا

فقلت في نفسي ستعلم ثم أمهلته حتى اذا نام أخذت قوسي فجعلت سيتها في عينه الصحيحة والسية بكسر المهملة وفتح التحتية ما عطف من طرفها ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ثم خرجت حتى جئت العرج ثم سلكت حتى اذا هبطت النقيع اذا رجلان من قريش كانت قريش بعثتهما عينا الى المدينة فقلت استأسرا فأبيا فرميت أحدهما بسهم واستأسر الآخر فأوثقته رباطا وقدمت به المدينة وقد مر انه صلى الله عليه وسلم بعث الزبير والمقداد لانزال خبيب فأنزلاه وخافا الطلب فألقياه فابتلعته الارض ويمكن ان عمرو بن أمية التقى معهما حين ارسالهما لانزال خبيب وكان هو راجعا من مكة فشاركهما في انزال خبيب فصح نسبة ذلك الى كل منهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(قصة الحديبية ويقال غزوة الحديبية)

بتخفيف الياء وتشديدها وهي بئر يسمى المكان باسمها وقيل شجرة وقيل قرية أكثرها في الحرم على تسعة أميال من مكة وسببها ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه انه دخل البيت هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فخرج صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة يريد العمرة ولا يريد قتالا واستنفر العرب من البوادي ومن حوله من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش ان يتعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الاعراب فخرج بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق من العرب وساق معه الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن الناس حربه وليعلموا انه انما خرج زائرا البيت ومعظما له وأخرج معه زوجته أم سلمة رضي الله عنها واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وقيل ابورهم كلثوم بن الحصين وقيل استعملهما معا وجملة أصحابه الذين كانوا معه ألف وأربعمائة وقيل ألف وخمسمائة وقيل ألف وثلثمائة والجمع بين هذا الاختلاف انهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة فمن قال ألف وخمسمائة جبر الكسر ومن قال وأربعمائة ألغاه وأما رواية ألف وثلثمائة فرواها عبد الله بن أبي اوفى رضي الله عنه فيمكن حملها على ما اطلع

عليه هو والطلع غيره على زيادة مائتين وزيادة الثقة مقبولة أوان الالف والثلثمائة هم الذين خرجوا من المدينة ابتداء ثم تلاحقوا أوان الزيادة من الاتباع والخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ولم يخرج صلى الله عليه وسلم معه بسلاح الاسلاح المسافر السيوف فى القرب فلما كان بذى الحليفة قلد الهدى وأحرم منها بعمرة وبعث عينا أى جاسوسا له من خزاعة وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط أتاه جاسوسه فقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك من الدخول الى مكة وفى رواية انه لقيه بعسفان فقال هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله ان لا تدخلها عليهم عنوة ابدا والعوذ جمع عائذ وهى الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات التى معها اطفالها والمراد انهم خرجوا بما ذكر لارادة طول المقام وعدم الفرار وفى رواية قال له انى لاطوف بالبيت فى ليلة كذا وكذا وقريش فى انديتها اذ صرخ صارخ من اعلى جبل أبى قبيس بصوت أسمع أهل مكة يقول

هبوا لصاحبكم مثلى صحابته * سيروا اليه وكونوا معشرا كرما
بعد الطواف وبعد السعى فى مهل * وان يحوزهم من مكة الحرما
شاهت وجوههم من معشر نكل * لا ينصرون اذا ما حاربوا صنما

فارتجت مكة وتعاقدوا على ان لا تدخل عليهم عامهم هذا فقال صلى الله عليه وسلم هذا الهاتف سلفع شيطان الاصنام يوشك ان يقتله الله ان شاء الله فبينما هم كذلك اذ سمعوا من اعلى الجبل صوتا يقول

شاهت وجوه رجال حالفوا صنما * وخاب سعيهم ما اقصر الهمما
انى قتلت عدو الله سلفعة * شيطان أصنامهم سحقا لمن ظلما
وقد أتاهم رسول الله فى نفر * وكلهم محرم لا يسفكون دما

فقال صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس أترون ان اميل الى عيال هؤلاء الكفار الذين يريدون أن يصدونا عن البيت وذراريهم فان يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عنا من المشركين والا تركناهم محروبين وفى رواية أترون أن نميل ذرارى هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين محروبين وان يجيئوا تكن عنقا قطعها الله أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر رضى الله عنه الله ورسوله أعلم يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه للبيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال امضوا على اسم الله ويروى أن المقداد بن الاسود رضى الله عنه قال نحو مقالته يوم بدر بعد كلام أبى بكر قال والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لنبيها اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فقال صلى الله عليه وسلم فسيروا على اسم الله وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى وشاورهم فى الامر فساروا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم موضع قريب من مكة فى خيل لقريش فيها مائتا فارس فيهم عكرمة بن أبى جهل طليعة وهى مقدمة الجيش فخذوا ذات اليمين وفى رواية قال من رجل يخرج بنا على غير طريقهم التى هم بها فقال رجل من أسلم وهو حمزة بن عمرو الاسلمى أنا يا رسول الله فسلك بهم طريقا وعرا فخرجوا منه بعد أن شق عليهم وأفضوا الى طريق سهلة فقال لهم قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يقولوها وفى رواية فقال صلى الله عليه وسلم اسلكوا ذات اليمين

بين ظهري الحمض بفتح المهملة وسكون الميم وبالضاد المعجمة اسم موضع يخرج على مهبط الحديبية من أسفل مكة فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين الى قريش وفي رواية فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش أي غباره كذا أطلقه بعضهم وقيده بعضهم بالغبار الاسود فانطلق يركض نذيرا لقريش وفي رواية أن خالدا دنا في خيله حتى نظر المصطفى صلى الله عليه وسلم والصحابة وصف خيله بينهم وبين القبلة فأمر صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر فتقدم في خيله فقام بازائه نصف أصحابه وحانت صلاة الظهر فصلاها بهم صلى الله عليه وسلم فقال خالد قد كانوا على غرة لو حملنا عليهم أصبنا منهم ولكن ستأتي الساعة صلاة أخرى هي أحب اليهم من أنفسهم وأبنائهم فنزل جبريل بين الظهر والعصر بقوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الآية فحانت صلاة العصر والعدو جهة القبلة فصلى بهم صلاة الخوف فرتب القوم صفين وصلى بهم فلما سجد سجد معه صف وحرس صف فلما قام هو ومن سجد معه سجد من حرس ولحقوه وسجد معه في الثانية من حرس أولا وحرس الآخرون فلما جلس سجد من حرس وتشهد بالصفين وسلم وهذه الكيفية تعرف بصلاة عسفان ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي تشرف على الحديبية وتهبط على قريش وتسمى ثنية المرار بكسر الميم وتخفيف الراء بركت ناقته القصواء فقال الناس حل حل وهي كلمة تقال للناقة اذا تركت السير فتمادت على عدم القيام فقالوا خلأت القصواء خلأت القصوا أي حرنت وبركت من غير علة والخلاء بالمد للابل كالحران للخيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل أي حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها ومناسبة ذلك التشبيه ان الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدتهم قريش لوقع القتال المفضي الى سفك الدماء ونهب الاموال كما لو قدر دخول الفيل وأصحابه لكن سبق في علم الله انهم لا يدخلون الآن لانه سيدخل في الاسلام خلائق منهم ويستخرج من أصلابهم ناسا يسلمون ويجاهدون وكان بمكة جمع كثير مؤمنون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فلو طرق الصحابة مكة لما أمن أن يصاب منهم ناس بغير عمد كما أشار اليه قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم وجواب لو محذوف أي لاذن لكم في الدخول والقتال وانما منعكم من الدخول والقتال ليدخل الله في رحمته من يشاء اى من الكفار الذين سبقت لهم السعادة لو تزيلوا أي لو تميز الكفار من المؤمنين المستضعفين لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ثم قال صلى الله عليه وسلم عقب قوله حبسها حابس الفيل والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة فيها تعظيم حرمات الله أي من ترك القتال في الحرم والجنوح الى السلم والكف عن اراقة الدماء وفي رواية لا يدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم وهي من حرمات الله الا أعطيتهم اياها أي أجبتهم اليها وان كان فيها تحمل المشقة ثم زجر الناقة فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية ثم قال للناس انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه وكان به حفرة فيها ماء قليل يأخذونه قليلا قليلا فأخذوه حتى نزحوه وشكوا اليه العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فنزل ناجية بن الاعجم وقيل ناجية بن جندب وقيل عبادة بن خالد أو خالد بن عبادة وقيل البراء بن عازب رضي الله عنه فوضعه في البئر ويمكن أن الجميع تعاونوا في ذلك قال فوالله ما زال يجيش أي يفور الماء حتى صدروا عنه أي رجعوا رواء بعد ورودهم وفي رواية فما زال الماء يجيش حتى اغترفوا بآنيتهم جلوسا على شفير البئر وفي البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم جلس على البئر ثم دعا باناء فمضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة فارووا أنفسهم

وركابهم حتى ارتحلوا وعند غير البخاري توضأ في الدلو ثم أفرغه فيها وانتزع السهم فوضعه فيها ويمكن الجمع بأنه فعل ذلك كله وفي حديث جابر عند البخاري ومسلم قال عطش الناس يوم الحديبية وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة يتوضأ منها اذ أقبل الناس نحوه فقال مالكم قالوا يارسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب الا ما في ركوتك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا وجمع ابن حبان بينهما بأن ذلك وقع في وقتين وكان قصة الركوة قبل قصة البئر وقد أخرج الامام أحمد عن جابر رضي الله عنه القصة وفيها فجاء رجل باداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره فصبه صلى الله عليه وسلم في قدح ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح وتزاحم الناس عليه فقال على رسلكم فوضع كفه في القدح ثم قال أسبغوا الوضوء قال فلقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه واختلاف ألفاظ حديث جابر لعله كان من تصرف الرواة ووقع في بعض الروايات انهم توضؤا وشربوا وسقوا دوابهم وملؤا واقربهم فقيل كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا ألفا وأربعمائة وفي حديث زيد بن خالد رضي الله عنه انهم أصابهم مطر بالحديبية فكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين والله اعلم وفي هذا معجزات ظاهرة وفيه بركة سلاحه وما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم فبينما هم كذلك اذ جاءهم بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة الخزاعي في نفر من قومه خزاعة وكان ذلك قبل اسلامه فانه أسلم عام الفتح رضي الله عنه وكانت خزاعة عيبة نصح للنبي صلى الله عليه وسلم وتقدم أن بني هاشم في الجاهلية كانوا تحالفوا مع خزاعة فاستمر ذلك في الاسلام فقال بديل للنبي صلى الله عليه وسلم غورت أي أبعدت عن المدينة ولا سلاح معك فقال لم نجئ لقتال فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فقال له بديل أنا لا آتيهم ولا قومي ثم قال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل والعوذ جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات التي معها أطفالها يريد انهم خرجوا معهم بذوات الالبان من الابل ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه أو كنى بذلك عن النساء معهن الاطفال والمراد انهم خرجوا بنسائهم وأولادهم لارادة طول المقام ان دعا اليه الامر ليكون أدعى الى عدم الفرار وخص كعب بن لؤي وعامر بن لؤي لرجوع أنساب قريش الذين بمكة أجمع اليهما وبقي من قريش بنو سامة بن لؤي وبنو عوف بن لؤي وهم قريش البطاح ولم يكن بمكة منهم أحد وكذلك قريش الظواهر الذين منهم بنو تيم بن غالب ومحارب بن فهر وقوله اعداد مياه الحديبية قال الحافظ ابن حجر يشعر بانه كان بها مياه كثيرة وان قريشا سبقوا الى النزول عليها فلهذا عطش المسلمون وقد جاء التصريح بذلك عن عروة بن الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيبا لبديل انا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب أي اضعفت قوتهم واهزلتهم واضعفت أموالهم واضرت بهم فان شاؤا ماددتهم أي جعلت بيني وبينهم مدة نترك الحرب فيها ويخلوا بيني وبين الناس من كفار العرب وغيرهم فان اظهر أي باظهار الله تعالى ديني بحيث يدخله الناس ويتبعوني فيما جئت به فان شاؤا الدخول فيما دخل فيه الناس فعلوا والا أي وان لم اظهر فقد جموا بفتح الجيم وشد الميم المضمومة يعني استراحوا من القتال وفي رواية فان ظهر الناس علي فذلك الذي يبغون وفي رواية وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة وانما ردد الامر مع انه جازم بان الله تعالى سينصره ويظهره لوعد الله تعالى له بذلك على طريق التنزل مع الخصم وفرض الامر على مازعمه ثم قال وان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي وهي صفحة العنق كنى بذلك عن القتل أي حتى اموت وأبقى منفردا في قبري وقيل المراد انه يقاتل حتى ينفرد وحده في مقاتلتهم والمعنى ان لي من القوة بالله والحول به ما يقتضي مقاتلتهم عن دينه لو انفردت فكيف لا اقاتلهم عن دينه مع كثرة المسلمين ونفاذ بصائرهم في نصر

[illegible] صلى الله عليه وسلم من ائتمروا [illegible]
[illegible] وأهله [illegible]
[illegible] شرح المواهب [illegible]
[illegible] أهل الإسلام [illegible]
[illegible] واستظهارا [illegible]
[illegible] وقليل [illegible]
[illegible] من المشركين من الأحلاف [illegible] بديل بن ورقاء
[illegible] والطائف [illegible] بمسألة [illegible]
[illegible] والقوم [illegible] الأول
[illegible] قريشا [illegible] هذا بديل
[illegible] قد جئنا من عند هذا الرجل [illegible] لا يدخله [illegible] فقال
[illegible] هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم وسمعناه يقول قولا فإن شئتم أن نعرضه
عليكم فعلنا [illegible] أن تخبرنا عنه بشيء [illegible] لا حاجة لنا
[illegible] لا يبقى منا رجل واحد [illegible]
[illegible] على الصحيح [illegible] ثانيا
[illegible] عروة بن مسعود الثقفي بأن يجمعوا
[illegible] الحارث بن هشام أخبرنا بالذي رأيت
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] إلى قريش فقالوا
[illegible] لقتال إنما جئنا لهذا البيت فقالوا [illegible] قالوا لا [illegible]
[illegible] لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تحدث بذلك العرب أبدا فقام عروة بن مسعود الثقفي
وقد أسلم رضي الله عنه [illegible] صلى الله عليه وسلم من الطائف وهو أحد الرجلين الذين
قال الله فيهما وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فأحدهما الوليد بن المغيرة
[illegible] بمكة [illegible] عروة بن مسعود الثقفي [illegible] بالطائف والقريتان مكة والطائف
فقال لقريش أي قوم ألستم بالوالد أي مثل الوالد في الشفقة على ولده قالوا بلى قال أولست بالولد أي
[illegible] قالوا بلى [illegible] أم عروة سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف فأراد أنهم
[illegible] قال فهل تتهموني قالوا لا قال ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ
أي دعوتهم إلى نصركم [illegible] من الإجابة جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني قالوا بلى قال
فإن هذا يعني النبي صلى الله عليه وسلم قد عرض عليكم خطة رشد أي خصلة خير وصلاح وإنصاف
اقبلوها ودعوني آتيه أي اتركوني آتيه قالوا ائته فأتاه فجعل يكلم
النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل في
[illegible] وأخبره أنه لم يأت يريد حربا وعند قول النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] قال عروة أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك أي أهلكتهم بالكلية هل سمعت بأحد
من العرب اجتاح أي أهلك أصله قبلك وإن تكن الأخرى أي وإن تكن الغلبة لقريش [illegible]
[illegible] أشوابا من أخلاط الناس [illegible] وفي رواية [illegible]
[illegible] هذا [illegible] لأن [illegible]

أن الجيوش المجمعة لا يؤمن عليها الفرار بخلاف من كان من قبيلة واحدة فانهم يأنفون الفرار عادة وما درى عروة أن مودة الاسلام أعظم من مودة القرابة وقد ظهر له ذلك بعد من مبالغة المسلمين في تعظيمه صلى الله عليه وسلم فلما قال عروة بن مسعود ما قاله وعرض بل صرح بنسبتهم للفرار قال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان قاعدا خلف النبي صلى الله عليه وسلم امصص بظر اللات أنحن نفر عنه والبظر هو الفرج وقيل قطعة بعد الختان في فرج المرأة واللات اسم صنم كانت تعبده ثقيف قال العلماء هذا مبالغة من أبي بكر رضي الله عنه في سب عروة فانه أقام معبود عروة وهو صنمه مقام امرأة تحقيرا للمعبود وعادة العرب الشتم بذلك فقال عروة من هذا يا محمد واستفهم عنه لجلوسه خلف النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينافي أنه يعرفه وله عليه يد كما سيقول فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أبو بكر بن أبي قحافة فقال عروة مخاطبا لابي بكر أما والذي نفسي بيده وكانت عادة العرب الحلف بذلك لولا يد لك عندي لم أكافئك بها لأجبتك ولكن هذه بها أي جعلت عدم اجابتك عن شتمي جزاء ليدك التي كنت أحسنت الي بها قال الزهري ان اليد المذكورة هي أن عروة كان تحمل دية فأعانه فيها أبو بكر رضي الله عنه بعون حسن وفي رواية أعانه بعشر قلائص وكان غيره يعينه بالاثنين والثلاث وجعل عروة بن مسعود يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما تكلم بكلمة أخذ بلحيته صلى الله عليه وسلم وكانت تلك عادة العرب وكان المغيرة بن شعبة بن مسعود الثقفي وهو ابن أخي عروة بن مسعود قائما على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف بقصد الحراسة وعليه المغفر قال عروة بن الزبير ان المغيرة لما رأى عروة بن مسعود لبس لامته وجعل على رأسه المغفر ليستخفي من عمه عروة وقام على رأس النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر ففيه جواز القيام على رأس الامير بالسيف لقصد الحراسة ونحوها من ترهيب العدو ولا يعارضه النهي عن القيام على رأس الجالس لان محله ما اذا كان على وجه العظمة والكبر فكان المغيرة كلما أهوى عروة بن مسعود بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وهو ما يكون أسفل القراب من فضة أو غيرها وفعل المغيرة ذلك اجلالا وتعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول لعروة أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا ينبغي لمشرك أن يمسه فيقول عروة ما أفظك وأغلظك وقد كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة يريدون بذلك التحية والتواصل وفي الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير فربما رأى عروة لعظمته في قومه أنه نظير للنبي صلى الله عليه وسلم وما علم حينئذ أنه لا نظير له فاللائق منعه فلذا كان المغيرة رضي الله عنه يمنعه لكن كان صلى الله عليه وسلم يغضي أي يتغافل ويسكت لعروة فلا يؤاخذه بفعله ولا يمنعه استمالة وتأليفا له ولقومه والمغيرة كان يمنعه فلما تكرر المنع من المغيرة رفع عروة رأسه وقال من هذا وفي رواية فلما أكثر المغيرة مما يقرع يده غضب وقال ليت شعري من هذا الذي قد آذاني من بين أصحابك والله لا أحسب فيكم ألأم منه ولا أشر منزلة فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عروة من هذا يا محمد قال هذا ابن أخيك شعبة وفي رواية هذا المغيرة ابن شعبة فلما عرف أنه ابن أخيه قال أي غدر ألست أسعى في غدرتك وفي رواية والله ما غسلت يدي من غدرتك ولقد أورثتنا العداوة في ثقيف وفي رواية وهل غسلت سوأتك الا بالامس فيمكن أن الاختلاف من تصرف الرواة أو أنه قال ذلك كله ويعني بغدرته ما كان من المغيرة قبل اسلامه فانه صحب في الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف من بني مالك خرجوا للمقوقس ملك مصر بهدايا فأحسن اليهم وأعطاهم وقصر بالمغيرة لانه لم يكن من رهطهم بل من احلافهم فغار منهم ولم يواسه أحد منهم فلما كانوا ببعض الطريق شربوا الخمر وناموا فوثب المغيرة فقتلهم كلهم وأخذ أموالهم ثم جاء الى المدينة فأسلم

فقال أبو بكر رضي الله عنه ما فعل المالكيون الذين كانوا معك قال قتلتهم وجئت بأسلابهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخمس أو ليرى رأيه فيهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء أي لا أتعرض له لكونه أخذ غدرا لانه لا يحل أخذ مال الكفار غدرا حال الامن لان الرفقة يصطحبون على الامانة وهي تؤدى الى أهلها مسلما كان أو كافرا وانما تحل أموالهم بالمحاربة والمغالبة ولعله صلى الله عليه وسلم ترك المال في يده لامكان اسلام قومه فيرد اليهم أموالهم وقيل انما فعل ذلك لانه لم يكن مثلهم حربيا والحربي اذا أتلف مال الحربي لم يضمن وهو أحد وجهين للشافعية فبلغ ثقيفا ما فعله المغيرة من قتل أصحابه وأخذ أموالهم فتهايج الفريقان للقتال بنو مالك والاحلاف رهط المغيرة فسعى عمه عروة بن مسعود حتى أخذوا منه دية ثلاثة عشر نفرا واصطلحوا وقيل ان عروة بن مسعود ليس عما للمغيرة نفسه بل عم أبيه ولا ضير في ذلك فعم الاب عم عند العرب والمغيرة ابن شعبة رضي الله عنه كان من دهاة العرب أحصن في الاسلام ثمانين امرأة وقيل ثلثمائة وقيل ألف امرأة ثم ان عروة بن مسعود جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه فقال حين حدث الحديث والله ما تنخم يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده تبركا واذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره أي أسرعوا الى فعله واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فكان في فعلهم ذلك رد لما ظنه من فرارهم فكأنهم قالوا بلسان الحال من يحبه هذه المحبة ونعظمه هذا التعظيم كيف يظن بنا أن نفر عنه ونسلمه لعدوه بل هم أشد اغتباطا أي تعلقا وتمسكا به وبدينه ونصره من هذه القبائل التي تراعي بعضها بمجرد الرحم فرجع عروة الى أصحابه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ما يتنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم وفي رواية واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده اجلالا وتوقيرا وما يحدون النظر اليه تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم وفي رواية فقال عروة أي قوم قد رأيت الملوك ما رأيت مثل محمد وما هو بملك ولقد رأيت الهدي معكوفا وما أراكم الا ستصيبكم قارعة وهذا دليل على جودة عقله وتفطنه لما كان عليه الصحابة من المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره ومراعاة أموره وردع من جفا عليه بقول أو فعل والتبرك بآثاره ولم يسمع القوم ما قاله عروة بن مسعود وما رغبهم فيه من الصلح فانصرف هو ومن تبعه الى الطائف فقال رجل من بني كنانة يسمى الحليس بن علقمة ولا يعرف له اسلام وكان سيد الاحابيش أي القبائل التي تجمعت من غير قريش دعوني آته يعني النبي صلى الله عليه وسلم أي أذهب اليه فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن يعني التي تهدى للحرم فابعثوها أي أثيروها دفعة واحدة ليعتبر برؤيتها ويتحقق أنهم لا يريدون حربا فيعينهم على دخول مكة لنسكهم فبعثوها واستقبله الناس يلبون بالعمرة فلما رأى الحليس ذلك قال متعجبا سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا أي يمنعوا عن البيت وفي رواية قال أبى الله أن تحج لخم وجذام وكندة وحمير ويمنع ابن عبد المطلب وفي رواية فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي بقلائده وقد حبس عن محله رجع ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء عند الحاكم أنه صاح وهو على بعد فقال هلكت قريش ورب الكعبة ان القوم انما أتوا عمارا فقال صلى الله عليه وسلم أجل يا أخا بني كنانة

قال الحافظ ابن حجر فيحتمل أنه خاطبه على بعد ولم يصل اليه جمعا بين الروايتين فلما رجع الى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقالوا له اجلس انما أنت أعرابي لا علم لك فغضب عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاهدناكم أيصد عن بيت الله من جاء معظما له والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وما جاء له أو لا نفرن بالاحابيش نفر رجل واحد فقالوا له اكفف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به* وفى القصة دليل على أن كثيرا من المشركين كانوا يعظمون حرمات الاحرام والحرم وينكرون على من يصد عن ذلك تمسكا منهم ببقايا دين ابراهيم عليه السلام ثم قام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص من بنى عامر بن لؤى ولم يذكره أحد فى الصحابة الا ابن حبان فانه ذكره بلفظ يقال له صحبة وهو بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاى فقال دعونى آته فلما أشرف عليهم قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر وفى رواية غادر قال الحافظ ابن حجر مازلت متعجبا من وصفه بالفجور مع أنه لم يقع منه فى قصة الحديبية فجور ظاهر بل فيها ما يشعر بخلاف ذلك كما سيأتى من كلامه فى قصة أبى جندل الى أن رأيت فى مغازى الواقدى فى غزوة بدر أن عتبة بن ربيعة قال لقريش كيف نخرج من مكة وبنو كنانة خلفنا لا نأمنهم على ذرارينا وذلك أن حفص بن الاخيف كان له ولد وضئ فقتله رجل من بنى بكر بن كنانة بدم لهم كان فى قريش فتكلمت قريش فى ذلك ثم اصطلحوا فعدا مكرز بعد ذلك على عامر بن يزيد سيد بنى بكر غرة فقتله فنفرت من ذلك كنانة فجاءت وقعة بدر أثناء ذلك فكان مكرز معروفا بالغدر وذكر الواقدى أيضا أن مكرزا أراد أن يبيت المسلمين بالحديبية فخرج فى خمسين رجلا فأخذهم محمد بن مسلمة وهو على الحرس وانفلت مكرز فكأنه صلى الله عليه وسلم أشار الى ذلك حين قال وهو رجل فاجر أو غادر فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وجعل يكلمه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبديل وأصحابه فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو العامرى وكان خطيب قريش وقد أسلم عام الفتح رضى الله عنه وكان ملازما للجهاد حتى استشهد يوم اليرموك وقيل مات بالشام بطاعون عمواس وكان يقول والله لا أدع موقفا وقفته مع المشركين الا وقفت مع المسلمين مثله ولا نفقة أنفقتها مع المشركين الا أنفقت على المسلمين مثلها لعل أمرى أن يتلو بعضه بعضا قال الشافعى سهيل بن عمرو رضى الله عنه كان محمود الاسلام من حين أسلم ولما جاء خبر وفاة النبى صلى الله عليه وسلم أهل مكة اضطرب الناس وكادوا يرتدون فخطب الناس خطبة كخطبة الصديق بالمدينة رضى الله عنه وثبتهم فيها وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه لما أراد تكسير أسنانه لعله يقف موقفا يسرك فكان ذلك الموقف هو خطبته لاهل مكة وتثبيتهم فكان ذلك من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم قيل ان وصول سهيل بن عمرو الى النبى صلى الله عليه وسلم كان قبل انصراف مكرز بن حفص من عند النبى صلى الله عليه وسلم وقيل ان مكرزا رجع الى قريش فأخبرهم بقوله صلى الله عليه وسلم وأن ذهاب الحليس ثم عروة بعد مكرز وجمع بأنه رجع فأخبرهم ثم جاء مع سهيل فى الصلح ولما جاء سهيل قال النبى صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم وكان مع سهيل حويطب بن عبد العزى* قال ابن اسحاق دعت قريش سهيل بن عمرو فقالت اذهب الى هذا الرجل ولا تكن فى صلحه الا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدا فأتى سهيل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لما رآه مقبلا قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا الرجل فلما انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم برك على ركبتيه وجلس النبى صلى الله عليه وسلم متربعا وقام عباد بن بشر وسلمة بن أسلم على رأسه مقنعين فى الحديد وجلس المسلمون حوله فجرى بينهما القول وأطال سهيل الكلام وتراجعا فقال له عباد بن بشر اخفض صوتك عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم نفسنفس صدره ولم يزل الابتراجعان حتى تم الصلح بينهما وهذا يقتضي أن ارسال سهيل ابن عمرو كان قبل أن يرسل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه الى أهل مكة وجرى على ذلك كثير من أهل السير وقال آخرون ان ارسال سهيل بن عمرو كان بعد ارسال النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه الى أهل مكة فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية أحب أن يبعث الى قريش يعلمهم أنه انما قدم معتمرا لا مقاتلا فبعث خراش بن أمية الخزاعي على جمله عليه الصلاة والسلام فعقره عكرمة بن أبي جهل وأراد قتله فمنعه الاحابيش فأتاه صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله اني أخاف قريشا على نفسي وما بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظي عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان رضي الله عنه أي فان بني عمه يمنعونه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وكتب له كتابا الى أشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت الا زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عثمان أن يأتي رجالا مسلمين مستضعفين بمكة ونساء ومؤمنات مستضعفات وأن يدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم بأن الله وشيك أي قريب أن يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالايمان فخرج عثمان رضي الله عنه ودخل مكة ومعه عشرة من الصحابة رضي الله عنهم باذن النبي صلى الله عليه وسلم ليزوروا أهاليهم ولم يذكروا أسماءهم فلقيه قبل أن يدخل مكة أبان بن سعيد بن العاص وأسلم بعد ذلك رضي الله عنه وكان ابن عم عثمان رضي الله عنه فأجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله بين يديه فجاء الى عظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به وهم يردون عليه ويقولون ان محمدا لا يدخلها علينا أبدا فلما فرغ عثمان رضي الله عنه من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له ان شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المسلمون الذين مع النبي صلى الله عليه وسلم قد خلص عثمان الى البيت فطاف به دوننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون قالوا وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص اليه قال ذلك ظني به أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف لو مكثت كذا وكذا سنة فلما رجع عثمان وقيل له في ذلك أي قالوا له طفت بالبيت فقال والذي نفسي بيده لو مكثت بها معتمرا كذا وكذا سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبست قريش عثمان عندها ثلاثة أيام وأشاع الناس أنهم قتلوه هو والعشرة الذين معه فبلغ ذلك الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال عند بلوغه ذلك لا نبرح حتى نناجز القوم أي نقاتلهم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن ينادي الناس الى البيعة قال سلمة بن الاكوع رضي الله عنه بايعناه وبايعه الناس على عدم الفرار وانه اما الفتح واما الشهادة وفي رواية بايعناه على الموت ولما لم يكن قتل عثمان رضي الله عنه محققا بل كان بالاشاعة بايع عنه النبي صلى الله عليه وسلم أي على تقدير حياته وفي ذلك اشارة منه صلى الله عليه وسلم الى ان عثمان لم يقتل وانما فعل المبايعة مع القوم لاجل أخذ ثار عثمان رضي الله عنه جريا على ظاهر تلك الاشاعة تثبيتا وتقوية لاولئك القوم فوضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال اللهم هذه عن عثمان فانه في حاجتك وحاجة رسولك وفي لفظ ان عثمان ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله فانا أبايع عنه فضرب بيمينه شماله وما ذاك الا لانه علم عدم صحة القول بقتله وبعد ان جاء عثمان رضي الله عنه بايع بنفسه تحصيلا لتلك الفضيلة وقد أشار الى امتناع عثمان رضي الله عنه من الطواف والى مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الهمزية فقال

وأبى أن يطوف بالبيت اذلم * يدن منه الى النبى فناء
فجزته منه ببيعة رضوا * ن يد من نبيه بيضاء
أدب عنده تضاعفت الاعـ * ـمال بالترك حبذا الادباء

ويروى ان قريشا بعثت الى عبد الله بن أبى ابن سلول ان أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل فقال له ابنه عبد الله وهو المسمى بالحباب كما تقدم رضى الله عنه يا أبت أذكرك الله أن تفضحنا فى كل موطن تطوف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى حينئذ وقال لا أطوف حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت البيعة تحت شجرة هنالك من أشجار السمر وتسمى بيعة الرضوان لقول الله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد بايع تحت تلك الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة كما تقدم وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية وأول من بايعه صلى الله عليه وسلم سنان بن سنان الاسدى وقيل انه أبو سنان أخو عكاشة بن محصن رضى الله عنهما ولما بايعه رضى الله عنه قال أبايعك على ما فى نفسك قال وما فى نفسى قال اضرب بسيفى بين يديك حتى يظهرك الله أو أقتل وصار الناس يقولون نبايعك على ما بايعك عليه سنان وقيل أول من بايع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وقيل سلمة بن الاكوع رضى الله عنه وقيل ان سلمة رضى الله عنه بايع ثلاث مرات أول الناس ووسط الناس وآخر الناس بأمره صلى الله عليه وسلم فى الثانية والثالثة بعد قول سلمة له قد بايعت فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا وذلك ليكون له فى ذلك فضيلة لانه أراد أن يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته وعنايته فى الاسلام وشهرته فى الثبات وجاء ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما بايع مرتين وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام الى قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ان المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية مر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال المسلمون نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم أى لا تصدوا هؤلاء العمار ان صدكم أصحابهم وكان محمد بن مسلمة رضى الله عنه على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثت قريش أربعين وقيل خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم انه رجل غادر ليطوفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يصيبوا منهم أحدا أو يجدوا منهم غرة أى غفلة فأخذهم محمد بن مسلمة الا مكرزا فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا وبلغ قريشا حبس أصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وقتل من المسلمين ابن زنيم بسهم فأسر المسلمون منهم اثنى عشر رجلا ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وأشار أهل الرأى منهم بالصلح على أن يرجع ويعود من قابل فيقيم ثلاثا معه سلاح الراكب السيوف فى القرب والقوس فبعثت قريش سهيل بن عمرو العامرى ومعه حويطب بن عبد العزى وقيل معه جمع منهم وقيل ان ارسال سهيل كان مرتين جاء ورجع اليهم ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم ولما أقبل سهيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل ثانيا وطالت المراجعة بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم ومن جملة ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له لم تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال له سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة أى بالشدة والاكراه ولكن ذلك بالعام القابل ثم تم الامر على الصلح على ترك القتال وأن يوضع الحرب بينهم عشر سنين وأن يأمن بعضهم بعضا وأن يرجع عنهم عامهم هذا ويأتى فى العام القابل ويخلون له مكة ثلاثة أيام وأن لا يدخلوا الا بالسيوف فى قربها واشترط سهيل على النبى صلى الله عليه وسلم شروطا منها أنه قال لا يأتيك منا رجل

وان كان على دينك الا ردنما الناوقيل هذا الشرط انما ذكره عند كتابة الكتاب كما سيأتى فلما تم
الامر ولم يبق الا كتابة الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبابكر رضى الله عنه فقال يا أبا بكر
أليس هو برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال أولسنا بمسلمين قال بلى قال فعلام نعطى الدنية أى
الخصلة المذمومة فى ديننا فقال أبو بكر رضى الله عنه يا عمر الزم غرزه أى ركابه وفى رواية قال له أيها
الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه حتى تموت
فانى أشهد أنه رسول الله فقال عمر وأنا أشهد أنه رسول الله ثم أتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له مثل ما قال لابى بكر فقال النبى صلى الله عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن
يضيعنى الله ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوس بن خولة رضى الله عنه وأمره أن يكتب بينهم
فقال له سهيل بن عمرو لا يكتب الا ابن عمك على أو عثمان بن عفان رضى الله عنهما وكان ذلك بعد
رجوع عثمان رضى الله عنه على بعض الروايات فأمر النبى صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه
فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو لا أعرف هذا أى الرحمن الرحيم ولكن
اكتب باسمك اللهم اى لان قريشا كانت تكتبها فقال المسلمون والله لا نكتبها وانما نكتب بسم الله
الرحمن الرحيم وضج المسلمون ثم أسكتهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال اكتب باسمك اللهم ثم قال صلى الله
عليه وسلم لعلى رضى الله عنه اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل بن
عمرو لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم نصدك عن البيت ولكن اكتب اسمك واسم أبيك وفى
رواية لو أعلم أنك رسول الله ما فعلنا القتل ولنا بعتك أفترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه امح رسول الله فقال على رضى الله عنه ما أنا بالذى
أمحوه وفى رواية والله لا أمحوك أبدا فقال أرنيه فأراه اياه فمحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو وقال انا رسول الله وان كذبتمونى وأنا محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب فجعل على رضى الله عنه يبكى ويأبى أن يكتب الا محمد رسول الله فقال له صلى الله
عليه وسلم اكتب فان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم واعلام
نبوته فانه اشارة لما سيقع بين على ومعاوية رضى الله عنهما فانهما بعد حرب صفين وقعت بينهما المصالحة
الى رأس الحول فلما كتب الكاتب هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب معاوية بن أبى
سفيان فقال عمرو بن العاص وكان أحد الحكمين وكان من جهة معاوية لا تكتب أمير المؤمنين
وأرسل معاوية أيضا رضى الله عنه لعمرو بن العاص يقول لا تكتب ان عليا أمير المؤمنين لو كنت
أعلم ان عليا أمير المؤمنين ما قاتلته فبئس الرجل أنا ان أقررت أنه أمير المؤمنين ثم أقاتله ولكن اكتب
على بن أبى طالب وامح أمير المؤمنين فقال أصحاب على رضى الله عنه لعلى يا أمير المؤمنين لا تمح اسم امارة
المؤمنين فانك ان محوتها لا تعود اليك فلم يسمع منهم وقال للكاتب امحها ثم تذكر قول النبى صلى الله عليه
وسلم له فى الحديبية ان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور فقال الله أكبر مثلا بمثل والله انى لكاتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية اذ قالوا لست برسول الله ولا نشهد لك بذلك اكتب اسمك محمد
ابن عبد الله فقال له عمرو بن العاص رضى الله عنه سبحان الله أتشبه بالكفار ووقع بينهما نزاع
فى ذلك حتى تمت الكتابة على عدم ذكر أمير المؤمنين وظهر صدق قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى
رضى الله عنه ان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور ولما أبى على رضى الله عنه يوم الحديبية أن يكتب الا
رسول الله ووافقه على ذلك بعض الحاضرين من المسلمين منهم أسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضى الله
عنهما فأخذا بيد على رضى الله عنه ومنعاه أن يكتب الا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والا

بالسيف

فالسيف بيننا وبينهم وضج المسلمون وارتفعت الاصوات وجعلوا يقولون لا نعطى هذه الدنية فى ديننا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم ويومى بيده اليهم ان اسكتوا ثم أمر عليا رضى الله عنه أن يكتب محمد بن عبد الله فكتب وقيل أمر محمد بن مسلمة رضى الله عنه فكتب والحق أن الذى كتبه محمد نسخة أخرى مثل ذلك الكتاب لان سهيلا قال يكون هذا الكتاب معى فكتب محمد بن مسلمة مثله ليكون عند المسلمين وجاء فى بعض الروايات ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب بيده فكتب فتمسك بعضهم بظاهره وقال ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب بيده يوم الحديبية معجزة له مع أنه لا يقرأ ولا يكتب وجرى على ذلك أبو الوليد الباجى المالكى فشنع عليه علماء الاندلس فى زمانه وقالوا ان هذا مخالف للقرآن فناظرهم واستظهر عليهم بأن هذا لا ينافى القرآن وهو قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك بأن هذا النفى مقيد بما قبل ورود القرآن وقبل تحقق أميته أما بعد القرآن وبعد ان تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته فلا مانع أن يعرف الكتابة من غير معلم معجزة أخرى ولا يخرجه ذلك عن كونه أميا والجمهور على أن الروايات التى فيها أخذ الكتاب بيده فكتب محمولة على المجاز اى أمر أن يكتب الكاتب وقوله بيده متعلق بأخذ وليس متعلقا بقوله كتب قال العلماء وافقهم النبى صلى الله عليه وسلم على عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتب باسمك اللهم وكذا وافقهم فى محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح التى أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم عليها وخفى على المسلمين عنها حتى ضجوا وتشوشوا من ذلك ولم يكن أحد فى القوم راضيا بجميع مارضى به النبى صلى الله عليه وسلم غير أبى بكر الصديق رضى الله عنه وبهذا تبين علو مقامه ويمكن أن الله كشف لقلبه وأطلعه على بعض تلك الاسرار التى ترتبت على ذلك الصلح كما أطلع على ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فانه حقيق بذلك رضى الله عنه كيف وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم والله ماصب الله فى قلبى شيئا الا وصببته فى قلب أبى بكر رضى الله عنه قال أبو بكر رضى الله عنه ما كان فتح أعظم من فتح الحديبية ولكن قصر رأيهم عما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ربه والعباد يعجلون والله تعالى لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الامور ما أراد ولقد رأيت سهيل بن عمرو فى حجة الوداع قائما عند المنحر يقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرها بيده ودعا الحلاق فحلق رأسه فأنا أنظر الى سهيل بن عمرو يلتقط من شعره صلى الله عليه وسلم ويجعل بعضه على عينيه وأذكر امتناعه أن يقر يوم الحديبية بسم الله الرحمن الرحيم أى وبرسالة النبى صلى الله عليه وسلم فحمدت الله الذى هداه للاسلام مع أنه لا مفسدة فى عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وعدم كتابة رسول الله بل ترتب عليهما مصلحة وانما المفسدة لو طلبوا أن يكتب مالا يحل ثم كتب على رضى الله عنه هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به وأراد النبى صلى الله عليه وسلم بذلك اظهار ماتكلم به مع سهيل أولا ليطلع المسلمون على أنه صلى الله عليه وسلم بذل الجهد للمسلمين فى ذلك الصلح فقال سهيل والله لا نخلى بينك وبين البيت وتتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب على رضى الله عنه ذلك فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك منا رجل الا رددته الينا وان كان على دينك ومن جاء قريشا ممن تبعك لم يردوه اليك وفى رواية لمسلم من حديث أنس رضى الله عنه أن قريشا صالحت النبى صلى الله عليه وسلم على أن من جاءنا منكم لم نرده اليكم ومن جاءكم منا رددتموه الينا فقالوا يارسول الله أنكتب هذا قال نعم فانه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاء منهم الينا فسيجعل الله له فرجا ومخرجا وفى رواية للبخارى وكان فيما اشترط سهيل على النبى صلى الله عليه وسلم أنه لا يأتيك منا أحد وان كان على دينك الا رددته الينا

وخليت بيننا وبينه فنكره المؤمنون ذلك واشمأزوا أى غضبوا وأنفوا منه فأبى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال المسلمون متعجبين سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما وكان ممن قال ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وسهل بن حنيف رضى الله عنهم وفى رواية أن عمر رضى الله عنه قال يا رسول الله أترضى بهذا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم الينا أى ورددناه فسيجعل الله له فرجا ومخرجا ومما كتب فى كتاب الصلح ما رواه البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما لا يدخل مكة بالسلاح الا السيف فى القراب وأن لا يخرج من أهلها بأحد ان أراد أن يتبعه وأن لا يمنع من أصحابه أحدا ان أراد أن يقيم بها وعند ابن اسحاق على أن بيننا عيبة مكفوفة أى أمورا مطوية فى صدور سليمة اشارة الى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها وأنه لا اسلال ولا اغلال أى لا سرقة ولا خيانة والمراد أن يأمن بعضهم من بعض فى نفوسهم وأموالهم سرا وجهرا وقيل الاسلال من سل السيوف والاغلال من لبس الدروع وان من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة وقالوا نحن فى عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن فى عقد قريش وعهدهم وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل مكة علينا وأنه اذا كان عام قابل خرجنا فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف فى القرب لا تدخلها بغيره وان الحرب توضع بينهم عشر سنين وفى رواية أربع سنين تأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض انتهى فان قيل ما الحكمة فى كونه صلى الله عليه وسلم وافق سهيلا على هذه الشروط التى من جملتها أنه لا يأتيه رجل منهم وان كان على دين الاسلام الا ورده اليهم فالجواب كما نقله النووى عن العلماء أن المصلحة المترتبة على هذا الصلح هى ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التى علمها النبى صلى الله عليه وسلم وخفيت عليهم فحمله ذلك على موافقتهم وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تظهر عندهم أمور النبى صلى الله عليه وسلم كما هى ولا يجتمعون بمن يعلمهم بها مفصلة فلما حصل الصلح اختلطوا بالمسلمين وجاؤا الى المدينة وجاء المسلمون الى مكة وخلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونهم وسمعوا منهم أحوال النبى صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الظاهرة وأعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته وعاينوا بأنفسهم كثيرا من ذلك فمالت أنفسهم الى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الاسلام قبل فتح مكة فأسلموا فيما بين صلح الحديبية وفتح مكة كخالد ابن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهما وغيرهما وازداد الآخرون أى الذين لم يسلموا ميلا الى الاسلام فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم لما قد تمهد لهم الميل وكانت العرب من غير قريش ينتظرون باسلامهم اسلام قريش لما يعلمونه فيهم من القوة والرأى ولأنهم كانوا يقولون قوم الرجل أعلم به فلما أسلمت قريش أسلمت العرب قال تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ففيه اشارة الى أنه عند حصول نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه وفتح مكة يدخل الناس فى دين الله جماعات وكان الامر كذلك فجاءه العرب بعد فتح مكة من أقطار الارض طائعين وكان هذا الصلح هو سبب فتح مكة كما سيأتى ان شاء الله تعالى فالله ورسوله أعلم بالحكمة البالغة وان صد المسلمين عن البيت كان فى الظاهر هضما للمسلمين وفى الباطن عزا لهم وقوة فأذل الله المشركين من حيث أرادوا العز لأنفسهم وقهرهم من حيث أرادوا الغلبة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلله الحمد والمنة على ما أنعم به وتفضل وقال البخارى عند ذكر كتابة الشروط فبينما هم كذلك وقال ابن اسحاق فان الصحيفة لتكتب اذ دخل

أبو

أبو جندل واسمه العاص بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وكان قد أسلم بمكة قبل ذلك رضي الله عنه فحبسه أبوه ومنعه من الهجرة وأوثقه بالقيود فحين سمع بأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحديبية احتال على نفسه حتى خرج من السجن وتنكب الطريق وركب الجبال حتى هبط على المسلمين ففرح به المسلمون وتلقوه فقام سهيل بن عمرو الى ابنه أبي جندل حين رآه فضرب وجهه ضربا شديدا حتى رق عليه المسلمون وبكوا وتلبه أي جمع عليه ثوبه الذي هو لابسه وقبض عليه بنحره وقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك أي أول شيء أحاكمك عليه أن ترده الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد أي لم نفرغ من كتابته فقال سهيل والله اذا لا أصالحك على شيء أبدا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فأجزه لي قال ما أنا بمجيز ذلك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل فقال مكرز وحويطب بلى قد أجزنا ذلك فأخذاه وأدخلاه فسطاطا وكفا أباه عنه فأبى سهيل بن عمرو اجازتهما وقيل انما أجازاه ليكف عنه العذاب ليرجع الى طاعة أبيه فكان ذلك من فجور مكرز الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فانه قال ذلك نفاقا وفي باطنه خلافه قال ابن اسحاق ثم قال سهيل يا محمد قد لجت القضية أي وجبت وتمت بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا قال صدقت فجعل ينتره ويتلبه ويجره ليرده الى قريش فلما رأى أبو جندل أباه مصمما على أخذه قال أي معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب في الله عذابا شديدا وفي رواية جعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته يا معشر المسلمين أرد الى المشركين يفتنوني في ديني فزاد الناس ذلك على ما بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر وقد تم الصلح قبل أن تأتي وقد تلطفت بأبيك فأبى وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فوثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى جنب أبي جندل يقول له اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون وانما دم أحدهم كدم الكلب ويدني له السيف قال عمر رضي الله عنه رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه وجعل يقول ان الرجل يقتل أباه والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله فقال له أبو جندل مالك لا تقتله أنت فقال عمر نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وقتل غيره فقال أبو جندل ما أنت أحق بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ولعل عمر رضي الله عنه ظن جواز قتل أبي جندل لابيه لكونه أراد ان يفتنه عن دينه وان قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب ثم رجع أبو جندل رضي الله عنه مكة في جوار مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى فأدخلاه مكة وكفا عنه أباه وسيأتي في آخر القصة ان أبا جندل في مدة الهدنة هرب من مكة ومعه جماعة من المستضعفين وانهم انضموا الى أبي بصير وقطعوا الطريق على قريش حتى كتبت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم تسأله بالارحام أن يأويهم عنده كما سيأتي ثم ان سهيل بن عمرو له ابن آخر اسمه عبد الله بن سهيل أسلم قديما وأسرا وخرج مع المشركين يوم بدر فلما وصلوا بدرا خرج من بينهم ودخل في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وشهد بدرا والمشاهد كلها وأما أبو جندل فاسمه العاص كما تقدم وأول مشهد شهده فتح مكة ثم ان قريشا أرسلت عثمان بن عفان رضي الله عنه وبهذا يعلم ان بيعة الرضوان كانت قبل الصلح وانها السبب الباعث لقريش عليه وقد وقع في المواهب ما يقتضي ان البيعة كانت بعد الصلح وان الكتاب الذي ذهب به عثمان كان متضمنا للصلح الذي وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو وحبست قريش عثمان رضي الله عنه فحبس صلى الله عليه وسلم سهيلا قال الحلبي ولا يخفى ما فيه ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح أشهد عليه رجالا من المسلمين وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهم ومن المشركين حويطب بن

عبد العزى ومكرز بن حفص وما تم هذا الصلح الا بعد توقف كثير من المسلمين فيه وصاروا يراجعون
النبي صلى الله عليه وسلم ويسألونه أن لا يوافق على تلك الشروط لاسيما عمر رضي الله عنه
فانه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وراجعه كثيرا كما تقدم ومن مراجعته انه قال له ألست نبي الله
حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قال أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار
قال بلى قال فلم نعطي الدنية أي الحالة الدنية الخسيسة في ديننا اذا ونرجع ولم يحكم الله بيننا فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم اني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت
فنطوف به أي للرؤيا التي رآها قال بلى أفأخبرتك انا نأتيه هذا العام قال لا قال صلى الله عليه وسلم فانك
آتيه ومطوف به أي وكذلك الصحابة رضي الله عنهم لانه كان صلى الله عليه وسلم أخبرهم بأنه رأى انهم
يدخلون المسجد الحرام ويطوفون بالبيت ووعدهم بذلك فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم
حتى كادوا يهلكون وشق عليهم قال عمر رضي الله عنه لقد دخلني أمر عظيم وراجعت النبي صلى الله
عليه وسلم مراجعة ما راجعته مثلها قط حتى قال لي أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ألا تسمع يا ابن
الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يقول تعوذ بالله من الشيطان الرجيم فجعلت أتعوذ
بالله من الشيطان الرجيم وروى البزار عن عمر رضي الله عنه اتهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني
أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيي وما ألوت عن الحق فرضي صلى الله عليه وسلم وأبيت
حتى قال يا عمر تراني رضيت وتأبى وفي رواية قال يا ابن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله فرجع
متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا
على الباطل قال بلى قال فلم نعطي الدنية في ديننا اذا فقال أبو بكر أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصي
ربه فاستمسك بغرزه أي ركابه أي لا تفارقه فوالله انه على الحق قال قلت أوليس كان يحدثنا انا
سنأتي البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به فأجابه بمثل
ما أجابه النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان هذه الرواية مصرحة بأن اتيانه لابي بكر كان بعد اتيانه النبي
صلى الله عليه وسلم وتقدمت رواية صحيحة بأن ذلك كان قبل اتيانه صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع
بأن تلك المراجعة تكررت خلافا لابي بكر وراجعه قبل وبعد ودل جواب أبي بكر الموافق لجواب النبي
صلى الله عليه وسلم على ان أبا بكر رضي الله عنه أكمل الصحابة علما وأعرفهم بأحوال النبي صلى الله
عليه وسلم وأعلمهم بأمور الدين وأشدهم موافقة لامر الله تعالى فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم
فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه وزيادته في كل ذلك على غيره وقد جاء في بعض الروايات
ان المسلمين استكروا الصلح المذكور وكانوا على رأي عمر رضي الله عنه وعمهم فلم يوافقهم أبو بكر رضي الله
عنه بل كان قلبه على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء ومر في الهجرة ان ابن الدغنة وصفه
بمثل ما وصفت به خديجة النبي صلى الله عليه وسلم سواء من كونه يصل الرحم ويحمل الكل ويعين على
نوائب الحق وغير ذلك فلما تشابهت صفاتهما من الابتداء استمر ذلك الى الانتهاء وجلالة قدر أبي بكر
وسعة علمه عند عمر رضي الله عنه لم يراجع عمر في ذلك أحدا بعده صلى الله عليه وسلم أو قبله غير
الصديق وانما سأله بعد سؤال المصطفى صلى الله عليه وسلم لشدة ما حصل لعمر رضي الله عنه من الغيظ
ولقوته في نصر الدين واذلال الكافرين قال العلماء لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه شكا في الدين
حاشاه رضي الله عنه وفي رواية ابن اسحاق أنه لما قال له الزم غرزه فانه رسول الله قال عمر وأنا أشهد أنه
رسول الله بل كان سؤاله طلبا لكشف ما خفي عليه من المصلحة وحثا على اذلال الكفار وظهور
الاسلام كما عرف في خلافته وقوته في نصر الدين واذلال المبطلين ففي ذلك دليل على جواز البحث في العلم

حتى يظهر المعنى وفى البخارى قال عمر رضى الله عنه فعملت لذلك اعمالا وفى ابن اسحاق فما زلت اتصدق واصوم واصلى واعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمت به حين رجوت أن يكون خيرا وعند الواحدى عن ابن عباس رضى الله عنهما لقد أعتقت بسبب ذلك رقابا وصمت دهرا وانما عمل ذلك لتوقفه عن المبادرة بامتثال الامر وان كان معذورا فى جميع ماصدر منه بل مأجورا لانه مجتهد وانما توقف لتظهر له الحكمة وتنكشف عنه الشبهة *ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح والاشهاد وتوجه سهيل بن عمرو ومن معه بالكتاب قام صلى الله عليه وسلم الى هديه فنحره ومن جملته جمل كان لابى جهل نجيب مهرى غنمه المسلمون منه يوم بدر ثم صار له صلى الله عليه وسلم وكان يضرب فى لقاحه صلى الله عليه وسلم وفى رأسه برة أى حلقة من فضة وقيل من ذهب وانما أدخله صلى الله عليه وسلم فى الهدى ليكون فى ذبحه اغاظة للمشركين وكان قد فر هذا الجمل من الحديبية ودخل مكة وانتهى الى دار أبى جهل وخرج فى أثره عمرو بن غنمة الانصارى فأبى سفهاء مكة أن يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه ودفعوا فيه عدة نياب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انا سميناه فى الهدى فعلنا وفى لفظ قال لهم سهيل بن عمرو ان تريدوه فاعرضوا على محمد مائة من الابل فان قبلها فأمسكوا هذا الجمل والا فلا تتعرضوا له فعرضوا ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فأبى وقال لو لم يكن هذا الجمل للهدى لقبلت المائة فردوه اليه فنحره وفرق لحمه ولحم بقية الهدى على الفقراء الذين حضروا الحديبية وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث الى مكة عشرين بدنة مع ناجية رجل من أسلم وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعد فراغهم من الكتاب أمرهم بالنحر والحلق ثلاث مرات فلم يقم منهم أحد فدخل على أم سلمة رضى الله عنها وهو شديد الغضب فاضطجع فقالت ماشأنك يارسول الله فذكر لها مالقى من الناس وقال لها هلك المسلمون أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا وفى لفظ قال عجبا ياأم سلمة ألا ترين الى الناس آمرهم بالامر فلا يفعلونه قلت لهم انحروا واحلقوا وحلوا مرارا فلم يجبنى أحد من الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامى وينظرون وجهى فقالت يارسول الله لاتلمهم فانهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح ثم أشارت اليه أن يخرج ولا يكلم أحدا منهم وينحر بدنه ويحلق رأسه ففعل ذلك أى أخذ الحربة وقصد هديه وأهوى بالحربة الى البدنة رافعا صوته بسم الله والله أكبر ثم دخل قبة له من أدم ودعا بخراش الخزاعى فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة فأخذه الناس وتحاصوه وأخذت أم عمارة رضى الله عنها طاقات منه فكانت تغسله للمريض وتسقيه فيبرأ وكانت بدنه صلى الله عليه وسلم التى نحرها بالحديبية سبعين ولما رآه الناس نحر وحلق قاموا ونحروا وحلقوا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا للازدحام وارادة التعجيل اقتداء به صلى الله عليه وسلم وكان نحرهم للهدايا بالحديبية وهى فى الحرم فى قول مالك رضى الله عنه وبعضها فى الحل وبعضها فى الحرم فى قول الشافعى رضى الله عنه وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم امر بالهدى فساقه المسلمون الى جهة الحرم فقام اليه مشركو قريش فحبسوه فأمر صلى الله عليه وسلم بنحره وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما صدت الهدايا عن البيت حنت كما تحن الى أولادها فنحر صلى الله عليه وسلم بدنه حيث حبسوه وهى الحديبية والمراد نحر أكثره فلا ينافى مارواه ابن سعد عن جابر رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هديه بعشرين بدنة لتنحر عنه عند المروة مع رجل من أسلم وبعث الله ريحا فحملت شعورهم فألقتها فى الحرم جبرا لهم فى صدهم عن البيت فاستبشروا بقبول عمرتهم *قال الزرقانى ولعل المراد غير شعره صلى الله عليه وسلم أى لانه أخذه المسلمون كما تقدم ويحتمل أنهم أخذوا أكثره وألقت الريح باقيه فى الحرم وحلق رجال

ونصر آخرون تقال صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين قال والمقصرين وفي رواية وقال في الرابعة والمقصرين وانما توقف الصحابة رضي الله عنهم بعد الامر لاحتمال أنه للندب أو لرجاء نزول الوحي بابطال الصلح أو تخصيصه بعن أذن لهم في دخول مكة ذلك العام لاتمام نسكهم وساغ ذلك لهم لانه زمان وقوع النسخ ويحتمل أن صورة الحال أبهتهم فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند نفوسهم مع ظهور قوتهم واعتقادهم القدرة على قضاء نسكهم بالغلبة أو لان الامر المطلق لا يقتضي الفور ويحتمل مجموع هذه الامور لمجموعهم أو فهموا أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتحلل أخذا بالرخصة في حقهم وأنه هو يستمر على الاحرام أخذا بالعزيمة في حق نفسه فأشارت اليه أم سلمة بالتحلل لينتفي هذا الاحتمال ففعله فلما رأوه بادروا الى فعل ما أمرهم به اذ لم تبق غاية ينتظرونها ونظيره ما وقع لهم في غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر في رمضان فأبوا حتى شرب فشربوا وفي سؤاله أم سلمة رضي الله عنها فضيلة أمر المشورة ومشاورة المرأة الفاضلة وفضل أم سلمة رضي الله عنها ووفور عقلها حتى قال امام الحرمين لانعلم امرأة أشارت برأي فأصابت الا أم سلمة قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري واستدرك عليه بعضهم بنت شعيب في أمر موسى عليهما الصلاة والسلام أي حيث قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وفي قصة بيعة الرضوان دليل على فضل الصحابة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة الآية وفي الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير أهل الارض وأخرج مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية وروى أحمد باسناد حسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لما كان بالحديبية قال صلى الله عليه وسلم لا توقدوا نارا بليل فلما كان بعد ذلك قال أوقدوا واصطنعوا فانه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم وفي مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة وقد قدح بعض الرافضة لعنهم الله تعالى على عثمان رضي الله عنه أنه لم يحضر هذه البيعة كما أنه لم يحضر غزوة بدر وأجيب بأن هذه البيعة انما كانت لاجله لما أشاعوا موته وغيبته انما هي لامتثاله أمر الله ورسوله وبايع عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه عن عثمان وضرب بيده على الاخرى ولما رجع بايع كما تقدم فهو من جملة من بايع بيعة الرضوان فاخراجه غلط ظاهر وأما عدم حضوره غزوة بدر فكان بأمر النبي صلى الله عليه وسلم لاجل تمريض ابنته رقية رضي الله عنها وقد عده صلى الله عليه وسلم من أهل بدر وضرب له بسهم معهم فهو معدود من البدريين فاخراجه غلط ظاهر ودل قوله لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة انهم مبشرون بالجنة وأما قولهم العشرة المبشرون بالجنة فالمراد انهم ذكروا بأسمائهم في حديث واحد حيث قال أبو بكر في الجنة الى آخرهم قال ابن عبد البر ليس في الغزوات ما يعدل بدرا أو يقرب منها الا الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان قال الزرقاني لكن قال غيره الراجح تقديم أحد على الحديبية وأنها التي تلي غزوة بدر في الفضل وكانت اقامته صلى الله عليه وسلم بالحديبية بضعة عشر يوما وقيل عشرين يوما وقال بعضهم كانت مدة غزوته هذه كلها شهرا ونصفا ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفي نفوس أصحابه رضي الله عنهم شيء من عدم الفتح الذي كانوا لا يشكون فيه فأنزل الله تعالى سورة الفتح بين مكة والمدينة بكراع الغميم وقال ابن اسحاق نزلت وهو بضجنان بفتح الضاد المعجمة وسكون الجيم ونونين بينهما ألف جبل على بريد من مكة وفي البخاري عن عمر رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على سورة هي أحب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا واختلف الناس في المراد من

الفتح فقال ابن عباس وأنس والبراء بن عازب رضي الله عنهم الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح قال الحافظ ابن حجر ان الفتح في اللغة فتح المغلق والصلح كان مغلقا حتى فتحه الله وكان من أسباب فتحه صد المسلمين عن البيت فكانت الصورة الظاهرة ضيما للمسلمين والباطنة عزا لهم فان الناس للأمن الذي وقع فيهم اختلط بعضهم ببعض من غير نكير وأسمع المسلمون المشركين القرآن وناظروهم على الاسلام جهرة آمنين وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك الا خفية فظهر من كان يخفي اسلامه فذل المشركون من حيث أرادوا العزة وقهروا من حيث أرادوا الغلبة بعد ان كان المنافقون يظنون أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا أي حسبوا أنهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم وقيل الفتح المراد هو فتح مكة فنزلت السورة عند مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها وعبر فيه بالماضي لتحقق وقوعه وفيه من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر به ما لا يخفى وقيل المعنى قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة ان تدخلها أنت وأصحابك قابلا من الفتاحة وهي الحكومة وفي الصحيح عن البراء رضي الله عنه قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان قال الحافظ ابن حجر يعني بالفتح قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا وقد وقع فيه اختلاف قديم والتحقيق أنه يختلف باختلاف المراد من الآيات فالمراد بقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا فتح الحديبية لما ترتب على الصلح من الامن ورفع الحرب وتمكن من كان يخشى الدخول في الاسلام والوصول الى المدينة منهما وتتابع الامر الى ان كمل الفتح أي بفتح مكة وأما قوله تعالى وأثابهم فتحا قريبا فالمراد به فتح خيبر على الصحيح لانها هي التي وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين قال تعالى ومغانم كثيرة يأخذونها وروى الامام أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية الانصاري الاوسي رضي الله عنه قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا منها وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم وهو موضع امام عسفان وقد جمع الناس وقرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رجل يا رسول الله أو فتح هو قال اي والذي نفسي بيده انه لفتح وعند ابن سعد فلما نزل بها جبريل عليه السلام قال نهنيك يا رسول الله فلما هناه جبريل هناه الناس وروى موسى بن عقبة والزهري والبيهقي عن عروة بن الزبير قال أقبل النبي صلى الله عليه وسلم راجعا فقال رجل من أصحابه ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا ورد صلى الله عليه وسلم رجلين من المؤمنين كانا خرجا اليه فبلغه صلى الله عليه وسلم قول ذلك الرجل فقال بئس الكلام بل هو أعظم الفتح قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويسألوكم القضية ويرغبون اليكم في الامان ولقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين فهو أعظم الفتوح أنسيتم يوم أحد اذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم أنسيتم يوم الاحزاب اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فقال المسلمون صدق الله ورسوله هو أعظم الفتوح والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولأنت أعلم بالله وامره منا وروى سعيد بن منصور باسناد صحيح عن الشعبي في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال لم يكن في الاسلام فتح قبله أعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضع الحرب وأمن الناس بعضهم بعضا والتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة لم يكلم أحد ذو عقل في تلك المدة بالاسلام الا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الاسلام قبل ذلك أو أكثر ويدل عليه أنه صلى الله عليه وسلم خرج في الحديبية في ألف وأربعمائة ثم خرج بعد سنتين الى فتح مكة في عشرة آلاف ومما ظهر من مصلحة الصلح انه كان مقدمة بين يدي الفتح الاعظم الذي دخل الناس عقبه في دين الله أفواجا فكانت قصة الحديبية مقدمة الفتح فسميت فتحا اذ مقدمة الظهور ظهور وجاء

انهم فى مدة اقامتهم بالحديبية حصلت للناس مجاعة فقالوا يارسول الله جهدنا أى أصابنا الجهد وهو المشقة من الجوع وفى الناس ظهر أى ابل فانحره لنا فلنأكل من لحمه ولندهن من شحمه ولنحتذى من جلوده فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله لا تفعل فان الناس ان يكن فيهم بقية ظهر أمثل كيف بنا اذا لقينا عدونا غدا جياعا رجالا ولكن ان رأيت أن تدعوا الناس الى أن يجمعوا بقايا أزوادهم ثم تدعوا لهم فيها بالبركة فان الله سيبلغها بدعوتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابسطوا أنطاعكم وعباءكم ففعلوا ثم قال من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثره ودعا لهم ثم قال قربوا أوعيتكم فأخذوا ماشاء الله وملؤا أوعيتهم وأكلوا حتى شبعوا وبقى مثله وفى مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فأصابنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا فأمرنا النبى صلى الله عليه وسلم فجمعنا أزوادنا فبسطنا له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع فكان كربضة العنز أى كقدر العنز وهى رابضة أى باركة وكنا أربع عشرة مائة وأكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جربنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فقال أشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله لا يلقى الله عبد مؤمن بهما الا حجب من النار وقال صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه هل من وضوء بفتح الواو وهو ماينوضأ به فجاء رجل باداوة وهى الركوة فيها نطفة من ماء أى قليل من ماء وقيل للماء اليسير نطفة لانه ينطف أى يصب فأفرغها فى قدح ووضع راحته الشريفة صلى الله عليه وسلم فى ذلك الماء فتوضأنا كلنا أى الاربعة عشر مائة ندغفقه دغفقة أى نصبه صبا شديدا وذكر بعض المفسرين فى قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون أنه صلى الله عليه وسلم رأى وهو بالحديبية أن يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فأخبرهم بذلك فلما صدوا قالوا له أين رؤياك يارسول الله فأنزل الله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية قال الحلبى فى السيرة ولا يخالف هذا ما تقدم أن الرؤيا المذكورة كانت بالمدينة وأنها السبب الحامل على الاحرام بالعمرة لجواز تكرر الرؤيا وذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة عام القضية وحلق رأسه قال هذا الذى وعدتكم فلما كان يوم الفتح وأخذ المفتاح قال ادعوا لى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال هذا الذى قلت لكم ولما كان فى حجة الوداع ووقف بعرفة قال هذا الذى قلت لكم فان قيل انه لم يذكر فى الرؤيا أنه أخذ المفتاح ولا أن يقف بعرفة أجيب بأنه يجوز أن يكون أخبر بذلك بعد الرؤيا أوان المراد من ذلك مجرد دخوله والله أعلم والشجرة التى كانت البيعة عندها بلغ عمر رضى الله عنه فى خلافته ان ناسا يصلون عندها ويطوفون بها فخاف رضى الله عنه من اتساع الامر وظهور البدعة وان تعبد كالاصنام فأمر بها فقطعت ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة هاجرت اليه أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنها وكانت أسلمت بمكة وبايعت قبل أن يهاجر صلى الله عليه وسلم ثم خرجت فى مدة الصلح مهاجرة ماشية على قدميها من مكة الى المدينة وصحبت رجلا من خزاعة حتى قدمت المدينة وهى أخت عثمان بن عفان رضى الله عنه لامه لان أم عثمان رضى الله عنه تزوجها بعد أبى عثمان عقبة بن أبى معيط فولدت له الوليد بن عقبة وأم كلثوم بنت عقبة وذكر بعضهم أنها أول امرأة هاجرت وفيه نظر ولما قدمت المدينة دخلت على أم سلمة رضى الله عنها وأعلمتها أنها جاءت مهاجرة وتخوفت أن يردها رسول الله صلى الله عليه وسلم عملا بالشرط فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضى الله عنها أعلمته فرحب بأم كلثوم فخرج اخواها عمارة والوليد فى ردها بالعهد فقالا يا محمد أوف لنا بما عاهدتنا عليه فقالت يارسول الله أنا امرأة وحال النساء الضعف أفتردنى الى الكفار يفتنونى عن دينى ولا صبر لى فنزل القرآن بأن النساء المؤمنات لا يرجعن وان

الشرط فى الرجال فقط وان النساء يمتحن قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الآية فأبى صلى الله عليه وسلم أن يرجعها اليهم وكان الامتحان ان تستحلف المرأة المهاجرة أنها ما هاجرت ناشزا ولا هاجرت الا لله ورسوله وفى رواية كانت المرأة اذا جاءت حلفها عمر بالله أنها ماخرجت رغبة بأرض عن أرض وبالله ماخرجت من بغض زوج وبالله ماخرجت لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين وبالله ماخرجت الا حبا لله ولرسوله فاذا حلفت لم ترد ويرد صداقها الى بعلها فلما رجع الوليد وعمارة مكة أخبرا قريشا بذلك فرضوا بذلك ولم يكن لام كلثوم زوج بمكة فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة رضى الله عنه فكان صلى الله عليه وسلم فى مدة الصلح يرد الرجال ولا يرد النساء بعد امتحانهن وممن جاء من الرجال الى النبى صلى الله عليه وسلم أبو بصير وكان مسلما بمكة فحبسوه فهرب حتى وصل الى المدينة فكتب فى رده أزهر بن عبد عوف وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وهو من الطلقاء يوم الفتح وهو عم عبد الرحمن بن عوف والاخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه كتابا وبعثا به رجلا من بنى عامر يقال له خنيس ومعه مولى يهديه الطريق فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقرأه أبى بن كعب رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه قد عرفت ماشارطناك عليه من رد من قدم عليك من أصحابنا فابعث الينا بصاحبنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم ماعلمت ولا يصلح فى ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك فقال يارسول الله أتردنى الى المشركين يفتنونى فى دينى قال يا أبا بصير انطلق فان الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق معهما وصار المسلمون يقولون له الرجل يكون خيرا من ألف رجل يريدون بذلك اغراءه على من معه حتى اذا كان بذى الحليفة جلس الى جدار ومعه صاحباه فقال أبو بصير لاحد صاحبيه ومعه سيفه أصارم سيفك هذا يا أخا بنى عامر فقال نعم انظر اليه ان شئت فاستله العامرى ثم هزه وقال لاضربن بسيفى هذا فى الاوس والخزرج يوما الى الليل فقال له أبو بصير ناولنيه انظر اليه فناوله فلما قبض عليه ضربه به حتى برد يعنى مات ثم طلب المولى الذى كان معه يهديه الطريق فوجده قد خرج سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحصى يطن تحت قدميه وفى لفظ يطير من تحت قدميه من شدة عدوه وأبو بصير فى أثره قد أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الرجل قد رأى فزعا وفى رواية ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد قال له ويحك مالك قال قتل صاحبكم صاحبى وأفلت منه ولم أكذب انى لمقتول واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فاذا أبو بصير أناخ بعير العامرى بباب المسجد ودخل متوشحا السيف وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفت ذمتك وأدى الله عنك أسلمتنى بيد القوم وقد امتنعت بدينى ان أفتن فيه فقال اذهب حيث شئت فقال يارسول الله هذا سلب العامرى الذى قتلته رحله وسيفه فخمسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خمسته رأونى لم أوف لهم بالذى عاهدتهم عليه ولكن شأنك بسلب صاحبك وعند ذلك ذهب أبو بصير الى محل من طريق الشام تمر به ذو والميرة واجتمع اليه جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة فكانوا يتسللون اليه وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو الذى رده صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وخرج من مكة فى سبعين راكبا أسلموا فلحقوا بأبى بصير وكرهوا أن يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مدة الهدنة خوفا من أن يردهم الى أهلهم وانضم اليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائف من العرب ممن أسلم حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل فقطعوا مارة قريش لا يظفرون بأحد منهم الا قتلوه ولا تمر بهم عير الا أخذوها حتى كتبت قريش له صلى الله عليه

وسلم تسأله بالأرحام الا آواهم ولا حاجة لهم بهم وفي رواية أن قريشا أرسلت أبا سفيان بن حرب في ذلك وأن قريشا أسقطت هذا الشرط وقالت ان هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح اقراره فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي جندل وأبي بصير أن يقدما عليه وأن من معهم من المسلمين يلحقوا ببلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لاحد ممن مر بهم من قريش ولا لعيرهم فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما وأبو بصير مشرف على الموت لمرض حصل له فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده يقرؤه فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ناس من أصحابه ورجع باقيهم الى أهليهم وأمنت قريش على عيرهم وتحقق قول النبي صلى الله عليه وسلم سيجعل الله لابي جندل وأصحابه فرجا ومخرجا وعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم الذين صعب عليهم رد أبي جندل الى قريش مع سهيل بن عمرو أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مما أحبوه وأن رأيه أفضل من رأيهم وعلموا بعد ذلك أن المصالحة كانت أولى لهم كما تقدم بيان ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(غزوة خيبر)

وخيبر وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام قال ابن اسحاق أقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ثم خرج صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم الى خيبر سنة سبع وقال ابن عقبة عن الزهري أقام بالمدينة عشرين ليلة أو نحوها وقيل عشر ليال وقيل خمسة عشر يوما وأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة مورعة على حصونها الى أن فتحها في صفر وقيل انها كانت سنة ست وهو منقول عن الامام مالك وبه جزم ابن حزم لكن قال الحافظ ابن حجر الراجح ما ذكره ابن اسحاق وهو قول الجمهور واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي وقيل سباع بن عرفطة ويمكن الجمع بأنه استخلف أحدهما أولا ثم عرض ما يقتضي استخلاف الآخر وكان معه عليه الصلاة والسلام ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس وقد استنفر صلى الله عليه وسلم من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاء المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال لا تخرجوا معي الا راغبين في الجهاد فأما الغنيمة فلا أي فلا تعطوا منها شيئا ثم أمر مناديا ينادي بذلك قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طلحة رضي الله عنه وهو زوج أم أنس رضي الله عنها حين أراد الخروج الى خيبر التمسوا الي غلاما من غلمانكم يخدمني فخرج أبو طلحة مردفي وأنا غلام قد راهقت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل خدمته فسمعته كثيرا ما يقول اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال قال الحلبي وهذا السياق يدل على ان أول خدمة أنس له حينئذ وهو يخالف ما مع انه عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت به أمه وقالت هذا ابني وهو غلام كيس وكان عمره عشر سنين وقيل تسع سنين وقيل ثمان سنين ففي مسلم عن أنس رضي الله عنه قال جاءت بي أمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه فقالت يا رسول الله هذا أنيس ابني أتيتك به ليخدمك فادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وعند غير مسلم وأطل عمره وأدخله الجنة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم انما قال لابي طلحة ما ذكر رجاء أن يأتي له بمن هو أقوى من أنس على السفر شفقة على أنس رضي الله عنه وكان الله قد وعد رسوله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الحديبية في سورة الفتح بمغانم بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها أي مغانم خيبر وخرج معه من نسائه أم سلمة رضي الله عنها وقال صلى الله عليه وسلم في مسيره لعامر بن الاكوع

ثم سلمة بن الاكوع رضى الله عنهما انزل فحدثنا من هنيهاتك أى من أراجيزك واشعارك وفى لفظ أنزل حرك بنا الركاب وكان يحد وحداء حسنا وفى رواية وكان عامر رجلا شاعرا فقال يارسول الله تركت قول الشعر فقال له عمر رضى الله عنه اسمع وأطع فنزل يرتجز ويقول

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما أبقينا * وألقين سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا * انا اذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عوّلوا علينا * ونحن عن فضلك ما استغنينا
ان الذين قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

وعند انشاده الابيات المذكورة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمك ربك وفى رواية غفر لك ربك وما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لاحد فى مثل هذا الموطن الا استشهد فقال عمر رضى الله عنه وجبت أى الشهادة يارسول الله هلا أمتعتنا به أى هلا أخرت الدعاء له بذلك الى وقت آخر فاستشهد رضى الله عنه فى هذه الغزوة رجع اليه سيفه فقتله فانه أراد أن يضرب به ساق يهودى فجاءت ذبابته فى ركبته فمات من ذلك فقال الناس قتله سلاحه وفى رواية قتل نفسه أى فليس بشهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لشهيد وفى رواية قال سلمة بن الاكوع رضى الله عنه يارسول الله فداك أبى وأمى زعموا أن عامرا احبط عمله وفى لفظ يزعم أسيد بن حضير وجماعة من أصحابك ان عامرا احبط عمله اذ قتل بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب من قال ذلك أى أخطأ فى قوله وان له أجرين وجمع بين أصبعيه انه لجاهد مجاهد والجاهد الجاد فى أمره فلما قام به وصفان كان له أجران وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى خيبر ليلا أى قرب منها فنام هو وأصحابه دونها ثم ركبوا اليها بكرة فصبحوها بالقتال وكان صلى الله عليه وسلم اذا أتى قوما بليل لم يغزهم أى لم يسرع بالهجوم عليهم حتى يصبح وينظر فان سمع أذانا كف عنهم والا أغار عليهم فلما أتى خيبر أصبح ولم يسمع أذانا فركب وفى رواية لابن اسحاق أنه صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لاصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا باسم الله وكان يقول هذه الكلمات لكل قرية دخلها فلما أصبح خرجت اليهود الى زروعهم بمساحيهم ومكاتلهم وحكى الواقدى ان أهل خيبر سمعوا بقصده صلى الله عليه وسلم لهم فكانوا يخرجون فى كل يوم عشرة آلاف مقاتل متسلحين مستعدين صفوفا ثم يقولون محمد يغزونا هيهات هيهات حتى اذا كان الليلة التى قدم فيها المسلمون ناموا ولم تتحرك لهم دابة ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس فخرجوا بالمساحى طالبين مزارعهم فوجدوا المسلمين فلما رأوهم قالوا محمد والله والخميس أى جاء محمد أو هذا محمد والله والخميس أى الجيش فقال النبى صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا وفى التنزيل اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا والثلاثة مبدأ الكثرة وصلى الصبح بغلس ثم دفع رايته العقاب الى الحباب بن المنذر رضى الله عنه ودفع راية لسعد بن عبادة رضى الله عنه وذكر ابن اسحاق انه صلى الله عليه وسلم نزل بواد يقال له الرجيع بينهم وبين غطفان لئلا يمدوهم وكانوا حلفاءهم وان غطفان تجهزوا وقصدوا خيبر فسمعوا حسا خلفهم فظنوا ان المسلمين خلفوهم فى ذراريهم فرجعوا وأقاموا وخذلوا أهل خيبر أى تركوهم وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما توجه الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير يقولون الله أكبر

لا اله الا الله فقال صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم أى ارفقوا بأنفسكم لا تبالغوا فى رفع أصواتكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم وجاء ان عبد الله بن أبى ابن سلول أرسل الى يهود خيبر يقول لهم ان محمدا سائر اليكم فخذوا حذركم وأدخلوا أموالكم الى حصونكم واخرجوا الى قتاله ولا تخافوا منه ان عددكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم الا القليل وانما قال صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر لانه لما رأى آلة الهدم وهى المساحى والمكاتل تفاءل بان حصونهم ستخرب ويحتمل ان الله أعلمه بذلك بالوحى وهو الاصح وكان يهود خيبر أدخلوا أموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة وجمعوا المقاتلة فى حصون النطاة وكان النبى صلى الله عليه وسلم نزل قريبا من حصون النطاة فجاء الحباب بن المنذر رضى الله عنه فقال يا رسول الله المنزلت منزلك هذا فان كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم وان كان هو الرأى تكلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرأى فقال يا رسول الله ان أهل النطاة لى بهم معرفة ليس قوم أبعد مدى منهم ولا أعدل رمية منهم وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ولا نأمن من بياتهم يدخلون فى حمر النخل أى النخل المجتمع بعضه على بعض تحول يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرت بالرأى اذا أمسينا ان شاء الله تحولنا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة فقال انظر لنا منزلا بعيدا فطاف محمد وقال يا رسول الله وجدت لك منزلا فقال صلى الله عليه وسلم على بركة الله وتحول لما أمسى وأمر الناس بالتحول وفى لفظ ان راحلته قامت تجر بزمامها فأدركت لترد فقال دعوها فانها مأمورة فلما انتهت الى موضع من الصخرة بركت عندها فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة وتحول الناس اليها واتخذوا ذلك الموضع معسكرا وكان ذلك الموضع حائلا بين أهل خيبر وغطفان وابتنى هنالك مسجدا صلى به طول مقامه بخيبر وأمر بقطع نخيل أهل حصون النطاة فوقع المسلمون فى قطعها حتى قطعوا أربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع فما قطع من نخيل خيبر غيرها وقاتل صلى الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر وهو على فرس يقال له الظرب وفى يده قناة وترس وما قيل انه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته اكاف من ليف فلعله كان فى الطريق أما حال الحرب فانه ركب ذلك الفرس وألح على حصن ناعم بالرمى وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل وهو صلى الله عليه وسلم يقاتل هو وأصحابه ودفع لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئا فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئا وخرجت كتائب يهود يقدمهم رجل منهم يقال له ياسر فكشف الانصار حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موقفه فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسى مهموما وفى ذلك اليوم قتل محمود بن سلمة أخو محمد بن سلمة رضى الله عنهما برحى ألقيت عليه من ذلك الحصن ألقاها عليه مرحب اليهودى وقيل كنانة بن الربيع اليهودى ويحتمل أنهما اجتمعا فى ذلك وكان محمود بن مسلمة قد حارب حتى أعياه الحرب وثقل السلاح وكان الحر شديدا فانحاز الى ظل ذلك الحصن فألقى عليه حجر الرحى فهشم البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأدركه المسلمون فأتوا به النبى صلى الله عليه وسلم فسوى الجلدة الى مكانها وعصبه بخرقة فمات من شدة الجراحة فجاء أخوه محمد بن مسلمة رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان اليهود قتلوا أخى محمود ابن مسلمة فقال صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فانكم لا تدرون ما تبتلون به فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما يقتلهم أنت ثم الزموا الارض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا ومكث صلى الله عليه وسلم سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاة يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان بن عفان رضى الله عنه فاذا

أسى رجع الى ذلك المحل ومن جرح من المسلمين يحمل الى ذلك المحل ليداوى جرحه وكان بنا وب بين أصحابه فى حراسة الليل فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل عمر رضى الله عنه فطاف عمر رضى الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم فأتى برجل من يهود خيبر فى جوف الليل فأمر عمر رضى الله عنه بضرب عنقه فقال اذهب بى الى نبيكم حتى أكلمه فأمسك عنه وانتهى به الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يصلى فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام عمر رضى الله عنه فلما سلم من صلاته أدخله عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى ماوراءك قال تؤمنى يا أبا القاسم قال نعم قال خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن فى هذه الليلة قال فأين يذهبون قال الى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيؤن للقتال والمراد ما أبقوه من ذراريهم فلا ينافى ماتقدم انهم أدخلوا أموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة وأخبره ان فى هذا الحصن يعنى حصن الصعب من حصون النطاة فى بيت فيه تحت الارض منجنيقا ودبابات ودروعا وسيوفا فاذا دخلت الحصن غدا وأنت تدخله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله قال اليهودى ان شاء الله أوقفتك عليه فانه لايعرفه غيرى وأخرى قيل وماهى قال ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك وكذلك تفعل بحصون الكتيبة ثم قال يا أبا القاسم احقن دمى قال أنت آمن قال ولى زوجة فهبها لى قال هى لك ثم دعاه الى الاسلام فقال أنظرنى وكان صلى الله عليه وسلم تأخذه الشقيقة فى بعض تلك الايام فبعث أناسا من أصحابه فلم يكن فتح ثم قال صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضى الله عنه لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لايولى الدبر يفتح الله عز وجل على يديه فيمكنه الله من قاتل أخيك وعند ذلك لم يكن أحد من الصحابة له منزلة عند النبى صلى الله عليه وسلم الا ورجا أن يعطاها وفى رواية فبات الناس يخوضون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال ما أحببت الامارة الا ذلك اليوم ويروى ان عليا رضى الله عنه لما بلغه مقالته صلى الله عليه وسلم قال اللهم لامعطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت فبعث صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه وكان أرمد شديد الرمد وكان قد تخلف بالمدينة ثم لحق بالقوم فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم انه يشتكى عينيه فقال من يأتينى به فذهب اليه سلمة بن الاكوع رضى الله عنه وأخذ بيده يقوده حتى أتى به النبى صلى الله عليه وسلم وقد عصب عينيه فعقد له لواءه الابيض قال ابن اسحاق لم تكن الرايات الا يوم خيبر فانه صلى الله عليه وسلم فرق الرايات يومئذ بين أبى بكر وعمر والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة رضى الله عنهم وانما كانت الالوية وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء من برد لعائشة رضى الله عنها وفى سيرة الحافظ الدمياطى وكانت له راية سوداء وفى رواية بيضاء وربما جعل فيها الاسود ولعل السواد كان كتابة فى ذلك اللواء ولعل هذا اللواء الذى فيه الاسود هو المعنى بما جاء فى بعض الروايات كان له لواء أبيض مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله أى بالسواد فلا تنافى بين الروايات فقال على يارسول الله انى أرمد كما ترى لا أبصر موضع قدمى فوضع رأسه فى حجره صلى الله عليه وسلم ثم بصق صلى الله عليه وسلم فى عينيه وفى رواية فتفل فى كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كان لم يكن بهما وجع وقال على رضى الله عنه فما رمدت بعد يومئذ وفى رواية فما رمدت ولا صدعت وفى لفظ فما اشتكيتهما حتى الساعة وفى هذا السياق لطيفة وهو أن من طلب شيئا أو تعرض لطلبه يحرمه غالبا وأن من لم يطلب الشئ ولا يتعرض لطلبه ربما وصل اليه وقد أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه ذلك أخرعنه

سنة أي وبعد السنة دعاء الملك وتوجه ورداه وقلده بسيفه وأمر له بسرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت وضرب له عليه كلة من استبرق وفرض اليه أمر مصر وقد قيل لو وقعت قلنسوة من السماء لا تقع الا على رأس من لا يريدها ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه وكرم وجهه بقوله اللهم اكفه الحر والبرد قال علي رضي الله عنه فما وجدت بعد ذلك لا حرا ولا بردا فكان رضي الله عنه يلبس في الحر الشديد القباء المحشو الثخين ويلبس في البرد الشديد الثوبين الخفيفين وفي لفظ الثوب الخفيف فلا يبالي بالبرد وكان يفعل ذلك اظهارا لهذه المعجزة وتحقيقا لها وقد يخالف ذلك ما حكاه بعضهم قال دخل رجل على علي رضي الله عنه وهو يرعد تحت سمل قطيفة أي قطيفة خلقة فقال يا أمير المؤمنين ان الله جعل لك في هذا المال وأنت تصنع بنفسك هكذا فقال والله لا أرزأكم من مالكم فانها لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة وقد يقال لا مخالفة لجواز أن تكون رعدته تلك لحمى أصابته في ذلك الوقت لا لشدة البرد كما ظنه السائل وقد أشار صاحب الهمزية الى زوال رمد علي رضي الله عنه ببركة ريق النبي صلى الله عليه وسلم بقوله

وعلي لما تفلت بعينيه * وكلتاهما معا رمداء
فغدا ناظرا بعيني عقاب * في غزاة لها العقاب لواء

ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى عليا رضي الله عنه الراية ليذهب لقتال فقال علي رضي الله عنه أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله في الاسلام فان لم يطيعوا لك بذلك فقاتلهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وفي رواية قال علي كرم الله وجهه علام أقاتلهم قال على أن يشهدوا أن لا اله الا الله واني رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم وأموالهم وفي رواية لما أعطاه الراية قال له امش ولا تلتفت فسار شيئا ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يا رسول الله علام أقاتلهم قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله * وعن حذيفة رضي الله عنه قال لما تهيأ علي رضي الله عنه يوم خيبر للحملة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي والذي نفسي بيده ان معك من لا يخذلك هذا جبريل عن يمينك بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها فأبشر بالرضوان والجنة يا علي انك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم كان يعطي الراية كل يوم واحدا من أصحابه ويبعثه فبعث أبا بكر رضي الله عنه فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الغد فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث رجلا من الانصار فقاتل ورجع ولم يكن فتح فقال عليه الصلاة والسلام لاعطين الراية أي اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه كرار غير فرار فدعا عليا رضي الله عنه وهو أرمد فتفل في عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ودعا له ومن معه بالنصر وفي رواية ألبسه درعه الحديد وشد ذا الفقار الذي هو سيفه في وسطه وأعطاه الراية ووجهه الى الحصن فخرج علي رضي الله عنه يهرول حتى ركزها تحت الحصن فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن فقال من أنت قال علي بن أبي طالب قال اليهودي علوتم والتوراة التي أنزل الله على موسى ثم خرج اليه أهل الحصن وكان أول من خرج اليه الحارث أخو مرحب وكان معروفا بالشجاعة فانكشف المسلمون ووثب علي رضي الله عنه عليه فتضاربا وتقاتلا فقتله علي رضي الله عنه وانهزم اليهود الى الحصن ثم خرج اليه مرحب وفي رواية ان مرحبا لما علم ان أخاه قد قتل خرج سريعا من الحصن وقد لبس درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفرا

وحجرا

وحجر اقد ثقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة اسنان وهو يرتجز ويقول

قد علمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب ٣ * اذا الحروب أقبلت تلهب ٣ فى

فبرز له على رضى الله عنه وهو يقول محرر

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره * اكيلكم بالسيف كيل السندره اهـ

ثم حمل مرحب على على رضى الله عنه وضربه فطرح ترسه من يده فتناول على رضى الله عنه بابا كان هذ
عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ثم ألقاه من يده قاله
وراء ظهره وكان طول الباب ثمانين شبرا ولم يحركه بعد ذلك سبعون رجلا الا بعد جهد ففيه دلالة على
فرط قوة على وكمال شجاعته رضى الله عنه وعن أبى رافع رضى الله عنه لقد رأيتنى فى سبعة نجهد على
أن نقلب ذلك الباب فلم نقدر رواه ابن اسحاق والبيهقى والحاكم وعن أبى جعفر محمد بن على بن
الحسين عن جابر رضى الله عنهم ان عليا رضى الله عنه حمل الباب يوم خيبر وانه جرب بعد ذلك فلم يحمله
أربعون رجلا رواه البيهقى وفى رواية للبيهقى ان عليا رضى الله عنه لما انتهى الى الحصن المسمى
القموص اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالارض فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلا فكان جهدهم
أن أعادوا الباب مكانه وهذا لا يعارض رواية أربعين لانهم عالجوا حمله فما قدروا فتكاملوا سبعين
وأما الرواية السابقة التى فيها لقد رأيتنى فى سبعة فقال الحافظ ابن حجر الجمع بينها وبين رواية الاربعين
ان السبعة عالجوا قلبه والاربعين عالجوا حمله والفرق بين الامرين ظاهر ولو لم يكن الا باختلاف
حال الابطال ثم ان عليا رضى الله عنه ضرب مرحبا فتترس فوقع السيف على الترس فقده وشق المغفر
والحجر الذى تحته والعمامتين وفلق هامته حتى أخذ السيف فى الاضراس والى ذلك أشار بعضهم
وقد أجاد بقوله

وشادن أبصرته مقبلا * فقلت من وجدى به مرحبا
قد فؤادى فى الهوى قدة * قد على فى الوغى مرحبا

وما ذكر من قتل على رضى الله عنه لمرحب هو الصحيح المروى فى صحيح مسلم وغيره وذكر بعض أهل السير
ان الذى قتل مرحبا محمد بن مسلمة رضى الله عنه فقال ان مرحبا طلب المبارزة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لهذا فقال محمد بن مسلمة رضى الله عنه أنا يارسول الله فان أخى قتل بالامس
ولم يأخذ أحد بثاره وكان الذى قتله مرحب فقال قم اليه اللهم أعنه عليه فقام اليه وبارزه فضربه
مرحب فاتقى محمد بن مسلمة ضربته بدرقته فوقع سيف مرحب فيها فعضت عليه وأمسكته فضربه محمد
ابن مسلمة فقتله وفى رواية فضربه فى ساقه فيحتمل انه بارزه وضربه فى ساقه وعلى رضى الله عنه
هو الذى قتله وقيل ان الذى قتله محمد بن مسلمة انما هو الحارث أخو مرحب فاشتبه على بعض الرواة
وكان مكتوبا على سيف مرحب هذا سيف مرحب من يصبه يعطب وقول على رضى الله عنه * أنا الذى
سمتنى أمى حيدره * أراد بذلك اعلام مرحب برؤية رآها علمها على رضى الله عنه مكاشفة وذلك
ان مرحبا رأى تلك الليلة مناما ان أسدا افترسه فأشار بقوله حيدره وهو من أسماء الاسد الى انه الاسد
الذى يفترسه فلما سمع ذلك مرحب ارتعد وضعفت نفسه وهذا الاسم سمت عليا به أمه فاطمة بنت أسد
ابن هاشم أرادت أن يكون اسم ابنها كاسم أبيها وكان أبو طالب غائبا فلما قدم كره ذلك الاسم وسماه
عليا وقيل ان عليا كان يلقب بحيدرة وهو صغير والحيدرة الغليظ القوى فلقب به لكونه كان
عظيم البطن ممتلئا لحما ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز ويقول

قد علمت خيبر انى ياسر * شاكى السلاح بطل مغادر

وكان أيضا من مشاهير فرسان يهود وشجعانهم وهو يقول من يبارز فخرج له الزبير رضي الله عنه
فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها وكانت مع القوم وهي عمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا رسول الله انه يقتل ابني فقال بل ابنك يقتله ان شاء الله تعالى فقتله الزبير وعند ذلك قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم فداك عم وخال لكل نبي حواري وحواري الزبير وذكر الزمخشري
ان هذه الواقعة للزبير كانت في بني قريظة قال انه يعني الزبير أول من استحق السلب وكان ذلك في بني
قريظة برز رجل من العدو فقال رجل ورجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم يا زبير فقالت
أمه صفية رضي الله عنها واحدي يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أيهما علا صاحبه قتله فعلاه
الزبير رضي الله عنه فقتله فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه وقال السلب للقاتل هذا كلامه
قال الحلبي فليتأمل فاني لم أقف في كلام أحد على ان بني قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة وفي رواية
ان القاتل لياسر علي بن أبي طالب ويمكن الجمع بمثل ما تقدم أي من انهما اشتركا في ذلك وكان من
جملة قتلى المسلمين الاسود الراعي كان أجير الرجل من اليهود يرعى له غنما وكان عبدا حبشيا يسمى أسلم
وقيل يسار فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محاصر خيبر وقال يا رسول الله اعرض علي الاسلام
فعرضه عليه فأسلم وفي رواية قال ان أسلمت ماذا لي قال الجنة فأسلم فلما أسلم قال يا رسول الله اني كنت
أجيرا لصاحب هذه الغنم فكيف أصنع بها وفي رواية انها أمانة وهي للناس الشاة والشاتان وأكثر
من ذلك قال اضرب في وجوهها فانها سترجع الى ربها فقام الاسود فأخذ حفنة من حصى فرمى به
وجوهها وقال ارجعي الى صاحبك فوالله لا أصحبك فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت
الحصن ثم تقدم ذلك الاسود فقاتل مع المسلمين فأصابه حجر وفي رواية سهم فقتله ولم يسجد لله سجدة فأتي
به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه فأعرض عنه فقالوا يا رسول الله لم أعرضت
عنه قال ان معه الآن زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان ترب الله من ترب
وجهك وقتل من قتلك زاد في لفظ لقد أكرم الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام من نفسه
حقا ثم ان الله تعالى فتح ذلك الحصن وهو حصن ناعم وهو أول حصن من حصون النطاة على يد علي بن
أبي طالب رضي الله عنه وعن يزيد بن أبي عبيد قال رأيت اثر ضربة بساق سلمة بن الاكوع رضي الله
عنه فقلت ما هذه الضربة قال هذه ضربة أصابتني يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فأتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة رواه البخاري وفي البخاري
أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في رجل ممن يدعي الاسلام انه من
أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراح فكاد بعض الناس يرتاب
أي يشك في قوله صلى الله عليه وسلم انه من أهل النار فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده الى كنانته
فاستخرج منها سهما فنحر نفسه فاشتد رجل من المسلمين وهو أكثم الخزاعي فقال يا رسول الله
صدق الله حديثك انتحر فلان وقتل نفسه فقال صلى الله عليه وسلم قم يا بلال فأذن في الناس انه لا يدخل
الجنة الا مؤمن وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفي رواية عن سهل بن سعد الساعدي
رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا فمال الى عسكره ومال الآخرون الى
عسكرهم وفي أصحابه رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة الا اتبعها يضربها بسيفه فقيل ما أجزى أحد منا
اليوم كما أجزى فلان فقال صلى الله عليه وسلم أما انه من أهل النار فقال رجل من القوم أنا صاحبه
فخرج معه كلما وقف وقف معه واذا أسرع أسرع معه فجرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت
فوضع سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال أشهد انك رسول الله قال وماذاك قال الرجل الذى ذكرت آنفا انه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت فى طلبه ثم جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع سيفه بالارض وذبابه بين ثديه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة تدركه الشقاوة والسعادة عند خروج نفسه فيختم له بها وانما الاعمال بالخواتيم وقوله صلى الله عليه وسلم فى هذا الرجل انه من أهل النار يحتمل أن يكون ذلك النفاق فى قلبه أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم عليه أولانه يرتد بعد ذلك و يستحل قتل نفسه قال العلماء هذا الرجل أعلمنا النبى صلى الله عليه وسلم انه نفذ عليه الوعيد بالنار ولا يلزم منه أن كل من قتل نفسه يقضى عليه بالنار بل يحتمل ان هذا الرجل حين أصابته الجراحة ارتاب وشك فى الايمان أو استحل قتل نفسه فمات كافرا ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وجاء فى رواية أن الذى نادى بلال وفى أخرى عمر بن الخطاب وفى أخرى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم قال الحافظ ابن حجر يجمع بأنهم نادوا جميعا فى جهات مختلفة ثم انه وقع اختلاف بين رواية أبى هريرة وسهل بن سعد رضى الله عنهما فى بعض الالفاظ فقيل ان القصة متعددة فى موطنين لرجلين مختلفين وقيل انها قصة واحدة والاختلاف من تصرف الرواة وسيأتى ان أبا هريرة رضى الله عنه لم يحضر قتال خيبر انما جاء عند قسم غنائمها فلعله سمع القصة من بعض الصحابة رضى الله عنهم ولم يزل القتال بين المسلمين واليهود والمسلمون يفتحون حصونهم حصنا بعد حصن حتى أتموها وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون واستشهد من المسلمين خمسة عشر رجلا وقيل أربع وثلاثون وفتح الله حصون اليهود حصنا حصنا وهى النطاة وتوزن حصاة وحصن الصعب وحصن ناعم وحصن قلعة الزبير بن العوّام نسب اليه لكونه صار فى سهمه بعد وكان فى قلة جبل والشق والقموص وحصن البرى وحصن أبى والوطيح والسلالم وهو حصن ابن أبى الحقيق وأخذ صلى الله عليه وسلم كنز آل أبى الحقيق الذى كان فى مسك أى جلد حمار فلما كثر جعلوه فى مسك ثور فلما كثر جعلوه فى مسك جمل وكانوا قد غيبوه فى خربة فدل الله رسوله صلى الله عليه وسلم عليه فأخبر بموضعه وكان من مال بنى النضير الذى حمله حيى بن أخطب لما أجلى عن المدينة روى البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان أهل خيبر شرطوا له صلى الله عليه وسلم أن لا يكتموه شيئا فان فعلوا فلا ذمة لهم فأتى بكنانة والربيع فقال لهما ما فعل مال حيي الذى جاء به من بنى النضير قالا أذهبته الحروب والنفقات فقال العهد قريب والمال أكثر وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم أتى بكنانة وأخيه الربيع وابن عمهما فقال أين آنيتكم التى كنتم تعيرونها أهل مكة قالوا هربنا فلم تزل تضعنا أرض وترفعنا أخرى فذهب منا كل شئ فقال ان كتمتمانى شيئا فاطلعت عليه استحللت به دماءكما وذراريكما فقالا نعم فدعا رجلا من الانصار فقال اذهب الى نخل كذا وكذا فانظر نخلة من فوعة فأتى بما فيها فجاء بالآنية والاموال فقومت بعشرة آلاف دينار فضرب عنقهما وسبى أهليهما بالنكث الذى نكثاه وفى رواية أن كنانة جحد أن يكون يعلم مكان الكنز فدفعه صلى الله عليه وسلم الى الزبير فمسه بعذاب فقال رأيت حييا يطوف فى خربة ههنا ففتشوها فوجدوا المسك فقتل ابن أبى الحقيق وأصاب المسلمين مجاعة قبل فتح الحصون وأرسلت أسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بن حارثة وأمرته أن يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أسلم يقرؤنك السلام و يقولون أجهدنا الجوع فلامهم رجل وقال من بين العرب تصنعون هذا فقال هند بن حارثة أخو أسماء والله انى

الا رجوا أن يكون البعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاح الخيرفخاء أسماء وبلغه ما قالت أسلم منها أسماء أي قال اللهم انك قد عرفت حالهم وان ليست بهم قوة وان ليس بيدى شئ أعطيهم اياه وقال اللهم افتح أكثر الحصون طعاما وودكا ودفع اللواء للحباب بن المنذر وندب الناس ففتح الله حصن الصعب قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم بعد أن أقاموا على محاصرته يومين وما بخيبر أكثر طعاما منه من شعير وتمر وودك أي سمن وزيت وشحم وماشية ومتاع وكان بهذا الحصن خمسمائة مقاتل وقبل فتحه خرج منه رجل يقال له يوشع مبارز فخرج له الحباب فقتله الحباب فخرج آخر يقال له الذيال فبرز له عمارة بن عقبة الغفاري فقتله وقال خذها وانا الغلام الغفاري فقال الناس حبط جهاده فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك يؤجر ويحمد وحملت يهود حملة منكرة فانكشف المسلمون حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف قد نزل عن فرسه فثبت الحباب بن المنذر رضي الله عنه فحض صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد فأقبلوا وزحف بهم الحباب فانهزمت يهود وأغلقوا الحصن عليهم ثم ان المسلمين اقتحموا الحصن يقتلون ويأسرون فوجدوا في ذلك الحصن من الشعير والتمر والسمن وغيرها شيئا كثيرا ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا واعلفوا ولا تحملوا أي لا تخرجوا به الى بلادكم وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال أصبت من فئ خيبر أي غنيمتها جرابا فاحتملته على عنقي أريد رحلي فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عليها وهو أبو اليسر كعب بن راشد الانصاري رضي الله عنه فأخذ بناصيتي وقال هلم هذا حتى نقسمه بين المسلمين فقلت لا والله لا أعطيك فجعل يجاذبني الجراب فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ثم قال لصاحب الغنائم لا أبا لك خل بينه وبينه فأرسلني فانطلقت به الى رحلي وأصحابي فأكلناه وكل الحصون فتحت عنوة الا حصن الوطيح وحصن سلالم فانهما مكث المسلمون على حصارهما أربعة عشر يوما لم يخرج أحد منهم فهم صلى الله عليه وسلم أن يحمل عليهم وان ينصب عليهم المنجنيق فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم وان لا يصحب أحد منهم الا ثوب واحد فصالحهم على ذلك وعلى أن ذمة الله تعالى ورسوله بريئة منهم ان كتموه شيئا فتركوا ما لهم من أرض ومال وصفراء وبيضاء والكراع والحلقة والبز الا ثوبا واحدا فمن قال ان خيبر فتحت عنوة حمل على غير هذين الحصنين ومن قال صلحا حمل على هذين ووجدوا في الحصنين المذكورين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها ووجدوا في أثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاءت يهود تطلبها فأمر صلى الله عليه وسلم بدفعها اليهم ثم جمع السبي فجاء دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه فقال يا رسول الله أعطني جارية فقال له صلى الله عليه وسلم اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي وكانت امرأة حسناء تنافس الناس فيها فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله أعطيت دحية صفية سيدة بني قريظة والنضير لا تصلح الا لك فقال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها فأخذ أخت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق زوج صفية وكانت صفية بنت حيي من سبط هارون أخي موسى عليهما السلام فاصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه ثم أعتقها وتزوجها قال في المواهب وانما أخذ صلى الله عليه وسلم صفية لانها بنت ملك من ملوكهم قال الحافظ ابن حجر ولد صفية مائة نبي ومائة ملك ثم صيرها الى نبيه صلى الله عليه وسلم وليس من يوهب لدحية لكثرة من في الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها نسبا وجمالا فلو خصه بها لامكن تغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاصه صلى الله عليه وسلم بها فان في ذلك رضا الجميع

وكانت صفية قبل ذلك رأت أن القمر وقع في حجرها فذكرت ذلك لابيها فلطم وجهها وقال انك لتمدين عنقك الى أن تكوني عند ملك العرب فلم يزل الاثر في وجهها حتى أتي بها صلى الله عليه وسلم فسألها عنه فأخبرته وأخرج ابن أبي عاصم عن أبي برزة رضي الله عنه قال لما نزل صلى الله عليه وسلم خيبر كانت صفية عروسا فرأت في المنام ان الشمس نزلت حتى وقعت في صدرها فقصت ذلك على زوجها فقال ماتمنين الا هذا الملك الذي نزل بنا ولا تنافي لامكان رؤيتها القمر أولا ثم الشمس ثانيا فأخبرت بالمنام الاول أباها وبالثاني زوجها (وفي هذه الغزوة) سمت اليهودية الشاة للنبي صلى الله عليه وسلم وأهدتها اليه واسمها زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم *روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما فتحت خيبر واطمأن صلى الله عليه وسلم بعد فتحها أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فلاك منها مضغة ثم لفظها حين أخبره العظم انها مسمومة وازدرد بشر بن البراء لقمة فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ارفعوا أيديكم ثم قال اجمعوا لي من كان ههنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سائلكم عن شئ فهل أنتم صادقوني عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم فقال من أبوكم فقالوا أبونا فلان أي وانتسبوا الى غير أبيهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل أبوكم فلان قالوا صدقت وبررت ثم قال هل أنتم صادقوني عن شئ ان سألتكم عنه قالوا نعم يا أبا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال لهم صلى الله عليه وسلم من أهل النار قالوا نكون فيها زمانا يسيرا ثم تخلفوننا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها والله لن نخلفكم فيها أبدا ثم قال لهم هل أنتم صادقوني عن الشئ ان سألتكم عنه فقالوا نعم قال هل جعلتم في هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك قالوا أردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك وفي رواية أرسل صلى الله عليه وسلم الى اليهودية فقال هل سممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتني هذه في يدي مشير الذراع قالت نعم قال لها ما حملك على ذلك قالت ان كنت نبيا يطلعك الله وان كنت كاذبا فأريح الناس منك وقد استبان لي أنك صادق وانا أشهدك ومن حضرك اني على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي من أصحابه الذين أكلوا معه بشر بن البراء رضي الله عنه واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة وفي رواية أن اليهودية قبل أن تضع السم جعلت تسأل أي أجزاء الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها الذراع فعمدت الى شاة لها فذبحتها ثم عمدت الى سم يقتل من ساعته بعد أن شاورت يهود على سموم متعددة فعينوا لها هذا السم فسمت الشاة وأكثرت في الذراعين والكتف وجاء ان بشر بن البراء مات بعد حول من تلك الاكلة بسبب ذلك السم فدفع صلى الله عليه وسلم تلك اليهودية لاوليائه فقتلوها فيه وبهذا يجمع بين الروايات المختلفة فان في بعضها انه صلى الله عليه وسلم لم يعاقب تلك اليهودية وفي بعضها انه قتلها فيحمل على قتلها قصاصا في بشر بن البراء وما كان صلى الله عليه وسلم ينتقم لنفسه بل يعفو ويصفح وبعد فتح خيبر قدم من الحبشة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من المسلمين وهم ستة عشر رجلا فتلقى النبي صلى الله عليه وسلم جعفرا وقبل جبهته وعانقه وقام له وقد قام لصفوان بن امية لما قدم عليه ولعدي بن حاتم رضي الله عنهما ثم قال صلى الله عليه وسلم ما أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر وقال صلى الله عليه وسلم لجعفر رضي الله عنه أشبهت خلقي وخلقي فرقص رضي الله عنه من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم رقصه وجعل ذلك أصلا لرقص الصوفية عند ما يجدون من لذة المواجيد في مجالس الذكر والسماع وقدم من الحبشة مع جعفر رضي الله عنه ابو موسى الاشعري رضي الله

وجاء نفر من قومه ففي البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين أنا وأخوان لي أنا أصغرهم أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم في ثلاث أو اثنين وخمسين رجلا من قومي فركبنا سفينة فألقتنا الى النجاشي فوافقنا جعفر بن أبي طالب فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا هنا وأمرنا بالاقامة فأقيموا معنا فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر فأسهم لنا ولم يسهم لاحد غاب عن فتح خيبر منها شيئا الالمن شهدها معه الا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه فانه قسم لهم معنا وكانت أسماء بنت عميس رضي الله عنها متزوجة بجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وولدت له بالحبشة ابنه عبد الله وحين قدمت معه قال لها عمر رضي الله عنه سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم فغضبت وذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليس باحق بي منكم له ولاصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان وعند البيهقي حديث طويل في قصتهم وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال اني لاعرف اصوات رفقة الاشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من اصواتهم بالقرآن بالليل وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الايام أيضا أبو هريرة رضي الله عنه وطائفة من قومه قال أبو هريرة رضي الله عنه قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفاري رضي الله عنه فأخبرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر فزودنا سباع ثم جئنا خيبر وهو محاصر الكثيبة فأقمنا حتى فتح الله وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم حجاج بن علاط السلمي وأسلم وكان مكثرا من المال فقال يارسول الله ان مالي عند امرأتي بمكة ومتفرق في تجار مكة فأذن لي ان آتي مكة لآخذ مالي قبل ان يعلموا باسلامي فلا اقدر على أخذ شئ منه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لا بدلي أن أقول أي خلاف الواقع لاحتال على التوصل لاخذ مالي قال قل قال فخرجت حتى انتهيت الى الحرم فاذا رجال من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر أهل القوة والمنعة بعدما وقع بينهم من المراهنة على مائة بعير في ان النبي صلى الله عليه وسلم يغلب أهل خيبر أولا فقال حويطب بن عبد العزى وجماعة بالاول وقال عباس بن مرداس وجماعة بالثاني فلما جاءهم حجاج قالوا حجاج والله عنده الخبر ولم يكونوا علموا باسلامه ثم قالوا ياحجاج بلغنا ان القاطع يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر فقلت عندي من الخبر مايسركم فاجتمعوا على يقولون ياحجاج ايه فقلت لم يلق محمد وأصحابه قوما يحسنون القتال غير خيبر فهزم هزيمة لم يسمع بمثلها قط وانهم اسروا محمدا وقالوا لانقتله حتى نبعثه الى مكة فنقتله بين اظهرهم وفي لفظ يقتلونه بمن كان أصاب من رجالهم فصاحوا وقالوا لاهل مكة قد جاءكم الخبر هذا محمد انما تنتظرون ان يقدم به عليكم فيقتل بين اظهركم قال حجاج وقلت لهم أعينوني على غرمائي اريد ان اقدم فاصيب من مغانم محمد وأصحابه قبل ان يسبقني التجار الى ماهناك فجمعوا لي مالي على أحسن مايكون ثم فشا الخبر بمكة وأظهر المشركون الفرح والسرور بمكة وحزن من كان بمكة من المسلمين وسمع بذلك العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فجعل لا يستطيع ان يقوم ثم أرسل الى حجاج غلاما وقال قل له يقول لك العباس الله اعلى واجل من ان يكون الذي جئت به حقا فقال له حجاج اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له ليخل لي بعض بيوته لآتيه بالخبر على مايسره واكتم عني فأقبل الغلام فقال أبشر يا أبا الفضل فوثب العباس فرحا كأن لم يكن مسه شئ وأخبره بذلك وأعتق العباس ذلك الغلام وقال لله على عتق عشر رقاب فلما كان الظهر جاءه حجاج فناشده الله ان يكتم عنه ثلاثة ايام وقال اني أخشى الطلب فاذا مضت الثلاث فاظهر امرك فوافقه العباس رضي الله عنه على ذلك

وقال

فقال اني اسلمت وان لي عند امرأتي مالا وديناً على الناس ولو علموا باسلامي لم يدفعوه الي واني تركته رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر وجرت سهام الله وسهام رسوله صلى الله عليه وسلم فيها وتركته عروسا بابنة ملكهم حيي بن اخطب وقتل ابن أبي الحقيق وأخبره الخبر بتمامه فلما امسى حجاج خرج وطالت على العباس رضي الله عنه تلك الليالي الثلاث فلما مضت الثلاث عمد العباس رضي الله عنه الى حلة فلبسها وتخلق بخلوق وأخذ بيده قضيبا ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون لا يصيبك الا خير يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة قال كلا والله الذي حلفتم به لم يصبني الا خير بحمد الله أخبرني حجاج ان خيبر فتحها الله على يد رسوله وجرى فيها سهام الله وسهام رسوله صلى الله عليه وسلم واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت ملكهم حيي بن اخطب لنفسه وانه تركه عروسا بها وانما قال لكم ذلك ليخلص ماله والا فهو ممن أسلم فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين فقال المشركون يا عباد الله انفلت عدو الله يعنون حجاجا أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ولم يلبثوا ان جاءهم الخبر بذلك وقد قسم صلى الله عليه وسلم غنائم خيبر فأعطى الراجل سهما والفارس ثلاثة اسهم بعد ان خمسها خمسة اجزاء ثم دفع صلى الله عليه وسلم لاهل خيبر الارض ليعملوا فيها بشطر ما يخرج منها من ثمر او زرع وقال لهم انا اذا شئنا ان نخرجكم أخرجناكم ثم استمروا على ذلك الى خلافة عمر رضي الله عنه ووقعت منهم خيانة وغدر لبعض المسلمين فاجلاهم الى الشام بعد ان استشار الصحابة رضي الله عنهم في ذلك والله أعلم

(غزوة وادي القرى)

اسم موضع بقرب المدينة كان به جماعة من اليهود روى ابن اسحاق عن أبي هريرة رضي الله عنه لما انصرفنا من خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتينا وادي القرى نزلناها اصيلا مع غروب الشمس وحاصرهم صلى الله عليه وسلم أربعة أيام وهيأ صلى الله عليه وسلم أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه الى سعد بن عبادة رضي الله عنه وراية الى الحباب بن المنذر رضي الله عنه وراية الى سهل بن حنيف رضي الله عنه وراية الى عباد بن بشر رضي الله عنه ثم دعاهم الى الاسلام وأخبرهم انهم ان اسلموا احرزوا أموالهم ودماءهم وحسابهم على الله فبرز رجل منهم فقتله الزبير رضي الله عنه ثم آخر فقتله الزبير أيضا ثم آخر فقتله علي رضي الله عنه ثم آخر فقتله أبو دجانة رضي الله عنه ثم آخر فقتله أبو دجانة أيضا حتى قتل منهم احد عشر رجلا كلما قتل رجل دعا من بقي الى الاسلام حتى أعطوا ما بأيديهم وفتحها صلى الله عليه وسلم عنوة وغنمه الله أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا وقسم ما أصابه على أصحابه وترك الارض والنخل بأيدي يهود وعاملهم عليها وولاها صلى الله عليه وسلم عمرو بن سعيد ابن العاص وصالحه صلى الله عليه وسلم أهل تيماء على الجزية لما بلغهم فتح وادي القرى وولاها صلى الله عليه وسلم يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه وكان اسلامه يوم فتحها وتيماء بلدة معروفة بين المدينة والشام على سبع مراحل من المدينة وصالحه أيضا أهل فدك على ان لهم نصفها وله صلى الله عليه وسلم نصفها فأقرهم على ذلك فكانت له صلى الله عليه وسلم خاصة لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وقدم بعض أهل السير مصالحة أهل فدك على غزوة وادي القرى لانه صالحهم بعد ان فتح خيبر ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة منصورا مؤيدا والله أعلم

(ذكر خمس سرايا بين خيبر وعمرة القضاء)

(سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

الى تربة بسم التاء وفتح الراء وبالموحدة وتاء التأنيث واد بقرب مكة على يومين منها ناحية العبلاء وهو موضع على أربع ليال من مكة وكانت في شعبان سنة سبع بعث صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه ثلاثون رجلا فكان يسير الليل ويكمن النهار فأتى الخبر الى هوازن الى الطائفة التي كانت منهم بتربة فهربوا وجاء عمر رضي الله عنه الى محالهم فلم يلق منهم أحدا بل نزعوا وأخذوا سائر مالهم من نعم وغيرها فانصرف راجعا الى المدينة فلما كان بذي الجدر موضع على ستة أميال من المدينة قال له رجل من بني هلال هل لك في جمع آخر تركته من خثعم سائرين قد أجدبت بلادهم فقال عمر رضي الله عنه لم يأمرني صلى الله عليه وسلم بهم انما أمرني أن أعمد لقتال هوازن بتربة

(ثم سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

الى بني كلاب قبيلة بنجد بناحية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء وكانت في شعبان أيضا سنة سبع ويقال الى بني فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه الى فزارة وخرجت معه حتى اذا صلينا الصبح أمرنا فشنينا الغارة فوردنا الماء وقتل من قتل منهم ورأيت الذراري فخشيت أن يسبقوني الى الجبل فأدركتهم فرميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة وهي أم قرفة عليها قشع من أدم ومعها ابنتها من أحسن العرب فجئت بهم أسوقهم الى أبي بكر رضي الله عنه فنفلني أبو بكر ابنتها فلم أكشف لها ثوبا فقدمنا المدينة فلقيني صلى الله عليه وسلم فقال يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك فقلت هي لك فبعث بها الى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين قال بعضهم ان تسمية المرأة بأم قرفة وهم لان ذلك انما كان في سرية زيد بن حارثة كما تقدم والله أعلم

(ثم سرية بشير بن سعد)

الانصاري الخزرجي رضي الله عنه الى بني مرة بفدك في شعبان أيضا سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا فلما وصلوا الى محل القوم لقوا رعاء الشاء فسألوهم عن الناس فقالوا هم في نواديهم والناس يومئذ شاتون لا يحضرون الماء فاستاق النعم والشاء وانحدر الى المدينة فخرج الصريخ فأخبرهم فأدركه العدد الكثير منهم عند الليل فباتوا يرمونه بالنبل حتى فنيت نبل أصحاب بشير فأصيبوا وولى منهم من ولى وقاتل بشير حتى جرح وصار يرمق فضربوا كعبه اختبارا لحاله أهو حي أم ميت فلما لم يتحرك قالوا قد مات ورجعوا بنعمهم وشائهم وقدم علبة بن زيد رضي الله عنه بخبرهم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدم بعده بشير بن سعد وذلك انه استمر في القتلى حتى أمسى فلما أمسى تحامل حتى انتهى الى فدك فأقام عند يهودها أياما حتى ارتفع من الجراح ثم رجع الى المدينة

(ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه)

الى أهل الميفعة بناحية نجد على ثمانية برد من المدينة في شهر رمضان سنة سبع من الهجرة في مائة وثلاثين راجلا وقيل في مائتين وثلاثين فهجموا عليهم في وسط محالهم فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا نعما وشاء الى المدينة وفي هذه السرية قتل اسامة بن زيد رضي الله عنهما نهيك بن مرداس الاسلمي وقيل الغطفاني بعد أن قال لا اله الا الله محمد رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اسامة من لك بلا اله الا الله فقال يا رسول الله انما قالها تعوذا من القتل قال هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب فقال أسامة لا أقاتل أحدا يشهد أن لا اله الا الله وفي رواية ان قوم مرداس لما

انهزم وابقى وحده وكان ألجأغنمه لجبل فلما لحقوه قال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد رضى الله عنهما فلما رجعوا نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا الآية وقيل ان ذلك فى سرية أخرى سنة ثمان كان اسامة هو أميرها وانه لما قدم المدينة قال له النبى صلى الله عليه وسلم يا اسامة أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قال اسامة قلت يا رسول الله انما كان متعوذا فما زال يكررها أى قوله أقتلته الخ حتى تمنيت انى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم أى لان الاسلام يجب ما قبله فقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم دفع لاهل القتيل ديته وأمر اسامة أن يعتق رقبة والله أعلم

(ثم سرية بشير بن سعد أيضا)

الانصارى رضى الله عنه الى يمن وجبار وهى أرض لغطفان ويقال لفزارة وكانت فى شوال سنة سبع من الهجرة بعثه صلى الله عليه وسلم ومعه ثلثمائة رجل لجمع تجمعوا بأرض غطفان واعدهم عيينة ابن حصن للاغارة على المدينة فساروا الليل وكمنوا النهار فلما بلغهم مسير بشير هربوا وأصاب لهم نعما كثيرة فغنمها ثم لقوا جمع عيينة وهو لا يشعر بهم فناوشوهم ثم انهزم جمع عيينة وتبعهم المسلمون فأسروا منهم رجلين وقدموا بهما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما فأرسلهما والمناوشة تدانى الفريقين وأخذ بعضهم بعضا

(عمرة القضاء)

قال موسى بن عقبة قال ابن شهاب انه صلى الله عليه وسلم خرج فى هلال ذى القعدة سنة سبع معتمرا وأمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التى صدهم المشركون عنها بالحديبية وأمر أن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية وخرج معهم غيرهم أيضا فكانوا ألفين سوى النساء والصبيان واستخلف على المدينة أبارهم كلثوم بن الحصين الغفارى رضى الله عنه وساق معه صلى الله عليه وسلم ستين بدنة وحمل السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فرس وانما فعل ذلك احتياطا وتوثقا خوفا من غدر أهل مكة فلما انتهى الى ذى الحليفة قدم الخيل امامه عليها محمد بن مسلمة رضى الله عنه وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد رضى الله عنه وأحرم صلى الله عليه وسلم وسلك طريق الفرع ولبى ولبى المسلمون معه ومضى محمد بن مسلمة فى الخيل الى مر الظهران فوجد بها نفرا من قريش فسألوه عن سبب مجيئه بالخيل فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله تعالى فأتوا قريشا فأخبروهم ففزعوا وقالوا والله ما أحدثنا حدثا وانا على كتابنا ومدتنا ففيم يغزونا محمد فى أصحابه وبعثوا مكرز بن حفص فى نفر من قريش حتى لقوه صلى الله عليه وسلم ببطن يأجج فى أصحابه والهدى والسلاح قد تلاحق فقالوا والله ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك وقد شرطت لهم أن لا تدخل الا بسلاح المسافر فقال انى لا أدخل عليهم بسلاح فقال مكرز هو الذى تعرف به البر والوفاء ثم رجع بأصحابه الى مكة فقال ان محمدا على الشرط الذى شرط لكم ونزل صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وقدم السلاح الى بطن يأجج موضع على أميال من مكة وخلف عليه أوس بن خولى الانصارى رضى الله عنه فى مائتى رجل حتى قضى الكل مناسك عمرتهم رضى الله عنهم وخرجت قريش من مكة الى رؤس الجبال ولم يقدروا على رؤيته صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه يطوفون بالبيت وفى رواية خرجوا استنكافا أن ينظروا اليه صلى الله عليه وسلم غيظا وحنقا أى حسدا وقدم صلى الله عليه وسلم الهدى أمامه بذى طوى وخرج راكبا ناقته القصواء والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل من الثنية التى تطلعه على الحجون وعبد الله بن رواحة رضى الله عنه آخذ بزمام راحلته

يمشى بين يديه وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

قد أنزل الرحمن فى تنزيله * بأن خير القتل فى سبيله

نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله

يارب انى مؤمن بقيله * انى رأيت الحق فى قبوله

فقال له عمر رضى الله عنه يا ابن رواحة أبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول الشعر فقال له صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهى أى هذه الابيات أى سكايتها فيهم أسرع من نضح النبل وقيل ان قوله نحن ضربناكم على تأويله الخ من قول عمار بن ياسر رضى الله عنهما يوم صفين ولا مانع من ان عبد الله بن رواحة قال ذلك أولا وتمثل به عمار يوم صفين ثم قال صلى الله عليه وسلم لابن رواحة رضى الله عنه قل لا اله الا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فقالها ابن رواحة ثم قالها الناس وفى أمره بذلك زيادة اغاظة للكفار لتأذيهم بها أكثر من الشعر المذكور لاسيما وقد قالوها كلهم معلنين بها ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه وطاف على ناقته وفى رواية ماشيا وهرول ثلاثة أشواط والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم وفى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون انه قدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الاشواط الثلاثة ليرى المشركون قوتهم فقالوا هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى وهنتهم لهؤلاء أجلد من كذا وكذا انهم لينفرون نفر الظبى والمشركون كانوا على جبل قعيقعان فأمرهم أن يمشوا بين الركنين حيث لايراهم قريش لانهم اذا كانوا بين الركنين الشاميين ثم سعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على راحلته وبعد فراغه نحر هديه عند المروة وحلق هناك ثم أمر ناسا من أصحابه أن يذهبوا الى أصحابه ببطن يأجج يقيمون على السلاح ويأتى الآخرون ليقضوا نسكهم ففعلوا وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا كما شرطه قريش فى الهدنة فلما كان الظهر من اليوم الرابع جاء سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى فقالا ننشدك الله والعهد الا ما خرجت من أرضنا فرد عليهما سعد بن عبادة رضى الله عنه فأسكته صلى الله عليه وسلم وأذن بالرحيل قال الحافظ ابن حجر كأنه دخل فى أوائل النهار فلم تكمل الثلاث الا فى مثل ذلك الوقت من نهار الرابع بالتلفيق وكان مجيئهما قرب ذلك الوقت وفى البخارى من حديث البراء فلما دخلها يعنى مكة ومضى الاجل أى الايام الثلاثة أتوا عليا رضى الله عنه فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنها واسمها امامة أو عمارة أو سلمى أو غير ذلك تنادى ياعم ياعم فتناولها على رضى الله عنه وقال لفاطمة رضى الله عنها وهى فى هودجها دونك ابنة عمك وقال على رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهرانى المشركين فلم ينهه فخرج بها ثم اختصم فيها على وجعفر وزيد بن حارثة رضى الله عنهم أى فى أيها تكون عند أيهم وكان ذلك بعد ان قدموا المدينة فقال على رضى الله عنه أنا أخذتها وأخرجتها من بين ظهرانى المشركين وقال جعفر بن أبى طالب هى ابنة عمى وخالتها اسماء بنت عميس تحتى وقال زيد بن حارثة هى ابنة أخى أى لان النبى صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين حمزة رضى الله عنه فكان لكل فيها شبهة فقضى بها النبى صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام وقال لعلى

أنت مني وأنا منك تطييبا لخاطره وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلقي وقال لزيد أنت أخونا ومولانا وانما أقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على اخراجها مع اشتراط المشركين ان يرد اليهم من جاء اليه وان لا يخرج بأحد من أهلها الا انهم لم يطلبوها ولان النساء المؤمنات لم يدخلن في ذلك الشرط وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة رضي الله عنها عند رجوعه وهو حلال بسرف وجاء في رواية انه عقد عليها وهو محرم وبنى بها وهو حلال قال المحققون ان ذلك وهم والصحيح الاول واختلف الناس في تسمية هذه العمرة عمرة القضاء فقال مالك والشافعي والجمهور لانه قاضى قريشا سنة الحديبية فالمراد بالقضاء الفصل الذي وقع عليه الحكم لا لانها قضاء عن العمرة التي صد عنها لانها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة وقال أبو حنيفة واحمد في رواية عنه ان من صد عن البيت فعليه القضاء فتسميتها قضاء على ظاهره والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر خمس سرايا قبل سرية مؤتة سرية الاخرم)

ابن أبي العوجاء السلمي رضي الله عنه الى بني سليم في ذي الحجة سنة سبع في خمسين رجلا فخرج اليهم فعلم بخروجه عين لبني سليم فأخبرهم بخروجه اليهم وحذرهم فجمعوا الا ابن أبي العوجاء جمعا كثيرا فأتاهم وهم معدون له فدعاهم الى الاسلام فقالوا لا حاجة لنا الى ما دعوتنا اليه فتراموا بالنبل ساعة وأتتهم الامداد وأحاط الكفار بالمسلمين من كل ناحية وقاتل القوم قتالا شديدا حتى قتل عامتهم وفي رواية قتلوا جميعا حتى اميرهم وقيل تركوه جريحا ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول يوم من صفر وقيل نجا معه اثنان أو اكثر فعاونوه في الذهاب الى المدينة والله أعلم

(سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه)

الى بني الملوح بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة وسكون التحتية آخره دال وهو ماء بين عسفان وقديد وكانت في صفر سنة ثمان روى ابن اسحاق وغيره عن جندب بن مكيث الجهني رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله على سرية كنت فيها وأمره بشن الغارة على بني الملوح بالكديد فخرجنا حتى اذا كنا بقديد لقينا الحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء فأخذناه فقال اني جئت أريد الاسلام وما خرجت الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له ان تكن مسلما فلن يضرك رباط يوم وليلة وان تك غير ذلك كنا قد استوثقنا منك فشددناه وثاقا ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا اسود وقلنا له ان غازلك فاحتز رأسه ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس فكنا في ناحية الوادي وبعثني أصحابي ربيئة لهم فخرجت حتى أتيت تلا مشرفا على الحاضر فاستندت فيه فعلوت على رأسه فنظرت الى الحاضر فوالله اني لمنبطح على التل اذ خرج رجل من خبائه فقال لامرأته اني لارى على التل سوادا ما رأيته في أول يومي فانظري الى أوعيتك هل تفقدين شيئا لا تكون الكلاب جرت بعضها فنظرت وقالت لا والله افقد شيئا قال فناوليني قوسي وسهمين فناولته فأرسل سهما فما أخطأ بين عيني فنزعته وثبت مكاني فأرسل الآخر فوضعه في منكبي فنزعته ووضعته وثبت مكاني فقال لامرأته لو كان ربيئة لقوم لقد خالطه سهماي لا أبا لك اذا اصبحت فابتغيهما فخذيهما لا تمضغهما الكلاب ثم دخل وأمهلناهم حتى اذا اطمأنوا وناموا وكان في وجه السحر شننا عليهم الغارة فقتلنا منهم واستقنا النعم وخرج صريخ القوم فجاءنا قوم لا قبل لنا بهم فضينا بالنعم ومررنا بابن البرصاء وصاحبه واحتملناهما معنا وأدركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا وبينهم الا الوادي قديد فأرسل الله الوادي بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر فجاء بشئ ليس لاحد به قوة ولا يقدر احد ان

يجاوزه ثم وقفوا ينظرون الينا وانا السوق تهم لا يستطيع رجل منهم ان يعز الينا ونحن نغدو وهما سراعا حتى تناهم فلم يقدروا على طلبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والحارث بن مالك هو ابن البرصا وهى أمه وقيل أم أبيه وهو صحابى رضى الله عنه سكن مكة ثم المدينة وتوفى آخر خلافة معاوية رضى الله عنه وله حديث واحد وهو قوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة رواه الترمذى وابن حبان وصححاه والله أعلم

(اسلام خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة الحجبى وعمرو بن العاص رضى الله عنهم)

قال خالد بن الوليد لما أراد الله عز وجل بى ما أراد من الخير قذف فى قلبى الاسلام وحضرنى رشدى وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم فليس موطن أشهده الا انصرف وانا أرى فى نفسى انى فى غير شئ وان محمدا يظهر فلما جاء لعمرة القضية تغيبت ولم اشهد دخوله فكان أخى الوليد بن الوليد دخل معه فطلبنى فلم يجدنى فكتب الى كتابا فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فانى لم ار أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ومثل الاسلام يجهله احد قد سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك فقال أين خالد فقلت يأتى الله به فقال ما مثله يجهل الاسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره فاستدرك يا أخى ما قد فاتك من مواطن صالحة فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج وزادنى رغبة فى الاسلام وسرتنى مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت فى المنام كأنى فى بلاد ضيقة جدبة فخرجت الى بلاد خضراء واسعة فلما أجمعت على الخروج الى المدينة لقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب اما ترى ان محمدا ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه واتبعناه فان شرفه شرف لنا فقال لو لم يبق غيرى ما اتبعته ابدا فقلت هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر فلقيت عكرمة بن أبى جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذى قال صفوان قلت فاكتم ذكر ما قلت لك قال لا اذكره ثم لقيت عثمان بن طلحة الحجبى قلت هذا لى صديق فأردت ان اذكره ثم ذكرت قتل أبيه طلحة وعمه عثمان واخوته الاربع مسافع والجلاس والحارث وكلاب فانهم قتلوا كلهم يوم احد فكرهت ان اذكره ثم قلت له انما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فاسرع الاجابة وواعدنى ان سبقنى اقام بمحل كذا وان سبقته اليه انتظرته فلم يطلع الفجر حتى التقينا فغدونا حتى انتهينا الى الهدة وهو اسم محل فوجدنا عمرو بن العاص بها فقال مرحبا بالقوم فقلنا وبك قال أين مسيركم قلنا الدخول فى الاسلام قال وذلك الذى أقدمنى وفى لفظ قال عمرو لخالد يا أبا سليمان أين تريد قال والله لقد استقام الميسم أى تبين الطريق وظهر الامر وان هذا الرجل لنبى فاذهب فاسلم فحتى متى قال عمرو وأنا والله ما جئت الا للاسلام فاصطحبا جميعا وحدث عمرو بن العاص رضى الله عنه عن سبب اسلامه كما رواه ابن اسحاق وغيره قال عمرو لما انصرفنا عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيى ويسمعون منى فقلت لهم تعلمون والله ان أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا وقد رأيت أن نلحق بالنجاشى فان ظهر محمد فكوننا تحت يده أحب الينا من يد محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلا يأتينا منهم الا خير قالوا ان هذا الرأى قلت فاجمعوا ما يهدى له وكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا الادم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى رسوله صلى الله عليه وسلم فى شأن جعفر وأصحابه فدخل عليه ثم خرج فقلت لاصحابى هذا عمرو بن أمية لو دخلت على النجاشى فاعطانيه فضربت عنقه لرأت قريش انى أجزت عنها بقتل رسول محمد فدخلت فسجدت له

كما كنت أصنع فقال مرحبا بصديقي أهديت لي من بلادك شيئا قلت له نعم أدما كثيرا وقربته اليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له اني رأيت رسول عدونا خرج من عندك فأعطنيه لاقتله فانه أصاب من أشرافنا وخيارنا فغضب ثم ضرب أنفي ضربة بيده ظننت انه كسره فلو انشقت بي الارض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت أيها الملك والله لو ظننت انك تكره هذا ما سألته قال أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى عليه السلام لتقتله قلت أكذاك هو قال ويحك يا عمرو أطعني واتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قلت أفتبايعني له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبل الفتح فصحبته حتى قدمنا المدينة وفي اسلام عمرو على يد النجاشي لطيفة هي ان صحابيا أسلم على يد تابعي ولا يعرف مثله فلما وصلوا المدينة أناخوا ركابهم بظهر الحرة فأخبر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر بهم وقال لاصحابه رمتكم مكة بأفلاذ كبدها قال خالد فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت أخي فقال أسرع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سر بقدومكم وهو ينتظركم فأسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق فقلت اني أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله قال الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك الا الى خير قلت يا رسول الله ادع الله لي يغفر تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما كان قبله وتقدم عثمان وعمرو فاسلما وفي رواية عن عمرو ابن العاص رضي الله عنه قال قدمنا المدينة فأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودي بالعصر فانطلقنا حتى اطلعنا عليه صلى الله عليه وسلم وان لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ثم تقدمت فوالله ما هو الا أن جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم وما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه قال فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم يحضرني ما تأخر فقال ان الاسلام يجب ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها فوالله ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد في أمر حربه منذ أسلمنا ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة ولقد كنت عند عمر بتلك المنزلة * وروى الزبير بن بكار انهم لما قدموا عليه صلى الله عليه وسلم قال عمرو كنت أسن منهما فأردت أن أكيدهما فقدمتهما قبلي للبيعة فبايعا واشترطا أن يغفر لهما ما تقدم من ذنبهما فأضمرت في نفسي أن أبايع على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر فلما بايعت ذكرت ما تقدم من ذنبي وأنسيت أن أقول وما تأخر وروى الزبير بن بكار ان رجلا قال لعمرو بن العاص رضي الله عنه ما أبطأبك عن الاسلام وأنت أنت في عقلك قال كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا ممن توازي أحلامهم الجبال فلذنا بهم فلما ذهبوا وصار الامر الينا نظرنا وتدبرنا فاذا حق بين فوقع الاسلام في قلبي وكان عمرو رضي الله عنه أمير مصر في خلافة عمر رضي الله عنه وهو أحد دهاة العرب توفي سنة ثلاث وأربعين من الهجرة على الصحيح عن نحو تسعين سنة وروى الخطيب مرفوعا يقدم عليكم الليلة رجل حكيم فقدم عمرو مهاجرا وأما خالد بن الوليد رضي الله عنه فهو أحد الاشراف كانت اليه أعنة الخيل في الجاهلية وشهد مع قريش الحروب الى الحديبية وكان على خيل قريش طليعة كما تقدم ثم صار سيف الله ولم يزل صلى الله عليه وسلم يوليه أعنة الخيل * روى أبو يعلى لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار وعزماته يوم مؤتة ويوم قتال أهل الردة وفي بدء فتوح العراق وجميع فتوح الشام أكثر من أن تحصى اذ كان له فيها العناء العظيم الحفيل والبلاء الحسن الجميل

وروى أبو زرعة الدمشقي من نوع لم عبد الله وأتوا العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار وروى سعيد بن منصور عن خالد رضي الله عنه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعلها عمرة الجعرانة فحلق رأسه فابتدر الناس شعره فسبقتهم الى ناصيته فجعلتها في مقدم القلنسوة ثم أشهدتها ولا وهي معي الا تبين لي النصر ورواه أبو يعلى بلفظ فما وجهت في وجه الا فتح والاكثر على انه مات بحمص سنة احدى وعشرين وعمره بضع وأربعون سنة وقيل توفي بالمدينة النبوية روى ابن المبارك عن خالد رضي الله عنه انه قال لما حضرته الوفاة لقد طلبت القتل في مظانه فلم يقدر لي الا أن أموت على فراشي وأما عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ابن قصي العبدري فهو حاجب البيت وصاحب المفتاح في الجاهلية والاسلام ووقع في تفسير الثعلبي بلا اسناد انه أسلم يوم الفتح بعد أن دفع له المفتاح قال الحافظ ابن حجر في الاصابة وهو منكر والمعروف انه أسلم وهاجر مع عمرو وخالد وبه جزم غير واحد ثم سكن المدينة وبها مات سنة ثنتين وأربعين وقيل استشهد بأجنادين قال العسكري وهو باطل والله سبحانه وتعالى أعلم

•(سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه أيضا)•

لما رجع رضي الله عنه من سرية الكديد مؤيدا منصورا بعثه صلى الله عليه وسلم الى موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك في صفر سنة ثمان روى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم هيأ الزبير بن العوام رضي الله عنه وقال له سر حتى تنتهي الى مصاب أصحاب بشير فان أظفرك الله بهم فلا تبق فيهم وهيأ معه مائتي رجل وعقد له لواء فقدم غالب بن عبد الله من سرية الكديد وقد أظفره الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم للزبير اجلس وبعث غالبا ومعه مائتا رجل فأغاروا عليهم مع الصبح وذلك انه لما دنا منهم بعث الطلائع ومعهم علبة بن الحارث الى محالهم فأشرف على جماعة منهم ثم رجع وأخبره الخبر وروى ابن سعد عن حويصة رضي الله عنه قال بعثني صلى الله عليه وسلم في سرية مع غالب الى بني مرة فأغرنا عليهم مع الصبح وقد أخذ علينا أميرنا أن لا نفترق وآخى بيننا وقال لا تعصوني فانه صلى الله عليه وسلم قال من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني وانكم متى ما تعصوني فانكم تعصون نبيكم فآخى بيني وبين أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فأصبنا القوم وروى انه لما دنا من القوم حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وان تطيعوني ولا تعصوني ولا تخالفوا لي أمرا فانه لا رأي لمن لا يطاع ثم ألف بين كل اثنين وقال لهم لا يفارق أحد منكم زميله واذا كبرت فكبروا فلما أحاط بالقوم كبر غالب فكبروا معه وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف وكان شعارهم أمت أمت وقتلوا منهم قتلى وأصابوا منهم نعما وشاء وذرية فساقوها وكانت سهامهم عشرة أبعرة لكل رجل أو عدلها من الغنم لكل بعير عشرة والله أعلم

•(ثم سرية شجاع بن وهب الاسدي رضي الله عنه)•

الى جمع من هوازن يقال لهم بنو عامر بالسي بكسر السين المهملة ثم همزة ممدودة وهو ماء من ذات عرق على ثلاث مراحل من مكة في شهر ربيع الاول سنة ثمان ومعه أربعة وعشرون رجلا وأمره أن يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فأصابوا نعما كثيرا وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا وعدلوا البعير بعشر من الغنم والله أعلم

(ثم سرية كعب بن عمير)

الغفاري رضي الله عنه الى ذات أطلاح من أرض الشام وراء ذات القرى في ربيع الاول سنة ثمان في خمسة عشر رجلا فسار واحتى انتهوا الى ذات أطلاح فوجدوا جمعا كثيرا وكان يكمن النهار ويسير الليل حتى دنا من القوم فرآه عين لهم فأخبرهم بقلة الصحابة فجاؤا على الخيل فدعاهم المسلمون الى الاسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا ونجا منهم رجل جريح في القتلى قال ابن سعد هو الامير فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فشق عليه ذلك وهم بالبعث اليهم فبلغه انهم ساروا الى موضع آخر فتركهم والله أعلم

(ثم سرية مؤتة)

وسماها البخاري وابن اسحاق غزوة مؤتة لكثرة جيش المسلمين فيها وان لم يخرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم وهي بضم الميم وسكون الواو أو الهمز بدلها آخرها هاء وهي من عمل البلقاء وهي مدينة معروفة بالشام على مرحلتين من بيت المقدس وكانت في جمادي الاولى سنة ثمان وسببها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أرسل الحارث بن عمير الازدي بكتاب الى أمير بصرى من جهة هرقل وهو الحارث بن أبي شمر الغساني فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال له أين تريد فقال الشام فقال لعلك من رسل محمد قال نعم فأمر به فأوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه على ثلاثة آلاف وندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال ان قتل زيد فالامير جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون رجلا من بينهم يجعلونه عليهم أميرا وكان ممن حضر يهودي اسمه النعمان فقال يا محمد ان كنت نبيا سميت من سميت أصيبوا جميعا لان أنبياء بني اسرائيل كانوا اذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا ان أصيب فلان فلو سموا مائة أصيبوا جميعا ثم جعل يقول لزيد اعهد أي أوص فانك لا ترجع الى محمد ان كان نبيا قال زيد أشهد انه رسول صادق بار وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه الى زيد وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وان يدعوا من هنالك الى الاسلام فان أجابوا والا فاستعينوا عليهم بالله وقاتلوهم فأسرع الناس بالخروج وعسكروا بالجرف وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة لجهة الشام وخرج صلى الله عليه وسلم مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم وقال أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا اغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا فانيا ولا منعزلا بصومعة ولا تقربوا نخلا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء ولما ودع ابن رواحة بكى رضي الله عنه فقالوا ما يبكيك فقال أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

لكنني أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهزة * بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا

حتى يقال اذا مروا على جدثي * يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

وفي رواية ان عبد الله بن رواحة لما أراد وداع النبي صلى الله عليه وسلم وفراقه قال له النبي صلى الله عليه وسلم قل شعرا تقتضيه اقتضابا أي من غير روية فقال

اني تفرست فيك الخير نافلة * فراسة خالفت فيك الذي تظروا
أنت الرسول فمن يحرم نوافله * والوجه منه فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فقال له صلى الله عليه وسلم وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة وروى الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابن رواحة تخلف حتى صلى الجمعة مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما صلى رآه فقال ما منعك أن تغدو مع أصحابك قال أردت أن أصلي معك الجمعة ثم ألحقهم، فقال صلى الله عليه وسلم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما أدركت غدوتهم وفي رواية لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم وقام شرحبيل بن عمرو الغساني بجمع أكثر من مائة ألف وقدم الطلائع أمامه فلما نزل المسلمون وادي القرى بعث أخاه سدوس بن عمرو في خمسين من الكفار فاقتتلوا مع المسلمين وقتل سدوس وانكشف أصحابه ونزل المسلمون معان وبلغهم كثرة العدو فأقاموا على معان ليلتين ومعان بفتح الميم موضع أو جبل من أرض الشام وبلغ المسلمين ان هرقل نزل بأرض البلقاء في مائة ألف من مشركي الروم مع ما انضم اليهم من لخم وجذام وقيس وبهرا ما يبلغون مائة ألف وهم الذين جمعهم شرحبيل وجاء في رواية ان القوم كانوا مائتي ألف من الروم وخمسين ألفا من العرب ومعهم خيول كثيرة فقال المسلمون نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمر فيمضي له فشجعهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه على المضي وقال يا قوم والله ان التي تكرهون للتي خرجتم اياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هي احدى الحسنيين اما الظهور واما الشهادة فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة رضي الله عنه فمضوا الى مؤتة ووافاهم المشركون فجاء منهم من لا قبل لاحد به من العدد الكثير الزائد على مائتي ألف والسلاح والكراع أي الخيل والديباج والحرير والذهب اظهارا للقوة والشدة بكثرة أموالهم وآلات حروبهم وفي هذا دليل على فرط شجاعة الصحابة رضي الله عنهم وقوة قلوبهم وتوكلهم على ربهم وعدم مبالاتهم بأنفسهم لانهم باعوها لله تعالى اذ أقدم ثلاثة آلاف على أكثر من مائتي ألف أصحاب حروب وشدة وهذا ايماه ولما وقر في قلوبهم واطمأنت عليه نفوسهم من الثقة بقول الله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقوله وان جندنا لهم الغالبون وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين والتقى المسلمون والمشركون فقاتل الامراء الثلاثة يومئذ على أرجلهم فأخذ اللواء زيد بن حارثة رضي الله عنه فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح رضي الله عنه ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقاتل به وهو على فرس فألجمه القتال وأحاط به فنزل عن فرس له شقراء فعقرها وقاتل حتى قتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة وكان أسن من علي رضي الله عنه بعشر سنين وقيل كان عمره أربعين وقيل احدى وأربعين وكان رضي الله عنه حين اشتد القتال وأحاط به العدو يقاتل ويقول

يا حبذا الجنة واقترابها * طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها * كافرة بعيدة أنسابها
علي اذ لاقيتها ضرابها

وانما عقر فرسه خوفا أن يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين ولان يقاتل ولا يفر ففيه دليل على فرط شجاعته رضي الله عنه ولما أخذ اللواء قاتل قتالا شديدا فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعت يساره فاحتضنه وقاتل حتى قتل رضي الله عنه ووجد فيه بضع وتسعون وفي رواية وتسعون جرحا ما بين ضربة

بسيف وطعنة برمح ليس فيها شئ في دبره ولا ظهره أي ليس منها شئ في حال الادبار بل كلها في حال الاقبال لمزيد شجاعته ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ثم تقدم به وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال

أقسمت يا نفس لتنزلنه * لتنزلن أو لتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنه * مالي أراك تكرهين الجنه
قد طالما قد كنت مطمئنه * هل أنت الا نطفة في شنه

وقال أيضا

يا نفس ان لا تقتلي تموتي * هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت * ان تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيدا وجعفرا رضي الله عنهما ثم نزل عن فرسه فأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فانك قد لقيت أيامك فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة في الناس فقال وأنت في الدنيا ثم ألقاه من يده وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل روى سعيد بن منصور انهم دفنوا يومئذ في قبر واحد زيدا وجعفرا وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم وفي الصحيح وما يسرهم انهم عندنا أي لما رأوا من فضل الشهادة ثم أخذ اللواء ثابت بن أقرم العجلاني البلوي حليف الانصار وكان من أهل بدر رضي الله عنه فقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا أنت قال ما أنا بفاعل فاصطلحوا على خالد بن الوليد رضي الله عنه وفي رواية ان ثابتا مشى باللواء الى خالد وقال أنت أعلم بالقتال مني فلم يقبل خالد اللواء وقال أنت أحق به مني لانك ممن شهد بدرا فنادى ثابت يا معشر المسلمين فاجتمع الناس على خالد ابن الوليد رضي الله عنه وسلموه اللواء فأخذه وفي الصحيح حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليهم وانكشف الناس فكانت الهزيمة قال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد قتالا شديدا فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة عظيمة وانقطع في يد خالد يومئذ تسعة أسياف حتى ما بقي في يده الا صفيحة يمانية وانهزم المشركون أسوأ هزيمة ما رؤي مثلها قط حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤوا وجاء في رواية انه لما قتل عبد الله بن رواحة تفرق المسلمون وانهزموا حتى لم ير اثنان جميعا ثم لما اجتمعوا على خالد هزم الله المشركين وفي رواية انه لما أصبح خالد بن الوليد جعل مقدمته ساقة وميمنته ميسرة فأنكروا العدو حالهم وقالوا جاءهم مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين وغنم المسلمون أكثر ما كان معهم وكان جملة من قتل من المسلمين اثني عشر رجلا وهذا من عناية الله بالاسلام وأهله ومزيد اعزازه ونصره لهم اذ جيش عدته ثلاثة آلاف يلقون أكثر من مائتي ألف فلا يقتل منهم الا اثنا عشر رجلا مع انهم اقتتلوا مع المشركين سبعة أيام وأما قتلى المشركين فلا يحصون فكانت هذه السرية من أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم الباهرة التي أكرم الله بها أصحابه رضي الله عنهم ورفعت الارض يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر الى معترك القوم فأخبر أصحابه وذلك انه لما أطلع على ذلك نادى في الناس الصلاة جامعة ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان وقال يا أيها الناس باب خير باب خير باب خير ثلاثا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وأثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الامراء وهو أمير نفسه ولكنه سيف من سيوف الله فآب بنصره وفي رواية ثم أخذ الراية خالد بن الوليد نعم عبد الله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين من غير امرة حتى فتح الله عليهم وفي رواية قال اللهم انه سيف من سيوفك

فانصره فمن يومئذ سمى خالد سيف الله وفي لفظ ثم أخذ اللواء سيف من سيوف الله تبارك وتعالى ففتح الله على يديه وعن عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنهما قال اشتكى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه خالد بن الوليد رضى الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا خالد لم تؤذى رجلا من أهل بدر لو أنفقت مثل احد ذهبا لم تدرك عمله فقال يا رسول الله انهم يقعون بى فارد عليهم فقال لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار قال بعضهم كون ما وقع يوم مؤتة فتحا ونصرا واضح لاحاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم لانهم كانوا أكثر من مائتى ألف والصحابة رضى الله عنهم ثلاثة آلاف وكان مقتضى العادة انهم يقتلون بالكلية وجاء في رواية أصاب خالد منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة وهذا لا يخالف ما جاء ان طائفة من الصحابة فروا الى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم فصار أهل المدينة يقولون لهم انتم الفرارون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل هم الكرارون وفي لفظ العكارون أى الكرارون وجاء في رواية انا فئتكم يشير الى قوله تعالى الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة يعنى ان فرارهم كان من الانحياز الى فئة وأيضا اذا العدو على ضعفهم بل زاد على عشرة أضعافهم والحاصل أن المسلمين لما قتل عبد الله بن رواحة رضى الله عنه انهزموا وتفرقوا وذهب جماعة منهم الى المدينة ثم اجتمع الناس لما انحاز خالد بن الوليد رضى الله عنه ورتب الناس وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا على ذلك وأثنى عليه ولما قدم يعلى بن أمية رضى الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم بخبر الجيش قال له النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت فأخبرنى وان شئت أخبرتك قال فأخبرنى يا رسول الله لازداد يقينا فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر كله ووصف له ما كان فقال والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا وان أمرهم لكما ذكرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رفع لى الارض حتى رأيت معتركهم وحين رأى ذلك قال حمى الوطيس أى حميت الحرب واشتدت وقيل ان الذى جاء بخبرهم أبو عامر الاشعرى رضى الله عنه ولا مانع من أن كلا منهما جاء بالخبر وعن أسماء بنت عميس رضى الله عنها زوج جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أصيب جعفر وأصحابه فقال ائتنى ببنى جعفر فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه وفي رواية وبكى حتى تقطرت لحيته الشريفة فقلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى ما يبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شئ قال نعم أصيبوا هذا اليوم قالت فقمت أصيح واجتمع على النساء وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لى يا أسماء لا تقولى هجرا ولا تضربى خدا وقال اللهم قدمه يعنى جعفرا الى أحسن الثواب واخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحدا من عبادك في ذريته وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله فقال لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاما فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم وفي لفظ انه دخل على فاطمة رضى الله عنها وهى تقول واعماه فقال على مثل جعفر فلتبك البواكى ثم قال صلى الله عليه وسلم اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم وفي رواية قد شغلهم ما هم فيه وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما أن سلمى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم عمدت الى شعير فطحنته ونسفته ثم عجنته وأدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا قال عبد الله فأكلت من ذلك الطعام وحبسنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخوتى ثلاثة أيام ندور معه صلى الله عليه وسلم كلما صار في بيت احدى نسائه ثم رجعنا الى بيتنا وهذا الطعام الذى جعل لآل جعفر رضى الله عنه هو أصل طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة كما تسمى طعام العرس الوليمة وطعام القادم من السفر النقيعة وطعام البناء الوكيرة وروى الامام أحمد بسند صحيح ثم أمهل صلى الله عليه وسلم آل جعفر ثلاثا ثم أتاهم فقال لهم لا تبكوا على أخى بعد اليوم ثم قال ائتونى ببنى أخى فجئ بنا كانا أفرخ فدعا الحلاق فحلق

رؤسنا ثم قال أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي ثم دعا لهم قال عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما دعا لي وقال اللهم بارك له في صفقة يمينه فما بعت شيئا ولا اشتريته الا بورك لي فيه وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال مثل لي زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم في خيمة من در كل واحد منهم على سرير فرأيت زيدا وابن رواحة في أعناقهما صدودا أي اعراضا ورأيت جعفرا ليس في عنقه صدود فسألت فقيل انهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما وأما جعفر فانه لم يفعل * وعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قتل زيد أخذ الراية جعفر فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا ثم مضى حتى استشهد وفي رواية رأيتهم فيما يرى النائم وقد رفعوا في الجنة على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة أزورارا من سرير صاحبيه فقلت مم هذا فقيل لي مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى أي فانه كما تقدم صار يتنزل نفسه ويتردد بعض التردد في النزول وفي لفظ دخل عبد الله بن رواحة الجنة معترضا فقيل يارسول الله ما اعتراضه قال لما أصابته الجراحة نكل فعاتب نفسه فتشجع فاستشهد وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أبدل جعفرا بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال أتيته وهو مستلق آخر النهار فعرضت عليه الماء فقال اني صائم فضعه في ترسي عند رأسي فان عشت حتى تغرب الشمس أفطرت قال فمات صائما قبل الغروب ووجدنا فيما بين صدره ومنكبه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوما جالسا مع أصحابه فرفع رأسه الى السماء وقال وعليكم السلام ورحمة الله فقال الناس يارسول الله ما كنت تصنع هذا فقال مر بي جعفر بن أبي طالب في ملأ من الملائكة فسلم علي وفي رواية مر بي وهو مخضب الجناحين بالدم * ولما دنا الجيش من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ولقيهم الصبيان فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابني عبد الله بن جعفر فأتي به فأخذه فحمله بين يديه وكان عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ولد بالحبشة وأمه اسماء بنت عميس رضي الله عنها وتزوجها أبو بكر رضي الله عنه بعد جعفر بن أبي طالب فولدت له محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما ثم تزوجها علي بن طالب رضي الله عنه بعد أبي بكر رضي الله عنه وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت الجنة البارحة فرأيت فيها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يطير مع الملائكة وفي رواية يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه وروي جناحان من ياقوت قال السهيلي ان الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر يقتدر بها على الطيران لا أنهما جناحان كجناحي الطائر كما قد يسبق للوهم لان الصورة الآدمية أشرف الصور ولا يضر ذلك وصفهما بأنهما من ياقوت ولا كونهما مضمخين بالدم ورجح بعضهم حمل الكلام على حقيقته وقال انهما جناحان حقيقيان وأطال في ذلك والله أعلم وقد قال حسان بن ثابت رضي الله عنه قصيدة يرثي بها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وبعض من معه فقال

يؤرقني ليل بيثرب أعسر * وهم اذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لي لوعة * سفوحا وأسباب البكاء التذكر
بلى ان فقدان الحبيب بلية * وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا * شعوبا وخلفا بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا * جميعا واسباب المنية تخطر

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم * الى الموت ميمون النقيبة ازهر
اغر كضوء البدر من آل هاشم * أبي اذا سيم الظلامة مجسر
فطاعن حتى مال غير موسد * بمعترك فيه قنى متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه * جنان وملتف الحدائق اخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد * وفاء وامرا حازما حين يأمر
ولازال في الاسلام من آل هاشم * دعائم عز لايزلن ومفخر
فهم جبل الاسلام والناس حولهم * رضام الى طود يروق ويقهر
بهاليل منهم جعفر وابن امه * علي ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم * عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء في كل مارق * عماس اذا ماضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله انزل حكمه * عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر

(سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه)

الى بلاد بلي وعذرة وهي وراء وادي ذات القرى بينها وبين المدينة عشرة ايام وبلي قبيلة كبيرة ينسبون الى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وكذا عذرة ينسبون الى عذرة بن سعد بن قضاعة وتسمى سرية ذات السلاسل سميت بذلك لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة أن يفروا والمراد انهم تجمعوا وانضم بعضهم الى بعض في أول الامر فلا ينافي انهم لما قرب المسلمون منهم ألقى الله في قلوبهم الرعب وفروا وقيل سميت بذلك لان بها ماء يقال له السلسل وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان جماعة من قضاعة تجمعوا للاغارة وأرادوا ان يدنوا من أطراف المدينة فبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضي الله عنه في ثلثمائة من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون فرسا وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال بعث الي النبي صلى الله عليه وسلم يأمرني ان آخذ ثيابي وسلاحي فقال يا عمرو اني أريد ان ابعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك قلت اني لم اسلم رغبة في المال قال نعم المال الصالح للمرء الصالح فعقد له لواء ابيض وجعل معه راية سوداء فسار هو ومن معه وكان يكمن النهار ويسير الليل فلما قرب منهم بلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه ابا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء وبعث معه مائتين من سراة المهاجرين والانصار فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأمره ان يلحق بعمرو وان يكونا جميعا ولا يختلفا فأراد أبو عبيدة ان يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت علي مددا أي معينا ومقويا وأنا الامير أي ولا امارة لك حتى تؤم الناس فقال أبو عبيدة لا ولكن انا على ما انا عليه وأنت على ما أنت عليه وكان أبو عبيدة رجلا سهلا لا يهمه أمر الدنيا فقال يا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي لا تختلفا وانك ان عصيتني أطعتك فأطاع له أبو عبيدة فكان عمرو يصلي بالناس وسار حتى وصل الى العدو بلي وعذرة فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا بعد أن اقتتلوا ساعة فهزمهم المسلمون وأقام هناك ثلاثة أيام وكان يبعث الخيل فيأتون بالشاء والنعم فينحرون ويأكلون ولم يكن في ذلك غنائم تقسم وقال البلاذري فلقي العدو من قضاعة وغيرهم وكانوا مجتمعين ففضهم أي فرقهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم وهذا يعضده قوله صلى الله عليه وسلم فيغنمك الله ويسلمك كما مر وروى ابن راهويه والحاكم عن بريدة ان عمرو بن العاص رضي الله عنه أمرهم في تلك الغزوة ان لا يوقدوا نارا فانكر ذلك عمر رضي الله عنه فقال له أبو بكر رضي الله عنه دعه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعثه علينا الا لعلمه بالحرب

فسكت عنه وروى ابن حبان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه انهم سألوه ان يوقدوا نارا فمنعهم فكلموا أبا بكر رضي الله عنه فكلمه في ذلك فقال لا يوقد أحد نارا الا قذفته فيها قال فلقوا العدو فهزموهم فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فحمد أمره وروى الشيخان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قدمت عن جيش ذات السلاسل فحدثت نفسي انه لم يبعثني على قوم فيهم أبو بكر وعمر الا لمنزلة لي عنده فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت يا رسول الله أي الناس أحب اليك قال عائشة قلت اني لست أعني النساء انما أعني الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم وقلت في نفسي لا أعود أسأله عن هذا وفي الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل اذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية وفضل أبي بكر على الرجال وبنته على النساء ومنقبة لعمرو بن العاص رضي الله عنه لتأميره على جيش فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وان لم يقتض ذلك أفضليته عليهم لكن يقتضي ان له فضلا في الجملة وقد قال رافع الطائي وهذه الغزوة هي التي يفتخر بها أهل الشام أي ويحتجون بها على فضل عمرو بن العاص رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية الخبط)

وهي سرية أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي الفهري أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنه وعنهم وسماها البخاري غزوة سيف البحر بكسر السين أي ساحل البحر واشتهرت بسرية الخبط بعث صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة ومعه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وكان فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أرض جهينة ليلقى عيرا لقريش ولمحاربة حي من جهينة وكانت في رجب سنة ثمان بعد نكث قريش العهد وقبل فتح مكة وزودهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر لم يجدوا غيره وقيل كان معهم غيره فلما فني ما معهم اكلوا الخبط وهو بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة ورق السلم قال جابر رضي الله عنه كنا نضرب بعصينا الخبط ونبله بالماء فنأكله وفي رواية كان الرجل منا يأكل تمرة تمرة فقالوا لجابر كيف كنتم تصنعون قال نمصها كما يمص الصبي الثدي ثم نشرب عليها الماء فيكفينا يومنا الى الليل ثم اكلوا الخبط بعد فناء التمر وابتاع لهم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما جزرا ونحرها لهم وفي رواية انهم أصابهم جوع شديد فقال قيس من يشتري مني تمرا بالمدينة بجزر نحرها هنا فقال له رجل من جهينة من أنت فانتسب فعرفه الجهني فقال عرفت نسبك فابتاع منه خمس جزائر بخمسة أوسق وأشهد له نفرا من الصحابة وامتنع عمر رضي الله عنه لكون قيس لا مال له فقال الاعرابي ما كان سعد ليقصر بابنه وأرى وجها حسنا وفعلا شريفا فأخذ قيس الجزر فنحر لهم ثلاثة كل يوم جزورا فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره فقال عزمت عليك أن لا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك فقال قيس يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت يقضي ديون الناس ويحمل الكل ويطعم في المجاعة ولا يقضي عني تمر القوم مجاهدين في سبيل الله فكاد أبو عبيدة يلين وجعل عمر يقول اعزم فعزم عليه فبقيت جزوران فقدم بهما قيس المدينة ظهرا يتعاقبون عليهما وبلغ سعدا المجاعة القوم فقال ان يكن قيس كما أعرف فسينحر لهم فلما لقيه قال ما صنعت في مجاعة قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نهيت قال ومن نهاك قال أبو عبيدة أميري قال ولم قال زعم انه لا مال لي وانما المال لابيك فقال لك أربع حوائط أدناها تجد منه خمسين وسقا وقدم الجهني مع قيس فأوفاه أوسقه وحمله وكساه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فعل قيس فقال ان

الجود من بيت أهل ذلك البيت وقيل ان قيسا نحر قبل الثلاث ستا مما كان معه من الظهر ثم ثلاثا من
التي اشتراها من الجهني وكان قيس من دهاة العرب أهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة
والبسالة والشجاعة من وقف على ما وقع بينه وبين معاوية رضي الله عنهما حين ولاه سيدنا علي رضي الله
عنه مصر بعد قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه لرأى العجب العجاب من وفور عقله ومع ذلك كان له من
الكرم ما لا مزيد عليه وقفت له عجوز مرة وقالت أشكو اليك قلة الجرذان ببيتي والجرذان نوع من
الفيران فقال ما أحسن هذا السؤال وقال لها لأكثرن جرذان بيتك فملأ بيتها طعاما وقيل قالت له مشت
جرذان بيتي على العصا فقال لها لأدعهن يثبن وثوب الاسود ثم ملأ لها بيتها طعاما ولا مانع من تعدد
الواقعة وكان قيس لا شعر بوجهه وكان مع ذلك جميلا وكانت الانصار تقول وددنا أن نشتري لقيس بن
سعد لحية بأموالنا كلها * ولنرجع الى تمام قصة سرية الخبط قال أهل السير ثم أخرج الله لهم دابة من
البحر تسمى العنبر وهي سمكة كبيرة يتخذ من جلدها الترسة وقيل ان العنبر المشموم رجيعها قال
الازهري العنبر سمكة بالبحر الاعظم يبلغ طولها خمسين ذراعا وفي رواية لجابر رضي الله عنه فألقى لنا
البحر حوتا ميتا لم نر مثله فأكلنا منه نصف شهر وفي رواية ثمانية عشر يوما حتى صحت أجسامنا وادهنا
من ودكه فأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه فنصبه ونظر الى أطول بعير جار تحته راكبه وفي رواية ثم
أمر بأجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل فخرج من تحتها وما مست رأسه وفي رواية فدخل أي
الراكب تحتها أي الضلع ما يطأطئ رأسه وفي رواية لمسلم عن جابر رضي الله عنه فلقد رأيتنا نغترف من وقب
عينه أي حدقته الدهن بالقلال ونقتطع منه الفدر أي القطع من اللحم كالثور وفي رواية عن جابر
أيضا فدخلت أنا وفلان بعد حجة في حجاج عينها ما يرانا أحد حتى خرجنا فسبحان القوي القادر
فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم
فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا فكان معنا منه شيء فأرسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل
ولم يذكر أحد من أهل السير انهم قاتلوا أحدا في هذه السرية بل أقاموا نصف شهر أو أكثر في مكان واحد
ثم رجعوا ولم يلقوا كيدا والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية أبي قتادة رضي الله عنه)

الى نجد واسم أبي قتادة الحارث وقيل عمرو أو النعمان بن ربعي الانصاري السلمي بعثه صلى الله عليه وسلم
الى خضرة وهي أرض محارب بنجد في شعبان سنة ثمان وبعث معه خمسة عشر رجلا وأمره أن يشن
الغارة على غطفان بأرض محارب فسار الليل وكمن النهار ثم هجم على حي منهم فقاتله منهم رجال وقتل
من أشرف منهم وسبى أبو قتادة ومن معه سبيا كثيرا واستاق النعم فكانت الابل مائتي بعير والغنم ألفي
شاة وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما بعث صلى الله عليه وسلم سرية قبل نجد فكنت فيها فغنموا
ابلا كثيرة وغنما فكانت سهماننا اثني عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا فرجعنا بثلاثة عشر بعيرا وكانت
غيبته خمس عشرة ليلة وكان السبي أربع نسوة وأطفالا وجوار وكان فيهم جارية وضيئة كأنها ظبي
وقعت في سهم أبي قتادة فجاء محمية بن جزء الزبيدي فقال يا رسول الله ان أبا قتادة قد أصاب في وجهه
هذا جارية وضيئة وقد كنت وعدتني جارية فأرسل صلى الله عليه وسلم الى أبي قتادة فقال هب لي
الجارية فوهبها له فدفعها الى محمية بن جزء الزبيدي والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية أبي قتادة أيضا رضي الله عنه الى اضم)

وهو بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة وبالميم واد على ثلاثة برد من المدينة وكانت هذه السرية في أول

شهر رمضان سنة ثمان وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما هم أن يغزو أهل مكة بعد أن نقضوا العهد كما سيأتي بعث أبا قتادة رضي الله عنه في ثمانية أنفار سرية الى بطن اضم ليظن ظان انه صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية ولتذهب بذلك الاخبار فلا تستعد قريش لحربه و يدخل عليهم على حين غفلة وكان يقول اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها واستجيب له فعميت الاخبار عنهم فلم يأتهم خبير عنه ولا علموا بذلك الا ليلة دخوله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي فخرج أبو قتادة ومن معه رضي الله عنهم فلقوا عامر بن الاضبط الاشجعي فسلم عليهم بتحية الاسلام أي قال السلام عليكم وقيل عظمهم بالانقياد ومنه كلمة الشهادة التي هي أمارة على اسلامه فقتله محلم بن جثامة فأنزل الله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا الآية روى الامام أحمد والطبراني عن عبد الله بن أبي حدرد رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اضم في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى اذا كنا ببطن اضم مر بنا عامر بن الاضبط الاشجعي على قعود له ومعه متيع له ووطب من لبن فسلم علينا بتحية الاسلام فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم فقتله لشيء كان بينه و بينه وأخذ بعيره ومتيعه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر نزل فينا يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا الى آخر الآية وتقدم في سرية غالب الليثي أن الآية نزلت في قتل اسامة بن زيد مرداس بن نهيك فيحتمل تعدد القصة وتكرر نزول الآية ثم ان أبا قتادة ومن معه لم يلقوا جمعا و بلغهم انه صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة وتوجه الى مكة فلحقوه بالسقيا فأخبروه الخبر فقال لمحلم أقتلته بعد ما قال آمنت بالله وفي رواية بعد ما قال اني مسلم فجلس محلم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له وقال انما قالها متعوذا قال أفلا شققت عن قلبه لتعلم أصادق هو أم كاذب قال وهل قلبه الا مضغة من لحم قال صلى الله عليه وسلم انما كان ينبئ عنه لسانه وفي رواية لا ما في قلبه تعلم ولا لسانه صدقت فقال استغفر لي يارسول الله قال لا غفر الله لك أي زجرا وتهويلا لهذا الامر كيلا يتهاون الناس بقتل النفس المؤمنة فقام محلم وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة من الليالي حتى مات فجهزوه ودفنوه فلفظته الارض ثم عادوا ودفنوه فلفظته الارض ثم دفنوه فلفظته الارض فرضموا عليه الحجارة حتى واروه فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم في حرمة ما بينكم بما أراكم منه وجاء في بعض طرق هذه القصة ان عيينة بن حصن قام يطالب بدم عامر بن الاضبط وعيينة يومئذ رئيس غطفان وقام الاقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة لمكانه من خندف فتداولا الخصومة عنده صلى الله عليه وسلم وأرادوا الاقتصاص من محلم ثم قبلوا الدية ثم سأل محلم النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر له فقال اللهم لا تغفر له فمات بعد سبع الى آخر ما تقدم

(غزوة الفتح الاعظم وهو فتح مكة شرفها الله تعالى)

وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء* وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء* ودخل الناس بسببه في دين الله أفواجا* وأشرق به وجه الارض ضياء وابتهاجا* خرج صلى الله عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع بالحديبية فانه كان قد وقع الشرط ان من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وكانت خزاعة حلفاء جده عبد المطلب حين تنازع مع عمه نوفل في ساحات وأفنية من السقاية كانت في يد عبد المطلب فأخذها منه نوفل فاستنهض عبد المطلب قومه فلم ينهض معه منهم

أحد وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك ثم كتب الى أخواله بنى النجار فجاء منهم سبعون وقالوا ورب هذه البنية لتردن على ابن اختنا ما أخذت منه والا ملأنا منك السيف فرده ثم حالف نوفل بنى أخيه عبد شمس فحالف عبد المطلب خزاعة وكان عليه الصلاة والسلام بذلك عارفا ولقد جاءته خزاعة يوم الحديبية بكتاب جده عبد المطلب فقرأه عليه أبى بن كعب رضى الله عنه وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة اذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأى منهم غائبهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم ان بيننا وبينكم عهود الله وعقوده وما لا ينسى ابدا اليد واحدة والنصر واحد ما أشرق ثبير وثبت حراء مابل بحر صوفة ولا يزداد فيما بيننا وبينكم الا تجددا ابد الدهر سرمدا وفى رواية حلفا جامعا غير مفرق الاشياخ على الاشياخ والاصاغر على الاصاغر والشاهد على الغائب وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد لا ينقض ولا ينكث ما أشرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان حلف أبد لطول أمد يزيده طلوع الشمس شدا وظلام الليل مدا وان عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون متظافرون متعاونون على عبد المطلب النصرة لهم ممن تابعه على كل طالب وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب فى شرق أو غرب أو حزن أو سهل وجعلوا الله على ذلك كفيلا وكفى به حميلا * ولما ذكرت خزاعة ذلك الحلف للنبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال صلى الله عليه وسلم ما أعرفنى بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف وكل حلف كان فى الجاهلية فلا يزيده الاسلام الا شدة ولا حلف فى الاسلام وهذا الذى نفاه فى الاسلام هو ما كان على الفتن والقتال والغارات والذى قواه الاسلام ما كان على نصر المظلوم وصلة الارحام والخير ونصرة الحق فلا تنافى حينئذ ثم انه قد كان بين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة وبين خزاعة حروب وقتلى فى الجاهلية وتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلى من بنى بكر ومعه جماعة من قبيلة بنى الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يسمى الوتير بأسفل مكة فأصاب منهم رجلا يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى أن دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الحرم الهك الهك فقال كلمة عظيمة وهى قوله لا اله له يا بنى بكر أصيبوا ثاركم فلعمرى انكم لتسرقون فلا تصيبون ثاركم فيه وقيل ان سبب القتال بين بنى بكر وخزاعة ان شخصا من بنى بكر هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يتغنى به فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين مع ما كان بينهم من العداوة وطلب بنو بكر من قريش ان يعينوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم بذلك فبيتوا خزاعة ووقع القتال بينهم وكان جملة من قتل من خزاعة عشرين أو ثلاثة وعشرين وقاتل مع بنى بكر جمع من قريش خفية منهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن أبى جهل وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضى الله عنهم ولم يشاوروا فى ذلك أبا سفيان وقيل شاوروه فأبى عليهم وظنوا أنهم لم يعرفوا وان هذا لا يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زالوا يقاتلون خزاعة حتى أدخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعى بمكة فلما نصرت قريش بنى بكر على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق ندموا وفى رواية ولما لجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع وانتهوا بهم فى عماية الصبح ودخلت رؤساء قريش منازلهم وهم يظنون أنهم لا يعرفون وأصبحت خزاعة مقتولين على باب بديل ورافع فقال سهيل بن عمرو لنوفل بن معاوية البكرى قد حصرتهم تريد قتل من بقى وهذا مما لا نطاوعك عليه فاتركهم فتركهم فخرجوا وندمت قريش على ما صنعوا وجاء الحارث بن هشام وعبد الله بن أبى ربيعة الى صفوان ومن كان معه فلاماهم على ما صنعوا

ذا الحل
لى وزن

وقالا ان بينكم و بين محمد مدة وهذا نقض لها وقالت قريش ان محمدا غازينا فقال ابن أبى سرح لا يغزوكم حتى يخيركم فى خصال كلها أهون من غزوه يرسل اليكم أن دوا قتلى خزاعة وهم ثلاثة وعشرون قتيلا أو تبرؤا من حلف بنى بكر أو ننبذ اليكم على سواء فقال سهيل بن عمرو نبرأ من حلفهم أسهل وقال شيبة بن عثمان ندى القتلى أهون وقال قرظة بن عمرو ولا ندى ولا نبرأ لكن ننبذ اليه على سواء وقال أبو سفيان ليس هذا بشئ وما الرأى الا الصوب الاجحد هذا الامر أى كون قريش دخلت فى نقض عهد أو قطع مدة وأنه قطع قوم بغير رضا منا ولا مشورة فما علينا قالوا هذا الرأى ولا رأى غيره وكان هذا النقض من قريش فى شعبان سنة ثمان وأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك يوم وقوعه حتى قال لعائشة رضى الله عنها صبيحة وقعة خزاعة لقد حدث يا عائشة فى خزاعة أمر فقالت أترى قريشا تجترئ على نقض العهد الذى بينك و بينهم وقد أفناهم السيف فقال ينقضون العهد لامر يريده الله تعالى قالت يارسول الله خير قال خير وروى الطبرانى من حديث ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت بات عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام ليتوضأ للصلاة فسمعته يقول فى متوضئه بالليل لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يارسول الله سمعتك تقول فى متوضئك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا كأنك تكلم انسانا فهل كان معك أحد فقال هذا راجز بنى كعب وهم بطن من خزاعة يستصرخنى ويزعم أن قريشا أعانت عليهم بنى بكر وهذا علم من اعلام النبوة باهر فاما أنه أعلم بذلك بالوحى وعلم ما تصوره الراجز فى نفسه أو ان الراجز كان يرتجز وأسمع الله نبيه صلى الله عليه وسلم كلامه قال أهل السير ولما انقضى قتال بنى بكر وخزاعة خرج عمرو بن سالم الخزاعى أحد بنى كعب وهم بطن من خزاعة ومعه أربعون راكبا من خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذى أصابهم و يستنصرونه وقبل قدومهم بثلاث أمر النبى صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها أن تجهزه أى تهيئ له أهبة السفر وما يحتاج اليه فى قطع المسافة اعتمادا على ما أطلعه الله عليه مما وقع من نقض العهد وأمرها أن لا تعلم أحدا فدخل عليها أبو بكر رضى الله عنه قبل أن يخبره النبى صلى الله عليه وسلم و يستشيره فى ذلك فقال يا بنية ما هذا الجهاز فقالت ما أدرى فقال والله ما هذا زمان غزو بنى الاصفر فأين يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا علم لى وفى رواية لابن أبى شيبة انها أعلمته وجمع بينهما بأنه دخل عليها مرتين الاولى قالت له لا علم لى ثم أخبرته صلى الله عليه وسلم فأذن لها فى اخبار أبيها لكونه عيبة سره فدخل عليها ثانيا فأخبرته فقال والله ما انتقضت الهدنة بيننا وخرج رضى الله عنه فذكر ما قالت له للنبى صلى الله عليه وسلم فذكر له صلى الله عليه وسلم أنهم أول من غدر قالت ميمونة رضى الله عنها فأقمنا ثلاثا أى بعد قوله لها هذا راجز بنى كعب ثم صلى بالناس صبح اليوم الثالث فسمعت الراجز ينشده وذلك أن عمرو ابن سالم أقبل هو ومن معه حتى دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس بالمسجد فقال منشدا

يارب انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحدا * وجعلوا لى فى كداء رصدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * ان سيم خسفا وجهه تربدا
هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا
وفى رواية هم قتلونا بصعيد هجدا * نتلو القرآن ركعا وسجدا

الوتير فى ا

وزعموا أن لست أدعو أحدا * وهم أذل وأقل عددا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم وفي رواية فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول لا نصرت ان لم أنصركم بما أنصر به نفسي وفي رواية قال والذي نفسي بيده لا منعنهم مما أمنع منه نفسي وأهل بيتي وفي رواية قالت عائشة رضي الله عنها لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب مما كان من شأن بني كعب غضبا لم أره غضبه منذ زمان وفي رواية أنه دمعت عيناه حين سمع شعر عمرو بن سالم وقال خزاعة مني وأنا منهم وسأل صلى الله عليه وسلم عمرو بن سالم فيمن تهمتكم قال في بني بكر قال كلها قال لا ولكن في بني نفاثة وهم بطن من بني بكر ثم قال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن سالم وأصحابه ارجعوا وتفرقوا في الاودية فرجعوا وتفرقوا وذهبت فرقة الى الساحل وفرقة لزمت الطريق وقصد بذلك صلى الله عليه وسلم اخفاء مجيئهم للنبي صلى الله عليه وسلم ثم قدم بديل بن ورقاء الخزاعي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذهاب عمرو بن سالم ومعه نفر من قومه فأخبروه صلى الله عليه وسلم الخبر ورجعوا ولزم بديل الطريق في نفر من قومه وقيل ان بديلا لم يفارق مكة حتى لقيه في الفتح بمر الظهران وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لركب خزاعة أباباعث الى أهل مكة فسائلهم عن هذا الامر ومخيرهم في خصال ثلاث فبعث اليهم ضمرة يخيرهم بين أن يدوا قتلى خزاعة أو يبرأوا من حلف بني نفاثة أو ينبذ اليهم على سواء فأتاهم ضمرة فأخبرهم فقال قرظة بن عمرو لا ندي ولا نبرأ لكن ننبذ اليه على سواء ثم ندمت قريش على ما ردوا به فبعثوا أبا سفيان يجدد الصلح ويزيدهم في المدة وقيل ان أبا سفيان توجه مبادرا قبل أن يبلغ المسلمين الخبر ولم يعلم بمسير خزاعة قبله وقيل ان الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة مشيا الى أبي سفيان فقالا لئن لم يصلح هذا الامر لا يروعكم الا محمد في أصحابه فقال أبو سفيان قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وخفت من شرها قالوا وما هي قال رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة مليا ثم كأن ذلك الدم كأن لم يكن فكرهوا الرؤيا وقال أبو سفيان هذا أمر لم أشهده ولم أغب عنه لا يحمل الا علي والله ماشورت فيه ولا هويته حتى بلغني ليغزونا محمد ان صدقني ظني وهو صادقي وما بد من أن آتي محمدا فأكلمه فقالت قريش أصبت فخرج ومعه مولى له على راحلتين وعند رجوع ركب خزاعة من المدينة لقوا أبا سفيان بعسفان وسألهم هل ذهبتم الى المدينة قالوا لا وتركوه وذهبوا فجاء الى مبركهم بعد أن فارقوه فأخذ بعرا وفتته فوجد فيه النوى فعلم أنهم ذهبوا الى المدينة وفي رواية أن أبا سفيان لقي بديل ابن ورقاء بعسفان فأشفق أبو سفيان أن يكون بديل قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للقوم أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها قالوا لا علم لنا بها انما كنا بالساحل نصلح بين الناس في قتيل وفي لفظ قال من أين أقبلت يا بديل قال سرت الى خزاعة في هذا الساحل قال أوما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة أي توجه اليها قال أبو سفيان لئن كان جاء الى المدينة لقد علفها النوى فجاء الى منزلهم ففتت أبعار أباعرهم فوجد فيها النوى فقال أبو سفيان أحلف بالله لقد جاء القوم محمدا وقبل قدوم أبي سفيان المدينة قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضي الله عنهم كأنكم بأبي سفيان قد جاء يقول جدد العهد وزد في المدة وهو راجع بسخطة فلما انتهى أبو سفيان الى المدينة دخل على ابنته أم حبيبة أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فأراد أن يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فطوته عنه فقال يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني قالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر فقالت بل هداني الله للاسلام فأنت يا أبت سيد قريش

وكبيرها كيف يسقط عنك الدخول فى الاسلام وأنت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر فقام من عندها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله أن يجدد العهد ويزيد فى المدة فأبى عليه وقال ابن اسحاق انه كلم النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيئا وفى رواية قال يا محمد انى كنت غائبا فى صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا فى المدة فقال صلى الله عليه وسلم فلذلك جئت قال نعم فقال هل كان من حدث فقال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل فقال صلى الله عليه وسلم فنحن على ذلك فأعاد أبو سفيان القول فلم يرد عليه شيئا فذهب الى أبى بكر رضى الله عنه فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل وفى رواية قال لابى بكر تكلم محمدا أو تجير بين الناس فقال جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عمر رضى الله عنه فقال أنا أشفع لكم والله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به وفى رواية قال له عمر رضى الله عنه ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه الله وما كان متينا فقطعه الله وما كان منه مقطوعا فلا وصله الله فقال أبو سفيان جوزيت من ذى رحم شرا ثم دخل على على رضى الله عنه وعنده فاطمة رضى الله عنها وحسن رضى الله عنه غلام يدب بين يديهما فقال يا على انك أمس القوم بى رحما وانى جئت فى حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا فاشفع لى فقال على رضى الله عنه ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يا بنت محمد هل لك أن تأمرى ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر فقالت والله ما بلغ بنيى هذا أن يجير بين الناس وما كان أحد يجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية انه جاء عثمان رضى الله عنه قبل على رضى الله عنه فقال جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى سعد ابن عبادة رضى الله عنه فقال يا أبا ثابت انك سيد هذه البحيرة فأجر بين الناس وزد فى المدة فقال سعد جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجير أحد عليه فأتى أشراف قريش والانصار فكلمهم وكلهم يقول جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجير أحد عليه فلما أيس منهم دخل على فاطمة رضى الله عنها فقال هل لك أن تجيرى بين الناس فقالت انما أنا امرأة وأبت عليه فقال مرى ابنك فقالت ما بلغ أن يجير فقال لعلى رضى الله عنه يا أبا حسن انى أرى الامور قد اشتدت على فانصحنى قال والله ما أعلم شيئا يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال أوترى ذلك مغنيا عنى شيئا قال لا والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان فى المسجد فقال أيها الناس انى قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفرنى أحد ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انى قد أجرت بين الناس فقال صلى الله عليه وسلم أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ثم ركب بعيره وانصرف الى مكة وكانت غيبته قد طالت واتهمته قريش أشد التهمة وقالوا قد صبا واتبع محمدا سرا وكتم اسلامه فلما دخل على هند امرأته ليلا قالت لقد غبت حتى اتهمك قومك فان كنت مع طول الاقامة جئتهم بنجح فأنت الرجل ثم جلس منها مجلس الرجل من امرأته فقالت ما صنعت فأخبرها الخبر وقال لم أجد الا ما قال لى على فضربت برجلها فى صدره وقالت قبحت من رسول قوم فما جئت بخير فلما أصبح حلق رأسه عند أساف ونائلة وذبح لهما ومسح بالدم رؤسهما وقال لا أفارق عبادتكما حتى أموت وأراد بذلك أن تبرئه قريش مما اتهمته به من قولهم انه صبا فلما صنع ذلك قالوا له ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو زيادة فى مدة فانا لا نأمن من ان يغزونا فقال والله لقد أبى على وفى رواية كلمته فوالله ما رد على شيئا ثم جئت أبا بكر فلم أجد فيه خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو وفى رواية أعدى العدو وكلمت عليه أصحابه فما قدرت على شئ منهم الا انهم يرمونى بكلمة واحدة وما رأيت قوما أطوع لملك عليهم منهم له الا ان عليا لما ضاقت بى الامور قال أنت سيد بنى كنانة فأجر بين الناس فناديت

بالجوار قالوا هل أجاز ذلك محمد قال لا والله قال أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة قالوا رضيت بغير رضا وجئتنا بما لا يغني عنا ولا عنك شيئا ولعمر الله ما جوارك بجائز وان اخفارك عليهم لهين والله ما زاد علي على ان لعب بك تلعبا فقال والله ما وجدت غير ذلك فقالوا ما جئتنا بحرب فنحذر ولا صلح فنأمن وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها وروى ابن أبي شيبة عن أبي مالك الاشجعي قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض حجره فجلس عند بابها وكان اذا جلس وحده لم يأته أحد حتى يدعوه فقال ادع لي أبا بكر فجاء فجلس بين يديه فناجاه طويلا ثم أمره فجلس عن يمينه ثم قال ادع لي عمر فجاء فجلس فناجاه طويلا فرفع عمر صوته فقال يا رسول الله هم رأس الكفر الذين زعموا انك ساحر وانك كاهن وانك كذاب وانك مفتر ولم يدع شيئا مما كانوا يقولون الا ذكره ثم قال وايم الله لا تذل العرب حتى تذل أهل مكة فأمره فجلس عن شماله ثم دعا الناس فقال ألا أحدثكم بمثل صاحبيكم هذين قالوا نعم يا رسول الله فاقبل بوجهه الكريم على أبي بكر رضي الله عنه فقال ان ابراهيم عليه السلام كان ألين في الله تعالى من الدهن باللبن ثم أقبل على عمر رضي الله عنه فقال ان نوحا كان أشد في الله تعالى من الحجر وان الامر أمر عمر فتجهزوا وتعاونوا فتبعوا أبا بكر فقالوا انا كرهنا ان نسأل عمر عما ناجاك به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لي كيف تأمرني في غزو مكة قلت يا رسول الله هم قومك حتى رأيت انه سيطيعني ثم دعا عمر فقال هم رأس الكفر حتى ذكر له كل سوء كانوا يقولونه وقد أمركم بالجهاد لتغزوا مكة وجاء في بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم تجهز وما أعلم أحدا والمراد انه ما أعلم عامة الناس فلا ينافي انه أعلم كبار أصحابه رضي الله عنهم فتجهز الناس وقال حسان رضي الله عنه يحرض الناس ويذكر مصاب رجال خزاعة

عناني ولم أشهد ببطحاء مكة * رجال بني كعب تحز رقابها
بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم * وقتلى كثير لم تجن ثيابها
ألا ليت شعري هل تنالن نصرتي * سهيل بن عمرو حرها وعقابها
فلا تأمنن يا ابن أم مجالد * اذا احتلبت صرفا وأعصل نابها
فلا تجزعوا منها فان سيوفنا * لها وقعة بالموت يفتح بابها

قال ابن اسحاق قوله بأيدي رجال يعني قريشا وابن أم مجالد عكرمة بن أبي جهل وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا الا بغتة ولا يسمعون بنا الا فلتة وأمر جماعة أن تقيم بالانقاب وكان عمر رضي الله عنه يطوف على الانقاب فيقول لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه الا رددتموه وفي رواية ثم أمر بالطرق فحبست فعمي على أهل مكة لا يأتيهم خبر فكتب حاطب بن أبي بلتعة البدري حليف بني أسد رضي الله عنه كتابا وأرسله الى مكة يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وسلم وأرسله مع امرأة استأجرها بعشرة دنانير وقال لها أخفيه ما استطعت ولا تمري على الطريق فان عليه حرسا فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود رضي الله عنهم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ وهو موضع على بريد من المدينة فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين فخذوه منها قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا لها أخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فالتمسناه فلم نر كتابا فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنلقين عنك الثياب وفي رواية أو لنكشفنك أو لنجردنك فلما رأت الجد حلت قرونها فأخرجته من عقاصها وفي رواية فلما رأت الجد أهوت الى حجزتها فأخرجته فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب

ابن أبي بلتعة الى سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية أما بعد يا معشر قريش فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده فانظروا لانفسكم والسلام وفي رواية ان لفظ الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في الناس بالغزو ولا أراه يريد غيركم وقد أحببت أن تكون لي عندكم يد فدعا النبي صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال أتعرف هذا الكتاب قال نعم قال ما حملك على هذا قال حاطب يا رسول الله لا تعجل عليّ أما والله انى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت وفي لفظ ما كفرت منذ أسلمت ولا غششت منذ نصحت ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش يعني حليفا لهم ولم أكن من أنفسها وفي رواية ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه وكان من معك من المهاجرين ممن له أهل أومال بمكة لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت اذ فاتني النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي وفي رواية فقال حاطب والله ما ارتبت في الله منذ أسلمت ولكنني كنت امرأ غريبا ولي في مكة بنون واخوة فكتبت كتابا لا يضر الله ورسوله ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه قد صدقكم فيما أخبركم به فقال له عمر رضي الله عنه قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالانقاب وتكتب الى قريش وفي رواية أنه قال انه يعلم يا رسول الله انك أخذت على الطريق وأمرت أن لا نرى أحدا ممن ننكره الا رددناه يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وفي رواية فقد وجبت لكم الجنة وفي أخرى لا يدخل النار أحد شهد بدرا فدمعت عينا عمر رضي الله عنه وقال الله ورسوله أعلم وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل فالذي نزل في ذلك الى هنا وقيل الى قوله قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم وانما قال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر رضي الله عنه من القوة في الدين وبغض المنافقين فظن أنه يستحق القتل لكونه خالف ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من اخفاء مسيره عن قريش وحرصه على عدم وصول خبره اليهم وبعثه جماعة على الطريق حتى لا يبلغهم الخبر فلذا ظن انه استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله وأطلق عليه منافقا لكونه أظهر خلاف ما أبطن وحاطب كان معذورا متأولا بما ذكره من عذره وكفاه منقبة شهادة الله له بالايمان حيث قال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الخ وقوله صلى الله عليه وسلم لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ليس فيه اباحة المعاصي لهم وانما هو خطاب اكرام وتشريف تضمن انهم رضي الله عنهم حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتأهلوا لان يغفر لهم ما يستحصل من الذنوب لو فرض وقوعه منهم وما أحسن قول بعضهم

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

وقد أظهر الله صدق رسوله صلى الله عليه وسلم في كل من أخبر عنه بشئ من ذلك فانهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة الى أن فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شئ من أحدهم لبادر الى التوبة ولازم الطريقة المثلى يعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم رضي الله عنهم ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج

من المدينة وعزم على غزو أهل مكة بعث الى من حولهم من العرب وطلب حضورهم أسلم وغفار وأشجع وسليم وغيرهم فأرسل اليهم يقول لهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة وبعث رسلا فى كل ناحية فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون فى غزوة الفتح عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألف الناس المهاجرين والانصار وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم وقيل ان العشرة آلاف خرج بهم من نفس المدينة ثم تلاحق به ألفان قال الحلبى فى السيرة وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلثمائة فرس وكانت الانصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس وكانت مزينة ألفا ومعها مائة فرس وكانت أسلم أربعمائة ومعها ثلاثون فرسا وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرسا وكان معه صلى الله عليه وسلم من زوجاته أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وقيل أبارهم كلثوم بن الحصين الغفارى وجمع بينهما بأن أبارهم جعله للقضايا والاحكام وابن أم مكتوم للصلاة وخرج عليه الصلاة والسلام من المدينة لعشر ليال خلون من رمضان بعد العصر سنة ثمان من الهجرة وقيل لليلتين خلتا من رمضان وقيل لست عشرة وقيل ثمان عشرة قال النووى لا أعلم خلافا فى ان ذلك فى شهر رمضان أى وانما الخلاف فيما مضى منه حين الخروج ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الكديد بفتح الكاف وهو موضع بين قديد وعسفان أفطر لانه بلغه ان الناس شق عليهم الصيام وقيل له انما ينظرون فيما فعلت فلما استوى على راحلته بعد العصر دعا باناء من ماء وقيل من لبن فوضعه على راحلته ليراه الناس فشرب فأفطر فناوله رجلا الى جنبه فشرب فلم يزل مفطرا رفقا بالمسلمين حتى انسلخ الشهر لانه وان قدم مكة قبل تمام الشهر لكنه كان فى أهبة القتال وبعث السرايا ولم ينو الاقامة ولذا كان يقصر الصلاة * وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم قد خرج بأهله وعياله مهاجرا فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان اسلامه قديما وكان يكتمه بأمر النبى صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم أمره بالاقامة بمكة ليكتب له أخبار قريش وكان العباس رضى الله عنه يسره ما يفتح الله على المسلمين وما أظهر اسلامه لاهل مكة الا يوم الفتح وكان مقيما بمكة على سقايته وكان ينفع المستضعفين بمكة وبه يثقون ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض وقيل انه لقى النبى صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة فبعث ثقله الى المدينة وسار مع النبى صلى الله عليه وسلم الى مكة للفتح وروى الطبرانى عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال استأذن العباس النبى صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فكتب اليه ياعم أقم مكانك الذى أنت فيه فان الله يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة ولما لقيه قال هجرتك ياعم آخر هجرة كما ان نبوتى آخر نبوة * وكان ممن لقيه صلى الله عليه وسلم فى الطريق أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمه صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاع من حليمة السعدية وكان مع أبى سفيان ولده جعفر وعبد الله بن أبى أمية المخزومى ابن عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة بنت عبد المطلب وهو أخو أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم لابيها لان أمها عاتكة بنت عامر بن قيس وكان لقاء أبى سفيان ومن معه للنبى صلى الله عليه وسلم بنيق العقاب بين مكة والمدينة وقيل بالابواء وهم مسلمون مهاجرون واسم أبى سفيان كنيته وقيل اسمه المغيرة وكان يألف النبى صلى الله عليه وسلم ولا يفارقه قبل النبوة فلما بعثه الله عاداه وهجاه وأجابه عنه حسان رضى الله عنه كثيرا وكان عبد الله بن أبى أمية قبل اسلامه شديدا على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وفى لفظ وكان كل منهما أى من أبى سفيان وعبد الله من أشد الناس أذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاعرض عنهما صلى الله عليه وسلم لما لقياه لما كان يلقى منهما من شدة الاذى والهجو فالتمسا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم فكلمته أم سلمة رضى الله عنها فيهما فقالت يارسول الله ابن عمك

وابن عمك وصهرك فقال لاحاجة لى بهما أما ابن عمى فهتك عرضى وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ماقال يعنى قوله له والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ثم تأتى بصك وأربعة من الملائكة يشهدون ان الله أرسلك فقالت له أم سلمة رضى الله عنها لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك فلما خرج الخبر اليهما بذلك قال أبو سفيان والله ليأذن لى أو لآخذن بيد ابنى هذا يعنى ولده جعفرا ثم لنذهبن فى الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما وأنشده أبو سفيان معتذرا مما مضى فقال

لعمرك انى يوم أحمل راية * لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله * فهذا أوانى حين أهدى وأهتدى
هدانى هاد غير نفسى ونالنى * مع الله من طردته كل مطرد
أصد وأنأى جاهدا عن محمد * وأدعى وان لم أنتسب من محمد

قال ابن اسحاق انه لما قال ونالنى مع الله من طردته كل مطرد ضرب صلى الله عليه وسلم صدره وقال أنت طردتنى كل مطرد وقال على رضى الله عنه لابى سفيان بن الحارث عند اذنه صلى الله عليه وسلم له فى الدخول عليه ائت من قبل وجهه فقل له ماقال اخوة يوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا ففعل ذلك أبو سفيان فقال له صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ويقال انه مارفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه وكان صلى الله عليه وسلم يحبه ويشهد له بالجنة ولزم ركاب النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين ولم يفارقه وكان صلى الله عليه وسلم يقول فيه أرجو أن يكون خلفا من حمزة وقال له صلى الله عليه وسلم كل الصيد فى جوف الفرا وقيل قال ذلك لابى سفيان بن حرب ولا مانع من التعدد وتوفى أبو سفيان بن الحارث رضى الله عنه سنة خمس عشرة أو عشرين بالمدينة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقبره بالمدينة معروف يزار عليه قبة منيرة *يروى انه قال عند موته ولا تبكن على فانى لم أنطق بخطيئة منذ أسلمت* وأما عبد الله بن أبى أمية المخزومى فكذلك كان بعد اسلامه شديد الحياء من النبى صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يرفع طرفه اليه حياء منه واستشهد فى غزوة الطائف رضى الله عنه وعقد صلى الله عليه وسلم الالوية والرايات بقديد ودفعها للقبائل فأعطى لبنى سليم لواء وراية ولبنى غفار راية ولاسلم لواءين ولبنى كعب راية ولمزينة ثلاثة ألوية ولجهينة أربعة ألوية وكان جماعة من بنى بكر أسلموا فكانوا معه صلى الله عليه وسلم فأعطاهم لواء ولاشجع لواءين ورأى أبو بكر الصديق مناما قبل عقد الالوية وقيل عند نزولهم بمر الظهران فقال يارسول الله رأيت فى المنام أنا دنونا من مكة فخرجت الينا كلبة تهر أى تصوت فلما دنونا منها استلقت على ظهرها فاذا هى تشخب لبنا فقال صلى الله عليه وسلم ذهب كلبهم وأقبل درهم وهم سائلونا بأرحامهم وانكم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه وقوله ذهب كلبهم أى شدتهم وقوله وأقبل درهم المراد خيرهم وهو انقيادهم للاسلام ثم لما نزل صلى الله عليه وسلم مر الظهران أمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار لتراها قريش أو تسمع بها فترعب من كثرتها واستجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فأخذ العيون والاخبار عن أهل مكة ولم يبلغهم مسيره وهم مغتمون محزونون متحيرون خائفون وتقدم ان العباس رضى الله عنه استقبل النبى صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر فبعث أهله الى المدينة ورجع مع النبى صلى الله عليه وسلم قال العباس حين نزل النبى صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفسى لاهل مكة وقلت واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه انه لهلاك قريش الى آخر الدهر

فخلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلي أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة يخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة وكان من قضاء الله وقدره أن خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام و بديل بن ورقاء الخزاعي يتحسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به وقيل انه بلغهم مسيره صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا الى أي جهة وقيل ان قريشا بعثوا أبا سفيان يتحسس الاخبار وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا فاقبل أبو سفيان وحكيم وبديل يسيرون فلما سمعوا صهيل الخيل راعهم ذلك و رأوا كثرة النيران فقال أبو سفيان ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا هذه كنيران عرفة فقال بديل هذه نيران بني عمرو يعني خزاعة فقال أبو سفيان هم أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها فلما دخل أبو سفيان ومن معه عسكر المسلمين أخذهم حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية أخذتهم الخيل تحت الليل وكان الحرس عنده نفر من الانصار وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليهم تلك الليلة فجاؤا بهم فلما أخذوا بخطم أبعرتهم قال أبو سفيان من أنتم قالوا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم وروى الطبراني عن أبي ليلى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فقال ان أبا سفيان بالاراك فخذوه فأخذناه وفي رواية وكان صلى الله عليه وسلم بعث بين يديه خيلا تقتص العيون وخزاعة على الطريق لا يتركون أحدا يمضي ولما أخذ المسلمون أبا سفيان ومن معه جاؤا بهم الى عمر رضي الله عنه لكونه كان على الحرس تلك الليلة فقالوا جئناك بنفر أخذناهم من أهل مكة فقال عمر رضي الله عنه وهو يضحك اليهم والله لو جئتموني بأبي سفيان ما زدتم قالوا والله أتيناك بأبي سفيان فقال احبسوه وفي رواية ان العباس رضي الله عنه كان صديقا لابي سفيان فلما ركب البغلة لتوجه الى الاراك رجاء أن يجد من يبعثه لقريش ليأخذوا أمانا اذ سمع صوت أبي سفيان فأخذه وجاء به فأمسكه الحرس فأجاره من الحرس أن يقتلوه وقال عمر رضي الله عنه لابي سفيان حين مر به العباس عليه أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك من غير عقد ولا عهد قال العباس وقلت له يا أبا حنظلة تعرف صوتي فقال أبو الفضل قلت نعم قال مالك فداك أبي وأمي قلت والله هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس قد جاءكم بما لا قبل لكم به وفي رواية قد جاءكم في عشرة آلاف فقال واصباح قريش والله فما الحيلة فداك أبي وأمي قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك فتركه صاحبيه وركب خلف العباس رضي الله عنه فكان كلما مر بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا فاذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس عليها قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته قال العباس ثم خرج عمر رضي الله عنه يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة وسبقته فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر في اثري فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد فدعني أضرب عنقه قال العباس رضي الله عنه قلت يا رسول الله اني قد أجرته ولعل العباس وعمر لم يبلغهما قوله صلى الله عليه وسلم انكم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه قال العباس رضي الله عنه ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا يناجيه الليلة دوني رجل فلما أكثر عمر في شأن أبي سفيان قلت مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بني عدي ما قلت هذا ولكنك قد عرفت انه من رجال ابن عبد مناف فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الي من اسلام الخطاب لو أسلم ومالي الا اني عرفت أن اسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا عباس به الى رحالك فاذا أصبحت فأتني به كذا في رواية ابن اسحاق وذكر موسى بن عقبة وغيره أن العباس قال قلت يا رسول الله أبو سفيان وحكيم وبديل قد أجرتهم وهم يدخلون عليك قال أدخلهم فدخلوا عليه فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم فدعاهم الى الاسلام وأن يشهدوا أن لا اله الا الله وأنه رسول الله فشهد بديل وحكيم وقال أبو سفيان ما أعلم ذلك والله ان في النفس من هذا شيئا بعد فأرجئها أي أخرها وفي رواية قال له صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان أسلم تسلم قال كيف أصنع باللات والعزى فقال له عمر اخرأ عليهما وكان عمر رضي الله عنه خارج القبة ثم قال عمر أما والله لو كنت خارج القبة ما قلتها فقال أبو سفيان ويحك يا عمر انك رجل فاحش دعني مع ابن عمي فاياه أكلم فقال صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس فذهب به فلما أصبح أتى به أول النهار على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أن أبا سفيان لما أصبح ورأى الناس بادروا الى الوضوء قال ما للناس أمروا في بشئ قالوا لا ولكنهم قاموا الى الصلاة فأمره العباس فتوضأ وانطلق به فلما كبر صلى الله عليه وسلم كبر الناس ثم ركع فركعوا ثم رفع فرفعوا ثم سجد فسجدوا فقال ما رأيت كاليوم طاعة قوم جمعهم من ههنا وههنا ولا فارس الأكارم ولا الروم ذات القرون بأطوع منهم له يا أبا الفضل أصبح ابن أخيك والله عظيم الملك فقال العباس انه ليس بملك ولكنها النبوة فقال أوذاك فلما رآه صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من الصلاة قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله فلما رأى أبو سفيان مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم له بهذا الخطاب اللين العذب وأنه صلى الله عليه وسلم أغضى وضرب صفحا عما جرى منه في عداوته ومحاربته قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله اله غيره لاغنى عني شيئا لقد استنصرت الهي واستنصرت الهك فوالله ما لقيتك من مرة الا نصرت علي فلو كان الهي محقا والهك مبطلا لكنت غلبتك ثم قال صلى الله عليه وسلم ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه ففي النفس منها شئ فخاف عليه العباس أن يبادر أحد بقتله لانه ليس وقت مجادلة لاسيما مع شدة حنق المسلمين عليه فقال له ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فأسلم وشهد شهادة الحق رضي الله عنه وروى الحافظ الذهبي عن سعيد بن المسيب قال لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا فقال أبو سفيان لهند أترين هذا من الله ثم أصبح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قلت لهند أترين هذا من الله فقال أبو سفيان أشهد أنك عبد الله ورسوله والذي يحلف به ما سمع قولي هذا الا الله وهند وروى ابن عساكر عن عبد الله ابن أبي بكر بن حزم قال خرج صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان جالس في المسجد فقال في نفسه ما أدرى بم يغلبنا محمد فأتاه صلى الله عليه وسلم فضرب صدره وقال بالله نغلبك فقال أشهد أنك رسول الله وروى الحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأى أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي والناس يطأون عقبه فقال في نفسه لو عاودت هذا الرجل القتال وجمعت له جمعا فجاء عليه السلام حتى ضرب في صدره فقال اذن يخزيك الله فقال أتوب الى الله وأستغفر الله ما أيقنت أنك نبي الا الساعة اني كنت لأحدث بذلك نفسي * والحاصل أن أبا سفيان كان في أول الامر مستكرها لم يزل صلى الله عليه وسلم يترفق به ويتألفه حتى تمكن الاسلام من قلبه ولقد حضر مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة الطائف ففقئت عينه فجاء بها في يده الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت أرجعها الله اليك خيرا مما كانت وان شئت خيرا منها في الجنة فرمى بها وقال خيرا منها في الجنة وفقئت عينه

الاخرى يوم اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنه وكان يحث الناس ويحرضهم على القتال ويقول هذا
يوم من أيام الله انصروا دين الله ينصركم الله قال أنس بن مالك رضي الله عنه لقد رأيته أعمى
يقوده غلامه يدخل به على عثمان رضي الله عنه في زمن خلافته وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه
وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع سنة أربع وثلاثين وقيل سنة احدى وثلاثين وعمره ثمان وثمانون
سنة * قال السيوطي في تحفة الادب روى القزويني في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لطم
أبو جهل فاطمة رضي الله عنها في أول بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فشكت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لها ائت أبا سفيان فأتته فأخبرته فأخذ بيدها حتى وقف على أبي جهل فقال لها الطميه
كما لطمك ففعلت فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لأبي سفيان
قال ابن عباس رضي الله عنهما ما شككت أن اسلامه كان لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أوصى
صلى الله عليه وسلم بأصحابه وأنصاره وأصهاره وهو من أصهاره لأن ابنته أم حبيبة رضي الله عنها
كانت زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم اني سألت الله أن لا يدخل النار أحدا من
صاهرني أوصاهرته فالآن نصغي لما ينقله بعض المؤرخين ويتشدق به بعض أهل الزيغ والضلال
من الطعن فيه وفي ابنه أو في أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنكون من الهالكين وما جرى
بين الصحابة من الاختلاف فهو محمول على الاجتهاد وكلهم مأجورون ان شاء الله تعالى فنسأل الله أن
يحيينا ويميتنا على محبة أهل البيت وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأن لا يجعل لأحد منهم في عنقنا
ظلامة * قال موسى بن عقبة قال أبو سفيان وحكيم بن حزام يا رسول الله جئت بأوباش الناس من يعرف
ومن لا يعرف الى أهلك وعشيرتك فقال صلى الله عليه وسلم أنتم أظلم وأفجر فقد غدرتم بعهد الحديبية
وظاهرتم على بني كعب يعني خزاعة بالاثم والعدوان في حرم الله وأمنه فقالا صدقت يا رسول الله وقال
بديل والله يا رسول الله لقد غدروا ولو أن قريشا خلوا بيننا وبين عدونا يعني بني بكر ما نالوا منا ثم قالا
لو كنت جعلت جدك ومكيدتك لهوازن فهم أبعد رحما وأشد عداوة لك فقال صلى الله عليه وسلم اني
لأرجو من ربي أن يجمع لي ذلك كله فتح مكة واعزاز الاسلام بها وهزيمة هوازن وغنيمة أموالهم
وذراريهم فاني أرغب الى الله تعالى في ذلك ثم قال أبو سفيان يا رسول الله ادع الناس بالامان أرأيت
ان اعتزلت قريش فكفت أيديها أهم آمنون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم من كف يده وأغلق
داره فهو آمن ثم أراد العباس رضي الله عنه تثبيت اسلام أبي سفيان لئلا يدخل عليه الشيطان من
حيث انه كان متبوعا فأصبح تابعا ليس له من الامر شئ فقال يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب
الفخر فاجعل له شيئا قال نعم ثم أعانه أبو بكر رضي الله عنه فقد روى ابن أبي شيبة أن أبا بكر رضي الله عنه
قال يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب السماع أي الشرف يعني فاجعل له شيئا فقال صلى الله عليه
وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قال وما تسع داري زاد ابن عقبة ومن دخل دار حكيم فهو آمن
وهي من أسفل مكة ودار أبي سفيان بأعلاها ومن دخل المسجد فهو آمن قال وما يسع المسجد قال ومن
أغلق بابه فهو آمن قال أبو سفيان هذه واسعة وأمر صلى الله عليه وسلم مناديه أن ينادي بذلك كله الا
من استثناهم النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بقتلهم كما سيأتي ثم قال له العباس الحق الى قومك أي
بعد أن حبسه حتى مرت عليه جنود الله كما سيأتي وفي رواية أنه صلى الله عليه بعث أبا سفيان وحكيم
ابن حزام الى أهل مكة يناديان فيهم بذلك حتى اذا جاء أبو سفيان قومه صرخ بأعلى صوته يا معشر
قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به أسلموا تسلموا من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا قاتلك
الله وما تغني عنا دارك قال ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فقامت اليه هند زوجته

فأخذت بشاربه وقالت اقتلوا الحميت أي الزق الضخم الدسم الاحمس قبحت من طليعة قوم وفي رواية أنها أخذت بلحيته ونادت يا آل غالب اقتلوا الشيخ الاحمق هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم فقال لها ويحك اسكتي وادخلي بيتك والله لتسلمن أولاضربن عنقك وقال لهم ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فقد جاءكم بما لاقبل لكم به فتفرقوا الى دوركم والى المسجد وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال قبل مجيء أبي سفيان ومن معه اليه ان بمكة أربعة نفر أربأ بهم عن الشرك وأرغب بهم في الاسلام عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو وهذا يدل على أن جبيرا أسلم يوم الفتح لكن ذكر بعضهم أن اسلامه كان قبل ذلك وحكيم بن حزام رضي الله عنه أبوه حزام بن خويلد أخ لخديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فهي عمة حكيم وكان عمره حين أسلم ستين سنة وعاش في الاسلام ستين وتوفي وعمره مائة وعشرون سنة وكان من أشراف قريش في الجاهلية والاسلام أعتق في الجاهلية مائة رقبة وفي الاسلام مثل ذلك فانه حج في الاسلام ووقف بعرفة وأعتق بها مائة وصيف في أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام وأهدى مائة بدنة قد جللها بالحبرة وأهدى ألف شاة رضي الله عنه ولما أراد صلى الله عليه وسلم السير من مر الظهران قال للعباس رضي الله عنه لا آمن أن يرجع أبو سفيان فيكفر فاحبسه عند خطم الجبل حتى يرى جنود الله وجاء أن أبا بكر رضي الله عنه هو الذي قال يا رسول الله لو أمرت بأبي سفيان فحبس على الطريق فحبسه العباس بالمضيق دون الاراك وفي رواية ومعه حكيم بن حزام فقال أبو سفيان أغدرا قال لا ولكن لي اليك حاجة حتى تنظر جنود الله وما أعد الله للمشركين وفي رواية قال له ان أهل النبوة لا يغدرون وأمر صلى الله عليه وسلم كل قبيلة أن تكون عند راية صاحبها وتظهر ما معها من القوة والعدة فأصبح الناس على ظهر وقدم بين يديه الكتائب ومرت القبائل على قاداتها والكتائب على راياتها فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة والكتيبة بالتاء المثناة القطعة من الجيش وأبو سفيان ينظر اليهم ويسأل عنهم وأول من قدم خالد بن الوليد رضي الله عنه في بني سليم وهم ألف وقيل تسعمائة معهم لواآن يحملهما العباس بن مرداس وخفاف بن ندبة فحين مروا بأبي سفيان كبروا ثلاثا فقال أبو سفيان للعباس من هؤلاء فقال خالد بن الوليد فقال خالد الغلام قال نعم قال ومن معه قال بنو سليم قال مالي ولبني سليم ثم مر على أثره الزبير بن العوام رضي الله عنه في خمسمائة من المهاجرين وأفناء العرب فكبروا ثلاثا فقال أبو سفيان للعباس من هؤلاء قال الزبير بن العوام قال ابن أختك قال نعم ثم مرت كتيبة بني غفار في ثلثمائة يحمل رايتهم أبو ذر رضي الله عنه فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال يا عباس من هؤلاء قال غفار قال مالي ولغفار ثم مرت أسلم في أربعمائة فيها لواآن يحملهما بريدة بن الحصيب وناجية بن الاعجم فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال أسلم قال مالي ولاسلم ثم مرت بنو كعب ابن عمرو وهم خزاعة في خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال بنو كعب اخوة أسلم قال هؤلاء حلفاء محمد قال نعم ثم مرت مزينة فيها مائة فرس وثلاثة ألوية يحملها النعمان وعبد بن عمرو بن عوف وبلال بن الحارث فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال مزينة قال مالي ولمزينة قد جاءتني تقعقع من شواهقها ثم مرت جهينة في ثمانمائة فيها أربعة ألوية يحملها معبد بن خالد وسويد بن صخر ورافع بن مكيث وعبد الله بن بدر فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال جهينة قال مالي ولجهينة والله ما كان بيني وبينهم حرب قط ثم مرت كنانة بنو ليث وضمرة وسعد بن بكر في مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثي فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال بنو بكر قال نعم أهل شؤم والله هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم ثم مرت أشجع وهم ثلثمائة معهم لواآن يحملهما

معقل بن سنان ونعيم بن مسعود الاشجعي فكبر واثلاثا قال من هؤلاء قال أشجع قال هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد فقال له العباس أدخل الله الاسلام في قلوبهم فهذا فضل الله ومرت بنو تميم وبنو فزارة وسعد بن هذيم وهم من قضاعة فصنعوا مثل ذلك وقيل ان مرور هؤلاء كان قبل أشجع وان أشجع كانت آخرهم ثم قال أبو سفيان أبعد ما مضى محمد فقال له العباس لو أتت الكتيبة التي محمد فيها رأيت الخيل والحديد والرجال وما ليس لاحد به طاقة قال ومن له بهؤلاء طاقة وجعل الناس يمرون وهو يقول عند مرور كل قبيلة ما مر محمد فيقول العباس لا حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها اذ في كل بطن منها لواء وهم في الحديد لا يرى منهم الا الحدق فيهم ألفا دارع وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان من هؤلاء قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه معه راية الانصار وتقدم أن راية المهاجرين كانت مع الزبير رضي الله عنه وكان جملة من كان المهاجرين مع النبي صلى الله عليه وسلم والانصار وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول رويدا يلحق أولكم آخركم وفي رواية ثم جاءت كتيبة خضراء فيها ألفا دارع وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرون والانصار وفيها الرايات والالوية مع كل بطن من بطون الانصار لواء وراية وهم في الحديد لا يرى منهم الا الحدق ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه فيها زجل بصوت عال وهو يقول رويدا يلحق أولكم آخركم وفي رواية قال أبو سفيان سبحان الله يا عباس من هؤلاء قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصار فقال ما لاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما فقال يا أبا سفيان انها النبوة فقال نعم اذن فلما حاذى سعد بن عبادة أبا سفيان قال يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أي يوم الحرب الذي لا يوجد منه مخلص اليوم تستحل الكعبة أي يقتل من أهدر دمه ولو تعلق بأستار الكعبة فقال أبو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار أي حبذا يوم الهلاك تمنى أبو سفيان أن يكون له يد وقوة فيحمي قومه ويدفع عنهم وقيل معناه هذا يوم الغضب للحريم والاهل والانتصار لهم لمن قدر عليه قال ذلك علة وعجزا وقيل المعنى هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي لقربك من النبي صلى الله عليه وسلم وسمع مقالة سعد بن عبادة رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل سمعها رجلان وهما عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما فقالا يا رسول الله ما نأمن أن تكون لسعد صولة في قريش فقال لعلي رضي الله عنه أدركه فخذ الراية منه ثم أمره أن يسلمها لابنه قيس بن سعد ابن عبادة ورأى صلى الله عليه وسلم أن الراية لم تخرج عنه حيث صارت لابنه وقيل انما أمر بأخذ الراية منه حين حاذى النبي صلى الله عليه وسلم أبا سفيان فانه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما حاذاه وهو مار في جنود الله أمرت بقتل قومك قال لا فذكر له أبو سفيان ما قال سعد بن عبادة ثم ناشده الله والرحم أي قال له أنشدك الله في قومك فانك أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم فقال يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشا أي بالاسلام والدين وبانقاذهم من الضلال المبين وفي رواية ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة أشار بهذا الى أنه صلى الله عليه وسلم هو الذي يكسوها ذلك العام وقد وقع ذلك فالمراد من اليوم الزمان ثم أرسل الى سعد فأخذ الراية منه فدفعها الى ابنه قيس رضي الله عنه وروى ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه قال لما قال سعد بن عبادة ذلك القول تعرضت امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

يا نبي الهدى اليك لجاحي ✽ قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الار ✽ ض وعاداهم اله السماء
والتقت حلقتا البطان على القو ✽ م ونودوا بالصيلم الصلعاء

ان سعدا يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيظ رمانا بالنسر والعواء
وغر الصدر لايهم بشئ * غير سفك الدماوسبي النساء
قد تلظى على البطاح وجاءت * عنه هند بالسوءة السوآء
اذ ينادي بذل حي قريش * وابن حرب بذا من الشهداء
فلئن أقحم اللواء ونادى * ياحماة الادبار أهل اللواء
ثم ثابت اليه من بهم الخز * رج والاوس أنجم الهيجاء
لتكونن بالبطاح قريش * فقعة القاع في أكف الاماء
فانهينه فانه أسد الاسد لدى الغاب والغ في الدماء
انه مطرق يريد لنا الامر سكوتا كالحية الصماء

فلما سمع صلى الله عليه وسلم هذا الشعر دخلته رأفة ورحمة فأمر بالراية فأخذت من سعد ودفعت لابنه قيس وجاء انه لما جاءه الرسول من النبي صلى الله عليه وسلم بتسليمها لابنه أبى أن يسلمها الا بأمارة من النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه بعمامته فسلمها لابنه وجاء في بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم سلمها لعلي وفي بعضها انه سلمها للزبير بن العوام فدخل مكة برايتين قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر في الجمع بين الروايات انه صلى الله عليه وسلم أرسل عليا رضي الله عنه لينزعها ويدخل بها ثم خشي تغير خاطر سعد فأمر بدفعها لابنه قيس ثم ان سعدا اخشي أن يقع من ابنه شئ ينكره النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير ثم بعد مرور جنود الله كلها بأبي سفيان قال له العباس النجا الى قومك فجاء اليهم يصيح بالامان فأمسكته زوجته وقالت اقتلوه الى آخر ماتقدم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون قال عروة بن الزبير أخبرني نافع بن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت العباس يقول للزبير رضي الله عنهما في حجة اجتمعوا فيها بمكة في خلافة عمر رضي الله عنه ياأباعبد الله هاهنا أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية قال نعم قال الحلبي في السيرة وفي ذلك المحل بني مسجد يقال له مسجد الراية ودخل صلى الله عليه وسلم من الثنية العليا وأمر خالد بن الوليد ومن معه أن يدخلوا من الثنية السفلى روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته القصواء مردفا أسامة بن زيد رضي الله عنهما خلفه وهذا من مزيد تواضعه وكريم أخلاقه حيث أردف في هذا الموكب العظيم خادمه وابن خادمه رضي الله عنهما والمتكبر يعد ارداف ابنه اذا ركب في السوق عارا عليه ماذاك الا تكبر برأ الله منه نبيه صلى الله عليه وسلم وفي رواية ودخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الجمعة معتجرا بشقة برد حبرة حمراء وفي رواية وعليه عمامة سوداء حرقانية واضعا رأسه الشريف على رحله تواضعا لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله وكثرة المسلمين وهو يقول اللهم ان العيش عيش الآخرة وفي رواية دخل وعلى رأسه المغفر ويمكن الجمع بين ذلك كله وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما دخل صلى الله عليه وسلم عام الفتح أي لما أراد الدخول رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم والتفت الى أبي بكر رضي الله عنه وقال ياأبابكر كيف قال حسان فأنشده قوله

عدمت بنيتي ان لم تروها * تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الاعنة مسرجات * يلطمهن بالخمر النساء

فقال صلى الله عليه وسلم ادخلوها من حيث قال حسان وروى الطبراني عن العباس رضي الله عنه قال

لما بعث صلى الله عليه وسلم قلت لابي سفيان بن حرب أسلم بنا قال لا والله حتى أرى الخيل تطلع من كداء قلت ما هذا قال شئ طلع بقلبي لان الله لا يطلع هناك خيلا أبدا قال العباس رضي الله عنه فلما طلع صلى الله عليه وسلم من هناك ذكرت أبا سفيان به فذكره وتقدم هذا الحديث بأطول من هذا وانهما توجها الى اليمن في تجارة واجتمعا بحبر من أحبار اليهود وسألاه عن النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه عن صفاته فوصفاه له فقال هو هو بعينه وقام وترك رداءه فتعجب أبو سفيان من تصديق اليهود به وخوفهم منه فقال له العباس ألا تسلم بنا فقال لا والله حتى أرى الخيل تطلع من كداء الى آخر الحديث قال الحافظ ابن حجر وقد ساق موسى بن عقبة دخول خالد والزبير سياقا واضحا موافقا للاحاديث الصحيحة فقال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وأمره أن يدخل من كداء بالفتح والمد وأمره أن يركز رايته بالحجون وان يمكث عند الراية ولا يبرح حتى يأتيه وبعث خالد بن الوليد في قبائل منها قضاعة وسليم وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة وان يغرز رايته عند أدنى البيوت أي أقربها الى الثنية التي دخل منها وهو أول بيوت مكة من الجهة التي دخل منها وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب وكانت من برد لعائشة رضي الله عنها وجعل أبا عبيدة على الرجالة أي المشاة وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار وكانت معه الراية حتى نزعت منه واستمر بلا راية في مقدمة كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم فاندفع خالد بن الوليد رضي الله عنه حتى دخل من أسفل مكة وقد تجمع بها ناس من بني بكر وبني الحارث بن عبد مناف وناس من هذيل الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا ومنعوه الدخول وشهروا السلاح ورموه بالنبل وقالوا لا تدخلها عنوة فصاح خالد في أصحابه فقاتلهم فانهزموا أقبح الانهزام وقتل من بني بكر نحو أربعة وعشرين رجلا ومن هذيل أربعة حتى انتهى بهم القتال الى الحزورة وكانت سوقا بمكة ثم دخلوا الدور وارتفعت طائفة منهم على الجبال هربا وتبعهم المسلمون فصاح حكيم بن حزام وأبو سفيان يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم من دخل داره فهو آمن ومن وضع السلاح فهو آمن فجعلوا يقتحمون الدور ويغلقون أبوابها ويطرحون السلاح في الطرق فيأخذه المسلمون وروى ابن اسحاق ان أصحاب خالد لقوا ناسا من قريش منهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وتجمعوا بالخندمة ليقاتلوا المسلمين فناوشوهم شيئا من القتال فقتل من أصحاب خالد مسلمة بن الميلاء الجهني وقتل من المشركين اثنا عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا وفي ذلك يقول حماس بن قيس يخاطب امرأته حين لامته على الفرار وقد كان سابقا يصلح سلاحه ويعدها أن يأتيها ببعض الاسرى المسلمين يكون خادما لها وكانت أسلمت سرا وفي رواية انها رأته وهو يبري نبلا له فقالت له لم تبري هذا النبل قال بلغني ان محمدا يريد أن يفتح مكة ويغزونا فلئن كان لاخدمنك خادما من بعض من نستأسره فقالت والله لكأني بك قد رجعت تطلب مخبأ أخبؤك فيه لو رأيت خيل محمد فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أقبل اليها وقال ويحك هل من مخبأ فقالت له وأين الخادم فقال لها دعيني عنك وأنشد يقول

انك لو شهدت يوم الخندمه * اذ فر صفوان وفر عكرمه
وابو يزيد قائم كالموتمه * واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه * ضربا فلا تسمع الا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه * لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه

وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف يابني عبد الرحمن وشعار الخزرج يابني عبد الله وشعار

الاوس يا بني عبد الله وقتل من أصحاب خالد أيضا رجلان حبيش بن الاشعر الخزاعي أخو أم معبد التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا وكرز بن جابر الفهري وهذا أسلم بعد غزوة بدر وكان قبل ذلك من رؤساء المشركين وهو الذي أغار على سرح النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر الاولى ثم لما أسلم استعمله النبي صلى الله عليه وسلم وبعثه في طلب العرنيين كما تقدم ولما وقع القتال بأسفل مكة نظر صلى الله عليه وسلم الى بارقة السيوف فقال ماهذا وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن ان خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد أن يقاتلهم وجاء في رواية انه قيل له يارسول الله هذا خالد بن الوليد يقتل فقال قم يافلان فقل له فليرفع يديه من القتل فأتاه الرجل فقال له ان نبي الله يقول لك اقتل من قدرت عليه وأجرى الله ذلك على لسانه فقتل سبعين فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل الى الآخر ألا آمرك أن تنذر خالدا قال أردت أمرا فأراد الله أمرا فكان أمر الله فوق أمرك وما استطعت الا الذي كان فسكت صلى الله عليه وسلم وما رد عليه وقوله فقتل سبعين لا ينافي رواية أربعة وعشرين لان زيادة الثقة مقبولة والاقل داخل في الاكثر وقال موسى بن عقبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن لخالد رضي الله عنه قاتلت وقد نهيتك عن القتال فقال هم بدؤنا بالقتال وقد كففت يدي ما استطعت فقال صلى الله عليه وسلم قضاء الله خير وجاء في رواية ان قريشا وبشت أوباشا لها أي جمعت جموعا من قبائل شتى فنادى صلى الله عليه وسلم أبا هريرة رضي الله عنه وقال له اهتف لي بالانصار فهتف بهم فجاؤا وأطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ترون الى أوباش قريش واتباعهم ثم قال بيديه احداهما على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا قال أبو هريرة رضي الله عنه فانطلقنا فما نشاء أن نقتل أحدا منهم الا قتلناه لا يقدر أن يدفع عن نفسه فجاء أبو سفيان فقال يارسول الله أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم من أغلق بابه فهو آمن أي أمر أن ينادي بذلك ويعلن به ووجه صلى الله عليه وسلم اللوم على خالد بن الوليد فقال يارسول الله هم بدؤنا بالقتال وقد كففت ما استطعت ودعوتهم الى الاسلام فأبوا حتى اذا لم أجد بدا قاتلتهم فظفرنا الله بهم فهربوا في كل وجه فقال صلى الله عليه وسلم قضاء الله خير وجاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم قال كفوا القتال الا خزاعة عن بني بكر الى صلاة العصر وهي الساعة التي أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان دخوله صلى الله عليه وسلم لعشر بقين من رمضان ومعه صلى الله عليه وسلم زوجتاه أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما * وتقدم انه صلى الله عليه وسلم استثنى أناسا من الدخول في الامان وأمر بقتلهم وهم خمسة عشر ما بين رجل وامرأة عبد الله بن أبي سرح وعبد الله بن خطل وقينتان كانتا عنده تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وعكرمة بن أبي جهل والحويرث ابن نقيد ومقيس بن صبابة وهبار بن الاسود وكعب بن زهير والحارث بن هشام وهو أخو أبي جهل لابويه وزهير بن أبي أمية وسارة وهي مولاة لبني المطلب وصفوان بن أمية وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان أم معاوية ووحشي قاتل حمزة وأكثر هؤلاء أسلموا كما سيأتي بيانه أما عبد الله بن أبي سرح بن الحارث العامري فانه كان أسلم ثم ارتد ولحق بمكة وصار يتكلم بكلام قبيح في حق النبي صلى الله عليه وسلم فاهدر دمه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فلما علم باهدار دمه لجأ الى عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان أخاه من الرضاع فقال يا أخي استأمن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب عنقي فغيبه عثمان رضي الله عنه حتى هدأ الناس واطمأنوا ثم أتى به اليه صلى الله عليه وسلم وصار يقول عثمان يارسول الله أمنته فبايعه والنبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه مرارا ثم قال نعم فبسط يده فبايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال صلى الله عليه وسلم لمن حوله أعرضت عنه مرارا ليقوم اليه بعضكم فيضرب

عنه وكان عباد بن بشر رضي الله عنه نذر ان رأى عبد الله بن أبي سرح قتله وكان قائما على رأس النبي صلى الله عليه وسلم وهو متقلد سيفه ينتظر النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه أن يقتله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انتظرتك ان توفي بنذرك فقال يا رسول الله خفتك أفلا أومضت الي فقال انه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين وهو الايماء بالطرف قال الزرقاني ثم أدركته العناية الازلية وأتته السعادة الابدية فأسلم وحسن اسلامه وعرف فضله وجهاده وكان على ميمنة عمرو بن العاص رضي الله عنه في فتح مصر وكانت له المواقف المحمودة في الفتوح وهو الذي افتتح افريقية في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ثمان أو سبع وعشرين وكان ذلك الفتح من أعظم الفتوح بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وغزا الاساود من النوبة سنة احدى وثلاثين وهادن باقي النوبة الهدنة الباقية بعده وغزا ذات الصواري سنة أربع وثلاثين وولاه عمر رضي الله عنه صعيد مصر ثم ضم اليه عثمان رضي الله عنه مصر كلها وكان محمودا في ولايته واعتزل الفتنة حتى مات سنة سبع أو تسع وخمسين وروى البغوي باسناد صحيح عن يزيد بن أبي حبيب قال لما كان عند الصبح قال ابن أبي سرح اللهم اجعل آخر عملي الصبح فتوضأ ثم صلى فسلم عن يمينه ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه رضي الله عنه * وأما عبد الله بن خطل فانه انما أمر بقتله لانه كان ممن قدم المدينة قبل فتح مكة وأسلم وكان اسمه عبد العزى فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وبعثه لاخذ الصدقة وأرسل معه رجلا من الانصار يخدمه وفي رواية كان معه مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمر أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام ثم استيقظ فلم يجده صنع له شيئا وهو نائم فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان شاعرا فجعل يهجو النبي صلى الله عليه وسلم في شعره وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يصنعه وقد جاء انه يوم فتح مكة ركب فرسه ولبس درعه وأخذ بيده قناة وصار يقسم لا يدخلها محمد عنوة فلما رأى خيل الله دخله الرعب فانطلق الى الكعبة فنزل عن فرسه وألقى سلاحه ودخل تحت أستارها فأخذ رجل سلاحه وركب فرسه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون فأخبره فأمر بقتله وقيل لما طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة قيل هذا ابن خطل متعلقا بأستار الكعبة فقال اقتلوه فان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب فقتله سعيد بن حريث وأبو برزة الاسلمي وقيل الزبير وقيل سعيد بن ذويب وقيل سعيد بن زيد والظاهر انهم اشتركوا في قتله جمعا بين الاقوال وأمر صلى الله عليه وسلم بقتل قينتيه فقتلت احداهما واستؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم للاخرى فأمنها فأسلمت * وأما عكرمة بن أبي جهل فانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان من أشد الناس اذية للنبي صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس على المسلمين ولما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه هرب ليلقي نفسه في البحر أو يموت تائها في البلاد وكانت امرأته أم حكيم رضي الله عنها بنت عمه الحارث بن هشام رضي الله عنه أسلمت قبله فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابو داود والنسائي ان عكرمة ركب البحر أي حين هرب فأصابتهم ريح عاصف فنادى عكرمة اللات والعزى فقال أهل السفينة أخلصوا ان آلهتكم لا تغني عنكم شيئا ههنا فقال عكرمة والله لئن لم ينج من البحر الا الاخلاص لا ينجي في البر غيره اللهم لك علي عهد ان أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدا حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفوا غفورا كريما فجاء وأسلم أي بعد ان ذهبت اليه زوجته وجاءت به وقد ذكر كثير من المفسرين انه نزل فيه واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وروى البيهقي ان امرأته قالت يا رسول الله قد ذهب عكرمة عنك الى اليمن وخاف أن تقتله فأمنه فقال هو آمن فخرجت في طلبه فأدركته وقد ركب سفينة ونوتي يقول له

أخلص أخلص قال ما أقول قال قل لا اله الا الله قال ماهربت الا من هذا وان هذا أمر تعرفه العرب والعجم حتى النواتى ماالدين الا ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم قال وغيرالله قلبى وجاءت أم حكيم تقول يا ابن عم جئتك من عند أبر الناس وخير الناس لا تهلك نفسك انى قد استأمنت لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع معها وجعل يطلب جماعها فتأبى وتقول أنت كافر وانا مسلمة فقال ان أمرا منعك منى لامر كبير فلما وافى مكة أو المدينة قال صلى الله عليه وسلم يأتيكم عكرمة فلا تسبوا أباه فان سب الميت يؤذى الحى قال الزهرى وابن عقبة فلما رآه صلى الله عليه وسلم وثب قائما فرحا به و رمى عليه رداءه وقال مرحبا بمن جاء مؤمنا مهاجرا فوقف بين يديه صلى الله عليه وسلم ومعه زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام رضى الله عنها وهى منتقبة فقال ان هذه أخبرتنى انك آمنتنى فقال صلى الله عليه وسلم صدقت فأنت آمن فقال الام تدعو قال أدعو الى أن تشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وكذا وكذا حتى عد خصال الاسلام قال مادعوت الا الى خير وأمر حسن جميل قد كنت فينا يارسول الله قبل أن تدعونا وأنت أصدقنا حديثا وأبرنا ثم قال فانى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال ثم ماذا قال تقول أشهد الله واشهد من حضرنى انى مسلم مجاهد مهاجر فقال عكرمة ذلك رواه البيهقى وفى رواية قال عكرمة أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وطأطأ رأسه من الحياء فقال له يا عكرمة ماتسألنى شيئا أقدر عليه الا أعطيتكه قال استغفرلى كل عداوة عاديتكها فقال اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أومنطق تكلم به ورد صلى الله عليه وسلم زوجته له أى أبقاها على نكاحها الاول حيث اجتمعا فى الاسلام قبل تمام عدتها وكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة رضى الله عنه وروى ابن عبد البر انه صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه انه دخل الجنة ورأى فيها عذقا فأعجبه فقال لمن هذا فقيل لابى جهل فشق عليه وقال لا يدخلها الا نفس مؤمنة فلما جاءه عكرمة بن أبى جهل مسلما فرح به وأول ذلك العذق بعكرمة واستدل بذلك على تأخر الرؤيا وانها قد تكون لغير من ترى له ولم يزل عكرمة رضى الله عنه مستقيما حاله حتى استشهد فى الشام فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقيل انما استشهد فى خلافة عمر رضى الله عنه وتفصيل ذلك ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما فرغ من قتال أهل الردة قوم مسيلمة الكذاب جهز الجيوش لغزو الروم وأمر عليهم أبا عبيدة رضى الله عنه ثم عزله وولى خالد بن الوليد رضى الله عنه وكان ممن خرج مع الناس عكرمة بن أبى جهل والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو رضى الله عنهم ووقفوا أنفسهم للجهاد وانهم لا يرجعون فحضروا فتوح الشام بعد حروب كثيرة ثم توفى أبو بكر رضى الله عنه واستخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه فولى أبا عبيدة رضى الله عنه على الجنود وأبقى خالد بن الوليد رضى الله عنه أميرا من الامراء تحت أمر أبى عبيدة فخرجوا من الشام لفتح بقية المدائن التى حوله ففتحوا بعلبك ومدائن كثيرة ثم توجهوا لفتح حمص ولاقتهم الروم بجموع كثيرة فاقتتلوا مع المسلمين قتالا شديدا ولم يكن أجد فى يوم حمص أشد قتالا ولا أكثر بأسا من عكرمة بن أبى جهل حتى كان يقصد الاسنة بنفسه فقيل له اتق الله وارفق بنفسك فقال ياقوم أنا كنت أقاتل عن الاصنام فكيف اليوم وأنا أقاتل فى طاعة الملك العلام وانى أرى الحور العين تتشوقن الى ولو بدت واحدة منهن لاهل الدنيا لاغنتهم عن الشمس والقمر ولقد صدقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما وعدنا ثم سل سيفه وغاص فى الروم ولم يزدد الا اقداما وقد عجبت الروم من حسن صبره وقتاله فبينما هو كذلك اذحمل عليه البطريق الكبير من بطارقتهم ويسمى هربيس وبيده حربة عظيمة تضىء وتلتهب فهزها فى كفه وضربه بها فوقعت فى قلبه ومرقت من ظهره فاستشهد وعجل الله بروحه الى الجنة رضى الله عنه فوقف عليه ابن عمه خالد بن الوليد رضى الله عنه

وبكى بكاء شديدا ثم كر سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين على البطريق الذى قتل عكرمة فقتله وعجل الله بروحه الى النار ثم فتح الله عليهم حمص وكان جملة من قتل من الكفار فى ذلك اليوم خمسة آلاف وجملة من استشهد من المسلمين مائتان وخمسة وثلاثون رجلا رضى الله عنهم * وفى الاحياء للامام الغزالى فى كتاب تلاوة القرآن كان عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه اذا نشر المصحف غشى عليه ويقول هو كلام ربى هو كلام ربى رضى الله عنه ولما انقضت عدة زوجته أم حكيم رضى الله عنها وكانت خرجت مع زوجها الى الشام تزوجها خالد بن سعيد رضى الله عنه وأراد أن يدخل بها فجعلت تقول لو أخرت الدخول حتى يفضى الله هذه الجموع تعنى الروم فقال خالد ان نفسى تحدثنى انى أصاب فى جموعهم قالت فدونك فدخل بها فى خيمة فما أصبح الا والروم قد اصطفت فخرج خالد رضى الله عنه فقاتل حتى قتل فشدت أم حكيم رضى الله عنها عليها ثيابها وأخذت عمود الخيمة التى دخل بها فيها خالد وقتلت بذلك العمود سبعة من الروم وجاء أن عكرمة رضى الله عنه شكى الى النبى صلى الله عليه وسلم قول الناس له عكرمة بن أبى جهل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات وفى رواية لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء وفى أخرى اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وقد كان قبل اسلامه رضى الله عنه بارز رجلا من المسلمين فقتله فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بعض الانصار ما أضحكك يا رسول الله وقد فجعنا بصاحبنا فقال أضحكنى أنهما فى درجة واحدة فى الجنة ومن ثم قتل عكرمة رضى الله عنه شهيدا فى قتال الروم فى وقعة اليرموك كما تقدم * وأما الحويرث بن نقيد بنون وقاف مصغرا ابن وهب بن عبد بن قصى فانما أهدر دمه صلى الله عليه وسلم لانه كان يعظم القول فيه صلى الله عليه وسلم وينشد الهجاء فيه ويكثر اذاه وهو بمكة وكان العباس رضى الله عنه حمل فاطمة وأم كلثوم رضى الله عنهما بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة فنخس الحويرث بهما الجمل فرمى بهما الارض وشارك هبار بن الاسود فى نخس جمل زينب رضى الله عنها لما هاجرت فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه فقتله على رضى الله عنه وذلك أنه سأل عنه وهو فى بيته قد أغلق عليه بابه فقيل هو فى البادية فتنحى على رضى الله عنه عن بابه فخرج يريد أن يهرب من بيت الى آخر فتلقاه على رضى الله عنه فضرب عنقه * وأما مقيس بن صبابة فانه كان أسلم ثم أتى على انصارى فقتله وكان الانصارى قتل أخاه هشام بن صبابة خطأ فى غزوة ذى قرد ظنه من العدو فجاء مقيس فأخذ الدية ثم قتل الانصارى ثم ارتد ورجع الى قريش فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه فقتله نميلة ابن عبد الله الليثى * وأما هبار بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشى الاسدى فانه كان شديد الاذى للمسلمين وكان عرض لزينب رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس بها الجمل حتى سقطت على صخرة وأسقطت جنينها ولم تزل مريضة حتى ماتت رضى الله عنها فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح فهرب واختفى ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة قال جبير بن مطعم رضى الله عنه كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من الجعرانة فطلع هبار بن الاسود فقالوا يا رسول الله هبار بن الاسود قال قد رأيته فأراد رجل القيام اليه فأشار اليه أن اجلس ووقف هبار فقال السلام عليك يا نبى الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وقد هربت منك فى البلاد وأردت اللحاق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمن جهل عليك وكنا يا رسول الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة فاصفح عن جهلى وعما كان يبلغك عنى فانى مقر بسوء فعلى معترف بذنبى فقال صلى الله عليه وسلم قد عفوت عنك وقد أحسن الله اليك حيث هداك للاسلام والاسلام يجب ما قبله قال الزهرى

ان هبارا رضى الله عنه لما قدم المدينة جعلوا يسبونه فشكى ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال سب من سبك فكفوا عنه * وأما كعب بن زهير بن أبي سلمى المزنى فانما أهدر دمه صلى الله عليه وسلم لانه كان من الشعراء الذين تكلموا بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم وصار يعير أخاه بجيرا حين أسلم وكان من خبر كعب وأخيه بجير أن بجيرا قال لكعب اثبت فى غنمنا حتى آتى هذا الرجل يعنى النبي صلى الله عليه وسلم فأسمع كلامه وأعرف ما عنده فأقام كعب بأبرق العزاف وهو ماء لبنى أسد بين المدينة والربذة ومضى بجير فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه وآمن به وسبب قول بجير لاخيه اثبت فى غنمنا حتى آتى هذا الرجل الخ أن أباهما زهيرا كان يجالس أهل الكتاب فسمع منهم انه قد قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير فى منامه أنه قد مد بسبب أى حبل من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته فأول ذلك بالنبي الذى يبعث فى آخر الزمان وانه لا يدركه وأخبر بنيه بذلك المنام وبما سمعه من أهل الكتاب وأمرهم وأوصاهم ان أدركوه أن يسلموا فكتب بجير الى أخيه كعب يخبره بأنه قد ظهر امره وتحققت نبوته وانه آمن به واتبعه وحثه على القدوم اليه ليؤمن كايمانه فكتب اليه كعب

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا ان كنت لست بفاعل * على أى شئ غير ذلك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا * عليه ولا تلفى عليه أخا لكا
فان كنت لم تفعل فلست بآسف * ولا قائل اما عثرت لعا لكا
سقاك بها المأمون كأسا روية * فأنهلك المأمون منها وعلكا

وكان صلى الله عليه وسلم يسمى فى الجاهلية الامين والمأمون ثم أرسل كعب بالابيات الى أخيه بجير فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده اياها فلما سمع صلى الله عليه وسلم قوله سقاك بها المأمون قال صدق وانه لكذوب وأنا المأمون ولما سمع قوله على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه قال أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه ثم قال صلى الله عليه وسلم من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب اليه أخوه بجير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل رجالا ممن كانوا يهجونه ويؤذونه فان كانت لك فى نفسك حاجة فطر أى أقبل مسرعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل أحدا جاء تائبا وان أنت لم تفعل فانج الى نجائك من الارض أى الى محل ينجيك وكتب له هذه الابيات

فمن مبلغ كعبا فهل لك فى التى * تلوم عليها باطلا وهى أحزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده * فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت * من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شئ دينه * ودين أبى سلمى على محرم

فلما بلغت الابيات كعبا وبلغه انه صلى الله عليه وسلم أمر بقتله وأراق دمه ضاقت عليه الارض وخاف على نفسه وأرجف به أى خوفه من كان حاضرا عنده من مجيئه لرسول الله وقالوا له انك لمقتول فلما لم يجد بدا ومخلصا يلتجئ اليه الا الاسلام خرج حتى قدم المدينة بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من فتح مكة فنزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ثم أشار له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه فجاء حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده فى يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال أنا يا رسول الله كعب بن زهير ثم تشهد فقال أشهد أن لا اله الا الله

وأن محمدا رسول الله ثم أنشده قصيدته المعروفة التي أولها بانت سعاد فقلبي اليوم متبول الى أن قال فيها

تسعى الوشاة بجنبيها وقولهم * انك يا ابن أبي سلمى لمقتول
وقال كل صديق كنت آمله * لا ألهينك اني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم * فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول
أنبئت أن رسول الله أوعدني * والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ * ـقرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم * أذنب وان كثرت في الاقاويل

وقال فيها

ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زولوا

الى آخر القصيدة قال ابن الانباري انه لما وصل الى قوله ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول * رمى عليه الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه وان معاوية رضي الله عنه في زمن خلافته بذل له فيها عشرة آلاف درهم فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أعطانيه أحدا فلما مات بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم وكان الخلفاء يلبسونها في الاعياد وقيل انها فقدت في وقعة التتار وروى ابن اسحاق انه لما جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وثب عليه رجل من الانصار فقال يارسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم دعه عنك فانه جاء تائبا نازعا أي مائلا مشتاقا الى الاسلام كافا عن الشرك تاركا له فغضب كعب على هذا الحي من الانصار لما صنع به صاحبهم وخص المهاجرين بمدحه في قصيدته لانهم لم يتكلم واحد منهم الا بخير وعرض بذم الانصار فقال له صلى الله عليه وسلم لولا ذكرت الانصار بخير فانهم أهل لذلك فقال بعد ذلك يمدح الانصار

من سره كرم الحياة فلا يزل * في مقنب من صالحي الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر * ان الخيار هم بنو الاخيار
الناظرون بأعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار
والبائعون نفوسهم لنبيهم * للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكا لهم * بدماء من علقوا من الكفار

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء وكذا أبوه زهير وأخوه بجير وابنه عقبة بن كعب وابن ابنه العوام بن عقبة رضي الله عنه وجاء عن سعيد بن المسيب أن كعبا لما قدم المدينة سأل عن أرق الصحابة رضي الله عنهم فدل على أبي بكر رضي الله عنه فأخبره بخبره فمشى أبو بكر وكعب على أثره حتى صار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل يبايعك يارسول الله فمد يده فبايعه قال العلامة الزرقاني والجمع ممكن بأنه لما قدم المدينة نزل على الجهني فأخبره بأن أبا بكر أرق الصحابة وأتى به اليه فسار به معا ثم تقدم الصديق وكعب على أثره فلما أمن عرفه بنفسه والله أعلم * وأما الحارث بن هشام المخزومي وهو أخو أبي جهل شقيقه فانه كان شديدا على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وكذا زهير بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة رضي الله عنها فانه كان شديدا في كفره فأهدر دمهما صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فهربا واختبيا في بيت أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها فأجارتهما فأجاز صلى الله عليه

وسلم جوارها ثم جاءت بهما فأسلما وحسن اسلامهما رضى الله عنهما وكون الذى أجارته مع الحارث ابن هشام هو زهير بن أبى أمية هو الصحيح وقيل الذى أجارته معه هو عبد الله بن أبى ربيعة وقيل هو هبيرة ابن أبى وهب قال الحافظ ابن حجر وهذا ليس بشئ لان هبيرة هرب عند الفتح الى نجران فلم يزل بها مشركا حتى مات وكانت أم هانئ رضى الله عنها تحت هبيرة بن أبى وهب المخزومى روى الامام أحمد وغيره عن أم هانئ رضى الله عنها قالت لما كان يوم الفتح فر الى رجلان من احمائى من بنى مخزوم فدخل على على رضى الله عنه فقال والله لأقتلنهما فأغلقت عليهما بيتى ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآنى قال مرحبا وأهلا يا أم هانئ ماجاء بك فأخبرته خبر الرجلين وخبر على رضى الله عنه فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ والمشهور ان اسلام أم هانئ رضى الله عنها كان عام الفتح وقيل أسلمت قديما وكانت تكتم اسلامها وعن الحارث بن هشام رضى الله عنه قال لما أجارتنى أم هانئ رضى الله عنها وأجاز النبى صلى الله عليه وسلم جوارها صار لا يتعرض لى أحد بعد ذلك وكنت أخشى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمر على وأنا جالس ولم يتعرض لى وكنت أستحيى أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أذكر برؤيته اياى ما كنت أفعله فى كل موطن مع المشركين فلقيته وهو داخل المسجد فلقينى بالبشر ووقف حتى جئته فسلمت عليه وشهدت شهادة الحق فقال الحمد لله الذى هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام ثم صار بعد ذلك من فضلاء الصحابة وابنه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كان من فضلاء التابعين وعلمائهم وعبادهم رضى الله عنه وكذا ابن ابنه أبو بكر بن عبد الرحمن وابنه عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضى الله عنهم * وأما سارة فهى مولاة لبنى المطلب بن عبد مناف وانما أهدر صلى الله عليه وسلم دمها لانها كانت مغنية بمكة تغنى بهجاء النبى صلى الله عليه وسلم وهى التى كان معها كتاب حاطب بن أبى بلتعة وكانت قدمت المدينة تشكو الحاجة وتطلب الصلة فقال لها صلى الله عليه وسلم ما كان فى غنائك مايغنيك فقالت ان قريشا منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناء فوصلها وأوقر لها بعيرا طعاما فرجعت الى مكة وكان ابن خطل يلقى اليها هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغنى به فاختفت عند فتح مكة ثم استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته وأسلمت وحسن اسلامها رضى الله عنها * وأما صفوان بن أمية بن خلف الجمحى فكان أيضا من أشد الناس عداوة وأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فأهدر دمه صلى الله عليه وسلم فاختفى وأراد أن يذهب ويلقى نفسه بالبحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحى رضى الله عنه وقال يانبى الله ان صفوان سيد قومه قد هرب ليقذف نفسه فى البحر فأمنه فانك أمنت الاحمر والاسود فقال أدرك ابن عمك فهو آمن فقال أعطنى آية يعرف بها أمانك فانى قد طلبت منه العود فقال لا أعود معك الا أن تأتينى بعلامة أعرفها فأعطاه صلى الله عليه وسلم عمامته التى دخل بها مكة فلحقه بها وهو يريد ركب البحر فقال له صفوان اعزب عنى لا تكلمنى فقال أى صفوان فداك أبى وأمى جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وهو ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال انى أخافه على نفسى قال هو أحلم من ذلك وأكرم وأراه العمامة التى جاء بها فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هذا زعم انك أمنتنى قال صدق فقال أمهلنى بالخيار شهرين فقال صلى الله عليه وسلم أنت بالخيار أربعة أشهر ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج الى حرب هوازن استقرض منه أربعين ألف درهم وطلب منه دروعا كانت عنده فقال أغصبا يامحمد قال لا ولكن عارية مرجوعة أو مضمونة ثم خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم حين خرج لحرب هوازن وهو على شركه فلما قسم صلى الله عليه وسلم غنائم هوازن بحنين أعطاه مائة من الابل ثم مائة ثم مائة

ثم رآه صلى الله عليه وسلم يرمق شعبا مملوأ نعما وشاء فقال له صلى الله عليه وسلم يعجبك هذا قال نعم قال هو لك وما فيه وفي رواية أن صفوان رضي الله عنه طاف مع النبي صلى الله عليه وسلم ليتصفح الغنائم إذ مر بشعب مملوء ابلا وغنما فأعجبه وجعل ينظر اليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب قال نعم قال هو لك بما فيه فقبض صفوان ما في الشعب وقال ان الملوك لا تطيب نفوسها بمثل هذا ما طابت نفس أحد قط بمثل هذا الا نبي أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وترك المدة التي كان طلبها وكان يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم أبغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار أحب الخلق الي * وأما هند بنت عتبة بن ربيعة زوج أبي سفيان وأم ابنه معاوية رضي الله عنهم فانما أهدر دمها صلى الله عليه وسلم لانها مثلت بعمه حمزة رضي الله عنه يوم أحد ولاكت قلبه ولم تقدر على ابتلاعه فلفظته فلما كان يوم الفتح ورأت جند الله اختفت في بيت أبي سفيان زوجها ثم أسلمت وأتته صلى الله عليه وسلم بالابطح وقالت الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه لتمسني رحمتك يا محمد اني امرأة مؤمنة بالله مصدقة به ثم قالت أنا هند بنت عتبة فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بك ثم أرسلت اليه بهدية جديين مشويين وقديد مع جارية لها فقالت انما تعتذر اليك وتقول لك ان غنمنا اليوم قليلة الوالدة فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لكم في غنمكم وأكثر والدتها قالت هند فلقد رأينا من كثرتها ما لم نره قبل وذلك بدعائه صلى الله عليه وسلم وقالت كنت أرى في النوم اني في الشمس أبدا قائمة والظل قريب مني لا أقدر عليه فلما دنا صلى الله عليه وسلم رأيت كأني دخلت الظل فكان ذلك هو الدخول في الاسلام وجاء انها لما أسلمت عمدت الى صنم كان في بيتها فجعلت تضربه بالقدوم وتقول كنا منك في غرور * وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قالت هند بنت عتبة يا رسول الله ما كان على ظهر الارض أهل خباء أحب الي أن يذلوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر الارض أهل خباء أحب الي أن يعزوا من أهل خبائك قال النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا والذي نفسي بيده أي ستزيدين من ذلك ويتمكن الايمان في قلبك فيزيد حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقوى رجوعك عن بغضه ثم قالت يا رسول الله ان أبا سفيان رجل مسيك فهل علي حرج ان أطعم من الذي له عيالنا قال لا أراه الا بالمعروف وكان اسلامها بعد اسلام زوجها فأقرهما صلى الله عليه وسلم على النكاح الاول لان الاسلام جمعهما في العدة بل قيل ان بين اسلامها واسلام زوجها ليلة واحدة وكانت هند امرأة ذات أنفة ورأي وعقل وجاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهم هند بنت عتبة متنقبة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهن بايعنني على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينني في معروف فقالت هند لما قال ولا تسرقن قالت والله اني كنت أصيب من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدري أكان ذلك حلالا أم لا فقال أبو سفيان وكان حاضرا أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل عفا الله عنك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك يا نبي الله ولما قال ولا تزنين قالت أوتزني يا رسول الله الحرة ولما قال ولا تقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغارا فقتلتهم كبارا وفي لفظ وهل تركت لنا ولدا الا قتلته يوم بدر فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى على قفاه وتبسم صلى الله عليه وسلم ولما قال ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن قالت والله ان اتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولما قال ولا تعصينني في معروف قالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا ان نعصيك في معروف وحضرت هند

قتال الروم يوم اليرموك مع أبي سفيان وكانت تشجع المسلمين وتحرضهم على القتال مع بقية النسوة اللاتي كن معها وتوفيت في خلافة عمر رضي الله عنه في اليوم الذي توفي فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم وكان من جملة من أسلم وبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام ابنها معاوية وأخوه يزيد ابنا أبي سفيان وقيل ان اسلام معاوية كان عام الحديبية وعن معاوية رضي الله عنه قال لما كان عام الحديبية وقع الاسلام في قلبي فذكرت ذلك لامي فقالت اياك أن تخالف أباك فيقطع عنك القوت فأسلمت وأخفيت اسلامي فقال لي يوما أبو سفيان وكأنه شعر باسلامي أخوك خير منك هو على ديني فلما كان عام الفتح أظهرت اسلامي ولقيته صلى الله عليه وسلم فرحب بي وكتبت له بعد أن استشار في ذلك جبريل عليه السلام فقال استكتبه فانه أمين * وفي البخاري ان كريبا قال لابن عباس رضي الله عنهما ان معاوية يوتر بركعة فقال دعه فانه فقيه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءانه صلى الله عليه وسلم أردفه يوما خلفه فقال مايليني منك قلت بطني قال اللهم املأه حلما وعلما * وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب ومكن له في البلاد وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لمعاوية رضي الله عنه يقول اللهم اجعله هاديا مهديا واهده واهد به ولا تعذبه وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه أنت مني وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين وأشار بأصبعه الوسطى والتي تليها وقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذا ملكت فأحسن وفي رواية اذا ملكت من أمر امتي شيئا فاتق الله واعدل وفي رواية يامعاوية انك ستلي أمر أمتي فارفق بها ويذكر انه كان عنده قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وازاره ورداؤه وشيء من شعره فقال عند موته كفنوني في القميص وأدرجوني في الرداء وآزروني بالازار واحشوا منخري وشدقي من الشعر وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين ولما حضرته الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل عثرتي واغفر زلتي وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق بأحد سواك ثم بكى حتى علا نحيبه وكانت وفاته بدمشق سنة ستين من الهجرة وهو ابن ثنتين وثمانين سنة وقيل ثمان وسبعين سنة وكان أبيض جميلا وهو من الموصوفين بالحلم ولي الشام لعمر وعثمان رضي الله عنهما عشرين سنة وولي الخلافة سنة أربعين ومكث خليفة عشرين سنة الا ستة أشهر وأما ماوقع بينه وبين علي رضي الله عنه فمذهب أهل السنة ان ذلك كان باجتهاد منهما فلا يعترض على أحد منهما وقد قال صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي وأصهاري وأنصاري فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين * وأما وحشي بن حرب فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه لكونه قتل عمه حمزة رضي الله عنه فلما فتحت مكة هرب الى الطائف قال فكنت بالطائف فلما خرج وفد الطائف ليسلموا ضاقت علي المذاهب فقلت ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد فوالله اني لفي ذلك من همي اذ قال لي رجل ويحك والله انه مايقتل أحدا يدخل في دينه فخرجت حتى قدمت عليه فلم يرعه الا وأنا قائم على رأسه أشهد شهادة الحق فلما رآني قال وحشي قلت نعم يارسول الله قال اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة فحدثته فلما فرغت قال ويحك غيب وجهك عني فكنت أتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله ثم خرج وحشي مع من خرج لقتال أهل الردة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فقتل مسيلمة الكذاب بحربته التي قتل بها حمزة رضي الله عنه فكان يقول أرجو أن تكون هذه بتلك أي ان هذه تكفر تلك وممن اختفى يوم الفتح عتبة ومعتب ابنا أبي لهب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه العباس اين ابنا أخيك لا أراهما يعني عتبة ومعتبا ابني أبي

لهب فقال العباس رضي الله عنه تغيبا فيمن تغيب من مشركي قريش قال ائتني بهما فركبت اليهما
فأتيته بهما فدعاهما للاسلام فأسلما فسر باسلامهما ودعا لهما ثم قام صلى الله عليه وسلم وأخذ بأيديهما
وانطلق بهما حتى أتى الملتزم فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى في وجهه فقال له العباس رضي الله
عنه أسرك الله يارسول الله اني أرى السرور في وجهك قال اني استوهبت ابني عمي هذين من ربي
فوهبهما لي وشهدا معه حنينا والطائف ولزماه يوم حنين وقلعت عين معتب يوم حنين * وممن اختفى أيضا
سهيل بن عمرو وكان ابنه عبد الله مسلما جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ليأخذ له أمانا فقال صلى الله عليه
وسلم هو آمن بأمان الله فليظهر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من لقي سهيل بن عمرو فلا
يحد النظر اليه فلعمري ان سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فخرج ابنه عبد الله اليه
فأخبره بمقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سهيل كان والله برا صغيرا وكبيرا ثم انه خرج الى
حنين وهو على شركه ثم أسلم بالجعرانة رضي الله عنه وصار من فضلاء الصحابة رضي الله عنهم حتى ان
الله ثبت به أهل مكة يوم جاءهم خبر وفاته صلى الله عليه وسلم فكادوا أن يرتدوا فخطبهم خطبة مثل
خطبة الصديق رضي الله عنه بالمدينة وقال فيها من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله
فان الله حي لا يموت وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فثبتهم الله به رضي الله عنه واستشهد
رضي الله عنه في اليرموك وقيل توفي بالشام في طاعون عمواس ودخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الاثنين
بين أبي بكر وأسيد بن حضير رضي الله عنهما وهو متواضع مطأطئ رأسه على ناقته القصواء مردفا أسامة
ابن زيد رضي الله عنهما خلفه وهو صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح وعن أنس رضي الله عنه قال
لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح استشرفه الناس فوضع رأسه على رحله متخشعا وفي رواية
حتى ان رأسه لتكاد تمس رحله أي تواضعا لله لما رأى ما أكرمه به من الفتح ولم يزل يقرأ سورة الفتح في
حال دخوله حتى جاء البيت فطاف به * وفي شرح المواهب للعلامة الزرقاني ان طوافه صلى الله عليه وسلم
انما كان بعد ان استقر في خيمته ساعة واغتسل وعاد للبس السلاح والمغفر ودعا بالقصواء فأدنيت الى
باب الخيمة وقد حف به الناس فركب وسار وأبو بكر رضي الله عنه يحادثه فمر ببنات أبي أحيحة بالبطحاء
وقد نشرن شعورهن يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم الى أبي بكر رضي الله عنه واستنشده قول حسان
الماضي * يلطمهن بالخمر النساء * الى ان انتهى الى الكعبة ومعه المسلمون فاستلم الركن بمحجنه وكبر
فكبر المسلمون لتكبيره ورجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيرا حتى جعل صلى الله عليه وسلم يشير اليهم
أن اسكتوا والمشركون فوق الجبال ينظرون فطاف بالبيت ومحمد بن مسلمة آخذ بزمام الناقة سبعا
يستلم الحجر الاسود كل طوفة بمحجنه وكان ذلك يوم الاثنين لعشر بقين من رمضان وهو حلال غير محرم *
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى الكعبة
ثلثمائة وستون صنما لكل حي من أحياء العرب صنم قد شدوا أقدامها بالرصاص فجاء صلى الله عليه
وسلم ومعه قضيب فجعل يهوي به الى كل صنم منها فيخر لوجهه وفي رواية لقفاه وفي رواية فما أشار الى
صنم منها في وجهه الا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع لوجهه من غير أن يمسه بما في يده يقول جاء الحق
وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وفي رواية فأتى في طوافه على صنم الى جنب البيت من جهة بابه
يعبدونه وهو هبل وكان أعظم الاصنام وكان في يده صلى الله عليه وسلم قوس فجعل يطعن بها في عينيه
ويقول جاء الحق الآية ثم أمر به فكسر فقال الزبير بن العوام رضي الله عنه لابي سفيان رضي الله عنه
قد كسر هبل أما انك قد كنت يوم أحد في غرور حتى تزعم انه قد أنعم فقال أبو سفيان دع هذا عنك
يا ابن العوام لقد أرى لو كان مع اله محمد غيره لكان غير ما كان * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح هذا ما وعدني ربي ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك فقال

واستجابت له بنصر وفتح * بعد ذاك الخضراء والغبراء
وتوالت للمصطفى الآية الكبرى عليهم والغارة الشعواء
فاذا ما تلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من طوافه نزل عن راحلته * روى ابن أبي شيبة عن عمر رضي الله عنه قال ما وجد نا مناخا في المسجد لراحلته صلى الله عليه وسلم حتى أنزل على أيدي الرجال فأخرجت الراحلة فأنيخت بالوادي ثم انتهى صلى الله عليه وسلم الى المقام فصلى ركعتين ثم انصرف الى زمزم وقال لولا ان تغلب بنو عبد المطلب انزعت منها دلوا فنزع له العباس دلوا فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وضوءه يصبونه على وجوههم والمشركون ينظرون ويعجبون ويقولون ما رأينا ملكا قط أبلغ من هذا ولا سمعنا به ثم جلس صلى الله عليه وسلم في ناحية المسجد وأبو بكر رضي الله عنه قائم على رأسه بالسيف ثم دعا عثمان بن طلحة رضي الله عنه ففتح له الكعبة ودخلها صلى الله عليه وسلم هو وبلال وأسامة ابن زيد وعثمان بن طلحة الحجبي رضي الله عنهم وصلى ركعتين بين العمودين اليمانيين وفي رواية جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت على ستة أعمدة وفي رواية ان بين موقفه صلى الله عليه وسلم وبين الجدار الذي استقبله قريبا من ثلاثة أذرع وفي رواية ان دخوله ذلك كان ثاني يوم الفتح ثم وقف على باب الكعبة فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم خطب خطبة طويلة وذكر فيها جملة من الاحكام منها لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها والبينة على المدعي واليمين على من أنكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام الا مع ذي محرم ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح ولا يصام يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال يا معشر قريش ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير ثم قال يا معشر قريش ماذا تقولون وماذا تظنون اني فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت وأول من قال ذلك سهيل بن عمرو فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء أي الذين أطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام ومما ذكره في تلك الخطبة قوله أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة فان احد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له ان الله قد أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يأذن لكم وانما احلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها الآن كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم الى آخر ما تقدم وقد اختلفت الروايات في كيفية احضار مفتاح الكعبة له حين أراد الدخول والصحيح انه دعا عثمان بن طلحة وقال ائتني بالمفتاح وتقدم انه اسلم في مدة صلح الحديبية وهاجر هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهم فذهب عثمان الى أمه سلافة بنت سعيد الانصارية الاوسية وقد اسلمت بعد ذلك رضي الله عنها فلما جاءها ليأخذ منها المفتاح أبت أن تعطيه فقال يا أمه ادفعي لي المفتاح فانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبت أن تعطيه وقالت

لا واللات والعزى فقال لها لا لات ولا عزى قد جاء أمر غير ما كانت عليه والله لتعطنه وانك ان لم تفعلى قتلت أنا وأخى وأنت قتلتينا والله لتدفعنه أو ليأتين غيرى فيأخذه منك فأدخلته فى حجزتها وقالت أى رجل يدخل يده هنا قال الزهرى وأبطأ عثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينتظر حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ويقول ما يحبسه وفى رواية فجعلت تقول ان أخذه منكم لا يعطيكموه فبينما هو يكلمها اذ سمعت صوت أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى الدار وعمر رافع صوته وهو يقول يا عثمان اخرج فقالت يا بنى خذ المفتاح فان تأخذه أحب الى من أن يأخذه تيم وعدى أى أبو بكر وعمر فأخذه عثمان فخرج يمشى حتى اذا كان قريبا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عثر عثمان فسقط منه المفتاح فحنى عليه وتناوله وفى رواية فاستقبله صلى الله عليه وسلم بشر ففتح له عثمان الباب وفى رواية فأخذه صلى الله عليه وسلم منه وفتح الكعبة فيحتمل انهما تشاركا فى الفتح فقد روى الفاكهى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كانت بنو أبى طلحة يزعمون انه لا يستطيع أحد فتح الكعبة غيرهم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح ففتحها بيده وقال العلامة الزرقانى ويحتمل الجمع بانه صلى الله عليه وسلم لما فتح القبة بالمفتاح عاونه عثمان فدفع الباب ففتحه له أى فصح اسناد الفتح لكل منهما وجاء ان خالد بن الوليد كان حين دخل النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة على باب الكعبة يذب الناس ولما خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة جلس فى المسجد ومفتاح الكعبة فى يده فقام اليه على رضى الله عنه فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه انما أعطيكم ما تبذلون فيه أموالكم للناس أى وهو السقاية لا ما تأخذون فيه من الناس أموالهم وهى الحجابة لشرفكم وعلو مقامكم وفى رواية ان العباس رضى الله عنه تطاول يومئذ لاخذ المفتاح فى رجال من بنى هاشم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعى به فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء وأنزل الله هذه الآية فى شأن عثمان بن طلحة ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وروى الازرقى وغيره عن مجاهد قال نزلت هذه الآية فى عثمان بن طلحة أخذ عليه الصلاة والسلام منه مفتاح الكعبة ودخلها يوم الفتح فخرج وهو يتلوها فدعا عثمان فدفع المفتاح اليه وقال خذوها أى الحجابة يا بنى أبى طلحة لا ينزعها منكم الا ظالم قال وقال عمر رضى الله عنه خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة وهو يتلو هذه الآية ما سمعته يتلوها قبل ذلك * قال السيوطى ظاهر هذا انها أنزلت فى جوف الكعبة وروى الازرقى عن ابن المسيب خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا كافر وفى رواية عند ابن أبى شيبة عن عبد الرحمن بن سابط انه صلى الله عليه وسلم دفع المفتاح الى عثمان فقال خذوها خالدة مخلدة انى لم أدفعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم ولا ينزعها منكم الا ظالم وروى ابن سعد وغيره عن عثمان بن طلحة رضى الله عنه قال لقينى صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فدعانى الى الاسلام فقلت يا محمد العجب لك حيث تطمع أن أتبعك وقد خالفت دين قومك وجئت بدين محدث قال وكنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين والخميس فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس وذلك بعد بعثته فأغلظت له ونلت منه فحلم عنى ثم قال يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت يعنى ما دامت قريش أنت لا تقدر على ذلك فقال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته منى موقعا ظننت ان الامر سيصير الى ما قال أى لانه كان معروفا بينهم بالصدق والامانة قال عثمان فأردت الاسلام فاذا قومى يزبروننى زبرا شديدا فلما كان يوم الفتح قال يا عثمان ائتنى بالمفتاح فأتيته به ثم دفعه

الى وقال خذوها يعني سدانة البيت خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال عثمان فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال الم يكن الذي قلت لك فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت قلت بلى أشهد أنك رسول الله وفي تفسير الثعالبي بلا سند أن هذه الآية ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي أمره عليه الصلاة والسلام أن يأتيه بمفتاح الكعبة فأبى عليه وأغلق باب البيت وصعد الى السطح وقال لو علمت انه رسول الله لم أمنعه فلوى علي يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل صلى الله عليه وسلم البيت فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية فأمر صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي رضي الله عنه فقال عثمان لعلي رضي الله عنهما أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال علي رضي الله عنه لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأسلم قال الحافظ ابن حجر هذه الرواية منكرة والمعروف انه أسلم قبل الفتح وهاجر مع عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وكذا قوله في أول الحديث فلوى علي يده وأخذ المفتاح مع قوله قبله لو علمت انه رسول الله لم أمنعه فان ذلك كله منكر قال الزرقاني ولعله يشير لصحته وقع من ابن عمه شيبة لانه لم يكن أسلم بعد لكن بعده لا يخفى لانه لم يمكن من هو أجل منه منع شئ ولا قول شئ يومئذ والروايات السابقة هي التي صحت بها الاحاديث وعثمان المذكور هذا هو ابن طلحة بن أبي طلحة واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب العبدري وطلحة أبو عثمان قتل كافرا يوم أحد ويقال لعثمان الحجبي ولآل بيته الحجبة ويعرفون الآن بالشيبيين نسبة الى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عم عثمان ابن طلحة بن أبي طلحة قال الحافظ ابن حجر ان أبا طلحة له ولدان عثمان وطلحة أبي عثمان شيبة وأبي طلحة لعثمان فلما مات عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخذ المفتاح ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة لان عثمان بن طلحة كان لا ولد له وبقي في أولاد شيبة وهم الشيبيون قال العلامة الزرقاني وفي هذه الاخبار كلها دليل على بقاء عقبهم الى الآن قال العلامة الشمس الحطاب المالكي المكي ولا التفات الى قول بعض المؤرخين ان عقبهم انقطع في خلافة هشام بن عبد الملك فانه غلط لقول مالك رضي الله عنه لا يشرك مع الحجبة في الخزانة أحد لانها ولاية منه صلى الله عليه وسلم ومالك ولد بعد هشام بن عبد الملك بنحو عشرين سنة وذكر ابن حزم وابن عبد البر جماعة منهم في زمانهما وعاشا الى ما بعد نصف المائة الخامسة وكذا ذكر العلامة القلقشندي وعاش الى احدى وعشرين وثمانمائة ولا دلالة لزاعم انقراضهم في انخدام معاوية رضي الله عنه الكعبة عبيدا لان اخدامها غير ولاية فتحها كما هو معلوم وكثيرا ما يقع في كلام المؤرخين كالازرقي والفاكهي ذكر الحجبة ثم الخدمة مما يدل على التغاير انتهى وقد تقدم الكلام على اسلام عثمان بن طلحة بن أبي طلحة في قصة اسلام خالد ابن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهم وأما شيبة بن عثمان بن أبي طلحة فأسلم عام الفتح وكان رضي الله عنه يحدث عن سبب اسلامه فيقول ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم بعض ما عليه آباؤنا من الضلالات ولما كان عام الفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ثم سار الى حرب هوازن قلت أسير مع قريش الى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأقتله فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها وفي لفظ اليوم أدرك ثاري من محمد أي لان أباه وعمه وجماعة من بني عمه قتلوا يوم أحد قتلهم حمزة وعلي وغيرهم رضي الله عنهم قال وقلت لو لم يبق من العرب والعجم

أحد الا اتبع محمدا ما تبعته لا يزداد ذلك الامر عندي الاشدة فلما اختلط الناس يوم حنين ونزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته أصلت السيف ودنوت منه أريد الذي أريد منه ورفعت السيف حتى كدت أوقع به الفعل رفع الى شواظ من نار كالبرق كاديم لكني فوضعت يدي على بصري خوفا عليه وفي رواية فلما هممت به حال بيني و بينه خندق من نار وسور من حديد ولا مانع من وقوع كل ذلك قال فالتفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسم وعرف الذي أريد فنادانى ياشيبة ادن مني فدنوت منه فمسح صدري ثم قال اللهم أعذه من الشيطان قال شيبة فوالله لهو في الساعة صار أحب الى من سمعي وبصري وأذهب الله ما كان في ثم قال ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي والله أعلم أني أحب أن أقيه بنفسي وكل شئ ولو كان أبي حيا ولقيته تلك الساعة لاوقعت السيف به فجعلت ألزمه فيمن لزمه أي ثبت معه يوم حنين حتى تراجع المسلمون وكروا كرة رجل واحد وقربت اليه بغلته فاستوى عليها قائما وجاء في رواية عن شيبة بن عثمان الحجبي رضي الله عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فوالله اني لواقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قلت يارسول الله اني لارى خيلا بلقا قال ياشيبة انه لايراها الا كافر فضرب بيده على صدري ثم قال اللهم اهد شيبة فعل ذلك ثلاثا فما رفع صلى الله عليه وسلم يده عن صدري الثالثة حتى ما أحد من خلق الله أحب الى منه ولما انقضى القتال ورجع صلى الله عليه وسلم الى معسكره فدخل خباءه دخلت عليه مادخل عليه غيري حبا لرؤية وجهه صلى الله عليه وسلم وسرورا به فقال ياشيبة الذي أراد الله خير مما أردت بنفسك ثم حدثني بكل ما أضمرته في نفسي مما لم أذكره لاحد قط فقلت انى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله ثم قلت له استغفر لي فقال غفر الله لك وجاء ان بلالا رضي الله عنه أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤذن ظهر يوم الفتح على ظهر الكعبة ليغيظ بذلك المشركين وكان أبوسفيان وعتاب بن أسيد وفي رواية وخالد بن أسيد أخو عتاب والحارث بن هشام وغيرهم جلوسا بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد أو خالد بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون يسمع هذا فيسمع منه ما يغيظه وقال الحارث بن هشام أما والله لو أعلم انه حق لاتبعته ان يكن الله يكره هذا فسيغيره وفي رواية انه قال أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال بعض بني سعيد بن العاص لقد أكرم الله سعيدا اقبل أن يرى هذا الاسود على ظهر الكعبة وقال الحكم بن أبي العاص والله ان هذا الحدث عظيم عبد بني جمح يصيح على بنية أبي طلحة وقال أبوسفيان لا أقول شيئا لو تكلمت لاخبرت عني هذه الحصباء فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم قد علمت الذي قلتم ثم ذكرلهم ذلك فقال أما أنت يافلان فقلت كذا وأما أنت يافلان فقلت كذا وأما أنت يافلان فقلت كذا فقال أبوسفيان أما أنا يارسول الله فما قلت شيئا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحارث بن هشام وعتاب بن أسيد وخالد بن أسيد نشهد انك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك وصار بعض من قريش يستهزؤن و يحكون صوت بلال غيظا وكان من جملتهم أبو محذورة وكان من أحسنهم صوتا فلما رفع صوته بالاذان مستهزئا سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فمثل بين يديه وهو يظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده الشريفة قال فامتلأ قلبي والله ايمانا و يقينا وعلمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وعلمه اياه وأمره أن يؤذن لاهل مكة وكان سنه ستة عشر سنة وأولاده بعده كانوا يتوارثون الاذان بمكة و يروى ان جويرة بنت أبي جهل قالت عند أذان بلال على ظهر الكعبة والله لا نحب من قتل الاحبة أبدا ولقد جاء لابي الذي جاء لمحمد من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه ثم أسلمت وحسن اسلامها رضي الله عنها وممن جاءه صلى الله عليه وسلم

يوم الفتح السائب بن عبد الله المخزومي وقيل عبد الله بن السائب وقيل السائب بن عويم وقيل قيس ابن السائب بن عويم وكان شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته صلى الله عليه وسلم قال لما أسلمت أخذ عثمان وغيره يثنون عليّ فقال صلى الله عليه وسلم لا تعلموني به كان صاحبي وفي لفظ لما أقبلت عليه قال مرحبا بأخي وشريكي كان لا يداري ولا يماري قد كنت تعمل أعمالا في الجاهلية لا تتقبل منك أي لتوقفها على الاسلام وهي اليوم تتقبل منك أي لوجود الاسلام وجاء ان فضالة بن عمير بن الملوح جدث نفسه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفضالة قال نعم فضالة يارسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شئ كنت أذكر الله فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه فكان فضالة رضي الله عنه يقول والله مارفع يده عن صدري حتى ماخلق الله شيئا أحب الي منه وفي سيرة ابن هشام قال فضالة فرجعت الى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعث فضالة رضي الله عنه يقول

قالت هلم الى الحديث فقلت لا * يأبى علي الله والاسلام
لو مارأيت محمدا وقبيله * بالفتح يوم تكسر الاصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا * والشرك يغشى وجهه الاظلام

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة وجلس في المسجد والناس حوله ذهب أبو بكر رضي الله عنه وجاء بأبيه عثمان و يكنى بأبي قحافة يقوده وقد كف بصره فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه وفي لفظ لو أقررت الشيخ في بيته لاتيناه تكرمة لابي بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله هو أحق أن يمشي اليك من أن تمشي أنت اليه فأجلسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال أسلم تسلم فأسلم ولم يعش لابي قحافة ابن ذكر الا أبو بكر رضي الله عنه وهنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه باسلام أبيه وعند ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام أبي طالب كان أقر لعيني من اسلامه يعني اباه أبا قحافة وذلك ان اسلام أبي طالب كان أقر لعينك وكان رأس أبي قحافة رضي الله عنه ولحيته مبيضتين بالشيب فقال صلى الله عليه وسلم غيروهما وجنبوه السواد وكانت أم أبي بكر بنت عم أبيه أسلمت قديما حين أسلم أبو بكر رضي الله عنه وأخته أم فروة رضي الله عنها أسلمت أيضا وأبناؤه وبناته قال بعضهم لم يكن أحد من الصحابة أسلم هو ووالداه وأخته وجميع أولاده وبناته غير أبي بكر رضي الله عنه وبنوه ثلاثة عبد الله وهو أكبرهم مات أول خلافة أبيه وعبد الرحمن ومحمد وكانت ولادة محمد رضي الله عنه عام حجة الوداع وبناته ثلاثة أسماء وهي أكبرهن وهي شقيقة عبد الله وعائشة وهي شقيقة عبد الرحمن وأم كلثوم مات أبو بكر رضي الله عنه وهي في بطن أمها وأخبر بأنها أنثى قبل وفاته وهي حمل في بطن أمها حيث قال لعائشة رضي الله عنها انما هما اخواك وأختاك ولم تكن تعلم ان لها أختا غير أسماء رضي الله عنها فسألته عن ذلك فأشار الى الحمل المذكور وقال أراها أنثى فكان ذلك من كراماته رضي الله عنه وقد ذكر جملة من المفسرين ان هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون قال بعضهم لا يعرف في الصحابة أربعة متناسلون أسلموا وصحبوا النبي صلى الله عليه وسلم

وكل واحد أبو الذي بعده الا بنت أبي بكر رضي الله عنه أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد ومن أنتصر ذلك كزيد بن حارثة وأبيه حارثة أي فانه أسلم وابنه أسامة بن زيد وابن أسامة محمد ونوزع في ثبوت ان ابن أسامة رآه النبي صلى الله عليه وسلم فأما أبو بكر رضي الله عنه وأهل بيته فمتفق على ثبوت ذلك فيهم وبقي من الاصنام التي كانت على الكعبة صنم لخزاعة كان فوق الكعبة وكان من صفر وفي رواية من نحاس موتدا بأوتاد من حديد الى الارض فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه أن يرميه فرمى به وكسره وجعل أهل مكة يتعجبون * وروى الحاكم عن علي رضي الله عنه قال انطلق بي صلى الله عليه وسلم حتى أتى بي الكعبة فقال اجلس فجلست الى جنب الكعبة فصعد على منكبي ثم قال انهض فنهضت فلما رأى ضعفي تحته قال اجلس فجلست ثم قال يا علي اصعد على منكبي ففعلت فلما نهض بي خيل لي اني لو شئت نلت أفق السماء فصعدت فوق الكعبة وتنحى صلى الله عليه وسلم فقال ألق صنمهم الاكبر وعالجه قال فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فألقيته وقد أجاد القائل

يارب بالقدم التي أوطأتها * من قاب قوسين المحل الاعظما
وبحرمة القدم التي جعلت لها * كتف المؤيد بالرسالة سلما
ثبت على متن الصراط تكرما * قدمي وكن لي منقذا ومسلما
واجعلهما ذخري ومن كانا له * ذخرا فليس يخاف قط جهنما

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة أي بحسب زعمهم وكانت تماثيل على صور شتى فأمر بها فأخرجت وفي رواية أمر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها فلم يدخلها حتى محيت الصور وكان عمر رضي الله عنه هو الذي أخرجها وأخرجوا صورة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام في أيديهما الازلام التي كانوا يستقسمون بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط وفي رواية عن جابر رضي الله عنه وكان عمر رضي الله عنه قد ترك صورة ابراهيم عليه السلام فلما دخل صلى الله عليه وسلم رآها فقال يا عمر ألم آمرك أن لا تدع فيها صورة قاتلهم الله جعلوه شيخا يستقسم بالازلام ثم رأى صورة مريم فقال امحوا ما فيها من الصورة قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون وفي رواية أسامة بن زيد رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فرأى صورا فدعا بماء فجعل يمحوها وهو محمول على انه بقيت بقية خفيت على من محاها أولا وذكر بعضهم ان صورة عيسى وأمه بقيتا أو بقي بعض أثرهما حتى رآهما بعض من أسلم من نصارى غسان فقال انكما لببلاد غربة فلما هدمه ابن الزبير رضي الله عنهما البيت ذهبا فلم يبق لهما أثر ثم نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما الا كسره فكسروا الاصنام التي كانت في بيوتهم وعمدت هند بنت عتبة رضي الله عنها الى صنم كان في بيتها وجعلت تضربه وتقول كنا منك في غرور ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم السرايا الى كسر الاصنام التي حول مكة لانهم كانوا اتخذوا لهم أصناما جعلوا لها بيوتا يعظمونها ويهدون لها وينحرون بها كما يطوفون بالكعبة فكان في كل حي صنم منها العزى ومناة وسواع وسيأتي ذكر السرايا اليها * ولما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بعد الظهر مسندا ظهره الى الكعبة وقيل كان على راحلته فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ويوم خلق الشمس والقمر ووضع هذين

الحلال

الجبلين فهى حرام الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر يسفك بها دما ولا يعضد فيها شجرة لم تحل لاحد كان قبلي ولم تحل لاحد يكون بعدى ولم تحل لى الا هذه الساعة يعنى من صبيحة يوم الفتح الى العصر غضبا على أهلها ألا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا له ان الله تعالى قد أحلها لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يحلها لكم وقد جاء فى صحيح مسلم لا يحل أن يحمل السلاح بمكة يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل فمن قتل بعد مقامى هذا فأهله بخير النظرين ان شاؤا فدم قاتله وان شاؤا فعقله ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة وهو ابن الاقرع الذهلى وكان مع بنى بكر فلما دخل مكة وهو على شركه عرفته خزاعة فأحاطوا به فطعنه منهم خراش الخزاعى بشقص فى بطنه حتى قتله فلامه صلى الله عليه وسلم وقال لو كنت قاتلا مسلما بكافر لقتلت خراشا والشقص ماطال من النصل وعرض وقال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة أى لا تغزى على الكفر أى لا يقاتلوا على أن يسلموا *واختلف العلماء رحمهم الله هل فتحت مكة صلحا أو عنوة فقال الاكثرون انها فتحت عنوة وقال الشافعى وأحمد فى رواية عنه انها فتحت صلحا وجمع بعضهم بين الروايات بأن أعلاها فتح صلحا أى الذى سلكه النبى صلى الله عليه وسلم وأسفلها فتح عنوة أى الذى سلكه خالد بن الوليد رضى الله عنه ولما قرب صلى الله عليه وسلم من دخول مكة أى قبل ان يدخلها بيوم قال له اسامة بن زيد رضى الله عنهما يارسول الله أين تنزل غدا زاد فى رواية أتنزل فى دارك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من منزل وفى رواية وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور وكان عقيل ورث أبا طالب هو وأخوه طالب ولم يرث جعفر ولا على معهما شيئا لانهما كانا مسلمين وترك لهما النبى صلى الله عليه وسلم مايخصه تفضلا واستمالة وتأليفا لهما وقيل تصحيحا لتصرفات الجاهلية كما تصحح أنكحتهم ثم ان عقيلا أسلم وأما طالب ففقد ببدر وكان مع المشركين وقيل اختطفته الجن وفى رواية للبخارى قال صلى الله عليه وسلم منزلنا ان شاء الله اذا فتح الله مكة الخيف وفى رواية بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعنى به المحصب وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم وانما اختار صلى الله عليه وسلم النزول فى ذلك الموضع ليتذكر ما كانوا فيه فيشكر الله على ما أنعم به عليه من الفتح العظيم وتمكنه من دخول مكة ظاهرا غالبا على رغم من سعى فى اخراجه منها ومبالغة فى الصفح عن الذين أساؤا ومقابلتهم بالمن والاحسان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وعن جابر رضى الله عنه قال لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت مكة وقف فحمد الله وأثنى عليه ونظر الى موضع قبته أى التى ضربت له بعد وقال هذا منزلنا ياجابر حيث تقاسمت قريش علينا قال جابر رضى الله عنه فذكرت حديثا كنت سمعته منه قبل ذلك بالمدينة منزلنا اذا فتح الله علينا مكة فى خيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر وقال ذلك أيضا صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فعن أبى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعنى بذلك المحصب* وبعد ان فتح الله مكة جاء صلى الله عليه وسلم الى الصفا حيث ينظر الى البيت ورفع يديه وقام يدعو ويذكر الله بما شاء وقد أحدقت به الانصار فقال بعضهم لبعض أما الرجل فقد أدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته فنزل عليه الوحى بما ذكر القوم فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وقال يامعشر الانصار قلتم أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته قالوا قلنا ذلك يارسول الله قال فما اسمى اذن ان فعلت ذلك كيف أسمى وأوصف بانى عبد الله ورسوله كلا لا أفعل ذلك انى عبد الله

ورسوله أى من كل حذار وسمعة لا يحمل ذلك هاجرت الى الله واليكم المحيا محياكم والممات مماتكم
فأقبلوا اليه يبكون ويقولون والله ماقلنا الذى قلنا الا الضن أى البخل بالله ورسوله أى لانحب أن يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير بلدنا ومن المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
ورسوله يصدقانكم أى يقبلان عذركم ويصدقانكم وفى رواية ان الانصار قالوا فيما بينهم أترون
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا
لاشئ يارسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبى صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم
والممات مماتكم وتقدم له صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة نظير ذلك وهو ان الانصار قالوا يارسول الله
هل عسيت ان نصرناك وأظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم قال بل
الدم الدم والهدم الهدم * واستقرض صلى الله عليه وسلم من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن
أمية قبل أن يسلم خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن أبى ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب بن
عبد العزى أربعين ألف درهم فرقها فى أصحابه من أهل الضعف ثم وفاها مما غنم من هوازن وأقام
صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها تسعة عشر وقيل ثمانية عشر يوما واعتمده البخارى يقصر الصلاة
فى مدة اقامته بها لانه كان يترقب المسير الى حرب هوازن لسماعه تجهزهم لمحاربته وولى مكة عتاب
ابن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان عمره احدى وعشرين سنة وفى رواية
ان عمره كان ثمانى عشرة سنة وجعل معه معاذ بن جبل رضى الله عنه يعلم الناس الفرائض والسنن
وجعل رزق عتاب كل يوم درهما فكان رضى الله عنه يقول لا أشبع الله بطنا جاع على درهم كل يوم
وفى رواية انه خطب الناس فقال أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل يوم درهما فلا حاجة لى الى أحد وبقى على عمله الى آخر خلافة الصديق رضى الله
عنه وتوفى فى اليوم الذى توفى فيه الصديق رضى الله عنه وقيل بل استعمله عمر رضى الله عنه وتأخر الى
سنة احدى وعشرين وكانت وفاته فى خلافة عمر رضى الله عنه وانما استعمله النبى صلى الله عليه وسلم
لانه صلى الله عليه وسلم كان رأى فى المنام ان أسيدا والده ولى على مكة مسلما فمات كافرا فكان تأويل
تلك الرؤيا بولاية ولده عتاب رضى الله عنه حين أسلم وكان رضى الله عنه من فضلاء الصحابة وعبادهم
وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما ولاه قال له انطلق فقد استعملتك على أهل الله قال ذلك ثلاثا وفى رواية
قال له ياعتاب أتدرى على من استعملتك على أهل الله فاستوص بهم خيرا يقول ذلك ثلاث مرات فكان
عتاب رضى الله عنه شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة
فى جماعة الا ضربت عنقه فانه لايتخلف عن الصلاة الا منافق فقال أهل مكة يارسول الله لقد استعملت
على أهل مكة عتاب بن أسيد أعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم انى رأيت فيما يرى النائم كأن
عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به
الاسلام لنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم * قال ابن الجوزى انما استعمل صلى الله عليه وسلم عتابا حين
أراد الخروج الى حرب هوازن وفى كلام غيره ان ذلك كان بعد غزوة الطائف وعمرة الجعرانة حين
أراد صلى الله عليه وسلم الذهاب الى المدينة ولا تخالف لاحتمال أن يراد انه أبقاه على ذلك حين أراد
الرجوع الى المدينة وكان لعتاب رضى الله عنه ولد اسمه عبد الرحمن يقال له يعسوب قريش حضر
وقعة الجمل مع على رضى الله عنه فقتل واحتمل نسر يده وألقاها بمكة فعرفوها بخاتمه فجهزوها وصلوا
عليها ودفنوها والكلام على هذه الغزوة الشريفة يطول وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم
وقد أشار الامام البوصيرى لبعض ما وقع فيها فقال

صرعت قومه حبائل بغى * مدها المكر منهم والدهاء
فأتتهم خيل الى الحرب تختا * ل وللخيل فى الوغى خيلاء
قصدت منهم القنا فقوا * فى الطعن منها ماشانه الايطاء
وأثارت بأرض مكة نقعا * ظن أن الغدو منها عشاء
أحجمت عنده الحجون وأكدى * دون اعطائه القليل كداء
ودهت أوجها بها وبيوتا * مل منها الاكفاء والاقعاء
فدعوا أحلم البرية والعفو جواب الحليم والاغضاء
ناشدوه القربى التى من قريش * قطعتها الترات والشحناء
فعفا عفو قادر لم ينغصه عليهم بما مضى اغراء
واذا كان القطع والوصل لله تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما أتاه * من سواه الملام والاطراء
ولو ان انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله فى الامور فارضى الله منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينضح الابما حواه الاناء

وقد أجاد العلامة أبو محمد عبد الله بن أبى زكريا يحيى بن على الشقراطسى حيث يقول فى قصيدته المشهورة بعد ماساق قصة بدر أتبعها بثمانية وعشرين بيتا فى قصة الفتح لانهما كانتا عظيمتين فبدر أول مشهد نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فيه وهذه يوم استيلائه على مكة التى هى من أشرف البقاع ويوم عزه فى بلاده التى أوذى فيها ودخل الناس فى دين الله أفواجا فقال

ويوم مكة اذ أشرفت فى أمم * تضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها * فى قاتم من عجاج الخيل والابل
وجحفل قذف الارجاء ذى لجب * عرمرم كزهاء السيل منسحل
وأنت صلى عليك الله تقدمهم * فى بهو اشراق نور منك مكتمل
ينير فوق أغر الوجه منتجب * متوج بعزيز النصر مقتبل
يسمو أمام جنود الله مرتديا * ثوب الوقار لامر الله ممتثل
خشعت تحت بهاء العز حين سمت * بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر أملاك السماء بما * ملكت اذ نلت منه غاية الامل
والارض ترجف من زهو ومن فرق * والجو يزهر اشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا فى أعنتها * والعيس تنثال رهوا فى ثنى الجدل
لولا الذى خطت الاقلام من قدر * وسابق من قضاء غير ذى حول
أهل ثهلان بالتهليل من طرب * وذاب يذبل تهليلا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت * له النبوة فوق العرش فى الازل
شعبت صدع قريش بعد ما قذفت * بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زادت كتائبه * كالاسد تزأر فى أنيابها العصل
فويل مكة من آثار وطأته * وويل أم قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم * تلمم ولا بأليم اللوم والعذل

أسريت بالصفح صفحاً عن طوائلهم * طولا أطال مقيل النوم في المقل
رحمت واشج أرحام أتيح لها * تحت الوشيج نشيج الروع والوجل
عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف * مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
أزكى الخليقة أخلاقا وأطهرها * وأكرم الناس صفحا عن ذوي الزلل
زان الخشوع وقار منه في خفر * أرق من خفر العذراء في الكلل
وطفت بالبيت محبورا وطاف به * من كان عنه قبيل الفتح في شغل
والكفر في ظلمات الرجس مرتكس * ثاو بمنزلة البهموت من زحل
حجزت بالأمن أقطار الحجاز معا * وملت بالخوف عن حيف وعن ظلل
وحل أمن ويمن منك في يمن * لما أجابت الى الايمان عن عجل
وأصبح الدين قد حفت جوانبه * بعزة النصر واستولى على الملل
قد طاع منحرف منهم لمعترف * وانقاد منعدل منهم لمعتدل
أحبب بخلة أهل الحق في الحلل * وعز دولته الغراء في الدول

(هدم العزى وتعرف بسرية خالد بن الوليد سيف الله)

الذي صبه على الكفار وكانت عقب فتح مكة بخمس ليال بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه الى العزى ومعه ثلاثون فارسا ليهدمها واختلف في المراد من العزى فقيل هي شجرة وقيل صنم وضعه سعد بن ظالم الغطفاني لما قدم مكة ورأى أهلها يطوفون بين الصفا والمروة فأخذ من كل حجرا ونقلهما الى نخلة وهو موضع على ليلة من مكة وكانت العزى لقريش وجميع بني كنانة وجماعة بني شيبان من بني سليم وكانوا حلفاء بني هاشم وكانت أعظم أصنامهم وذلك أن عمرو بن لحي لعنه الله قال لهم ان الرب يشتي عند اللات ويصيف عند العزى فعظموها وسوا لها بيتا وكانوا يهدون لها كما يهدون للكعبة ويعظمونها كتعظيمها ويطوفون وينحرون عندها ومع ذلك يعرفون فضل الكعبة عليها لانها بيت ابراهيم عليه السلام ومسجده قال ابن اسحاق فلما سمع سادن العزى بمسير خالد اليه علق سيفه واستند في الجبل الذي هي فيه وهو يقول

أياعز شدي شدة لاسوى لها * على خالد ألقي القناع وشمري
أياعز ان لم تقتلي المرء خالدا * فبوئي باثم عاجل أو تنصري

فلما انتهوا اليها هدموا البيت التي هي فيه وكان على ثلاث سمرات فقطعها خالد رضي الله عنه وهدم البيت وكسر الصنم ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأخبره فقال هل رأيت شيئا تخرج منها حين هدمتها قال لا قال فانك لم تهدمها أي الهدم الابدي المزيل لها حقيقة فان الذي فعلته هو ازالة الصورة الظاهرة وبقي أمر خفي لا تزول الا بزواله فارجع اليها فاهدمها فرجع خالد رضي الله عنه وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت اليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس تحثو التراب على رأسها ووجهها فجعل السادن يصيح بها وهو يقول ياعزى خبليه * ياعزى عوريه * ولا تموتي برغم فضربها خالد رضي الله عنه وهو يقول

ياعز كفرانك لا سبحانك * اني رأيت الله قد أهانك

فجزلها أي قطعها اثنين وفي رواية فضرب الشجرة بالفأس فقلعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية وبلها واضعة يدها على رأسها فضربها فقطعها اثنين ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال نعم تلك العزى وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبدا

(هدم سواع وهي سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه)

الى هدم سواع وهو صنم لهذيل على ثلاثة اميال من مكة وكان بعثه في رمضان أيضا بعد الفتح قال ابن جرير سواع بن شيث بن آدم لما مات صورت صورته وعظمت لموضعه من الدين ولما عهدوا في دعائه من الاجابة وأولاده يغوث ويعوق ونسر فلما ماتوا صورت صورهم فلما خلفت الخلوف قالوا ماعظم هؤلاء آباؤنا الا لانها ترزق وتنفع وتضر فاتخذوها آلهة قال السهيلي وكان بدء عبادتها في عهد مهلاييل بن قينان قبل نوح عليه السلام وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما صارت الاوثان التي كانت في قوم نوح في العرب وهي أسماء قوم صالحين فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسونها أنصابا وسموها بأسمائهم فلم تعبد فلما هلك أولئك ونسخ العلم عبدت قال عمرو بن العاص رضي الله عنه فانتهيت الى سواع وعنده السادن قال ماتريد فقلت أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه قال لا تقدر على ذلك فقلت لم قال يمنعك قلت حتى الآن أنت على الباطل ويحك وهل يسمع أو يبصر حتى يمنعني قال فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيه شيئا ثم قلت للسادن كيف رأيت فقال أسلمت لله رب العالمين ولم يذكر أحد عدد الذين كانوا مع عمرو رضي الله عنه

(هدم مناة وهي سرية سعد بن زيد الاشهلي رضي الله عنه)

الى مناة وهي صنم للاوس والخزرج ومن دان دينهم وقيل انها أيضا لهذيل وبني كعب وخزاعة وغسان وكانت بالمشلل بضم الميم وفتح الشين واللام الاولى المشددة جبل على ساحل البحر يهبط منه الى قديد وكان بعثه في رمضان أيضا بعد الفتح فخرج سعد بن زيد رضي الله عنه في عشرين فارسا حتى انتهى اليها وعليها سادن قال السادن ماتريد قال أريد هدم مناة قال أنت وذاك كالظنه انه لا يقدر عليها فأقبل سعد يمشي اليها فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس أي منتشرة الشعر تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال السادن مناة دونك بعض عصاتك فضربها سعد فقتلها وأقبل الى الصنم ومعه أصحابه فهدموه ولم يجدوا في خزانته شيئا وانصرف راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم ماذكر من ان الذي ذهب لهدمها سعد بن زيد الاشهلي هو ما مشى عليه في المواهب تبعا لطبقات ابن سعد وقال ابن اسحاق ان الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لهدمها أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه وفي سيرة ابن هشام انه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويمكن ان الجميع ذهبوا لذلك والله أعلم

(غزوة حنين)

وهو اسم موضع في طريق الطائف الى جنب ذي المجاز وهو سوق كان في الجاهلية وقيل حنين اسم لما بين مكة والطائف وتسمى غزوة أوطاس وهو اسم لموضع كانت به الوقعة وتسمى أيضا غزوة هوازن وهوازن قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون الى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر وسببها انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة مشت أشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض وتشاوروا على قتاله صلى الله عليه وسلم لانهم خافوا أن يسير اليهم ويغزوهم وقالوا قد فرغ لنا فلا مانع له دوننا فالرأي أن نغزوه قبل أن يغزونا بل جاء في بعض الروايات انهم قبل فتح مكة كانوا يريدون قتاله صلى الله عليه وسلم وروي عن أبي الزناد ان هوازن أقامت سنة تجمع الجموع وتسير رؤساؤهم في العرب تجمعهم فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قالوا لا ناهية له دوننا وعزموا على انهم يغزونه قبل أن يغزوهم وقال بعض منهم والله مالاقى محمد اقوم يحسنون القتال فأجمعوا أمركم وسيروا اليه قبل أن يسير اليكم فأجمعوا أمرهم على ذلك وكان جماع أمر الناس الى

مالك بن عوف بن سعد بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ويقال له
النصري بالصاد وأسلم بعد ذلك رضي الله عنه فاجتمع اليه من القبائل جموع كثيرة منهم بنو سعد بن بكر
وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم ومعهم دريد بن الصمة وكان شجاعا مجربا
لكنه كبر لانه بلغ مائة وعشرين سنة وقيل مائة وخمسين وقيل مائة وسبعين وقيل قارب المائتين وقد عمي
وصار لا ينتفع الا برأيه ومعرفته بالحرب لانه كان صاحب رأي وتدبير ومعرفة بالحروب وكان قائد ثقيف
كنانة بن عبد ياليل وأسلم بعد ذلك رضي الله عنه وكان جملة من اجتمع من بني سعد وثقيف أربعة آلاف
وانضم اليهم من أعداد سائر العرب جموع كثيرة وكان مجموعهم كلهم ثلاثين ألفا وجعلوا أمر الجميع
الى مالك بن عوف النصري وكان عمره ثلاثين سنة واشترطوا عليه ان يأخذ برأي دريد بن الصمة
فأمرهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم مواشيهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم كي يثبتوا عند الحرب
ولا يفروا فلما نزلوا أوطاس قال دريد بن الصمة مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار
الشاء وخوار البقر قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم قال أين هو فدعي
بين يديه فقال له انك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود أي غالبهم اما قتلا
واما اخراجا عن ذل وصغار فقال له مالك لا نخالفك في أمر تراه فقال يا مالك أصبحت رئيس قومك وان
هذا يوم كان له ما بعده من الايام مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار
البقر قال سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال له ولم قال أردت ان اجعل خلف كل رجل
أهله وماله يقاتل عنهم فزجره كما تزجر الدابة وهو ان يلصق اللسان بالحنك الاعلى ويصوت به وهو معنى
قول بعضهم صوت بلسانه في فيه ثم قال له راعي ضأن والله ماله وللحرب أي من كانت هذه صفته ماله
وللحرب ثم أشار عليه برد الذرية والاموال وقال هل يرد المنهزم شيء ان كانت لك لم ينفعك الا رجل
بسيفه ورمحه لا هؤلاء النساء والصبيان والمواشي وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك فلم يقبل ذلك
منه مالك ثم قال دريد ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم أحد قال غاب الحد والجد لو كان يوم علاء
ورفعة ما غابا ثم قال دريد لمالك ان يومك هذا الذي تلقى فيه محمدا ما بعده يوم فقال له مالك اني لا طمع ان
ترى ما يسرك ثم أشار دريد عليه بأمور لم يقبلها مالك وقال والله لا أطيعك انك قد كبرت وضعف رأيك
فقال لهوازن قد شرط مالك أن لا يخالفني وقد خالفني فأنا أرجع الى أهلي فمنعوه وقال مالك والله
لتطيعني يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري وكره أن يكون لدريد فيها
رأي أو ذكر فقالوا أطعناك فقال دريد يا معشر هوازن ان هذا فاضحكم في عورتكم يعني النساء
والذرية وممكن منكم عدوكم ولاحق بحصن ثقيف وتارككم فانصرفوا واتركوه فأبوا فلما رأى دريد
انهم خالفوه قال

يا ليتني فيها جذع * أخب فيها وأضع * أقود وطفاء الزمع * كأنها شاة صدع

ثم أمر مالك بالخيل فجعلت صفوفا وجعل المشاة خلفهم ثم جعل النساء فوق الابل وراء المقاتلة صفوفا ثم
جعل الابل والبقر والغنم وراء ذلك كيلا يفروا ويقاتلوا عن مالهم ونسائهم وذراريهم ثم قال للناس
اذا رأيتموهم شدوا عليهم شدة رجل واحد * ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم اجتماعهم
وتحزبهم أجمع على الخروج اليهم وكان خروجه من مكة يوم السبت لست خلون من شوال وكان معه
صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا منهم عشرة آلاف الذين جاؤا معه من المدينة لفتح مكة وألفان من
الذين أسلموا في فتح مكة الذين من عليهم وأطلقهم يوم الفتح وفصل بعضهم العشرة الآلاف الذين جاؤا معه
من المدينة وخرجوا لحرب هوازن فقال أربعة آلاف من الانصار وألف من المهاجرين وألف من

المهملة
زن منبر
جماعة

جهينة وألف من مزينة وألف من أسلم وألف من غفار وألف من أشجع وتقدم انه صلى الله عليه وسلم استقرض من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية خمسين ألف درهم ومن عبد الله ابن ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم فرقها في أصحابه أهل الضعف ليستعينوا بها وكان ذلك عند عزمه على الخروج لحرب هوازن ثم وفاها مما غنمه من هوازن وقال انما جزاء السلف الحمد والاداء وكان صفوان بن أمية على دين قومه وأخذ أمانا من النبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن يعطيه مهلة شهرين ثم ان شاء تبعه ودخل في الاسلام وان شاء ذهب حيث شاء فأعطاه أربعة أشهر ثم أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وتقدم الكلام على قصة اسلامه مستوفى عند ذكره في عداد من أهدر دمهم صلى الله عليه وسلم واستثناهم من الدخول في الامان ثم انه صلى الله عليه وسلم ذكر واله عند عزمه على الخروج لحرب هوازن ان عند صفوان بن أمية أدراعا وسلاحا فأرسل اليه فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك نلقى به عدونا غدا فقال صفوان أغصبا يا محمد فقال بل عارية وهي مضمونة حتى نؤديها اليك فقال ليس بهذا بأس فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح وفي رواية أربعمائة درع وسأله النبي صلى الله عليه وسلم أن يكفيهم حملها الى موضع القتال ففعل *وذكر بعضهم ان بعض تلك الادراع فقد فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يضمنها له فأبى بعد اسلامه وقال أنا اليوم يا رسول الله في الاسلام أرغب واستعار صلى الله عليه وسلم من نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عمه صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف رمح وقال كأني أنظر الى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم وخرج الناس معه وأهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء خرجن يمشين على غير دين رجاء الغنائم ومن لم يكمل اسلامه لم يكره ان الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستعمل صلى الله عليه وسلم على مكة عتاب بن أسيد رضي الله عنه وترك معه معاذ بن جبل رضي الله عنه يعلم الناس الاحكام والشرائع وقد تقدم الكلام على ذلك في غزوة الفتح وخرج معه صلى الله عليه وسلم من المشركين الذين أمنهم ولم يسلموا حين خروجه ثمانون رجلا منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو رضي الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وقد تقدمت قصة اسلامهما فلما قرب النبي صلى الله عليه وسلم من محل العدو رتب أصحابه وصفهم ووضع الالوية والرايات مع المهاجرين والانصار فلواء المهاجرين أعطاه عليا رضي الله عنه وقسم الرايات على كل بطن فأعطى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه راية وأعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه راية وهكذا وأعطى لواء الخزرج للحباب بن المنذر رضي الله عنه ولواء الاوس لاسيد بن حضير رضي الله عنه وجعل لكل بطن راية يحملها واحد منهم ثم رتب قبائل العرب التي كانت معه وفرق عليهم الالوية والرايات ولبس صلى الله عليه وسلم درعين والبيضة والمغفر وركب بغلته البيضاء وفي رواية الشهباء وهي بغلة واحدة سماها بعضهم بيضاء وبعضهم شهباء لان بياضها كان يميل الى الشهبة واسمها دلدل وأرسل مالك بن عوف رئيس هوازن ثلاثة نفر عيونا وجواسيس ينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه فرجعوا الى مالك وقد تفرقت أوصالهم من الفزع فقال ويلكم ما شأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى وان أطعتنا رجعت بقومك فقال أف لكم بل أنتم أجبن القوم وحبسهم عنده خوفا أن يشيع ذلك في جيشه ولم يصرفه ذلك ومضى على ما يريد وأرسل اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه وهو عبد الله بن أبي حدرد الاسلمي رضي الله عنه وأمره أن يدخل فيهم ويسمع منهم ما أجمعوا عليه فدخل فيهم ومكث يوما أو يومين وسمع ما يقولون ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره انه انتهى الى خباء مالك بن عوف وعنده رؤساء هوازن فسمعه يقول لاصحابه ان محمدا لم

يقاتل قوما قط قبل هذه المرة وانما كان يلقى قوما أغمارا الاعلم لهم بالحرب فيظهر عليهم فاذا كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم ثم صفوا ثم تكون الحملة منكم واكسروا أغماد سيوفكم فتلقونه بعشرين ألف سيف واحملوا حملة رجل واحد واعلموا ان الغلبة لمن حمل أولا وفى رواية ان ابن أبى حدرد رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم انى انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم أى نسائهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين ان شاء الله فقال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم عن قلة فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فيما تقدم بعشرين ألف سيف حتى وهو الراجح كما حقق ذلك العلامة الزرقانى فى شرح المواهب وقيل كانوا ثلاثين ألفا وأثار روايه انهم كانوا أربعة آلاف فرجوحة ولما كان صلى الله عليه وسلم بحنين وانحدر فى الوادى وذلك عند غبش الصبح خرج عليهم القوم وكانوا قد كمنوا لهم فى شعاب الوادى ومضايقه وذلك باشارة دريد بن الصمة فانه قال لمالك بن عوف اجعل كمينا يكون لك عونا ان حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم وكررت عليهم أنت بمن معك وان كانت الحملة لك لم يفلت من القوم أحد فحملوا عليهم حملة رجل واحد وكانت هوازن رماة فاستقبلوهم بالنبل كأنه جراد منتشر لا يكاد يسقط لهم سهم * وقال البراء بن عازب رضى الله عنهما كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فأخذ المسلمون فى الرجوع منهزمين لا يلوى أحد على أحد وفى رواية فاستقبلهم من هوازن مالم يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك فى غبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادى فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بنى سليم مولية وكانت مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فتبعهم أهل مكة والناس فانهزموا وقيل ان الطلقاء وهم أهل مكة قال بعضهم لبعض أى قال من كان منهم اسلامه مدخولا اخذلوهم فهذا وقته فانهزموا أول من انهزم وتبعهم الناس وسأل رجل البراء بن عازب رضى الله عنهما فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال البراء ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز ذات اليمين ومعه نفر قليل منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمه صلى الله عليه وسلم وأسامة بن زيد وربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب وعتبة ومعتب ابنا أبى لهب وأيمن بن أم أيمن وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين وأيمن هذا استشهد يومئذ واختلف فى عدد الذين ثبتوا معه يومئذ فقيل مائة وقيل ثمانون وقيل اثنا عشر وقيل عشرة وقيل ثلثمائة ولا مخالفة لامكان الجمع باختلاف اللحظات فكانوا تارة قليلا وتارة كثيرا وتارة يجتمعون معه وتارة يتفرقون عن يمينه وشماله يقاتلون * وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولى الناس وبقيت معه فى ثمانين رجلا من المهاجرين والانصار فقمنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته لم يمض قدما وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم آخذا بلجام بغلته يكفها أن تتقدم فى نحر العدو وجاء فى رواية ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان آخذا باللجام فلعله كان يمسكه هو تارة والعباس تارة وكان أبو سفيان بن الحارث وهو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنه آخذا بركابه صلى الله عليه وسلم قال رضى الله عنه لما التقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسى وبيدى السيف مصلتا والله يعلم انى أريد الموت دونه صلى الله عليه وسلم وهو ينظر الى فقال له العباس رضى الله عنه يا رسول الله أخوك وابن عمك أبو سفيان فارض عنه فقال صلى الله عليه

وسلم غفر الله له كل عداوة عادانيها قال ثم التفت الى وقال يا أخى فقبلت رجله فى الركاب وقال صلى الله عليه وسلم فيه أبو سفيان بن الحارث من شباب أهل الجنة وفى رواية سيد فتيان أهل الجنة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يركض ناحية هوازن ويقول أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب وأخذ كفا من تراب فرماه فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ الله عينيه من تلك القبضة وجاء فى بعض الروايات أنه حين أراد تناول التراب حادت به بغلته ومال به السرج وكان ابن مسعود رضى الله عنه قريبا منه قال فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فناولته فضرب به وجوههم فامتلأت ترابا وقيل انه نزل عن بغلته وأخذ التراب بيده وفى رواية قال للعباس ناولنى من الحصباء فأفهم الله البغلة فانخفضت به حتى كاد بطنها يمس الارض فتناول من البطحاء فحثى فى وجوههم وقال شاهت الوجوه حم لا ينصرون وعن مالك بن أوس قال حدثنى عدة من قومى شهدوا ذلك اليوم يقولون لقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية من الحصى فما منا أحد الا شكى القذى فى عينيه ولقد كنا نجد فى صدورنا خفقا كوقع الحصى فى الطاس ما يهدأ ذلك الخفقان وعن يزيد بن عامر السوائى وكان حضر ذلك اليوم فسئل عن الرعب فكان يأخذ الحصاة فيرمى بها فى الطست فيطن فيقول انا كنا نجد فى أجوافنا مثل هذا وعن أبى عبد الرحمن الفهرى قال حدثنى أبناؤهم عن آبائهم انهم قالوا لم يبق منا أحد الا امتلأت عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السماء كامرار الحديد على الطست وهذا الرمى وقع فى هذه الغزوة وفى غزوة بدر وفى ذلك قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

ورمى بالحصى فأقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء

وعن عبد الرحمن بن مولى عن رجل كان فى المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم ونحن فى آثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من الهزيمة صار يقول الى أيها الناس الى قال الراوى للحديث فلم أر الناس يلوون على شئ فقال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضى الله عنه اصرخ يا معشر الانصار يا أصحاب السمرة يعنى الشجرة التى كانت تحتها بيعة الرضوان وفى رواية اصرخ بالمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة وبالانصار الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان العباس رضى الله عنه رفيع الصوت حتى جاء انه كان يسمع صوته من مسافة ثمانية أميال وفى رواية قال له ناد يا أصحاب البيعة يوم الحديبية يا أصحاب سورة البقرة وفى لفظ ناد يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بنى الخزرج ولا تنافى بين الروايات لاحتمال تكرر قول النبى صلى الله عليه وسلم له وتكرر ندائه وانه نادى بكل تلك الالفاظ وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم نادى بنفسه أيضا بعد نداء العباس فالتفت عن يمينه فقال يا معشر الانصار فقالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ثم التفت عن يساره فقال يا معشر الانصار فقالوا لبيك يا رسول الله ابشر نحن معك وفى رواية فأجابوه لبيك لبيك نحن معك يا رسول الله وصار الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع أى لم يتقدم معه بسهولة انحدر عنه وتركه ورجع وسيفه وترسه معه يؤم الصوت حتى ينتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة ما شبهت عطفة الانصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عطفة الابل وفى لفظ عطفة البقر على أولادها وفى رواية أقبلوا كأنهم الابل اذا حنت على أولادها وفى رواية فجاء المهاجرون والانصار بسيوفهم فى أيمانهم

كأنها الشهب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار قتالا شديدا فنظر
الى قتالهم فقال الآن حمي الوطيس وهو التنور يخبز فيه يضرب مثلا لشدة الحرب التي يشبه حرها حر
التنور وهذا من فصيح الكلام ولم يسمع من أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم فولى المشركون الادبار
والمسلمون يقتلون ويأسرون فيهم وكان في ركوبه صلى الله عليه وسلم البغلة في هذا الموطن الذي هو
موطن الحرب والطعن والضرب تحقيق لنبوته لما خصه الله به من مزيد الشجاعة وتمام القوة والا
فالبغال عادة من مراكب الطمأنينة والامن ولا يصلح لمواطن الحرب في العادة الا الخيل لان الخيل
مخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والابل فبين عليه الصلاة والسلام ان الحرب عنده كالسلم قوة قلب
وشجاعة نفس وثقة بالله وتوكلا عليه وقد أجمعت الصحابة رضي الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم ما انهزم
مع من انهزم بل صار يقدم في وجه العدو بل ما انهزم في موطن قط وقد انعقد الاجماع على ذلك قال
القاضي عياض من قال انه انهزم يستتاب فان تاب والا قتل ولما انهزم المشركون تبع أثرهم المسلمون فلا
وأسرا حتى حدث بعض من هوازن بعد اسلامه قال ما خيل لنا الا أن كل حجر وشجر فارس يطلبنا وأرل
الله من الملائكة خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفا فقيل انهم قاتلوا وقيل لم يقاتلوا
وانما نزلوا لالقاء السكينة في قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وجاء ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع
يديه ودعا وقال اللهم أنشدك ما وعدتني اللهم لا ينبغي أن يظهروا علينا اللهم كنت وتكون وأنت حي
لا تموت تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم يا حي يا قيوم اللهم ان شئت
أن لا تعبد بعد اليوم اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان فقال له جبريل عليه السلام لقد
لقنت الكلمات التي لقن الله موسى يوم فلق له البحر كان البحر أمامه وفرعون خلفه وكان في يوم حنين
امام المشركين رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل وهوازن خلفه ان أدرك من
امامه طعنه برمحه وان فاته دفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينما هو كذلك اذ أهوى اليه علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ورجل من الانصار يريدانه فأتى علي رضي الله عنه من خلفه وضرب عرقوبي الجمل فوقع
على عجزه ووثب الانصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه واجتلد الناس فوالله
ما رجعت راجعة المسلمين من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتوفين عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولما انهزم المسلمون تكلم رجال من أهل مكة لما في نفوسهم من الضغن وكان ذلك قبل أن يتمكن
الاسلام في قلوبهم وقالوا لا تنتهي هذه الهزيمة دون البحر وقالوا غلبت والله هوازن ولم يرض صفوان
ابن أمية تلك المقالة وكان ذلك قبل اسلامه فقال لقائل ذلك بفيك الكثكث أي الحجارة والتراب وقال
هشام بن كلدة وكان أخا لصفوان لامه بطل سحر محمد فقال له صفوان اسكت فض الله فاك فوالله لأن
يربني رجل من قريش أحب الي من أن يربني رجل من هوازن ومر رجل على صفوان فقال له ابشر
بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبدا فغضب صفوان وقال أتبشرني بظهور الاعراب فوالله لرب
من قريش أي مالك يدبر أمري أحب الي من رجل من الاعراب وقال عكرمة بن أبي جهل لمن قال
لا يجبرونها أبدا ليس هذا لك ولا بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شئ ان أديل عليه اليوم فان له
العاقبة غدا ووصلت الهزيمة الى مكة وسر بذلك قوم لم يتمكن الاسلام في قلوبهم وأظهروا الشماتة
وقال قائل منهم ترجع العرب الى دين آبائها وثبت الله عتاب بن أسيد وجماعة معه فلم يتغيروا فاعماهم عليه
حتى جاءتهم البشرى بنصرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وانهزام هوازن ومن معهم وعن قتادة
قال مضى سرعان المنهزمين الى مكة يخبرون أهلها بالهزيمة فسر بذلك قوم من أهلها وأظهروا الشماتة
وقال قائلهم ترجع العرب الى دين آبائها وقد قتل محمد وتفرق أصحابه فقال عتاب بن أسيد رضي الله

عنه ان قتل محمد فان دين الله قائم والذي يعبده محمد حي لا يموت فما أمسوا حتى جاءهم الخبر بنصره صلى الله عليه وسلم فسر عتاب ومعاذ وكبت الله من كان يسره خلاف ذلك ولما انعطف المسلمون راجعين انتهوا في قتالهم هوازن الى قتل الذرية فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الذرية وقال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه روى ان أبا طلحة الانصاري رضي الله عنه قتل وحده عشرين قتيلا وأخذ أسلابهم وأدرك ربيعة بن رفيع السلمي دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن انه امرأة فاذا هو شيخ كبير أعمى ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد فقال أقتلك قال ومن أنت قال ربيعة بن رفيع السلمي ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا فقال له دريد يسخر به بئس ما سلحتك أمك خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فاني كذلك كنت أضرب الرجال ثم اذا أتيت أمك فأخبرها انك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله فلما أخبر ربيعة أمه بقتله قالت له أما والله لقد أعتق اثنين بل ثلاثا هلا تكرمت عن قتله لما أخبرك بمنه علينا فقال ما كنت لأتكرم عن رضا الله ورسوله وقيل القاتل لدريد الزبير بن العوام رضي الله عنه وكانت أم سليم رضي الله عنها مع زوجها أبي طلحة زيد بن سهل الانصاري رضي الله عنه وكانت رضي الله عنها حازمة وسطها ببرد لها وفي حزامها خنجر وكانت حاملا بابنها عبد الله بن أبي طلحة فقال لها زوجها ماهذا الخنجر الذي معك يا أم سليم قالت ان دنا مني أحد من المشركين بعجته به فقال أبو طلحة ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم فأعاد عليه القول فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وقالت أم سليم رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم بأبي أنت وأمي يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فانهم لذلك أهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد كفى وأحسن أي وقد غفر الله لهم كما قال تعالى وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم وجرح خالد بن الوليد رضي الله عنه جراحات أثقلت به وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما هزم الله الكفار ورجع المسلمون الى رحالهم يمشي في المسلمين ويقول من يدلني على رحل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد أسند الى مؤخرة الرحل لانه أثقل بالجراحة فتفل صلى الله عليه وسلم في جراحاته فبرأ لوقته * وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال لقد رأيت قبل هزيمة هوازن والناس يقتتلون شيئا أسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فاذا نمل مبثوث قد ملأ الوادي فلم أشك انه الملائكة ولم تكن الا هزيمة القوم وعن جمع من هوازن قالوا لقد رأينا يوم حنين رجالا بيضا على خيل بلق عليهم عمائم صفر قد أرخوها بين أكتافهم بين السماء والارض كتائب لا نستطيع أن نقاتلهم من الرعب منهم وكان جملة من قتل من المسلمين في هذه الوقعة أربعة فقط وقتل من المشركين وقت الحرب أكثر من سبعين قيل وفي الانهزام أكثر من ثلثمائة وأسر منهم خلق كثير ومن النساء ستة آلاف نفس وغنم المسلمون من الابل أربعة وعشرين ألف بعير ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ولم يذكروا عدد البقر لانها كانت قليلة بالنسبة لما ذكر ولما وقعت هزيمة هوازن أسلم كثير من كفار مكة وغيرهم لما رأوا من نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائذ بن عمرو رضي الله عنه قال أصابتني رمية يوم حنين في جبهتي وسال الدم على وجهي وصدري فسلت النبي صلى الله عليه وسلم بيده عن وجهي وصدري الى ترقوتي ثم دعا لي فصار أثر يده غرة سائلة كغرة الفرس ولما انهزم القوم عسكر بعضهم بأوطاس فأرسل اليهم صلى الله عليه وسلم أبا عامر الاشعري رضي الله عنه كما يأتي على الاثر والله أعلم

(سرية أبي عامر الاشعري رضي الله عنه)

وهو عم أبي موسى الاشعري رضي الله عنه وتسمى هذه السرية غزوة أوطاس بعث صلى الله عليه وسلم أبا عامر خلف الفارين من هوازن ومعه جمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم سلمة بن الأكوع رضي الله عنه فالتقوا بأوطاس وهو واد في ديار هوازن وكان المنهزمون انقسموا ثلاث فرق فرقة منهم لحقت بالطائف وفرقة بنخلة وفرقة بأوطاس فانتهى اليهم أبو عامر فاذاهم مجتمعون فناوشوه القتال وقتل منهم أبو عامر تسعة اخوة مبارزة بعد ان يدعو كل واحد منهم الى الاسلام ويقول اللهم اشهد عليه بأني دعوته الى الاسلام فلم يجب ثم برز له العاشر فدعاه الى الاسلام وقال اللهم اشهد عليه فقال اللهم لا تشهد علي فكف عنه أبو عامر ظنا منه انه أسلم فأفلت ثم أسلم بعد فحسن اسلامه فكان صلى الله عليه وسلم اذا رآه قال هذا شريد أبي عامر ثم استشهد أبو عامر رضي الله عنه قتله اخوان وهما العلاء وأوفى ابنا الحارث بن جشم وجاء ان أبا موسى أدرك قاتل عمه فقتله وقيل ان الذي قتله عاشر الاخوة التسعة وهو الذي أسلم بعد ثم خلف أبا عامر أبو موسى رضي الله عنه باستخلاف عمه له فأقره الناس فقاتل القوم حتى هزمهم وفتح الله على يديه وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عامر وقال اللهم اغفر لأبي عامر واجعله من أعلى أمتي في الجنة وفي رواية وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما

(ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه)

الى ذي الكفين وهو صنم من خشب كان لعمرو بن حممة الدوسي وذلك انه لما أراد صلى الله عليه وسلم السير الى الطائف لمحاصرة من تحصنوا به من ثقيف بعث الطفيل لاحراق ذلك الصنم وان يوافيه بالطائف فخرج سريعا فهدمه وجعل يلقي النار في وجهه ويقول

يا ذا الكفين لست من عبادكا * ميلادنا أقدم من ميلادكا * اني حشوت النار في فؤادكا

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا لانه كان مطاعا في قومه فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه من الطائف بأربعة أيام

(غزوة الطائف)

وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة سار الى الطائف وجعل خالد ابن الوليد على مقدمته في ألف من أصحابه وكانت ثقيف لما انهزموا دخلوا حصنهم بالطائف وأغلقوه عليهم بعد ان أدخلوا فيه ما يصلحهم من القوت لسنة وتهيؤا للقتال وكان معهم مالك بن عوف وجمع من أشراف قومه ومر صلى الله عليه وسلم في طريقه بحصن لمالك بن عوف فأمر به فهدم ومر بحائط أي بستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فأرسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم اما أن تخرج واما أن نحرق عليك حائطك فأبى أن يخرج منه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باحراقه ولما وصل خالد رضي الله عنه الطائف نزل بمن معه من المسلمين قريبا من الحصن وعسكر هنالك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا حتى أصيب كثير من المسلمين بجراحات وقتل من المسلمين اثنا عشر رجلا منهم عبد الله بن أبي أمية المخزومي رضي الله عنه وهو أخو أم سلمة رضي الله عنها وأصيبت عين أبي سفيان رضي الله عنه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وعينه في يده فقال يا رسول الله هذه عيني أصيبت في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت دعوت فردت عليك وان شئت فعين في الجنة قال في الجنة ورمى بها من يده وأصيبت عينه الثانية يوم اليرموك عند قتال الروم كما تقدم الكلام على ذلك ولما وصل صلى الله عليه وسلم الطائف نزل قريبا من الحصن ثم لما قتل من قتل من المسلمين ارتفع الى موضع مسجد الطائف

اليوم وحاصرهم ثمانية عشر يوما ونصب عليهم المنجنيق وهو أول منجنيق رمى به فى الاسلام وكان الذى
أشار به سلمان الفارسى رضى الله عنه بل قيل انه صنعه بيده وأقبل خالد بن الوليد رضى الله عنه
ينادى أهل الحصن و يقول من يبارز فلم يطلع اليه أحد وناداه عبد يا ليل لا ينزل اليك منا أحد
ولكن نقيم فى حصننا فان به من الطعام ما يكفينا سنين فان أقمت حتى يذهب ذلك الطعام خرجنا اليك
بأسيافنا جميعا حتى نموت عن آخرنا ودخل جماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم تحت دبابتين
لينقبوا عليهم السور وزحفوا بها الى جدار الحصن ليخرقوه ففطن لهم ثقيف فأرسلوا اليهم سكك
الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل فقتلوا منهم رجالا والدبابة بفتح الدال المهملة
وموحدة مشددة و بعد الالف موحدة ثم هاء التأنيث هى آلة من آلات الحرب تجعل من الجلود يدخل
فيها الرجال فيدبون بها الى الاسوار لينقبوها وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم
وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا فسألوه أن يدعها الله وللرحم فقال صلى الله عليه وسلم فانى أدعها
لله وللرحم ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد نزل من الحصن وخرج لنا فهو حر فخرج
منهم بضعة عشر وقيل ثلاثة وعشرون رجلا ونزل منهم شخص فى بكرة فقيل له أبو بكرة وكان عبدا
للحارث بن كلدة فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه
فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة واستأذن عيينة بن حصن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
أن يأتى ثقيفا فى حصنهم ليدعوهم الى الاسلام فأذن له فى ذلك فأتاهم فدخل حصنهم فقال لهم تمسكوا
فى حصنكم فوالله لنحن أذل من العبيد ولا تعطوا بأيديكم ولا يشق عليكم قطع هذا الشجر ثم رجع الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما قلت لهم يا عيينة قال أمرتهم بالاسلام ودعوتهم اليه وحذرتهم
النار ودللتهم على الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت انما قلت لهم كذا وقص عليه
القصة فقال صدقت يا رسول الله أتوب الى الله واليك من ذلك وكان جملة من قتل من المسلمين اثنى عشر
منهم عبد الله بن أبى أمية المخزومى رضى الله عنه أخو أم سلمة رضى الله عنها ولم يؤذن لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فى فتح الطائف قالت خولة بنت حكيم رضى الله عنها قلت له يا رسول الله ما يمنعك أن تنهض
الى أهل الطائف قال لم يؤذن لنا حتى الآن فيهم وما أظن أن نفتحها الآن فذكرت خولة ذلك لعمر بن
الخطاب رضى الله عنه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما حديث حدثتنيه
خولة زعمت انك قلته لها قال قلته قال أوما أذن الله فيهم يا رسول الله قال لا واستشار رسول الله صلى الله
عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلى فى الذهاب أو المقام فقال له ثعلب فى جحر ان أقمت أخذته وان تركته
لم يضرك قال ابن اسحاق و بلغنى انه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر الصديق رضى الله عنه انى رأيت
انى أهديت لى قعبة مملوءة زبدا فنقرها ديك فهراق ما فيها فقال أبو بكر رضى الله عنه ما أظن أن
تدرك منهم يومك هذا ما تريد فقال صلى الله عليه وسلم وأنا لا أرى ذلك وكانت الحكمة فى انه لم يؤذن له
فى فتح الطائف ذلك العام ان لا يستأصل أهل ذلك الحصن قتلا فأخر الله أمرهم حتى جاؤا طائعين
مسلمين كما سيأتى ذكره فى الوفود ان شاء الله ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى
الله عنه فأذن فى الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاغدوا على القتال فغدوا فأصابت المسلمين جراحات فقال صلى الله عليه وسلم انا قافلون ان
شاء الله فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك تعجبا من سرعة تغير
رأيهم لانهم رأوا ان رأيه صلى الله عليه وسلم أبرك وأنفع من رأيهم فرجعوا اليه وقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلما ارتحلوا

قال قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون وقيل له يارسول الله ادع على ثقيف أهل الطائف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين ورحم الله الابوصيري حيث يقول

جهلت قومه عليه فأغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء

وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء

وعند انحداره الى الجعرانة لقيه سراقة بن مالك وهو واضع للكتاب الذي كتبه له صلى الله عليه وسلم عند الهجرة بين أصبعيه وينادي أنا سراقة وهذا كتابي فقال صلى الله عليه وسلم هذا يوم وفاء ومودة ادنوه وادنوه منه فأسلم رضي الله عنه وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الضالة من الابل ترد حوضه الذي ملأه لابله هل له في ذلك أجر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم في كل ذات كبد حراء أجر ولما وصل صلى الله عليه وسلم الجعرانة أمر باحصاء السبي فكان كما تقدم ستة آلاف من النساء والذرية والاسرى ومن الابل أربعة وعشرين ألفا ومن الغنم أكثر من أربعين ألفا ومن الفضة أربعة آلاف أوقية غير ما تبع ذلك من الامتعة وكان صلى الله عليه وسلم قد استظر قدوم هوازن وتربص بهم بضع عشرة ليلة ثم بدأ بقسمة الغنائم فقسمها ثم قدم عليه هوازن مسلمين ورد عليهم السبي كما سيأتي وسألهم عن رئيسهم مالك بن عوف النصري فقالوا هو مع ثقيف بالطائف فقال اخبروه انه ان أتاني مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فلما أخبروا مالكا بذلك ركب مستخفيا فأدرك النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وقيل بمكة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الابل كما وعد صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وقال حين أسلم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * في الناس كلهم بمثل محمد

أوفى وأعطى للجزيل اذا اجتدى * ومتى تشا يخبرك عما في غد

فكأنه ليث على أشباله * وسط الهباءة خادر في مرصد

واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح الا أغار عليه وضيق عليهم حتى أسلموا وشهد فتح القادسية وفتح دمشق في خلافة عمر رضي الله عنه ولما جاء وفد هوازن الى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان قسم الغنائم سألوه أن يرد عليهم سبيهم وأموالهم فقال صلى الله عليه وسلم معي من ترون يعني من المسلمين وقد استأنيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون وقد قسمت فاختاروا اما السبي واما المال فاختاروا السبي فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين في ردّ سبيهم عليهم فردوه كلهم الا عيينة بن حصن فانه أبى أن يرد عجوزا كبيرة وقال هذه أم الحي لعلهم أن يغلوا فداءها ثم ردها بست قلائص كما سيأتي وكانت في السبي أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاع وهي الشيماء بنت حليمة رضي الله عنها ولما قالت له الشيماء أنا أختك يارسول الله قال وما علامة ذلك فأخبرته بعضة كان عضها اياها حين كان مسترضعا عندهم وأرته اياها فعرفها وتذكر ذلك فقام وبسط لها رداءه وصنع مثل ذلك بأمه حليمة رضي الله عنها حين جاءته ودمعت عيناه وقال للشيماء لما ان عرفها سلي تعطي واشفعي تشفعي وقيل ان قومها قالوا لها ان هذا الرجل أخوك فلو أتيته فسألته في قومك رجونا أن يحابينا فأتته فقالت أتعرفني قال من أنت قالت أنا أختك بنت أبي ذؤيب وآية ذلك اني حملتك فعضضتني عضة شديدة هذا أثرها فرحب بها واستوهبته السبي وهم ستة آلاف فوهبهم لها فما عرفت مكرمة مثلها ولا امرأة أيمن على قومها منها وخيرها صلى الله عليه وسلم فقال ان أحببت فعندي محببة مكرمة وان أحببت أن أمتعك وترجعي الى قومك قالت بل تمتعني وأرجع الى قومي فأعطاها نعما وشاء وعلاما يقال له مكحول وجارية وقيل أعطاها ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء وقيل القادم عليه

أنه وقيل هما معا جمعا بين الروايات وجاءه أبو صرد ويكنى بأبي برقان وكان عما له صلى الله عليه وسلم من الرضاع فقال يارسول الله انا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالم يخف عليك وان في من أصبتم الامهات والاخوات والعمات والخالات ونرغب الى الله واليك يارسول الله وقال زهير بن صرد يارسول الله ان مافي الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك أي لان مرضعته حليمة رضي الله عنها كانت من هوازن لو أرضعنا للحارث بن أبي شمر ملك الشام أو للنعمان بن المنذر ملك العراق ثم نزل بنا مثل مانزلت بنا لرجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين ثم أنشده أبياتا يستعطفه بها منها قوله

أمنن علينا رسول الله في كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر

أمنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذفوك يملأه من محضها الدرر

انا نؤمل عفوا منك تلبسه * هذى البرية ان تعفو وتنتصر

فالبس العفو من قد كنت ترضعه * من أمهاتك ان العفو مشتهر

فقال صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم فاختاروا احدى الطائفتين اما السبي واما المال وقد كنت استأنيت بكم حتى ظننت انكم لاتقدمون لانه كما تقدم انتظرهم بعد أن قفل من الطائف بضع عشرة ليلة وفي رواية قال لهم قد وقعت المقاسم مواقعها فأي الامرين أحب اليكم السبي أم الاموال وفي رواية قال لهم اما مالي ولبني عبد المطلب فهو لكم ثم قال لهم اذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبنائنا ونسائنا وأظهروا اسلامكم وقولوا نحن اخوانكم في الدين فسأسأل لكم الناس فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان أثنى على الله بما هو أهله أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤنا تائبين واني قد رأيت أن أرد اليهم سبيهم فمن أحب منكم ان يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول مايفيء الله علينا فليفعل وفي رواية قال وأما من تمسك منكم بحقه من السبي فله بكل انسان ست قلائص وفي رواية فرائض لان البعير يسمى فريضة لكونه يؤخذ في الزكاة ونعطيه ذلك من أول سبي نصيبه وفي رواية فمن أحب أن يعطي غير مكره فليفعل ومن كره أن يعطي وأراد أخذ الفداء فعلى فداؤهم ثم قال أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن الفزاري أما أنا وبنو فزارة فلا وقال العباس بن مرداس السلمي أما أنا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقال لهم العباس وهنتموني أي أضعفتموني حيث صيرتموني منفردا وفي رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم مسلمون وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالابناء والنساء شيئا فمن كان عنده من النساء سبي فطابت نفسه أن يرده فليرده ومن أبى فليرد ذلك قرضا علينا بكل انسان ست فرائض من أول مايفيء الله علينا قالوا رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال انا لاندري لعل فيكم من لم يرض فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعت العرفاء اليه انهم قد رضوا وكان صلى الله عليه وسلم عند تفريق السبي على المسلمين قد أمر مناديا ينادي أن لاتوطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرأن بحيضة وقد أشار صاحب الهمزية الى عفوه صلى الله عليه وسلم عن هوازن ومنه عليهم بقوله

من فضلا على هوازن اذ كا * ن له قبل ذاك فيهم رباء

وأتى السبي فيه أخت رضاع * وضع الكفر قدرها والسباء
فحباها برا توهمت النا * س به أنما السباء هداء
بسط المصطفى لها من رداء * أي فضل حواه ذاك الرداء
فغدت فيه وهي سيدة النسوة والسيدات فيه اماء

والصحيح انه صلى الله عليه وسلم ردّ عليهم جميع السبي ولم يتخلف منه أحد الا عجوز من عجائزهم كانت عند عيينة بن حصن كما تقدم فأبى أن يردها وقال حين أخذها أرى عجوزا انى لاحسب أنّ لها في الحي نسبا وعسى أن يعظم فداؤها فعز عليه ولدها وهو زهير بن صرد فسامها منه وأعطاه مائة من الابل فيها فأبى عيينة وطمع في الزيادة فتركه وذهب وغاب عنه ثم مر عليه معرضا فقال له عيينة خذها بالمائة فأبى وقال لا أدفع الا خمسين فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر معرضا فقال خذها بالخمسين فقال لا أدفع الا خمسة وعشرين فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر عليه معرضا فقال خذها بالخمسة والعشرين فقال لا آخذها الا بعشرة فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر معرضا فقال خذها بالعشرة فقال لا آخذها الا بستة والله ما ثديها بناهد ولا بطنها بوالد ولا فوها ببارد ولا صاحبها بواجد عند فوتها أي حزين ولا درّها بناكد أي غزير فقال له عيينة خذها لا بارك الله لك فيها وذلك بسبب دعائه صلى الله عليه وسلم فانه دعا على من أبى أن يرد من السبي شيئا أن يخس أي يكسد ثمنه ولما أخذها ولدها قال لعيينة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسا السبي قبطية فقال لا والله ما ذاك لها عندي فما فارقه حتى أخذ لها منه ثوبا والقبطية بضم القاف ثوب أبيض من ثياب مصر منسوبة للقبط * روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا أن يقدم مكة فيشتري للسبي ثيابا فلا يخرج الحر منهم الا كاسيا وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبس أهل مالك بن عوف النصري عند عمته عاتكة أم عبد الله بن أبي أمية المخزومي حتى جاء مالك فسلم اليه أهله وكان الوفد كلموه صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال انما أريد بهم الخير ولم يجز أن تجري السهمان في مال مالك بن عوف حتى حضر ورده عليه وزاده مائة من الابل كما تقدم

(ذكر قسمة الغنائم)

لما رجع صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة قسم الغنائم وبدأ بالمؤلفة قلوبهم وهم ناس من قريش أسلموا يوم الفتح اسلاما ضعيفا وأراد صلى الله عليه وسلم أن يتمكن الايمان في قلوبهم وكان فيهم من لم يسلم بعد ثم أسلم كصفوان بن أمية ولما جمعت الغنائم وأحصيت جاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى كثرة المال قال يا محمد أصبحت أكثر قريش فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم أعطاه مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فقال يا رسول الله ابني يزيد وكان يقال له يزيد الخير وكان أكبر من معاوية فأعطى صلى الله عليه وسلم لابنه يزيد مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فقال يا رسول الله ابني معاوية فأعطاه مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فأخذ أبو سفيان وابناه ثلثمائة من الابل ومائة وعشرين أوقية من الفضة فقال أبو سفيان بأبي أنت وأمي يا رسول الله لانت كريم في الحرب وكريم في السلم لقد حاربتك فنعم المحارب كنت وسالمتك فنعم المسالم كنت هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا وجاء حكيم بن حزام فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه مائة من الابل ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه مائة ثم سأله فأعطاه مائة ثم قال له يا حكيم هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى فأخذ حكيم المائة الاولى وترك ما عداها وقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيما ليعطيه العطاء

فيأبى أن يقبل منه شيئا ثم كان عمر رضي الله عنه في زمن خلافته يدعوه ليعطيه فيأبى أن يقبل فكان عمر رضي الله عنه يقول يا معشر المسلمين اني أعرض على حكيم حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فيأبى أن يقبله رضي الله عنه والذين أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم مائة مائة من الابل كثير منهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية وحكيم بن حزام والاخنس بن شريق وجبير بن مطعم والجد بن قيس السهمي والحارث بن الحارث والحارث بن هشام أخو أبي جهل وحاطب بن عبد العزى وحرملة ابن خودة وحويطب بن عبد العزى وحكيم بن طليق وخالد بن أسيد وخلف بن هشام وزهير بن أبي أسيد وزيد الخيل والسائب بن أبي السائب وصيفي بن عائذ وسهل وسهيل ابنا عمرو وشيبة بن عثمان الحجبي وعبد الرحمن بن يعقوب الثقفي وسفيان بن عبد الاسد المخزومي وصفوان بن أمية وكان قد خرج مع من خرج وهو على شركه فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة ثم مائة ثم مائة ثم واديا مملوأ ابلا وغنما فلم يزل يعطيه حتى أسلم رضي الله عنه وتقدمت قصته عند ذكره فيمن أهدر دمهم صلى الله عليه وسلم وممن أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وأعطى العباس بن مرداس السلمي دون المائة وكان مثلهما رئيسا على قومه كما انهما رئيسان على قومهما فقال يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

أتجعل نهبي ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع
فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع
وقد كنت في الحرب ذا تدرأ * فلم أعط شيئا ولم أمنع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تخفض اليوم لم يرفع

فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه وأعطوه مثل أصحابه وفي رواية يا أبا بكر اقطع عني لسانه وأعطه مائة من الابل فأعطى تمام المائة والعبيد اسم فرسه وأعطى صلى الله عليه وسلم جماعة من المؤلفة خمسين خمسين من الابل منهم عثمان بن وهب المخزومي وعمير بن ودقة وعمير بن وهب وعدي بن قيس السهمي وعمرو بن مرداس السلمي أخو العباس بن مرداس ومخرمة بن نوفل الزهري وهشام بن عمرو العامري وسعيد بن يربوع * وذكر بعضهم ان ممن أعطاه مائة أبا جهم بن حذيفة العدوي وأبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وعكرمة ابن عامر العبدري وعلقمة بن علاثة وعمرو بن الاهتم والعلاء بن جارية الثقفي وكعب بن الاخنس ولبيد بن ربيعة العامري ومالك بن عوف رئيس هوازن ومطيع بن الاسود القرشي والنضير بن الحارث بالتصغير أخو النضر المقتول ببدر ونوفل بن معاوية الكناني وهشام بن الوليد المخزومي وذكر بعضهم عكرمة بن أبي جهل فيمن أعطاه مائة وقيل انه لم يكن حاضرا وهو الصحيح لانه اختفى ثم ركب البحر حتى ذهبت اليه زوجته بأمان من النبي صلى الله عليه وسلم فرجع كما تقدم ثم قسم النبي صلى الله عليه وسلم بقية الغنائم على بقية الاعراب قال أهل المغازي أمر صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت رضي الله عنه وكان من أعظم كتابه صلى الله عليه وسلم باحضار الناس والغنائم ثم قسمها على الناس فكانت سهامهم لكل رجل أربعة من الابل وأربعين شاة فان كان فارسا أخذ اثني عشر من الابل ومائة وعشرين شاة وان كان معه أكثر من فرس لم يسهم للزائد ولم يعط الانصار ولا كبار المهاجرين شيئا فقال رجل من المنافقين هذه قسمة ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله تعالى فأخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فغضب وقال اذا لم أعدل فمن يعدل رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر فقال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما ائذن لنا نضرب عنقه يا رسول الله

فقال دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية لايحدث الناس انى اقتل أصحابى فتأمل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل نظاهر حاله تألفا للناس ليدخلوا فى الاسلام وقال ناس من الانصار ليسوا منافقين يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم والله ان هذا لعجب اذا كانت شدة فنحن ندعى لها وتعطى الغنائم لغيرنا ووددنا ان نعلم ممن كان هذا فان كان من الله تعالى صبرنا وان كان من النبى صلى الله عليه وسلم استعتبناه فبلغ الخبر النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل الى الانصار فجمعهم فى قبة من ادم فلما اجتمعوا قام صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث بلغنى عنكم فقال فقهاء الانصار أما فقهاؤنا فلم يقولوا شيئا وأما ناس منا حديثة اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال صلى الله عليه وسلم انى اعطى رجالا حديثى عهد بكفر ومصيبة أتألفهم وانى اردت ان أجبرهم أو أجيرهم أما ترضون ان يرجع الناس بالاموال وفى رواية بالشاة والبعير وترجعون برسول الله الى بيوتكم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا يارسول الله قد رضينا وفى رواية فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا وفى رواية انه خطبهم فقال يامعشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فألفكم الله بى وكنتم عالة فأغناكم الله بى وكلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن قال ما يمنعكم ان تجيبوا رسول الله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فواسيناك وخائفا فأمناك قالوا بل المن علينا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك صلى الله عليه وسلم تواضعا وانصافا واظهارا لشرف قدرهم والافالحجة البالغة والمنة الظاهرة فى جميع ذلك له عليهم فلولا هجرته وسكناه عندهم لما كان بينهم وبين غيرهم فرق وقد اقتضت حكمة الله ان الغنائم لما حصلت قسمت على من لم يتمكن الايمان من قلبه لما بقى فيه من طبع البشر من حب المال فكان ذلك سببا لاجتماع قلوبهم على محبته صلى الله عليه وسلم لان القلوب جبلت على حب من أحسن اليها وانما لم يعط صلى الله عليه وسلم اكابر المهاجرين والانصار مع استحقاقهم جميعها لرسوخ الايمان فى قلوبهم فوكلهم الى قوة ايمانهم فكان فى قسمها على المؤلفة استجلاب قلوبهم وقلوب اتباعهم الذين كانوا يرضون اذا رضى رئيسهم فيكون سببا لاسلامهم ولتقوية قلب من دخل فى الاسلام منهم فيتبعهم من دونهم فكان فيه مصلحة عظيمة ولذا لم يقسم من اموال مكة عند فتحها شيئا مع احتياج الجيوش الى المال الذى يعينهم على ماهم عليه ولما قيل له صلى الله عليه وسلم اعطيت عيينة والاقرع وتركت جعيل بن سراقة قال اما والذى نفس محمد بيده لجعيل خير من طلوع الارض كلها مثل عيينة والاقرع ولكنى أتألفهما ليسلما أى يقوى اسلامهما ووكلت جعيل بن سراقة لاسلامه وانى لاعطى الرجل وغيره أحب الى منه مخافة ان يكبه الله فى النار على وجهه وفى رواية انى لاعطى اقواما اخاف هلعهم وجزعهم وأكل اقواما الى ما جعل الله فى قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب قال عمرو والله ما أحب ان لى بها حمر النعم وقد جاءت احاديث كثيرة فى مدح الانصار رضى الله عنهم والدعاء لهم ولابنائهم وابناء ابنائهم وقال حسان رضى الله عنه فى مدحهم

سماهم الله انصارا بنصرهم * دين الهدى وعوان الحرب تستعر
وسارعوا فى سبيل الله واعترضوا * للنائبات وما خافوا وما ضجروا

ولى

وفي البخاري عن جبير بن مطعم رضي الله عنه بينما أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم مقفله من حنين اذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسألونه ان يعطيهم من الغنيمة يقولون يارسول الله اقسم علينا فيئنا حتى اضطروه أي ألجؤه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال أعطوني ردائي فلو كان عندي عدد هذه العضاه نعما وفي رواية لو كان عندي عدد شجر تهامة نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا أي اذا جربتموني لا تجدوني ذا بخل ولا ذا كذب ولا ذا جبن ثم قام صلى الله عليه وسلم الى جنب بعير وأخذ وبرة من سنامه فرفعها ثم قال للناس والله مالي من فيئكم أي غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم أي لان أكثره كان يصرفه صلى الله عليه وسلم في مصالح المسلمين ثم بعد تمام قسمة الغنائم اعتمر صلى الله عليه وسلم من الجعرانة لخمس ليال خلون من ذي القعدة وقيل لثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلة الاربعاء وقيل ليلة الخميس ودخل مكة وطاف وسعى وحلق ورجع الى الجعرانة من ليلته فكأنه كان بائتا بها والجعرانة بالتخفيف أفصح من التشديد وهو موضع بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلا سمي باسم امرأة تلقب بالجعرانة وكانت مدة اقامته بها ثلاث عشرة ليلة وجاء في الحديث انه اعتمر من الجعرانة سبعون نبيا ثم توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة واستعمل على أهل مكة عتاب بن اسيد أي تركه باقيا على عمله وترك معه معاذ بن جبل وأبا موسى الاشعري رضي الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه في الدين وكان قدومه المدينة لثلاث بقين من ذي القعدة وقيل لست بقين منه قال الحافظ ابن حجر ان مدة غيبته كانت أكثر من ثمانين يوما قال كثير من أهل المغازي ان غزوة بدر وغزوة حنين كسر الله بهما سورة الكفر وأطفئنا جمرة العرب وأنفد ناسها مهم وأذلتا جموعهم حتى لم يجدوا بدا من الدخول في دين الله وجبر الله أهل مكة بغزوة حنين وفرحهم بما نالوا من النصر والمغنم فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم وأنجز الله بها الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه وعده اذا فتح مكة أن يدخل الناس في دين الله أفواجا وتدين له العرب بأسرها فلما تم له الفتح اقتضت حكمته تعالى أن يمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الاسلام وأن يجمعوا من قدروا على جمعه ويتأهبوا الحربه صلى الله عليه وسلم ليظهر الله أمره واعزازه لرسوله صلى الله عليه وسلم ونصره لدينه ولتكون غنائمهم جبرانا لاهل الفتح وليظهر الله تعالى رسوله وعباده المؤمنين ويعلي دينهم على سائر الاديان بقهر هذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون قبلها مثلها حتى لا يقاومهم بعدها أحد من العرب واقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان أذاق المسلمين أولا مرارة الهزيمة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم ليخفض بذلك رؤسا رفعت بالفتح لمكة والنصر على أهلها فابتلاهم الله بقصة حنين منعا لهم عن الترفع وتنبيها على ان المطلوب منهم التواضع واظهار الشكر كما فعل صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فانه دخل منحنيا على ناقته متواضعا خاضعا لربه وليبين سبحانه لمن قال لن نغلب اليوم عن قلة ان النصر انما هو من عند الله وان من ينصره الله فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له وانه سبحانه وتعالى هو الذي تولى النصر لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو الذي أنزل سكينته عليه وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان خلع النصر وجوائزه انما تفاض على أهل الانكسار كما قال تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وافتتح الله غزو العرب ببدر واختتمه بحنين وهما أعظم غزواته صلى الله عليه وسلم ولهذا يجمع بينهما في الذكر فيقال بدر وحنين وفي لبسه صلى الله عليه وسلم الدرع والبيضة والمغفر دليل على ان من تمام التوكل استعمال الاسباب التي نصبها الله لمسبباتها قدرا وشرعا فانه صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق توكلا وقوة يقين وقد دخل مكة والبيضة على رأسه ولبس يوم حنين درعين وقد أنزل

الله عليه والله يعصمك من الناس ومن تمام العبودية استعمال الاسباب في سبباتها مع اعتقاد ان التأثير لله وحده لا شريك له ولولا ان الله تعالى ستر قضاءه وقدره بظواهر الاسباب لما انقسم الناس الى مؤمن وكافر وشقي وسعيد فلو كانت جميع الاشياء تجري على خرق العادة لما بقي كافر بل يكونون كلهم ملتجئين الى الاسلام بظهور الخوارق ولو بقيت الاشياء كلها على ظواهرها من ربطها بأسبابها من غير وجود خارق للعادة لما انقاد أحد للاسلام وربما كانوا كلهم يعتقدون تأثير تلك الاسباب فأظهر انه بعض الاشياء على وفق العادة وخرق في بعضها العادة ثم انه كشف ذلك لاناس وحجب عنه آخرين ايضل من يشاء ويهدي من يشاء ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وفي صبره صلى الله عليه وسلم على جفاء الاعراب عند قسمة الغنائم دليل لما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الكرم والحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر وغير ذلك من صفاته الحميدة صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

(بعث قيس بن سعد الى صداء)

بعث صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنهما الى ناحية اليمن بعد انصرافه من الجعرانة في أربعمائة فارس وأمره أن يقاتل قبيلة صداء بضم الصاد وفتح الدال والمد وهم حي من اليمن وقدم زياد بن الحارث الصدائي فسأل عن ذلك البعث فأخبر به فقال يا رسول الله أنا وافدهم اليك فاردد الجيش وأنا أتكفل باسلام قومي وطاعتهم فقال اذهب اليهم فردهم فقال ان راحلتي قد كلت فبعث صلى الله عليه وسلم اليهم رجلا فردهم ورجع الصدائي الى قومه فقدموا بعد خمسة عشر يوما فأسلموا

(البعث الى بني تميم)

وتعرف بسرية عيينة بن حصن الفزاري الى تميم وسببها انه صلى الله عليه وسلم بعث بشر بن سفيان العدوي الكلبي الى بني كعب من خزاعة لاخذ صدقاتهم وكانوا مع بني تميم على ماء فأخذ بشر صدقات بني كعب فقال لهم بنو تميم وقد استكثروا ذلك لم تعطوهم أموالكم فاجتمعوا واشهروا السلاح ومنعوا بشرا من أخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب نحن أسلمنا ولا بد في ديننا من دفع الزكاة فقال بنو تميم والله لا ندع بعيرا واحدا يخرج فلما رأى بشر ذلك قدم المدينة واخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا انصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم وأخذ منهم أحد عشر رجلا واحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيا فجاء بهم الى المدينة فأمر بهم صلى الله عليه وسلم فحبسوا في دار رملة بنت الحارث فجاء في أثرهم جماعة من رؤسائهم منهم عطارد بن حاجب والزبرقان ابن بدر والاقرع بن حابس وقيس بن الحارث ونعيم بن سعد وعمرو بن الاهيم ورباح بن الحارث فلما رأوهم بكى اليهم النساء والذراري فجاؤا الى باب النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان دخلوا المسجد ووجدوا بلالا يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبطؤه فجاؤا من وراء الحجرات فنادوا بصوت جاف اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين يا محمد اخرج الينا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تأذى من صياحهم وفيهم أنزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم وأقام بلال الصلاة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم فقالوا والله نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فقال لهم النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس فى صحن المسجد ثم قالوا ان مدحنا لزين وان شتمنا لشين نحن أكرم العرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل مدح الله الزين وشتمه الشين وأكرم منكم يوسف بن يعقوب ثم قالوا فأذن لخطيبنا وشاعرنا قال أذنت فليقم وفى رواية انى لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا فقدموا عطارد بن حاجب وفى رواية قال الاقرع بن حابس لشاب منهم قم يا فلان فاذكر فضلك وفضل قومك فتكلم وخطب فقال * الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق عددا فمن مثلنا فى الناس ألسنا رؤس الناس وأولى فضلهم فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا وانا لو شئنا أكثرنا وانما أقول هذا الان يأتوا بمثل قولنا أو أمر أفضل من أمرنا ثم جلس وفى رواية انه قال الحمد لله الذى جعلنا خير خلقه وأعطانا أموالا نفعل فيها ما نشاء فنحن خير أهل الارض أكثرهم عددا وأكثرهم سلاحا فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا أو بفعال هى أفضل من فعالنا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس أن يجيبه فقال له قم فأجب الرجل فى خطبته فقام ثابت رضى الله عنه فقال * الحمد لله الذى السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شئ قط الا من فضله ثم ان من فضله ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسبا وأصدقهم قلبا وأفضلهم حسبا فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوو رحمه أكرم الناس أحسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس مقالا ثم كان أول الخلق اجابة واستجابة لله حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن فنحن أنصار الله ورسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه فى الله وكان قتله علينا يسيرا أقول هذا واستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم وفى رواية انه قال الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بنى عمه أحسن الناس وجوها وأعظم الناس اخلاقا فأجابوه والحمد لله الذى جعلنا أنصاره ووزراء رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فمن قالها منع منا نفسه وماله ومن أباها قاتلناه وكان رغمه فى الله علينا هينا أقول قولى واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ثم قال الزبرقان لرجل منهم قم يا فلان قل أبياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقام فقال أبياتا منها

نحن الكرام فلا حى يعادلنا * نحن الرؤس وفينا يقسم الربع

اذا أبينا فلا يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بحسان بن ثابت رضى الله عنه فحضر فقال له قم فأجبه فقال يسمعنى ما قال فأسمعه فقال حسان رضى الله عنه أبياتا منها

نصرنا رسول الله والدين عنوة * على رغم عات من بعيد وحاضر

وأحياؤنا من خير من وطئ الحصا * وأمواتنا من خير أهل المقابر

وثابت بن قيس رضى الله عنه كان يعرف بخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال من يعلم لى علمه فقال رجل أنا يا رسول الله فذهب فوجده فى منزله جالسا منكسا رأسه فقال له ما شأنك فقال أخشى أن أكون من أهل النار لانى رفعت صوتى فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وقد أنزل الله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وكان ثابت بن قيس رضى الله عنه يرفع

صوته لتعزز في صحه ممكله بيان ان الناس لا يسمعونه ما له الا رفع صوته فرجع الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قال ثابت فقال اذهب اليه فقل له لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم فنعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس وقد بلي رضي الله عنه في بعض المشاهد وحسن بلاؤه حتى استشهد يوم اليمامة في خلافة الصديق رضي الله عنه وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم اذ رآه في منامه يقول له اني أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه واني لما قتلت مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعنده خباء فرس وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره فليبعث اليها فليأخذها فاذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أبا بكر رضي الله عنه فقل له ان علي من الدين كذا وكذا وان فلانا من رقيقي عتيق فاستيقظ الرجل فأتى خالدا فأخبره فبعث الى الدرع فأتى بها فحدث بما رآه في نومه ثم لما قدم المدينة أخبر أبا بكر رضي الله عنه برؤياه فأجاز وصيته ولا يعلم أحد أجيزت وصيته بعد موته وأجيزت سواه ووقعت مفاخرة بين الزبرقان بن بدر وحسان رضي الله عنه كل واحد منهما ذكر قصيدة فيها مفاخرة من قصيدة الزبرقان وهو مطلعها

نحن الكرام فلا حي يعادلنا • منا الملوك وفينا تنصب البيع

ومن قصيدة حسان رضي الله عنه وهو مطلعها

الا ابنا ولن يأبى لنا أحد • انا كذلك عند الفخر نرتفع

وقال الأقرع بن حابس اني والله يا محمد قلت شعرا فاسمعه فقال هات فأنشده

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا • اذا خالفونا عند ذكر المكارم

وانا رؤوس الناس من كل معشر • وان ليس في أرض الحجاز كدارم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حسان فأجبه فقال حسان رضي الله عنه

بني دارم لا تفخروا ان فخركم • يعود وبالا عند ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخرون وأنتم • لنا خول من بين ظئر وخادم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأقرع لقد كنت غنيا يا أخا بني دارم أن تذكر ما كنت ترى ان الناس قد نسوه فكان هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم أشد من قول حسان رضي الله عنه وحينئذ قال الأقرع بن حابس لخطيبه يعني النبي صلى الله عليه وسلم أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أعلى من أصواتنا ثم دنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا وروي أن الأقرع بن حابس رضي الله عنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال يا رسول الله ان لي من الولد عشرة ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم واسم الأقرع فراس وانما لقب الأقرع لقرع كان في رأسه والقرع انحصاص الشعر وكان شريفا في الجاهلية والاسلام ووقع ان عمرو بن الأهتم مدح الزبرقان للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انه لمطاع في أدنيه سيد في عشيرته فقال الزبرقان لقد حسدني يا رسول الله لشرفي ولقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه لزمر المروءة ضيق العطن لئيم الخال وفي رواية ان الزبرقان قال يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعني عمرو بن الأهتم فقال عمرو انه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في أدانيه فقال الزبرقان والله لقد كذب يا رسول الله وما منعه أن يتكلم الا الحسد فقال عمرو أنا أحسدك والله انك لئيم الخال حديث المال

أحمق الوالد مبغض في القبر فعرف عمرو الانكار في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الثانية رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أقبح ما علمت فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا ثم انه صلى الله عليه وسلم ردّ عليهم الاسارى والسبي وأحسن جوائزهم بعد ان أسلموا كلهم وأعطى كل واحد اثني عشر أوقية من الفضة واختلف في عدد هذا الوفد فقيل كانوا سبعين رجلا وقيل ثمانين وقيل تسعين قال ابن عبد البر في الاستيعاب ان القوم لما أسلموا بقوا في المدينة مدة يتعلمون القرآن والدين ثم أرادوا الخروج الى قومهم فأعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم أموالهم ونساءهم وقال أما بقي منكم أحد وكان عمرو بن الاهتم في ركائبهم فقال قيس بن عاصم وكان مشاحناله لم يبق منا الا غلام حدث في ركابنا وأزرى به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم وقيل بل أعطاه خمس أواق فقط ولما بلغ عمرو ابن الاهتم ما قاله قيس بن عاصم في حقه أنشد أبياتا تتضمن لومه على ذلك وكان عمرو خطيبا بليغا شاعرا يقال ان شعره كان حللا منشورة وكان جميلا يدعى المكحل لجماله وهو القائل

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

والله سبحانه وتعالى أعلم

(بعث الوليد بن عقبة الى بني المصطلق)

بعث النبي صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط لاخذ الصدقات من بني المصطلق وبنو المصطلق بطن من خزاعة وكان بينهم و بين الوليد عداوة في الجاهلية وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا بالابل والغنم يؤدونها عن زكاتهم فرحا به وتعظيما لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله لرؤية السلاح معهم مع انهم انما خرجوا بالسلاح تجملا فرجع من الطريق قبل ان يصلوا اليه وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم مستند الظنه انهم لقوه بالسلاح يحولون بينه و بين الصدقة وفي رواية أخبره انهم ارتدوا فهم صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليهم من يغزوهم و بلغ ذلك القوم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث اليهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر خفية في عسكر معه وأمره أن يخفي عنهم قدومه فلما دنا منهم بعث عيونا ليلا فاذا هم ينادون بالصلاة و يصلون فأتاهم خالد فلم يرمنهم الا الطاعة وخيرا فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فأخبره وفي رواية بعث صلى الله عليه وسلم اليهم بعثا فاستقبلهم الحارث بن ضرار الخزاعي وكان رئيس القوم فقال الى أين بعثتم قالوا اليك قال ولم قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد فزعم انك منعته الزكاة وأردت قتله فقال لا والذي بعث محمدا بالحق ما رأيته ولا أتاني ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه صلى الله عليه وسلم قال له صلى الله عليه وسلم منعت الزكاة وأردت قتل رسولي قال لا والذي بعثك بالحق وقدم الركب الذين لقوا الوليد فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم الخبر على وجهه فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم و يعلمهم شرائع الاسلام و يقرئهم القرآن والوليد بن عقبة بن أبي معيط كان أخا لعثمان رضي الله عنه لامه وولاه عثمان رضي الله عنه الكوفة ثم عزله ولما مات عثمان رضي الله عنه اعتزل الوليد الفتنة فلم يشهد مع علي رضي الله عنه ولا غيره وأقام بالرقة الى أن توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه

(سرية عبد الله بن عوسجة)

رضي الله عنه الى بني عمرو بن حارثة وقيل حارثة بن عمرو في مستهل صفر وقيل ربيع الاول سنة تسع

من العجيرة يدعوهم الى الاسلام فأبوا أن يجيبوا واستخفوا بصحيفة النبي صلى الله عليه وسلم فغسلوها ورقعوا بها أسفل دلوهم فأخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فدعا عليهم بذهاب العقل فقال مالهم ذهب الله بعقولهم فهم الى اليوم أهل رعدة أي اضطراب في أجسادهم وعجلة في كلامهم وكلام مختلط لا يفهم قال الواقدي رأيت بعضهم ذاعي لا يحسن الكلام

(سرية قطبة بن عامر)

الخزرجي رضي الله عنه الى خثعم قريبا من تربة بضم الفوقية وفتح الراء من أعمال مكة على يومين أو أكثر وكانت في صفر سنة تسع وبعث معه عشرين رجلا وأمره أن يشن الغارة عليهم فحاربوهم واقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت الجرحى في الفريقين ثم هزموهم وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة والله أعلم

(سرية الضحاك بن سفيان)

الكلابي رضي الله عنه الى بني كلاب في ربيع الأول سنة تسع بجيش فجاءهم ودعاهم الى الاسلام فأبوا فقاتلهم بمن معه فهزمهم وغنم أموالهم

(سرية علقمة بن مجزز)

بضم الميم وفتح الجيم ومعجمتين الاولى مكسورة ثقيلة المدلجي رضي الله عنه الى طائفة من الحبشة بساحل البحر قريبا من جدة بعثه في ثلثمائة فانتهى الى جزيرة في البحر فلما خاض البحر ليصل اليهم هربوا فرجع علقمة ومن معه ولم يلقوا كيدا ولما أراد الرجوع علقمة أراد بعض القوم التعجيل والرجوع الى أهلهم قبل بقية الجيش وكان فيهم عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه فأمره علقمة عليهم وكان فيه دعابة أي مزاح فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال لهم عبد الله بن حذافة عزمت عليكم الا تواثبتم في هذه النار فلما هم بعضهم بذلك قال امنعوا أنفسكم فانما كنت أمزح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم لما قدموا فقال من أمركم بمعصية فلا تطيعوه وفي رواية انهم لما أوقدوا النار وهموا بالدخول فيها جعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا من النار أي فكيف نلقي أنفسنا فيها وفي رواية انه غضب فأمرهم بذلك ليرى امتثالهم له فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها ماخرجوا منها أي ان كانوا مستحلين الدخول وجاء في بعض الروايات وصف الامير المذكور بالانصاري قال الحافظ ابن حجر يحتمل حمله على المعنى الاعم أي انه نصر النبي صلى الله عليه وسلم في الجملة فلا ينافي ان عبد الله بن حذافة من المهاجرين وفي رواية ان الذي أمره عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل أنه أسند اليه صلى الله عليه وسلم في هذه الرواية لان تأمير اميره كتأميره صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن حذافة هذا رضي الله عنه من قدماء المهاجرين ممن شهد بدرا ومات بمصر في خلافة عثمان رضي الله عنه ومن مناقبه ما أخرجه البيهقي عن أبي رافع رضي الله عنه قال وجه عمر رضي الله عنه جيشا الى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة رضي الله عنه فقال له ملك الروم تنصر وأشركك في ملكي فأبى فأمر به أن يصلب ان لم يتنصر فلما ذهبوا به بكى فقال ردوه فقال له لم بكيت قال تمنيت أن لي مائة نفس تلقى هذا في الله فعجب منه ثم قال له قبل رأسي وأنا أخلي عنك فقال وعن جميع أسارى المسلمين فنعم فقبل رأسه فخلى سبيلهم فقدم بهم على عمر رضي الله عنه فقام عمر فقبل رأسه رضي الله عنهما

(سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

لهدم صنم طي بموضع يسمى الفلس بضم الفاء وسكون اللام بعثه صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول

سنة تسع وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار وفي رواية كانوا مائتي رجل فغار على أحياء من العرب وشن الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر وحرق الصنم بعد هدمه ووجد في خزانته ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع وغنم سبيا ونعما وشاء وفضة وقدم بذلك المدينة وكان في السبي سفانة بنت حاتم الطائي وهي بفتح السين وتشديد الفاء بعدها نون مفتوحة فتاء تأنيث فأسلمت وحسن اسلامها رضي الله عنها ومن عليها صلى الله عليه وسلم فدعت له فقالت شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة من كريم الا وجعلك سببا لردها عليه وكان المن عليها سببا لاسلام أخيها عدي بن حاتم رضي الله عنه وكان رضي الله عنه من فضلاء الصحابة ولم يتدع من ارتد من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بل ثبت على الاسلام وكان يبعث بصدقات قومه الى الصديق رضي الله عنه وحضر فتوح العراق مات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين وقيل مائة وثمانين سنة وروى له أصحاب السنن الستة قال ابن اسحاق في قصة سبي أخت حاتم أصابت خيله صلى الله عليه وسلم ابنة حاتم في سبايا فجعلت في حظيرة في المسجد فمر بها صلى الله عليه وسلم فقامت اليه وكانت جزلة فقالت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فقال ومن وافدك قالت عدي بن حاتم قال الفار من الله ورسوله فمضى حتى كان الغد قالت مر بي فقلت له وقال لي مثل ذلك حتى كان بعد الغد مر بي ويئست فأشار الي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو خلفه أن قومي اليه فكلميه فقمت فقلت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك قال قد فعلت فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك ثم آذنيني فقدم رهط من طي قالت فأخبرته أن لي فيهم ثقة وبلاغا فكساني وحملني وأعطاني نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخي فقال ماترين في هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فان يك نبيا فللسابق اليه فضيلة وان يكن ملكا فلن تزال في عز اليمن وأنت أنت فقلت والله هذا هو الرأي فقدم فأسلم والقصة طويلة وروى ابن المبارك في الزهد عن عدي بن حاتم رضي الله عنه ما دخل وقت صلاة قط الا وأنا أشتاق اليها وفي رواية ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت الا وأنا على وضوء وكان جوادا وقد روى الامام أحمد أن رجلا سأله مائة درهم فقال تسألني مائة درهم وأنا ابن حاتم والله لا أعطيك وروى ابن سعد أن الذي سبى أخت حاتم خالد بن الوليد وجمع بعضهم بين الروايتين بأن خالدا كان في جيش علي رضي الله عنهما ونوزع بأن الجيش كله كان من الانصار ويمكن أن يقابل المراد أكثر الجيش من الانصار فلا ينافي كون خالد معهم أو يكون منهم نظرا لمعنى النصرة بالمعنى الاعم والله أعلم

(ثم سرية عكاشة بن محصن الاسدي رضي الله عنه)

الى الجباب بكسر الجيم وموحدتين بينهما ألف أرض عذرة بضم العين وسكون الذال المعجمة وبلي بفتح الباء وكسر اللام وشد التحتية وهما قبيلتان من قضاعة وقيل ان الجباب أرض فزارة وكلب ولعذرة فيها شرك وكانت هذه السرية في شهر ربيع الآخر سنة تسع ولم يذكروا سببها ولا عدد من ذهب فيها ولا ماجرى والله أعلم

(غزوة تبوك)

على وزن تقول لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل وقيل للعلمية والتأنيث وجوز بعضهم صرفه على ارادة المكان وهو مكان معروف بينه وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة وبينه وبين دمشق احدى عشرة مرحلة وقيل اثنتا عشرة مرحلة وقيل هو نصف الطريق بين المدينة ودمشق وهي

صوته لثقل في سمعه فكان يظن ان الناس لا يسمعونه الا ان رفع صوته فرجع الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه بما قال ثابت فقال اذهب اليه فقل له لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم فيه نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس ولم يزل رضي الله عنه في عمل صالح وحسن استقامة حتى استشهد يوم اليمامة في خلافة الصديق رضي الله عنه وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم اذ رآه في منامه يقول له اني أوصيك بوصية فاياك أن تقول حلم فتضيعها اني لما قتلت مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره فليأخذها فاذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أبا بكر رضي الله عنه فقل له ان علي من الدين كذا وكذا وان فلانا من رقيقي عتيق فاستيقظ الرجل فأتى خالدا فأخبره فبعث الى الدرع فأتى بها بعد أن وجدها على ما وصفه ثم لما قدم المدينة أخبر أبا بكر رضي الله عنه برؤياه فأجاز وصيته ولا يعلم أحد أحدثت وصيته بعد موته وأجيزت سواه ووقعت مفاخرة بين الزبرقان بن بدر وحسان رضي الله عنه كل واحد منهما بقصيدة فيها مفاخرة فمن قصيدة الزبرقان وهو مطلعها

نحن الكرام فلا حي يعادلنا * من الملوك وفينا تنصب البيع

ومن قصيدة حسان رضي الله عنه وهو مطلعها

انا أبينا ولن يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

وقال الاقرع بن حابس اني والله يا محمد قلت شعرا فاسمعه فقال هات فأنشده

أتيناك كيما تعرف الناس فضلنا * اذا خالفونا عند ذكر المكارم

وانا رؤس الناس من كل معشر * وان ليس في أرض الحجاز كدارم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حسان فأجبه فقال حسان رضي الله عنه

بني دارم لا تفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول من بين ظئر وخادم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاقرع لقد كنت غنيا يا أخا بني دارم أن تذكر ما كنت ترى ان الناس قد نسوه فكان هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم أشد من قول حسان رضي الله عنه وحينئذ قال الاقرع بن حابس لخطيبه يعني النبي صلى الله عليه وسلم أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولاصواتهم أعلى من أصواتنا ثم دنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا وروى ان الاقرع بن حابس رضي الله عنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال يا رسول الله ان لي من الولد عشرة ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم واسم الاقرع فراس وانما لقب الاقرع لقرع كان في رأسه والقرع انحصاص الشعر وكان شريفا في الجاهلية والاسلام ووقع ان عمرو بن الاهتم مدح الزبرقان للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انه لمطاع في أدنيه سيد في عشيرته فقال الزبرقان لقد حسدني يا رسول الله لشرفي ولقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه لزمن المروءة ضيق العطن لئيم الخال وفي رواية ان الزبرقان قال يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعني عمرو بن الاهتم فقال عمرو انه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في أدانيه فقال الزبرقان والله لقد كذب يا رسول الله وما يمنعه أن يتكلم الا الحسد فقال عمرو أنا أحسدك والله انك لئيم الخال حديث المال

أخى الوالد مبغض فى القبر فعرف عمرو الانكار فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والله لقد صدقت فى الاولى وما كذبت فى الثانية رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أقبح ما علمت فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا ثم انه صلى الله عليه وسلم ردّ عليهم الاسارى والسبى وأحسن جوائزهم بعد ان أسلموا كلهم وأعطى كل واحد اثنى عشر أوقية من الفضة واختلف فى عدد هذا الوفد فقيل كانوا سبعين رجلا وقيل ثمانين وقيل تسعين قال ابن عبد البر فى الاستيعاب ان القوم لما أسلموا قاموا فى المدينة مدة يتعلمون القرآن والدين ثم أرادوا الخروج الى قومهم فأعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم أموالهم ونساءهم وقال أما بقى منكم أحد وكان عمرو بن الاهيم فى ركائبهم فقال قيس بن عاصم وكان مشاحناله لم يبق منا الاغلام حدث فى ركابنا وأزرى به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم وقيل بل أعطاه خمس أواق فقط ولما بلغ عمرو ابن الاهيم ما قاله قيس بن عاصم فى حقه أنشد أبياتا تتضمن لومه على ذلك وكان عمرو خطيبا بليغا شاعرا يقال ان شعره كان حللا منشورة وكان جميلا يدعى المكحل لجماله وهو القائل

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

والله سبحانه وتعالى أعلم

(بعث الوليد بن عقبة الى بنى المصطلق)

بعث النبى صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبى معيط لاخذ الصدقات من بنى المصطلق وبنو المصطلق بطن من خزاعة وكان بينهم وبين الوليد عداوة فى الجاهلية وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا بالابل والغنم يؤدونها عن زكاتهم فرحا به وتعظيما لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله لرؤية السلاح معهم مع انهم انما خرجوا بالسلاح تجملا فرجع من الطريق قبل ان يصلوا اليه وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم مستندا الظنه انهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة وفى رواية أخبره انهم ارتدوا فهمّ صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك القوم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث اليهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر خفية فى عسكر معه وأمره أن يخفى عنهم قدومه فلما دنا منهم بعث عيونا ليلا فاذاهم ينادون بالصلاة ويصلون فأتاهم خالد فلم ير منهم الا الطاعة وخيرا فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فأخبره وفى رواية بعث صلى الله عليه وسلم اليهم بعثا فاستقبلهم الحارث بن ضرار الخزاعى وكان رئيس القوم فقال الى أين بعثتم قالوا اليك قال ولم قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد فزعم انك منعته الزكاة وأردت قتله فقال لا والذى بعث محمدا بالحق ما رأيته ولا أتانى ثم قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه صلى الله عليه وسلم قال له صلى الله عليه وسلم منعت الزكاة وأردت قتل رسولى قال لا والذى بعثك بالحق وقدم الركب الذين لقوا الوليد فأخبروا النبى صلى الله عليه وسلم الخبر على وجهه فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم ويعلمهم شرائع الاسلام ويقرئهم القرآن والوليد بن عقبة بن أبى معيط كان أخا لعثمان رضى الله عنه لامه ولاه عثمان رضى الله عنه الكوفة ثم عزله ولما مات عثمان رضى الله عنه اعتزل الوليد الفتنة فلم يشهد مع على رضى الله عنه ولا غيره وأقام بالرقة الى أن توفى فى خلافة معاوية رضى الله عنه

(سرية عبد الله بن عوسجة)

رضى الله عنه الى بنى عمرو بن حارثة وقيل حارثة بن عمرو فى مستهل صفر وقيل ربيع الاول سنة تسع

من الهجيرة يدعوهم الى الاسلام فأبوا أن يجيبوا واستخفوا بصحيفة النبي صلى الله عليه وسلم فغسلوها ورقعوا بها أسفل دلوهم فأخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فدعا عليهم بذهاب العقل فقال مالهم ذهب الله بعقولهم فهم الى اليوم أهل رعدة أي اضطراب في أجسادهم وعجلة في كلامهم وكلام مختلط لا يفهم قال الواقدي رأيت بعضهم ذا عي لا يحسن الكلام

(سرية قطبة بن عامر)

الخزرجي رضي الله عنه الى خثعم قريبا من تربة بضم الفوقية وفتح الراء من أعمال مكة على يومين أو أكثر وكانت في صفر سنة تسع وبعث معه عشرين رجلا وأمره أن يشن الغارة عليهم فجاؤهم واقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت الجرحى في الفريقين ثم هزموهم وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة والله أعلم

(سرية الضحاك بن سفيان)

الكلابي رضي الله عنه الى بني كلاب في ربيع الاول سنة تسع بجيش فجاءهم ودعاهم الى الاسلام فأبوا فقاتلهم بمن معه فهزمهم وغنم أموالهم

(سرية علقمة بن مجزز)

بضم الميم وفتح الجيم وبجيمين الاولى مكسورة ثقيلة المدلجي رضي الله عنه الى طائفة من الحبشة بساحل البحر قريبا من جدة بعثه في ثلثمائة فانتهى الى جزيرة في البحر فلما خاض البحر ليصل اليهم هربوا فرجع علقمة ومن معه ولم يلقوا كيدا ولما أراد الرجوع علقمة أراد بعض القوم التعجيل والرجوع الى أهلهم قبل بقية الجيش وكان فيهم عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه فأمره علقمة عليهم وكان فيه دعابة أي مزاح فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال لهم عبد الله بن حذافة عزمت عليكم الا تواثبتم في هذه النار فلما هم بعضهم بذلك قال امنعوا أنفسكم فانما كنت أمزح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم لما قدموا فقال من أمركم بمعصية فلا تطيعوه وفي رواية انهم لما أوقدوا النار وهموا بالدخول فيها جعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا من النار أي فكيف نلقي أنفسنا فيها وفي رواية انه غضب فأمرهم بذلك ليرى امتثالهم له فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها أي ان كانوا استحلوا الدخول وجاء في بعض الروايات وصف الامير المذكور بالانصاري قال الحافظ ابن حجر يحتمل حمله على المعنى الاعم أي انه نصر النبي صلى الله عليه وسلم في الجملة فلا ينافي ان عبد الله بن حذافة من المهاجرين وفي رواية ان الذي أمره عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل أنه أسند اليه صلى الله عليه وسلم في هذه الرواية لان تأمير اميره كامره صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن حذافة هذا رضي الله عنه من قدماء المهاجرين ممن شهد بدرا ومات بمصر في خلافة عثمان رضي الله عنه ومن مناقبه ما أخرجه البيهقي عن أبي رافع رضي الله عنه قال وجه عمر رضي الله عنه جيشا الى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة رضي الله عنه فقال له ملك الروم تنصر وأشركك في ملكي فأبى فأمر به أن يصلب ان لم يتنصر فلما ذهبوا به بكى فقال ردوه فقال له لم بكيت قال تمنيت أن لي مائة نفس تلقى هذا في الله فعجب منه ثم قال له قبل رأسي وأنا أخلي عنك فقال وعن جميع أسارى المسلمين قال نعم فقبل رأسه فخلى سبيلهم فقدم بهم على عمر رضي الله عنه فقام عمر فقبل رأسه رضي الله عنهما

(سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

لهدم صنم طي بموضع يسمى الفلس بضم الفاء وسكون اللام بعثه صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول

سنة تسع و بعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار وفى رواية كانوا مائتى رجل فغار على أحياء من العرب وشن الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر وحرق الصنم بعد هدمه و وجد فى خزانته ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع وغنم سبيا ونعما وشاء وفضة وقدم بذلك المدينة وكان فى السبى سفانة بنت حاتم الطائى وهى بفتح السين وتشديد الفاء بعدها نون مفتوحة فتاء تأنيث فأسلمت وحسن اسلامها رضى الله عنها ومن عليها صلى الله عليه وسلم فدعت له فقالت شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروف مواضعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة من كريم الا وجعلك سببا لردها عليه وكان المن عليها سببا لاسلام أخيها عدى بن حاتم رضى الله عنه وكان رضى الله عنه من فضلاء الصحابة ولم يرتد مع من ارتد من العرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بل ثبت على الاسلام وكان يبعث بصدقات قومه الى الصديق رضى الله عنه وحضر فتوح العراق مات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين وقيل مائة وثمانين سنة وروى له أصحاب السنن الستة قال ابن اسحاق فى قصة سبى أخت حاتم أصابت خيله صلى الله عليه وسلم ابنة حاتم فى سبايا فجعلت فى حظيرة فى المسجد فمر بها صلى الله عليه وسلم فقامت اليه وكانت جزلة فقالت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فقال ومن وافدك قالت عدى بن حاتم قال الفار من الله ورسوله فمضى حتى كان الغد قالت مر بى فقلت له وقال لى مثل ذلك حتى كان بعد الغد مر بى ويئست فأشار الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو خلفه أن قومى اليه فكلميه فقمت فقلت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على من الله عليك قال قد فعلت فلا تعجلى حتى تجدى ثقة يبلغك بلادك ثم آذنينى فقدم رهط من طى قالت فأخبرته أن لى فيهم ثقة وبلاغا فكسانى وحملنى وأعطانى نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخى فقال ماترين فى هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فان يك نبيا فللسابق اليه فضيلة وان يكن ملكا فلن تزال فى عز اليمن وأنت أنت فقلت والله هذا هو الرأى فقدم فأسلم والقصة طويلة وروى ابن المبارك فى الزهد عن عدى بن حاتم رضى الله عنه مادخل وقت صلاة قط الا وأنا أشتاق اليها وفى رواية ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت الا وأنا على وضوء وكان جوادا وقد روى الامام أحمد أن رجلا سأله مائة درهم فقال تسألنى مائة درهم وأنا ابن حاتم والله لا أعطيك وروى ابن سعد أن الذى سبى أخت حاتم خالد بن الوليد وجمع بعضهم بين الروايتين بأن خالدا كان فى جيش على رضى الله عنهما ونوزع بأن الجيش كله كان من الانصار ويمكن أن يقال المراد أكثر الجيش من الانصار فلا ينافى كون خالد معهم أو يكون منهم نظرا لمعنى النصرة بالمعنى الاعم والله أعلم

(ثم سرية عكاشة بن محصن الاسدى رضى الله عنه)

الى الجناب بكسر الجيم وموحدتين بينهما ألف أرض عذرة بضم العين وسكون الذال المعجمة وبلى بفتح الباء وكسر اللام وشد التحتية وهما قبيلتان من قضاعة وقيل ان الجناب أرض فزارة وكلب ولعذرة فيها شرك وكانت هذه السرية فى شهر ربيع الآخر سنة تسع ولم يذكروا سببها ولا عدد من ذهب فيها ولا ماجرى والله أعلم

(غزوة تبوك)

على وزن تفعول لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل وقيل للعلمية والتأنيث وجوز بعضهم صرفه على ارادة المكان وهو مكان معروف بينه وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة وبينه وبين دمشق احدى عشرة مرحلة وقيل اثنتا عشرة مرحلة وقيل هو نصف الطريق بين المدينة ودمشق وهى

غزوة العسرة بمهملتين الاولى مضمومة بعدها سكون مأخوذ من قوله تعالى الذين اتبعوه فى ساعة العسرة وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها قالوا لا تنفروا فى الحر وقد فضحهم الله فى آيات كثيرة فى سورة التوبة كقوله تعالى ومنهم من يقول ائذن لى وكقوله تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وكانت فى رجب سنة تسع من الهجرة قال الحافظ ابن حجر وذكرها البخارى لها بعد حجة الوداع من خطأ الناسخ قال بعضهم ولعل البخارى تعمد تأخيرها للاشارة الى أنها آخر مغازيه صلى الله عليه وسلم وكان الوقت حين خروجه صلى الله عليه وسلم حرا شديدا وقحطا كبيرا ولذلك لم يورّ عنها كعادته فى سائر الغزوات وقد روى البخارى ومسلم عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال لم يكن صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا وغزا عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوتهم بالوجه الذى يريد * والتورية ذكر لفظ يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر فيتوهم السامع ارادة القريب والمتكلم يريد البعيد وروى عبد الرزاق أنهم خرجوا فى قلة من الظهر مع كثرتهم وفى حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما فى كرشه من الماء فسميت غزوة العسرة أى الشدة والضيق واختلف فى سببها فقال بعضهم سببها أنه صلى الله عليه وسلم بلغه من الانباط الذين يقدمون بالزيت من الشام الى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل وهو قيصر ملك الروم واجتمعت معهم لخم وجذام وعاملة وغسان وغيرهم من متنصرة العرب وجاءت مقدمتهم الى البلقاء فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك ندب الناس الى الخروج وأعلمهم بالمكان الذى يريد ليتأهبوا لذلك بما يحتاجونه فى السفر والحرب وروى الطبرانى من حديث عمران بن حصين الخزاعى رضى الله عنهما قال كانت نصارى العرب كتبت الى هرقل ان هذا الرجل الذى يدعى النبوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم فان كنت تريد أن تلحق دينك فالآن فبعث رجلا من عظمائهم يقال له قباذ وجهز معه أربعين ألفا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن للناس قوة فى الذهاب لتلك الارض لفقد الظهر والنفقة وكان عثمان رضى الله عنه قد جهز عيرا الى الشام فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم يحث على النفقة والحملان قال يارسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أوقية قال عمران رضى الله عنه فسمعته صلى الله عليه وسلم يقول لا يضر عثمان ما عمل بعدها وهذا اشارة الى أن الله منعه من وقوع زلة ببركة انفاقه فى سبيل الله وانه صلح أن يغفر له ما عساه أن يكون ذنبا ان وقع ولا يلزم من الصلاحية وجوده وقد أظهر الله صدق رسوله صلى الله عليه وسلم فان عثمان رضى الله عنه لم يزل على أعمال أهل الجنة حتى فارق الدنيا * وقيل سبب هذه الغزوة ان الله لما منع المشركين من قرب المسجد الحرام فى الحج وغيره قالت قريش لتقطعن عنا المتاجر والاسواق وليذهبن ما كنا نصيب منها فعوضهم الله بالامر بقتال أهل الكتاب كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة فعزم صلى الله عليه وسلم على قتال الروم لانهم أقرب الناس اليه وأولاهم بالدعوة الى الحق لقربهم الى الاسلام ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج حث الناس على النفقة والحملان فجاؤا بصدقات كثيرة فكان أول من جاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه فجاء بماله كله أربعة آلاف درهم فقال صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لاهلك شيئا قال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله فسأله هل أبقيت لهم شيئا قال نعم نصف مالى وجاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بمائتى أوقية اليه صلى الله عليه وسلم وتصدق عاصم ابن عدى بسبعين وسقا من تمر وجهز عثمان رضى الله عنه ثلث الجيش حتى كان يقال ما بقيت لهم

الحاجة حتى كفاهم شنق أسقيتهم قال ابن اسحاق أنفق عثمان رضى الله عنه فى ذلك الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها و روى عن قتادة أنه قال حمل عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وروى الامام أحمد والبيهقى عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال جاء عثمان رضى الله عنه بألف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها فى حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم وجاء فى رواية عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما ان الذى جاء به عثمان رضى الله عنه عشرة آلاف دينار قال بعضهم يمكن ان الالف جاء بها والعشرة بعث بها وجاء فى هذه الرواية زيادة أن الدنانير صبت بين يديه صلى الله عليه وسلم فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهر البطن و يقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالى عثمان بعدها ففيه بشارة عظيمة بأن الله غفر له الذنوب أى سترها عنه فنعه منها ببركة دعائه له ونفقته فى سبيل الله فليس يبالى بما عمل اذ لا يقع منه الا الخير وفى بعض الروايات قال صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض و روى البيهقى عن عبد الرحمن بن خباب رضى الله عنه قال خطب صلى الله عليه وسلم فحث الناس على جيش العسرة فقال عثمان على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها ثم نزل مرقاة أخرى من المنبر فحث الناس فقال عثمان على مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها ثم نزل مرقاة أخرى فحث فقال عثمان على مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها كالمتعجب وقال ما على عثمان بعد هذا اليوم أو قال بعدها وأرسل صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة وقبائل العرب يستنفرهم وجاء البكاؤن يستحملونه أى يطلبون منه ما يركبون عليه فقال ما أجد ما أحملكم عليه وهم سالم بن عمير الانصارى وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب الانصارى والعرباض بن سارية السلمى وهرم بن عبد الله بن رفاعة الانصارى وعمرو بن حثمة الانصارى وعبد الله بن مغفل المزنى وآخرون غيرهم وهم الذين قال الله فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون ومنهم قوم أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ففى البخارى عن أبى موسى رضى الله عنه انه أرسله أصحابه الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله الحملان فقال والله لا أحملكم وفى رواية وما عندى ما أحملكم عليه فرجع حزينا الى قومه ثم جاء النبى صلى الله عليه وسلم ذود من الابل فبعث اليه وأعطاه اياها واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة على بن أبى طالب رضى الله عنه وخلفه أيضا على أهله وعياله فأرجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له وتخففا فأخذ على رضى الله عنه سلاحه ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا نبى الله زعم المنافقون انك انما خلفتنى لانك استثقلت منى وتخففت منى فقال كذبوا ولكن خلفتك لما تركت ورائى فارجع فى أهلى وأهلك أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى فرجع الى المدينة وفى رواية فقال على رضى الله عنه رضيت ثم رضيت قال أهل السنة ان هارون عليه السلام انما كان خليفة فى حياة موسى عليه السلام حين ذهب الى الميقات فدل ذلك على تخصيص خلافة على رضى الله عنه بحياة النبى صلى الله عليه وسلم فقط فلا حجة فيه للشيعة على ان الخلافة لعلى وانه أوصى له بها وكفرت الروافض جميع الصحابة بتقديم غيره وزاد بعضهم فكفر عليا لكونه لم يقم لطلب حقه ولا حجة لهم فى الحديث المذكور ولا متمسك لهم به لانه انما قال هذا حين استخلفه بالمدينة فى هذه الغزوة فالحديث انما دل على ان عليا رضى الله عنه خليفة على أهل النبى صلى الله عليه وسلم مدة غيبته بتبوك كما كان هارون عليه السلام خليفة عن موسى عليه السلام

فى قومه مدة غيبته عنهم لكنابا وقد تخلف صلى الله عليه وسلم فى مرات أخر غيرة على رضى الله عنه فيلزم أن يكون متخلفا الخلافة ولما سئل على رضى الله عنه فى زمن خلافته هل أوصى لك النبى صلى الله عليه وسلم بالخلافة قال لا ولو أوصى لى بها لقاتلت عليها حتى لو لم يبق معى الا سيفى وردائى ولو أوصى لى بها لما بايع أبابكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وقول الرافضة ان ذلك كان منه تقية كذب وزور فانه كان رضى الله عنه ذا قوة وشجاعة وقد توفرت عشيرته من بنى هاشم فكانوا أهل قوة ومنعة فيلزم الرافضة نسبته للجبن والذل وحاشاه الله من ذلك ورضى عنه وكرم وجهه ولما ارتحل صلى الله عليه وسلم عن ثنية الوداع متوجها الى تبوك عقد الالوية والرايات فدفع لواءه الاعظم لابى بكر رضى الله عنه ورايته العظمى للزبير رضى الله عنه ودفع راية الاوس لاسيد بن حضير وراية الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الانصار وقبائل العرب لواء أو راية أى لبعضهم لواء ولبعضهم راية وسار بالناس وهم ثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا ووقع له صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة كثير من الاخبار بالمغيبات وغيرها من المعجزات وخوارق العادات وسيأتى ان شاء الله التعرض لكثير منها وتخلف جماعة من المنافقين منهم عبدالله ابن أبى ابن سلول بعد ان كان قد خرج بقومه وعسكر بهم أسفل من ثنية الوداع ثم قال يغزو محمد بنى الاصفر أى وهم الروم مع جهد الحال والحر والبلد البعيد الى ما لا طاقة له به يحسب محمد أن قتال بنى الاصفر معه اللعب والله لكأنى أنظر الى أصحابه مقرنين فى الحبال يقول ذلك ارجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه ثم رجع بقومه وتخلفوا واجتمع جمع من المنافقين فى بيت سويلم اليهودى فقال بعضهم أتحسبون جلاد بنى الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكأنى بهم يعنى الصحابة غدا مقرنين فى الحبال يقولون ذلك ارجافا وترهيبا للمؤمنين والجلاد الضراب بالسيوف فأوحى الله الى النبى صلى الله عليه وسلم اجتماع القوم وما قالوا فقال لعمار بن ياسر رضى الله عنهما أدرك القوم فاسألهم عما قالوا فان أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه وقالوا انما كنا نخوض ونلعب وقال صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس يا جد هل لك فى جلاد بنى الاصفر قال يا رسول الله أو تأذن لى فى التخلف ولا تفتنى فوالله لقد عرف قومى انه ما من رجل باشد عجبا بالنساء منى وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الاصفر أن لا أصبر فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فأنزل الله تعالى فيه ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا والفتنة التى سقطوا فيها هى التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة عنه وفى رواية انه لام الجد على مقالته ولده عبدالله وقال له والله ما منعك الا النفاق وسينزل الله فيك قرآنا فأخذ نعله وضرب به وجهه فلما نزلت الآية قال له ألم أقل لك فقال له اسكت يالكع فوالله لانت أشد على من محمد وفى رواية ان الجد لما امتنع واعتذر بما تقدم قال النبى صلى الله عليه وسلم ولكن أعنك بمالى فأنزل الله تعالى قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم والمحققون على ان الجد بن قيس تاب من النفاق وحسنت توبته رضى الله عنه وعاش الى خلافة عثمان رضى الله عنه وقال بعض المنافقين لبعض لا تنفروا فى الحر فأنزل الله تعالى وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون وجاء المعذرون من الاعراب وهم الضعفاء والمقلون ليؤذن لهم فى التخلف فأذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلا وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة جراءة على الله ورسوله وقد عناهم الله تعالى بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وتخلف جمع من المسلمين منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع من غير عذر وكانوا ممن لا يتهم فى اسلامهم

وسيأتى

وستأتى قصتهم ان شاء الله تعالى وكان ممن تخلف أبو خيثمة الانصارى رضى الله عنه فلما ان سار صلى الله عليه وسلم ومضت أيام دخل أبو خيثمة على أهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائط قد رشت كل منهما عريشها وبردت فيها ماء وهيئتا طعاما وكان اليوم يومئذ شديد الحر فلما دخل نظر الى امرأتيه وما صنعتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء ماهذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيآ لى زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله وأخذ سيفه ورمحه ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه نزل بتبوك وقد كان أبو خيثمة أدرك عمير بن وهب فى الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافقا حتى دنوا من تبوك فقال أبو خيثمة لعمير ان لى ذنبا فلا عليك أن تتخلف عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل فلما دنى أبو خيثمة قال الناس هذا راكب مقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فلما دنى وتظروه قالوا يارسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ أقبل يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى لك يا أبا خيثمة وأولى لك كلمة تهديد وتوعد ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ولما مر صلى الله عليه وسلم بالحجر ديار ثمود سجى ثوبه على رأسه واستحث راحلته وقال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا الا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم ما أصابهم وانما سجى ثوبه على رأسه لان الغطاء يتبعه الفكر والاعتبار فكانه أمرهم بالفكر فى أحوال توجب البكاء من تقدير الله عز وجل على أولئك بالكفر مع تمكنه لهم فى الارض وامهالهم فيها مدة طويلة ثم ايقاع نقمته بهم وشدة عذابه وهو سبحانه مقلب القلوب فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته مثل ذلك ونهى صلى الله عليه وسلم الناس أن يشربوا من مائها شيئا وأن يتوضؤا به للصلاة وأن يعجن منه عجين وأن يحاس به حيس وان يطبخ به طعام والعجين الذى عجن به أو الحيس الذى فعل به يعلفونه الابل والطعام الذى طبخ به يلقى ولا يأكلوا منه شيئا ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم بالناس ولم يزل سائرا بهم حتى نزل على البئر التى كانت تشرب منها الناقة وأخبرهم صلى الله عليه وسلم انها تهب عليهم الليلة ريح شديدة وقال من كان له بعير فليشد عقاله ونهى الناس فى تلك الليلة عن أن يخرج أحد منهم وحده بل معه صاحبه فخرج شخص وحده لحاجته فخنق وخرج آخر فى طلب بعيره له ندّ فاحتملته الريح حتى ألقته فى جبل طى فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألم أنهكم أن يخرج أحد منكم الا ومعه صاحبه ثم دعا للذى خنق فشفى والذى ألقته الريح بجبل طىء أرسلته طىء له صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضى الله عنه يصلى بالناس واستعمل على حرس العسكر عباد بن بشر فكان يطوف فى أصحابه على العسكر وأصبح الناس يوما ولا ماء معهم وحصل لهم من العطش ما كاد يقطع رقابهم حتى حملهم ذلك على نحر ابلهم ليشقوا أكراشها ويشربوا ماءها فعن عمر رضى الله عنه خرجنا فى حر شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده وفى لفظ على صدره فشكوا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر يارسول الله قد عودك الله من الدعاء خيرا فادع الله لنا فقال أتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون اليه وذكر بعضهم ان تلك السحابة لم تجاوز العسكر وان رجلا من الانصار قال لآخر متهم بالنفاق ويحك قد ترى فقال انما مطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أى وتجعلون بدل شكر رزقكم تكذيبكم حيث تنسبون المطر للانواء وقيل انه قال له ويحك هل بعد هذا شىء

قال سحابة مارة وفى لفظ انهم لما شكوا اليه شدة العطش قال لعلى لو استسقيت لكم فسقيتم قلتم نوء كذا وكذا فقالوا يا نبي الله ما هذا بحين أنواء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ ثم قام فصلى فدعا الله تعالى فهاجت ريح وثارت سحابة فمطروا حتى سال كل واد فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يغترف بقدحه وهو يقول هذا نوء كذا فنزلت الآية وضلت ناقته صلى الله عليه وسلم يوما فقال رجل من المنافقين الذين خرجوا معه ان محمدا يزعم انه نبي وانه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا وانى والله لا أعلم الا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليها انها فى شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتونى بها فذهبوا فوجدوها كذلك فجاؤا بها قيل وقع نظير هذا فى غزوة بنى المصطلق وان الواقعة تعددت وقيل انه من الاشتباه على بعض الرواة ولما قال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا الخ جاء بعض الصحابة الى رحله وقال لمن فى الرحل والله لعجب فى شئ حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقالة رجل قال كذا وكذا أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال له بعض من فى الرحل هذه المقالة قالها فلان قبل أن تأتى يعنى شخصا حاضرا فى رحله فقال يا عباد الله فى رحلى داهية وما أشعر اخرج أى عدو الله من رحلى ولا تصحبنى فيقال انه تاب ويقال انه لم يزل على شر حتى هلك وتباطأ جمل أبى ذر رضى الله عنه لما به من الاعياء فتخلف عن الجيش فأخذ متاعه وحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فأدركه نازلا فى بعض المنازل وقيل مجيئه قالوا المتخلف أبوذر يا رسول الله أبطأ به بعيره فقال دعوه فان يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه ولما أشرف على ذلك المنزل ونظره شخص فقال يا رسول الله هذا رجل يمشى على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أباذر فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبوذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أباذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده وكان كما قال صلى الله عليه وسلم فقدمات وحده بالربذة رضى الله عنه سكنها فى خلافة عثمان رضى الله عنه بسبب اختلاف وقع بينه وبين بعض الصحابة فى بعض ألفاظ القرآن وتفسير بعض من معانيه فخشى عثمان وأبوذر رضى الله عنهما اتساع الامر فاستأذن أبوذر عثمان رضى الله عنهما أن يسكن الربذة فأذن له فبقى بها حتى توفى وحده كما أخبر صلى الله عليه وسلم وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال لما كنا بين الحجر وتبوك ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته بعد الفجر وتبعته بماء فأبطأ حتى أسفر الناس بصلاة الفجر ولم يأتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فصلى بهم فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن توضأ ومسح خفيه الى عبد الرحمن بن عوف وقد صلى ركعة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن ركعة ثم قام وأتى بالركعة الباقية وقال لهم بعد فراغه أحسنتم أو أصبتم ثم قال لم يتوف نبى حتى يؤمه رجل صالح من أمته وهذا لا ينافى انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبى بكر رضى الله عنه بل قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يصل النبى صلى الله عليه وسلم خلف أحد من أمته الا خلف أبى بكر والمراد صلاة كاملة فلا ينافى صلاته ركعة خلف عبد الرحمن بن عوف ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف أحد غير أبى بكر وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وتقدم انه صلى الله عليه وسلم كان يستخلف أبابكر رضى الله عنه على عسكره يصلى بالناس فلعل ذلك فى بعض الايام فلا ينافى صلاة عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بهم فى هذا اليوم أو انه كان يصلى مع أبى بكر رضى الله عنه بعض القوم ومع النبى صلى الله عليه وسلم بعض لكثرة القوم فلما تأخر صلى الله عليه وسلم فى قضاء الحاجة صلى عبد الرحمن رضى الله عنه بالذين كانوا يصلون مع النبى صلى الله عليه وسلم

والله أعلم ولما نزلوا بتبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة بيده من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الماء قلة أي ماء عين تبوك وقد قال لهم انكم تأتون غدا ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تنالوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي وأمر مناديا نادى بذلك فجئناها فاذا العين مثل الشراك تبض من ماء وقد سبق اليها أربعة وقيل رجلان من المنافقين ومسا من مائها فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك ثم انهم غرفوا من تلك العين قليلا قليلا حتى اجتمع شيء في شن فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ويديه ومضمض ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير وفي رواية فجعلوا فيها سهاما دفعها اليهم فجاشت بالماء وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ماههنا قد ملئ جنانا أي بساتين فرأى ذلك وروى ابن عبد البر عن بعضهم قال أنا رأيت ذلك الموضع كله حوالى تلك العين جنانا خضرة نضرة وقبل قدومهم تبوك بليلة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح وقد كان قال لبلال رضي الله عنه اكلأ لنا الفجر فأسند بلال ظهره الى راحلته فغلبته عيناه ثم قال له صلى الله عليه وسلم ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر وفي رواية ان بلالا قال لهم ناموا وأنا أوقظكم فاضطجعوا ولم يستيقظوا الا بحر الشمس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال أين ما قلت قال يا رسول الله ذهب بي مثل الذي ذهب بك وفي رواية أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك وقال صلى الله عليه وسلم للصديق رضي الله عنه ان الشيطان صار يهدي بلالا للنوم كما يهدي الصبي حتى نام ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا وسأله عن سبب نومه فأخبر بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم للصديق فقال الصديق رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم أشهد أنك رسول الله ثم انتقل صلى الله عليه وسلم غير بعيد ثم صلى الصبح قضاء وفي منصرفه صلى الله عليه وسلم من تبوك قال أبو قتادة رضي الله عنه بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قافل من تبوك وأنا معه اذ خفق خفقة وهو على راحلته فمال على شقه فدنوت منه فدعمته فانتبه فقال يا أبا قتادة هل لك في التعريس أي النزول للنوم فقلت ما شئت يا رسول الله قال انظر من خلفك فنظرت فاذا رجلان أو ثلاثة فقال ادعهم فقلت أجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاؤا فعرسنا وفي رواية قال أبو قتادة فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل وأنا الى جنبه فنعس فمال عن راحلته فدعمته من غير ان أوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا تهور الليل مال ميلة أخرى فدعمته حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من الميلتين الاولتين حتى كاد ينسقط فدعمته فرفع رأسه فقال من هذا قلت أبو قتادة قال متى كان هذا مسيرك معي قلت ما زال هذا مسيري منذ الليلة قال حفظك الله بما حفظت به نبيه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم ذلك عند منصرفه من خيبر فيحتمل تعدد ذلك أو انه من الاشتباه على بعض الرواة قال أبو قتادة رضي الله عنه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترى من أحد يعني من الجيش قلت هذا راكب ثم قلت هذا راكب آخر حتى اجتمعنا وكنا سبعة وفي رواية خمسة برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق ثم قال احفظوا علينا صلاتنا فنمنا حتى خرج الوقت وكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس في ظهره فقمنا فزعين ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى ارتفعت الشمس ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء فتوضأ منها وبقي فيها شيء وفي رواية جرعة من ماء ثم قال لي احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر بعد طلوع الشمس أي بعد أن ارتحلوا ففي رواية ارتحلوا فان

هذا منزل حضرنا فيه الشيطان وفي البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال كنا في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم وانا اسرينا حتى كنا في آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى للمسافر منها فما أيقظنا الاحر الشمس وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نام لم يوقظه أحد حتى يكون هو يستيقظ لانا لا ندري ما يحدث له في نومه أي من الوحي فكانوا يخافون من ايقاظه قطع الوحي فلما استيقظ عمر رضي الله عنه ورأى ما أصاب الناس أي من فوت صلاة الصبح كبر ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان الصديق استيقظ أولا ثم لا زال يسبح ويكبر حتى استيقظ عمر ولا زال يكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استيقظ شكوا اليه الذي أصابهم أي من فوات صلاة الصبح فقال صلى الله عليه وسلم لا ضير ارتحلوا فارتحلوا فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودي بالصلاة فصلى بالناس وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال وبعد أن صلينا وركبنا جعل بعضنا يهمس الى بعض ما كفارة ما صنعنا من تفريطنا في صلاتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي تهمسون دوني فقلنا يا نبي الله تفريطنا في صلاتنا قال أما لكم في أسوة ثم قال ليس في النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الاخرى وقد اختلفت الروايات في حكاية هذه القصة فرواها بعضهم في غزوة خيبر وبعضهم في الحديبية وبعضهم في تبوك فاختلف العلماء في توجيه ذلك فذهب بعضهم الى تعدد القصة وبعضهم حمل ذلك على الاشتباه من الرواة وجزم بعضهم بأنها في غزوة تبوك واستشكل هذا النوم بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وأجيب بأن القلب انما يدرك المعاني المتعلقة به لا ما يتعلق بالعين كرؤية الشمس وطلوع الفجر وأجيب أيضا بأنه صلى الله عليه وسلم كان له نومان نوم تنام فيه عينه وقلبه ونوم تنام فيه عينه فقط وينبغي أن يكون هذا الثاني أغلب أحواله وان الانبياء مثله في ذلك ثم ان أكثر الجيش كان قد تقدم وما بقي معه صلى الله عليه وسلم الا سبعة أو خمسة كما تقدم فقال صلى الله عليه وسلم لمن كان معه ما ترون الناس يعني الجيش فعلوا قالوا الله ورسوله أعلم فقال لو أطاعوا أبا بكر وعمر رشدوا وذلك ان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أرادا أن ينزلا بالجيش على الماء فأبوا ذلك عليهما فنزلوا عند زوال الشمس على غير ماء بفلاة من الارض لا ماء بها وقد كادت أعناق الخيل والركاب تتقطع عطشا فقال صلى الله عليه وسلم أين صاحب الميضأة قيل هو ذا يا رسول الله قال جئني بميضأتك فجاء بها وفيها شيء من ماء وفي رواية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالركوة فأفرغ ما في الاداوة فيها ووضع أصابعه الشريفة عليها فنبع الماء من بين أصابعه وأقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رووا وأرووا خيلهم وركابهم قال بعضهم وواضح ان هذا العطش غير المتقدم الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل المطر وفي كلام بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حصل للقوم العطش أرسل نفرا من أصحابه وفيهم علي والزبير رضي الله عنهما لكن تقدم ان عليا رضي الله عنه تخلف في غزوة تبوك فان صح ارساله مع النفر فلعله لحق النبي صلى الله عليه وسلم أو ان ذلك كان في غزوة أخرى بعث صلى الله عليه وسلم أولئك النفر لطلب الماء وأمرهم أن يستعرضوا الطريق وأعلمهم ان عجوزا تمر بهم في محل كذا على ناقة معها سقاء فقال لهم اشتروا منها ماءها بما عزوها ان وأتوا بها مع الماء فلما بلغوا ذلك المكان اذا بالمرأة ومعها السقاء وفي رواية اذا بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فسألوها عن الماء فقالت أنا وأهلي أحوج اليه منكم فسألوها أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الماء فأبت وقالت هذا الساحر وفي رواية الذي يقال له الصابئ وخبر الاشياء أن لا آتيه فشدوها وناقتها وأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم حلوا عنها ثم قال لها أتأذنين لي في الماء

ولتصبين ماءك كما جئت به قالت شأنكم فقال لابي قتادة رضي الله عنه هات الميضأة فقربت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب في الميضأة ماء قليلا ثم وضع يده فيه ثم قال ادنوا فخذوا فجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ما تركوا معهم اناء الا ملأوه وأرووا ابلهم وخيلهم وبقي في الميضأة ثلثاها والميضأة هي الاداوة التي يتوضأ منها وهذا السياق يدل على ان هذا عطش ثالث لان الثاني وضع صلى الله عليه وسلم يده في الركوة التي صب فيها من الميضأة وفي هذا وضع يده في الميضأة بعد أن لم يجدوا في الميضأة شيئا وفي رواية ان تلك المرأة أخبرته صلى الله عليه وسلم انها موتمة أي لها أيتام فقال للقوم هاتوا ما عندكم فجمعوا لها من كسر وتمر ثم قال لها اذهبي وأطعمي هذا عيالك وفي رواية أنها تأملت وصارت تعجب مما رأت ولما قدمت على أهلها قالوا لها لقد احتبست علينا فقالت حبسني أني رأيت عجبا أرأيتم مزادتي هاتين فوالله لقد شرب منهما قريب من سبعين نفرا وملأوا من القرب والمزاد والمطاهر مالا أحصي ثم هما الآن أوفر منهما يومئذ فاما أن يكون ذلك الرجل أسحر أهل الارض أو هو نبي كما يقول فكان الصحابة يغزون على من كان حولها ممن لم يسلم ويتركونها وقومها فكان الناس يقولون ما رأينا امرأة أدخلت على قومها من البركة مثل ما أدخلت هذه المرأة على قومها وفي صحيح مسلم لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة بحيث صارت التمرة الواحدة تعمها جماعة يتناوبونها فقالوا يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال عمر يا رسول الله ان فعلت قل الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك البركة فقال صلى الله عليه وسلم نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل رجل يأتي بكف ذرة ويجيء الآخر بكف تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شئ يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال لهم خذوا في أوعيتكم فأخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملأوه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة وفي رواية الا وقاه الله النار وتقدم نظير ذلك في الرجوع من غزوة الحديبية ولا مانع من التعدد أو هو من خلط بعض الرواة ولعل هذا كان بعد أن ذبح لهم طلحة بن عبيد الله جزورا فأطعمهم وسقاهم فقال له صلى الله عليه وسلم أنت طلحة الفياض وسماه يوم أحد طلحة الخير ويوم حنين طلحة الجود لكثرة انفاقه على العسكر وعن بعض الصحابة قال كنت في غزوة تبوك على نحي السمن فنظرت الى النحي وقد قل ما فيه وهيأت للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما فوضعت النحي في الشمس ونمت فانتبهت لخرير النحي فقمت فأخذت رأسه بيدي فقال صلى الله عليه وسلم وقد رأى ذلك لو تركته لسال الوادي سمنا * وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فقال ليلة لبلال رضي الله عنه هل من عشاء فقال والذي بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا فقال انظر عسى أن تجد شيئا فأخذ الجرب ينفضها جرابا جرابا فتقع التمرة والتمرتان حتى رأيت في يده سبع تمرات ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ثم وضع يده على التمرات وقال كلوا باسم الله فأكلنا ثلاثة أنفس وأحصيت أربعا وخمسين تمرة أعدها عدا ونواها في يدي الاخرى وصاحباي يصنعان كذلك فشبعنا ورفعنا أيدينا فاذا التمرات السبع كما هي فقال يا بلال ارفعها فانه لا يأكل منها أحد الا نهل منها شبعا فلما كان من الغد دعا بالتمرات فوضع صلى الله عليه وسلم يده عليهن ثم قال كلوا باسم الله فأكلنا حتى شبعنا وانا العشرة ثم رفعنا أيدينا واذا التمرات كما هي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا اني أستحيي من ربي لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد الى المدينة من آخرنا فأعطاهن غلاما فولى وهو يلوكهن ولما وصل صلى الله عليه وسلم تبوك أرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه في أربعمائة فارس الى

أكيدر بن عبد الملك النصراني وكان ملكا عظيما من قبل هرقل بدومة الجندل وذلك حصن وقرى بينها وبين الشام خمس ليال وقال له انك ستجده ليلا يصيد البقر فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة الى بقر يطاردها هو وأخوه حسان فشنت عليه خيل خالد فاستأسروا أكيدر وقتلوا حسانا وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم فيتعجبون منه فقال صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد فى الجنة أحسن من هذا وهرب من كان معهما فدخلوا الحصن وأغلقوه ثم أجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يفتح لخالد دومة الجندل وصالحه على ألفى بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح ففتح الحصن فدخله خالد وأخذ ما صالحه عليه وخمسه ثم قدم بأكيدر على النبى صلى الله عليه وسلم فحقن صلى الله عليه وسلم دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله وكان هرقل مقيما بحمص وفى هذه الغزوة كتب له صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام وسيأتى ذلك ان شاء الله فى مكاتباته صلى الله عليه وسلم وأتاه صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك صاحب ايلة ومعه أهل جرباء بالمد أجرب بمدينة مصر وهى قرية بالشام وأهل أذرح بالذال المعجمة والراء المضمومة والحاء المهملة مدينة هنالك وأهدى صاحب ايلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعطاء الجزية بعد ان عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له ولاهل ايلة كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبى رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل ايلة سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله تعالى ومحمد النبى صلى الله عليه وسلم ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر * وكتب لاهل أذرح وجرباء ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبى صلى الله عليه وسلم لاهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد صلى الله عليه وسلم وان عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان الى المسلمين وصالح أهل مينا على ربع ثمارهم وأقام صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة وقيل عشرين ليلة ولم يلق كيدا وقرأ الناس من أهل الكتاب وغيرهم رعبا منه صلى الله عليه وسلم عند سماعهم بمسيره فكان من الحكمة فى هذه الغزوة ما حصل من اغاظة الكفار وظهور عز المسلمين وفضيحة المنافقين واذلالهم واستشار صلى الله عليه وسلم أصحابه فى مجاوزة تبوك فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا رسول الله ان كنت أمرت بالسير فسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرت بالسير لم أستشركم فيه فقالوا يا رسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى نرى ويحدث الله أمرا وأخرج البيهقى عن عبد الرحمن بن غنم ان اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة يا أبا القاسم ان كنت صادقا انك نبى فالحق بالشام فانها أرض المحشر وأرض الانبياء فصدق ما قالوا فغزا تبوك لا يريد الا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بنى اسرائيل وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها الآيتين فأمره الله بالرجوع الى المدينة وقال فيها محياك ومماتك ومنها تبعث فرجع صلى الله عليه وسلم فقال جبريل سل ربك فان لكل نبى مسألة وكان جبريل له ناصحا وكان النبى صلى الله عليه وسلم له مطيعا قال فما تأمرنى ان أسأل فقال جبريل قل رب أدخلنى مدخل صدق الآية ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة وبنى فى طريقه عشرين مسجدا وكان فى بعض الطريق ماء قليل جدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبقنا الى ذلك الماء

فلا

فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه فسبق اليه نفر من المنافقين فاستقوا الماء الذى فيه فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم يجد فيه شيئا فقال من سبقنا الى هذا الماء فقيل له فلان وفلان فقال أولم أنههم أن يستقوا منه شيئا حتى آتيه ثم لعنهم ودعا عليهم ثم نزل فى موضع الماء ومسحه بيده ودعا بما شاء أن يدعو به فجرى الماء وصار له حس كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيتم أو بقى منكم أحد لتسمعن بهذا الوادى وقد أخصب ما بين يديه وما خلفه أى وهذا خلاف عين تبوك التى تقدم له فيها ما يشبه هذا حيث قال لمعاذ يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ما هنا ملىء جنانا الان بتلك العين كانت عين تبوك وهذا عند منصرفه من تبوك وأجمع رأى من كان معه من المنافقين وهم اثنا عشر رجلا وقيل أربعة عشر وقيل خمسة عشر رجلا على أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة التى بين تبوك والمدينة فقالوا اذا أخذ فى العقبة دفعناه عن راحلته فى الوادى فأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فلما وصل الجيش العقبة نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد واسلكوا بطن الوادى فانه أسهل لكم وأوسع فلما سمع المنافقون النداء أسرعوا وتلثموا وسلكوا العقبة وسلك الناس بطن الوادى وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة وأمر عمار بن ياسر رضى الله عنهما يأخذ بزمام ناقته صلى الله عليه وسلم وأمر حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما أن يسوق من خلفه وفى دلائل النبوة للبيهقى عن حذيفة رضى الله عنه قال كنت ليلة العقبة آخذا بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقودها وعمار بن ياسر يسوقها أو أنا أسوقها وعمار يقودها أى يتناوبان ذلك فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى العقبة اذ سمع حس القوم قد غشوه فنفرت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سقط بعض متاعه فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر حذيفة أن يردهم فرجع حذيفة اليهم وقد رأى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه محجن فجعل يضرب وجوه رواحلهم و يقول اليكم اليكم يا أعداء الله فاذا هو بقوم ملثمين وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم صرخ بهم فولوا مدبرين فعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على مكرهم به فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادى واختلطوا بالناس فرجع حذيفة رضى الله عنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عرفت أحدا من الركب الذين رددتهم قال لا كان القوم متلثمين والليلة مظلمة وفى رواية ان حذيفة رضى الله عنه قال عرفت راحلة فلان وفلان قال هل علمت ما كان من شأنهم وما أرادوه قال لا قال انهم مكروا وأرادوا أن يسيروا معى فى العقبة فيزحمونى و يطرحونى منها الى الوادى وان الله أخبرنى بهم وبمكرهم وسأخبركما بهم فاكتماهم ولما أصبح صلى الله عليه وسلم جاء اليه أسيد بن حضير فقال يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادى فقد كان أسهل من العقبة فقال أتدرى ما أراد المنافقون وذكر له القصة فقال يا رسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذى هم بهذا وان أحببت فبين أسماءهم والذى بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك برؤسهم فقال انى أكره أن يقول الناس ان محمدا قاتل بقوم حتى اذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم فقال يا رسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليسوا يظهرون الشهادة ثم جمعهم صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا الذى ذكر فأنزل الله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا الآية * وقال صلى الله عليه وسلم للمسلمين عند انصرافهم من تبوك ان بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر ولما قرب صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس

لتلقيه وقد كان المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبار السوء يقولون ان محمدا وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا فلما بلغهم سلامة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبان كذبهم ساءهم ذلك وأنزل الله ان تصبك حسنة تسؤهم الآية وخرج مع الناس لتلقيه صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان والولائد وصعدت المخدرات على الاسطحة يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا * مادعا لله داعي

أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

وقد ذكر بعضهم هذا عند مقدمه الى المدينة ولا مانع من تعدد ذلك ولما أشرف صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه والمحققون على ان ذلك حقيقة ولا مانع منه بأن تخلق له المحبة كتسبيح الحصى وحنين الجذع وقيل المراد يحبنا أهله ونحبهم ولما دخل المدينة قال العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه أتأذن لي يارسول الله ان أمتدحك قال قل لا يفضض الله فاك فقال

من قبلها طبت في الظلال وفي * مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر * أنت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق

تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق

وردت نار الخليل مكتتما * في صلبه أنت كيف يحترق

حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق

فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

ولما دنا من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تكلموا رجلا منهم فأعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى ان الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه وقد كان تخلف من المنافقين بضعة وثمانون رجلا وتخلف أيضا كعب بن مالك رضي الله عنه وكان من الخزرج ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهما وكانا من الاوس ولم يكن الثلاثة من أهل النفاق فأما المنافقون فجعلوا يحلفون ويعتذرون فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرهم وعلانيتهم واستغفر لهم ووكل سريرتهم الى الله تعالى وأما الثلاثة فأرجاهم وأخر أمرهم ينتظر أمر الله فيهم وأنزل الله فيهم وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم نزلت هذه الآية في أول أمرهم ونزل في آخر أمرهم عند قبول توبتهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية وكان كعب بن مالك رضي الله عنه يحدث عن تخلفه وصاحبيه في غزوة تبوك قال كعب رضي الله عنه لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير اني تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب صلى الله عليه وسلم أحدا ممن تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر في الناس وكان من خبري حين تخلفت عنه في غزوة تبوك اني لم أكن قط أقوى مني ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل صلى الله عليه وسلم سفرا بعيدا ومفاوز واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا

أهبة غزوهم وأخبر الناس بوجههم الذي يريدون والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الا ظن ان ذلك يخفى مالم ينزل فيه وحي من الله تعالى وغزا صلى الله عليه وسلم حين طابت الثمار والظلال فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا وأقول في نفسي أنا قادر على ذلك اذا أردت فلم يزل يتمادى بي ذلك حتى استمر الناس بالجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض شيئا فهممت ان أرتحل فأدركهم فياليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني ان لا أرى لي أسوة الا رجلا مغموصا عليه في النفاق أو رجلا ممن عذره الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك مافعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يارسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه بئس ماقلت والله يارسول الله ماعلمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه قافلا من تبوك طفقت أتذكر الكذب وأقول بما أخرج من سخط الله غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت اني لم أنج منه بشئ أبدا فأجمعت على الصدق فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يعتذرون اليه ويحلفون له فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى حتى جئت فتبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال ماخلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قلت يارسول الله اني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت اني سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن ان الله يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عفو الله والله ما كان لي من عذر ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني وقالوا ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت أن تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون لقد كان كافيك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومازالوا يؤنبونني حتى كدت أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي هذا معي أحد قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ماقلت وقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم مثل ماقال لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع وهلال ابن أمية فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرا فقلت لي فيهما اسوة ومضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه وتغير علينا الناس حتى أنكرت في نفسي الارض فما هي بالارض التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الاسواق فلا يكلمني أحد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر فان أقبلت على صلاتي نظر الي واذا التفت نحوه أعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت حائطا لابي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس الي فسلمت عليه فوالله مارد علي السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلمني أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم

ففاضت عيناى وتوليت فبينا أنا أمشى فى سوق المدينة اذا نبطى من نبط أهل الشام ممن قدم بطعام
يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى جاءنى فدفع الى كتابا من ملك
غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه أما بعد فانه بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا
مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأته وهذه الرسالة أيضا من البلايا فالقيتها فى التنور فسجرتها
حتى اذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحى فاذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك قال فقلت ألحقى بأهلك فكونى
معهم حتى يقضى هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان أخدمه قال لا ولكن
لا يقربنك فقالت والله ما به حركة الى شئ والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال
كعب فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أهلك قال قلت وما يدرينى
ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثت بعد ذلك عشر ليال
حتى كمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت
من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحالة التى ذكرها الله تعالى عنا قد ضاقت على الارض بما رحبت
وضاقت على نفسى اذ سمعت صارخا أوفى على سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر فقد تاب
الله عليك فخررت ساجدا لله تعالى وعلمت انه قد جاءنى فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الناس بتوبة الله تعالى علينا حين صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبى
مبشرون وركض رجل الى فرسا ومعه ساع من أسلم وهو حمزة بن عمرو الاسلمى رضى الله عنه وأوفى
رجل على الجبل وكان الصوت أسرع الى من الفرس وجاء فى رواية ان الذى ركض الفرس هو الزبير
ابن العوام رضى الله عنه وفى رواية فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت ثوبى له فكسوته اياهما
ببشارته والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتلقانى الناس فوجا فوجا يهنئونى بالتوبة يقولون ليهنك الله بالتوبة عليك حتى دخلت المسجد
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنانى
والله ما قام لى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يبرق وجهه من السرور قال أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك
يا رسول الله أم من عند الله قال بل من عند الله وكان صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كأن
وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله انما نجانى الله
بالصدق وان من توبتى أن لا أحدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما زلت فى صدق الحديث منذ ذكرت
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لارجو أن يحفظنى الله فيما بقى وجاء فى رواية قلت
يا رسول الله ان من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة الى الله ورسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فأنزل الله لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين
اتبعوه فى ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله
هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله على بنعمة
قط بعد أن هدانى للاسلام أعظم فى نفسى من صدقى رسول الله أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين
كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين نزل الوحى شر ما قال لاحد فقال سبحانه وتعالى سيحلفون

بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين وفى رواية عن كعب رضى الله عنه فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر فما من شئ أهم الى من أن أموت فلا يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى أحد منهم ولا يصلى ولا يسلم على قال وأنزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة رضى الله عنها وكانت أم سلمة محسنة فى شأنى معتنية فى أمرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب فقالت يا رسول الله أفلا أرسل اليه أبشره قال اذن يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر آذن صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا وذكر بعضهم فيمن تخلف عن غزوة تبوك أبا لبابة رضى الله عنه وانه ربط نفسه بسارية المسجد وأنزل الله توبته فى قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم والصحيح ان قصة أبى لبابة انما كانت فى غزوة بنى قريظة لما استشاروه فى النزول على حكم النبى صلى الله عليه وسلم فأشار لهم الى عنقه يعنى أنه الذبح قال فما برحت قدماى من موضعهما حتى علمت انى خنت الله ورسوله فذهب وربط نفسه بسارية من سوارى المسجد حتى نزلت توبته وتقدمت القصة بتمامها فى غزوة بنى قريظة وان الله أنزل فى ذمه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون الآية وأنزل فى توبته وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية ولما رجع صلى الله عليه وسلم من تبوك قبل أن يدخل المدينة جاءه جماعة من المنافقين وسألوه أن يأتى مسجدهم ليصلى فيه وهو مسجد الضرار الذى بنوه لاضرار المسلمين وتفريق كلمتهم وجماعاتهم فدعا صلى الله عليه وسلم بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله عليه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية الى قوله والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا فدعا صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشن ومعن بن عدى بن عامر بن السكن ووحشيا وقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشن فقال مالك أنظرونى حتى آتيكم بنار فدخل عند أهله فأخذ من سعف النخل فأشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذوا ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامات وقدم صلى الله عليه وسلم من تبوك فى رمضان سنة تسع وبعد قدومه صلى الله عليه وسلم وجد عويمر العجلانى امرأته حبلى فقذفها بشريك بن سحما فلاعن بينهما صلى الله عليه وسلم فى المسجد بعد العصر وقصتهما طويلة فى الصحيحين وغيرهما

(سرية أبى سفيان والمغيرة بن شعبة)

رضى الله عنهما وكانت هذه السرية بعد ان رجع صلى الله عليه وسلم من تبوك وذلك انه وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثقيف مسلمين بعد رجوعه من تبوك وستأتى قصة وفدهم فأرسل صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما لهدم اللات بالطائف فذهبا فى بضعة عشر رجلا فهدموها حتى سووها بالارض وفى رواية ان المغيرة أراد أن يقدم أبا سفيان فى هدمها فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال ادخل أنت على قومك فلما دخل المغيرة علاها ليضربها بالمعول أى الفاس العظيم التى يقطع بها الصخر وقام قومه دونه يحمونه خشية أن يرميه أحد بسهم وخرج نساء ثقيف من الحجال حسرا أى مكشوفات يبكين على الطاغية وكانوا يظنون أنه لا يمكن هدمها لانها تمنع من ذلك وفى رواية وأراد

المغيرة أن يسخر بثقيف فقال لأصحابه لأضحكنكم من ثقيف فلما علا على الطاغية لم يسمها التي نعم وفي لفظ أخذ يتكض فصاحوا صيحة واحدة فقالوا أبعد الله المغيرة قتلته الربة وقالوا والله لا يستطيع هدمها فوثب وقال لهم قبحكم الله انما هي لكاع حجارة ومدر فاقبلوا عافية الله واعبدوه ثم أخذ في هدمها فهدمها الى أن كسر بابها وهدم أساسها وأخرج ترابها لما سمع سادنها يقول ليغضبن الاساس فليخسفن بهم ثم أخذوا حليها وكسوتها وما فيها من طيب وذهب وفضة وأقبلوا حتى دخلوا عليه صلى الله عليه وسلم فحمد الله على نصره واعزاز دينه والله أعلم

(سرية جرير بن عبد الله البجلي)

رضي الله عنه الى ذي الخلصة بفتح المعجمة واللام بعدها مهملة وذو الخلصة اسم بيت كان فيه صنم لقوم جرير وكانت هذه السرية قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بنحو شهرين قال جرير رضي الله عنه قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ألا تريحني من ذي الخلصة فقلت بلى فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فضرب في صدري وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا فما وقعت عن فرس بعد وكان ذو الخلصة بيتا في اليمن لخثعم وبجيلة يقال له الكعبة فانطلق اليها فكسرها وحرقها ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول جرير والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب فبارك في خيل أحمس ورجالها خمس مرات وروى الطبراني عن جرير قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن أقاتلهم وأدعوهم أن يقولوا لا اله الا الله قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر أنه غير بعثه الى الصنم ويحتمل أنه بعثه الى الجهتين على الترتيب ويؤيده ما وقع عند ابن حبان في حديث جرير انه صلى الله عليه وسلم قال له يا جرير انه لم يبق من طواغيت الجاهلية الا بيت ذي الخلصة فانه يشعر بتأخر هذه القصة جدا وقد شهد جرير حجة الوداع فكان ارساله بعدها فهدمها ثم توجه الى اليمن ولما رجع بلغته وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وحكى بعضهم ان موضع ذي الخلصة صار مسجدا جامعا لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم والله أعلم

(سرية أسامة بن زيد رضي الله عنهما)

الى أبنى بضم الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح النون فألف مقصورة وهي ناحية بالبلقاء من أرض الشام وهي آخر السرايا كما ان غزوة تبوك آخر الغزوات * لما كان يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة أمر صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لغزو الروم فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على أهل أبنى وحرق عليهم وأسرع السير لتسبق الأخبار فان أظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع معك فلما كان يوم الاربعاء بدأ به صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد صلى الله عليه وسلم لاسامة لواء بيده ثم قال اغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من المهاجرين الاولين والانصار الا اشتغل لذلك وتهيأ للخروج منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم فتكلم قوم وقالوا يستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الاولين والانصار هذا الغلام وكان سن أسامة سبع عشرة سنة وقيل تسع عشرة سنة وقيل عشرين فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالتهم فغضب غضبا شديدا فخرج وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري

أسامة ولئن طعنتم فى امارته فلقد طعنتم فى امارة أبيه من قبله وأيم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بالامارة وان كان من أحب الناس الى وانه لمظنة لكل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل فدخل بيته وذلك فى يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى المعسكر بالجرف وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أنفذوا بعث أسامة واستثنى أبابكر وأمره بالصلاة بالناس فلا منافاة بين من روى ان أبابكر رضى الله عنه كان من ذلك الجيش ومن روى انه تخلف لانه كان من جملة الجيش أولا ثم تخلف لما استثناه صلى الله عليه وسلم وأمره بالصلاة بالناس وبهذا يرد قول بعض الرافضة طعنا فى أبى بكر رضى الله عنه انه تخلف عن جيش أسامة وانه صلى الله عليه وسلم لعن المتخلف عن جيش أسامة لما علمت ان تخلفه كان بأمر منه صلى الله عليه وسلم لاجل صلاته بالناس وفيه اشارة الى أنه الخليفة بعده وأما اللعن الذى ذكروه فلم يرد فى حديث فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فجاء أسامة رضى الله عنه فطأطأ فقبله صلى الله عليه وسلم وهو لا يتكلم ثم جعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعها على أسامة قال أسامة فعرفت انه يدعو لى ثم رجع أسامة الى معسكره ثم دخل عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فقال له اغد على بركة الله فودعه أسامة وخرج الى معسكره وأمر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب وفى رواية سار حتى بلغ الجرف فأرسلت اليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول لا تعجل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل فأقبل وأقبل معه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما وانتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد توفى حين زاغت الشمس فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء أسامة معقودا حتى أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده فلما بويع لابى بكر رضى الله عنه أمر بريدة أن يذهب باللواء الى بيت أسامة وأن يمضى أسامة لما أمر ولما اشتهرت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر النفاق وقويت شوكة أهله وقويت نفوس أهل النصرانية واليهودية ومن كان يرغب فيهم وصارت المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية وارتدت طوائف من العرب وقالوا نصلى ولا ندفع الزكاة وكل ذلك ظهر قبل أن يتوجه جيش أسامة فعند ذلك كلم الناس أبابكر رضى الله عنه أن يمنع أسامة من السفر وقالوا كيف يتوجه هذا الجيش الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فأبى أبو بكر رضى الله عنه أن يمنع أسامة من الخروج وقال والله الذى لا اله الا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرد جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده وفى لفظ والله لأن يخطفنى الطير أحب الى من أن أبدأ بشئ قبل تنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى تنفيذ جيش أسامة وفى رواية ان أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال لعمر ارجع الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واسأله يأذن لى أن أرجع بالناس فان معى وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقله وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون وقالت الانصار لعمر رضى الله عنه فان أبى أبو بكر رضى الله عنه الا أن يمضى الجيش فأبلغه منا السلام والطلب اليه أن يولى أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة فقدم عمر الى أبى بكر رضى الله عنهما فأخبره بما قال أسامة فقال أبو بكر رضى الله عنه والله لو تخطفتنى الذئاب والكلاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر رضى الله عنه فان الانصار أمرونى أن أبلغك انهم يطلبون أن تولى رجلا أقدم سنا من أسامة فوثب أبو بكر رضى الله عنه وكان جالسا فأخذ بلحية عمر رضى الله عنه وقال ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى

أن ارجعه فخرج عمر رضي الله عنه الى الناس فقال امضوا ثكلتكم أمهاتكم ما لقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ولعل الذين قالوا ذلك من الانصار لم يكونوا سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم الانكار على من طعن في ولاية أسامة رضي الله عنه ولا بلغهم أو جوزوا ان الصديق يوافق على ذلك حيث رأى فيه مصلحة وسيدنا عمر رضي الله عنه يكون جوز ذلك أيضا ثم كلم أبو بكر رضي الله عنه أسامة في عمر رضي الله عنه أن يأذن له في التخلف ليستعين به الصديق رضي الله عنه في مشورته وأمر الخلافة ففعل وكان استئذان أبي بكر لاسامة رضي الله عنهما تطييبا لقلبه فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة خرج أسامة رضي الله عنه في ثلاثة آلاف فيهم ألف فرس وودعه أبو بكر رضي الله عنه بعد أن سار الى جانبه ساعة ماشيا واسامة رضي الله عنه راكب وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقود براحلة الصديق رضي الله عنه فقال أسامة يا خليفة رسول الله اما أن تركب واما أن أنزل فقال والله لست بنازل ولست براكب ثم قال له الصديق استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ثم ان أسامة رضي الله عنه سار الى أهل أبنى فشن عليهم الغارة أي فرق الناس عليهم وكان شعارهم يا منصور أمت فقتل من قتل وأسر من أسر وحرق منازلهم وحرث أرضها وأزال نخلها وأجال الخيل في عرصاتهم ولم يقتل من المسلمين أحد وكان أسامة رضي الله عنه على فرس أبيه وقتل قاتل أبيه وأسهم للفارس سهمين وللراجل سهما وأخذ لنفسه مثل ذلك فلما أمسى أمر الناس بالرحيل وأسرع السير وبعث مبشرا الى المدينة بسلامتهم وخرج أبو بكر في المهاجرين والانصار ممن لم يكن في تلك السرية يتلقون أسامة ومن معه وسروا بسلامتهم ودخل اسامة واللواء بين يديه حتى انتهى الى باب المسجد فدخل فصلى ركعتين ثم انصرف الى بيته وكان في خروج هذا الجيش نعمة عظيمة فانه كان سببا لعدم ارتداد كثير من طوائف العرب أرادوا ذلك وقالوا لولا قوة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما خرج مثل هؤلاء من عندهم فثبتوا على الاسلام وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى بعد أن ولي الخلافة اذا رأى أسامة رضي الله عنه قال السلام عليك أيها الامير فيقول أسامة غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لي هذا فيقول لا ازال أدعوك ما عشت الامير مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت علي أمير وقد كان أسامة رضي الله عنه يدعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ أسامة والحسن رضي الله عنهما فيقول اللهم أحبهما فاني أحبهما وفي حديث المخزومية التي سرقت وأراد صلى الله عليه وسلم قطع يدها فلم يجسر أحد أن يكلمه صلى الله عليه وسلم غير أسامة بن زيد رضي الله عنهما فكلمه فقال صلى الله عليه وسلم أتشفع في حد من حدود الله ومناقبه رضي الله عنه كثيرة توفي بالمدينة أو بوادي القرى سنة خمس أو أربع وخمسين وهو ابن خمس وسبعين سنة والله أعلم ومما ينبغي أن يلحق بالغزوات والسرايا بعوثه صلى الله عليه وسلم

(بعث الصديق رضي الله عنه)

بعث صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه في السنة التاسعة يحج بالناس وأما في السنة الثامنة فأمر عتاب بن أسيد رضي الله عنه أن يحج بالناس وكان أميرا على أهل مكة كما تقدم في قصة فتح مكة فخرج أبو بكر رضي الله عنه في ثلثمائة رجل من المدينة وبعث صلى الله عليه وسلم معه بعشرين بدنة قلدها وأشعرها بيده الشريفة وساق أبو بكر رضي الله عنه خمس بدنات ثم تبعه على رضي الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء بفتح القاف والمد وقيل بالضم والقصر فقال له أبو بكر رضي الله عنه استعملك رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج قال لا ولكن بعثني أقرأ

براءة على الناس وأنبذ الى كل ذي عهد عهده وكان العهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين المشركين عاما وخاصا فالعام أن لا يصد أحد عن البيت اذا جاءه ولا يخاف أحد فى الاشهر الحرم والخاص بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين قبائل العرب الى آجال مسماة وكانت عادة العرب أن لا ينبذ العهد الا من كان قريبا من أراد النبذ فلذلك بعث صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه ولم يكتف بأبى بكر رضى الله عنه فضى أبو بكر رضى الله عنه فحج بالناس قيل كان الحج ذلك العام فى ذى القعدة للنسيء الذى كانوا يصنعونه والصحيح انه كان فى ذى الحجة وجاء فى رواية انه بعد أن توجه أبو بكر رضى الله عنه من المدينة نزلت سورة براءة فقيل له صلى الله عليه وسلم لو بعثت بها أبا بكر فقال صلى الله عليه وسلم لا يؤدى عنى الا رجل من أهل بيتى ثم دعا عليا رضى الله عنه فقال اخرج بصدر براءة واذن فى الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى فقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه براءة يوم النحر وقال لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان لانهم كانوا يحجون مع المسلمين و يرفعون أصواتهم بقولهم لاشريك لك الاشريكا هو لك تملكه وما ملك وكانوا يطوفون عراة بالليل وليس على رجل منهم ثوب و يقول الواحد منهم أطوف بالبيت كما ولدتنى أمى ليس على شئ من الدنيا خالطه الظلم وكان لا يطوف من أراد الثياب منهم الا بثوب من ثياب الحمس وهم قريش يستعيره أو يكتريه واذا طاف بثوب من ثيابه ألقاه بعد طوافه فلا يمسه وقيل كانت المرأة تلبس درعا مفرجا وقد كانت امرأة تطوف وهى عارية و يدها على قبلها وهى تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

وفى ايجاب ستر العورة أنزل الله تعالى يابنى آدم خذوا زينتكم الآية وفى رواية لما لحق على أبا بكر رضى الله عنه قال له أمير أو مأمور قال بل مأمور فكان على رضى الله عنه فى تلك السفرة يصلى خلف أبى بكر الى أن رجع الى المدينة وفى ذلك رد على الرافضة قبحهم الله فانهم زعموا ان النبى صلى الله عليه وسلم عزل أبا بكر رضى الله عنه عن امارة الحج بعلى وقد تواتر ان أبا بكر رضى الله عنه لم يعزل وانه حج بالناس وكان على من جملة رعيته فى تلك السفرة و يصلى خلفه الى ان رجعوا الى المدينة و فى حديث جابر رضى الله عنه فى هذه القصة قام أبو بكر رضى الله عنه فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى اذا فرغ قام على رضى الله عنه فقرأ على الناس براءة وجاء فى رواية انه فعل ذلك بمكة يوم التروية وفعل مثله يوم عرفة ثم يوم النحر ثم يوم النفر فيحمل على تعدد وقوع ذلك و بذلك يجمع بين الروايات وكان هلاك رأس المنافقين عبد الله بن أبى ابن سلول فى السنة التاسعة فى ذى القعدة وجاء ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أبى احتضر فأحب أن تشهده وتصلى عليه قال ما اسمك قال الحباب فقال بل أنت عبد الله الحباب اسم الشيطان وكان من فضلاء الصحابة رضى الله عنه وكان يحمل أمر أبيه على ظاهر الاسلام وقد ورد مايدل على انه انما جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه بعهد من أبيه بل جاء فى رواية الطبرانى وعبد الرزاق عن قتادة قال أرسل عبد الله بن أبى الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال أهلكك حب يهود فقال يارسول الله انما أرسلت اليك لتستغفر لى ولم أرسل اليك لتوبخنى ثم سأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه فأجابه وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما لما مرض ابن أبى جاءه صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال قد فهمت ما تقول فامنن على فكفنى فى قميصك وصل على فأعطاه القميص ثم لما أراد صلى الله عليه وسلم أن يصلى عليه وثب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال يارسول الله أتصلى عليه وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا وعدد عليه أشياء مثل قوله لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله

ليخرجن الاعز منها الاذل وفى رواية فقام عمر رضى الله عنه فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أتصلى عليه وقد نهاك ربك أن تصلى عليه وكان عمر رضى الله عنه فهم ذلك من قوله تعالى ماكان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انما خيرنى الله بين الاستغفار وتركه فقال استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على السبعين قال عمر رضى الله عنه انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم ينزل عليه شئ صريح بترك ذلك ولم يأخذ بقول عمر رضى الله عنه اجراء له على ظاهر حكم الاسلام واستصحابا لظاهر الحكم ولاكرام ولده الذى تحقق صلاحه واستئلافا لقومه فانه جاء انه رجع جملة منهم من النفاق ذلك اليوم لما رأوا عبد الله يسأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يكفنه فى قميصه وأن يصلى عليه وصلى عمر مع النبى صلى الله عليه وسلم وترك رأى نفسه وأطال صلى الله عليه وسلم فى تلك الصلاة وأكثر من الاستغفار لعبد الله بن أبى * وعن مجمع بن جارية رضى الله عنه قال مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أطال على جنازة قط ماأطال صلى جنازة عبد الله ابن أبى من الوقوف وفى حديث ابن عباس ومشى معه صلى الله عليه وسلم حتى قام على قبره حتى فرغ منه وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين ولتطييب قلب ولده الرجل الصالح ولتألف الخزرج لرياسته فيهم فلو لم يجب ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهى لكان سبة على ابنه وعارا على قومه فاستعمل صلى الله عليه وسلم أحسن الامرين فى السياسة الى أن كشف الله الغطاء وقيل انما أعطاه قميصه مكافأة له فان عبد الله بن أبى أعطى قميصه للعباس رضى الله عنه حين أسر يوم بدر كما تقدم ثم أنزل الله تعالى على النبى صلى الله عليه وسلم ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فكان فى ذلك تأييد لرأى عمر رضى الله عنه وهى من الآيات التى جاءت موافقة لرأيه رضى الله عنه وكان نزولها بعد فراغه صلى الله عليه وسلم من أمره على الصحيح وقيل بعد فراغ الصلاة وفى الصحيح من حديث ابن عباس رضى الله عنهما فصلى عليه ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت * وروى الطبرانى عن قتادة قال ذكر لنا انه صلى الله عليه وسلم قال ومايغنى عنه قميصى من الله وانى لأرجو بذلك أن يسلم ألف من قومه فاسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق بعده حتى قبضه الله وفى شرح القسطلانى على البخارى أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يستشفع بثوبه صلى الله عليه وسلم ويتوقع اندفاع العذاب عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

(البعث الى اليمن)

بعث صلى الله عليه وسلم أبا موسى الاشعرى ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما الى اليمن قبل حجة الوداع فى السنة العاشرة وقيل فى التاسعة عند منصرفه من تبوك وقيل عام الفتح سنة ثمان كل واحد منهما على مخلاف واليمن مخلافات والمخلاف بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة بلغة أهل اليمن الناحية ويقال له الكورة بضم الكاف والاقليم والرستاق وكانت جهة معاذ العليا الى صوب عدن وكان من عمله الجند بفتح الجيم وفتح النون بلدة باليمن وله بها مسجد مشهور الى اليوم وكانت جهة أبى موسى السفلى وقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا * وفى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ انك ستأتى قوما أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فان هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين

سحاب وروى الامام أحمد عن معاذ رضى الله عنه قال لما بعثنى صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال قد بعثتك الى قوم رقيقة قلوبهم فقاتل بمن أطاعك من عصاك وروى الامام أحمد أيضا وأبو يعلى انه صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن خرج يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى تحت ظل راحلته فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا ولعلك أن تمر بمسجدى وقبرى فبكى معاذ رضى الله عنه لفراقه وروى ابن عساكر انه صلى الله عليه وسلم مشى معه ميلا ومعاذ رضى الله عنه راكب لامره صلى الله عليه وسلم له بذلك قال الحافظ ابن حجر واتفقوا على ان معاذا رضى الله عنه لم يزل على اليمن الى ان قدم فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ثم توجه الى الشام فمات بها واختلفوا هل كان معاذ واليا أو قاضيا فقال ابن عبد البر انه كان قاضيا وقال الغسانى انه كان أميرا على المال وحديث ابن ميمون فيه التصريح بأنه كان أميرا على الصلاة وهذا يرجح انه كان واليا وقد جاءت أحاديث كثيرة فى فضله رضى الله عنه منها أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل ومنها معاذ بن جبل امام العلماء يوم القيامة ضبطه بعضهم بكسر همزة امام وبعضهم بفتحها وأما أبو موسى رضى الله عنه فقدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع والتقى به بمكة واستدل العلماء بارساله على انه كان عالما فطنا حاذقا ولولا ذلك لم يوله النبى صلى الله عليه وسلم الامارة ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم وأما الخوارج والروافض فنسبوه الى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه فى التحكيم بصفين والحق انه لم يصدر منه ما يقتضى وصفه بذلك وغاية ما وقع منه انه أداه اجتهاده الى أن يجعل الامر شورى بين من بقى من الصحابة من أهل بدر لما شاهد من الاختلاف الشديد بين الطائفتين بصفين فآل الامر الى ما آل اليه والله سبحانه وتعالى أعلم

(بعث خالد بن الوليد)

بعث النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه الى اليمن قبل حجة الوداع فى ربيع الاول سنة عشر وقيل فى ربيع الآخر وقيل فى جمادى الاولى سنة عشر الى بنى عبد المدان بفتح الميم بوزن سحاب اسم صنم وعبد المدان الذى نسبت القبيلة اليه هو جدهم الاعلى واسمه عمرو بن يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث ويقال لتلك القبيلة بنو الحارث وهم بنجران موضع باليمن سمى باسم نجران بن زيد بن سبا فأمر صلى الله عليه وسلم خالدا أن يدعوهم الى الاسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا فان استجابوا اقبل منهم وان لم يفعلوا قاتلهم فخرج حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون أيها الناس أسلموا تسلموا فأسلموا ودخلوا فيما دعوا اليه فأقام خالد يعلمهم الاسلام والكتاب والسنة ثم كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يعلمه بذلك فكتب اليه صلى الله عليه وسلم أن يقدم اليه وفدهم فقدموا وأمر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا الى قومهم فى بقية شوال أو صدر ذى القعدة وسيأتى فى الوفود مزيد لذلك ان شاء الله تعالى

(بعث على بن أبى طالب رضى الله عنه الى اليمن)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه الى اليمن فى شهر رمضان سنة عشر وعقد له لواء وعممه بيده وقال له امض ولا تلتفت فقال على رضى الله عنه يا رسول الله ما أصنع قال اذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك وادعهم الى قول لا اله الا الله فان قالوا نعم فمرهم بالصلاة فان أجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك والله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت وروى أبو داود وغيره من حديث على رضى الله عنه قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول الله تبعثنى الى قوم أسن منى وأنا حديث السن لا أبصر

القضاء قال فوضع يده صلى الله عليه وسلم فى صدرى وقال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه وقال يا على اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر فانك اذا فعلت ذلك تبين لك القضاء قال على والله ما شككت فى قضاء بين اثنين فخرج على رضى الله عنه فى ثلثمائة فارس فلما انتهى الى تلك الناحية فرق أصحابه فأتوا بنهب غنائم ونساء وأطفال وكانت الغنائم نعما وشاء ثم لقى جمعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة وخرج منهم رجل من مذحج يدعو الى المبارزة فبرز اليه الاسود بن خزاعى فقتله الاسود وأخذ سلبه ثم صف على رضى الله عنه أصحابه ودفع لواءه الى مسعود ابن سنان الاسلمى فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم قليلا ثم لحقهم ودعاهم الى الاسلام فأسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله وجمع على الغنائم فجزأها خمسة أجزاء فكتب فى سهم منها لله وأقرع عليها فخرج أول السهام سهم الخمس وقسم على أصحابه بقية المغنم ثم قفل على رضى الله عنه فوافى النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر وجاء فى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم بعث عليا رضى الله عنه الى اليمن وذلك فى رمضان سنة عشر فأسلمت همدان كلها فى يوم واحد فكتب بذلك اليه صلى الله عليه وسلم فخر ساجدا لله ثم جلس فقال السلام على همدان وتتابع أهل اليمن على الاسلام لكن قوله فى التاريخ سنة عشر وهم لان بعث على الى همدان لم يكن سنة عشر انما كان سنة عشر بعثه الى بنى مذحج وأما بعثه الى همدان فكان سنة ثمان بعد فتح مكة فيكون بعث على رضى الله عنه الى اليمن حصل مرتين وفى البخارى عن البراء رضى الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد الى اليمن ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه فقال مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل فكنت فيمن عقب معه فغنمت أواقى ذوات عدد زاد الاسماعيلى فلما دنونا من القوم خرجوا الينا فصلى بنا على وصفنا صفا واحدا ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت همدان جميعا فكتب على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرئ الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه وقال السلام على همدان وكان البعث بعد رجوعهم من الطائف وقسمة الغنائم بالجعرانة فهذا صريح فى ان البعث الاول كان فى أواخر سنة ثمان وانه الى همدان وأما الثانى فكان فى رمضان سنة عشر الى مذحج

(حجة الوداع)

وفى سنة عشر من الهجرة حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وسميت بذلك لانه ودع الناس فيها ولم يحج بعدها وما عرف وداعه حتى توفى بعدها بقليل فعرفوا المراد وانه ودع الناس بالوصية التى أوصاهم بها أن لا يرجعوا بعده كفارا وأكد التوديع باشهاد الله عليهم بانهم شهدوا انه بلغ ما أرسل اليهم به وتسمى حجة الاسلام لانه صلى الله عليه وسلم لم يحج من المدينة بعد فرض الحج غيرها وحجة البلاغ لانه بلغ الناس الشرع فى الحج قولا وفعلا وتسمى حجة التمام والكمال لنزول قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وكان صلى الله عليه وسلم بعد هجرته من مكة قد أقام بالمدينة يضحى كل عام ويغزو المغازى ويبعث السرايا والبعوث من حين أذن له فى القتال فلما كان فى ذى القعدة سنة عشر من الهجرة أجمع على الخروج الى الحج فتجهز وامر الناس بالجهاز ولم يحج بعد أن هاجر غير هذه الحجة قال أبو اسحاق السبيعى وحج وهو بمكة أخرى لكن قوله أخرى يوهم انه لم يحج قبل الهجرة الا واحدة وليس كذلك بل حج قبلها مرارا وقيل حج وهو بمكة حجتين وقيل ثلاث حجج والحق الذى لا ارتياب فيه كما

فى شرح الزرقانى على المواهب انه لم يترك الحج وهو بمكة قط لان قريشا فى الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج وانما يتأخر منهم من لم يكن بمكة أو عاقه ضعف واذا كانوا وهم على غير دين يحرصون على اقامة الحج ويرونه من مفاخرهم التى امتازوا بها على غيرهم من العرب فكيف يظن به صلى الله عليه وسلم انه يتركه وقد ثبت حديث جبير بن مطعم رضى الله عنه انه فى الجاهلية رأى النبى صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفة وانه من توفيق الله له وكانت قريش تقف بجمع ولا تخرج من أرض الحرم وكان صلى الله عليه وسلم يخالفهم ويصل الى عرفة فيقف بها مع بقية العرب وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يدعو قبائل العرب الى الاسلام بمنى ثلاث سنين متوالية قال العلامة الزرقانى فلا يقبل نفى ابن سعد انه لم يحج بعد النبوة الا حجة الوداع لان المثبت مقدم على النافى خصوصا وقد صحبه دليل اثباته ولم يصحب النافى دليل نفيه ولذلك قال ابن الجوزى حج صلى الله عليه وسلم حججا لا يعرف عددها وقال ابن الاثير فى النهاية كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر وكان خروجه صلى الله عليه وسلم لحجة الوداع من المدينة يوم السبت بين الظهر والعصر لخمس بقين من ذى القعدة سنة عشر واستعمل على المدينة أبادجانة الساعدى رضى الله عنه وقيل سباع بن عرفطة الغفارى وكان نساؤه كلهن معه وقد طاف عليهن كلهن ليلة خروجه واغتسل ثم اغتسل ثانيا للاحرام غير غسل الجماع وكان دخوله مكة صبح رابعة من ذى الحجة يوم الاحد وخرج معه صلى الله عليه وسلم تسعون ألفا ويقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ويقال أكثر من ذلك وهذه عدة من خرج معه وأما الذين حجوا معه فأكثر من ذلك كالمقيمين بمكة والذين أتوا من اليمن مع على وأبى موسى رضى الله عنهما وجاء فى حديث ان الله وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله بالملائكة والكلام على مباحث حجة الوداع طويل مذكور فى كتب السنة شهير شائع فلا حاجة الى الاطالة به

(باب يذكر فيه ما يتعلق بالوفود)

التى وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ما تقدم قد تقدم انه وفد عليه وفد هوازن بالجعرانة وكذا وفد عليه مالك بن عوف النصرى وذلك فى أواخر سنة ثمان وكذا وفد عليه بنو تميم فى سرية عيينة ابن حصن وكان ذلك فى المحرم سنة تسع

(وفد نصارى نجران) وفد عليه نصارى نجران بالمدينة بعد الهجرة وكانوا ستين راكبا جاؤه يجادلونه فى شأن عيسى عليه السلام ونجران بلدة كبيرة على سبع مراحل من مكة الى جهة اليمن تشتمل على ثلاث وسبعين قرية وكان وصولهم المدينة ودخولهم المسجد النبوى بعيد دخول وقت العصر فقاموا يصلون فيه فأراد الناس منعهم لما فيه من اظهار دينهم الباطل فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم تألفا لهم ورجاء لاسلامهم ولدخولهم بالامان فأقرهم على كفرهم سياسة فليس فيه اقرار على الباطل بل جعل ذلك وسيلة لدخولهم فى الحق فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم وكانوا لما دخلوا المسجد النبوى عليهم ثياب الحبرات وأردية الحرير مختمين بخواتم الذهب ومعهم هدية وهى بسط فيها تماثيل ومسوح فصار الناس ينظرون للتماثيل فقال صلى الله عليه وسلم أما هذه البسط فلا حاجة لى فيها وأما هذه المسوح فان تعطونيها آخذها فقالوا نعم نعطيكها ولما رأى فقراء المسلمين ما على هؤلاء من الزينة والزى الحسن تشوفت نفوسهم الى الدنيا فأنزل الله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ولما فرغوا من صلاتهم عرض صلى الله عليه وسلم عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا وقالوا قد كنا مسلمين قبلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم يمنعكم من الاسلام ثلاث

عبادتكم الصليب وأكلكم الخنزير وزعمكم ان له ولدا وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رهطا من نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما شأنك تذكر صاحبنا قال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله قال أجل قالوا فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل فقال له قل لهم اذا أتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الى قوله الممترين وفي رواية ان واحدا منهم قال له المسيح ابن الله لانه لا أب له وقال آخر المسيح هو الله لانه أحيا الموتى وأخبر عن الغيوب وأبرأ من الادواء كلها وخلق من الطين طيرا وقال له أفضلهم فعلام تشتمه وتزعم انه عبد فقال هو عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم فغضبوا وقالوا انما رضينا أن تقول هو اله وقالوا ان كنت صادقا فأرنا عبد الله يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخلق من الطين طيرا فينفخ فيه فيطير فسكت عنهم فنزل الوحي بقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ثم قال لهم ان الله أمرني ان لم تنقادوا للاسلام أباهلكم أي ندعو ونجتهد في الدعاء باللعنة على الكاذب فقالوا له يا أبا القاسم نرجع فننظر في أمرنا فخلا بعضهم ببعض فقال بعضهم والله لقد علمتم ان الرجل نبي مرسل وما لاعن قوم قط نبيا الا استؤصلوا أي أخذوا عن آخرهم وان أنتم أبيتم الا دينكم فوادعوه وصالحوه وارجعوا الى بلادكم وفي لفظ انهم ذهبوا الى بني قريظة وبني قينقاع واستشاروهم أي شاوروا من بقي منهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه وفي لفظ انهم واعدوه على الغد فلما أصبح صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلي رضي الله عنهم وعند ذلك قال لهم الاسقف اني لارى وجوها لو سألوا الله تعالى أن يزيل لهم جبلا لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني فقالوا له صلى الله عليه وسلم لا نباهلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو لاعنتهم يا رسول الله بيد من كنت تأخذ قال آخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة وهذه زيادة موافقة لقوله تعالى ونساءنا ونساءكم ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أما والذي نفسي بيده لقد تدلى العذاب على أهل نجران ولو لاعنوني لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا ثم انهم صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على الجزية على ألف حلة في صفر وألف في رجب ومع كل حلة أوقية من الفضة وكتب لهم كتابا وقالوا أرسل معنا أمينا فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه وقال لهم هذا أمين هذه الامة وفي رواية هذا القوي الامين وكان لذلك يدعى في الصحابة بذلك وفي أهل نجران وفي الرد عليهم أنزل الله أكثر آيات سورة آل عمران وافتتحها بالتوحيد وبقوله يصوركم في الارحام كيف يشاء أي بأن يجعلكم من أم وأب أو من أم بلا أب فيكون في أول الكلام اشارة الى الرد عليهم وذلك براعة استهلال وهي من المحسنات البديعية

(وفد تميم الداري وأصحابه)

وفد عليه صلى الله عليه وسلم الداريون أبو تميم الداري وأخوه نعيم وأربعة آخرون وكانوا على دين النصرانية فأسلموا وحسن اسلامهم رضي الله عنهم وكان وفدهم عليه مرتين مرة بمكة قبل الهجرة ومرة بعدها وفي المرة الاولى سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم أرضا من أرض الشام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا حيث شئتم قال أبو هند وهو من أصحاب تميم فنهضنا من

عنده نتشاور فى أى الاراضى نأخذ فقال تميم نسأله بيت المقدس وكورتها فقال له أبو هند هذا محل ملك العجم وسيصير محل ملك العرب فأخاف أن لا يتم لنا قال تميم نسأله بيت حبرون وكورتها فنهضنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فدعا بقطعة من أدم وكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للداريين أعطاه الله الارض فوهب لهم بيت عنون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم الى الابد شهد عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب ثم أعطانا كتابا وقال انصرفوا حتى تسمعوا أنى قد هاجرت قال أبو هند فانصرفنا فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدمنا عليه وسألناه أن يجدد لنا كتابا آخر فكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الدارى وأصحابه انى أنطيتكم بيت عنون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم من بعدهم أبد الابد فمن آذاهم فيه آذاه الله شهد أبو بكر بن أبى قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وكتب *ومن فضائل تميم الدارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم روى عنه حيث خطب فقال فى خطبته حدثنى تميم الدارى وذكر خبر الجساسة أى لان تميما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه ركب البحر فتاهت بهم سفينتهم فسقطوا الى جزيرة فخرجوا اليها يلتمسون الماء فلقى انسانا يجر شعره فقال له من أنت قال أنا الجساسة قالوا فأخبرنا قال لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة فدخلناها فاذا رجل مقيد فقال من أنتم قلنا ناس من العرب قال ما فعل هذا النبى الذى خرج فيكم قلنا قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه قال ذلك خير لهم قال افلا تخبرونى عن عين زغر ما فعلت فأخبرناه عنها فوثب وثبة ثم قال ما فعل نخل بيسان هل أطعم بعد فأخبرناه انه قد أطعم فوثب مثلها ثم قال اما لو قد أذن لى فى الخروج لوطئت البلاد كلها غير طيبة قال فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدث الناس فقال هذه طيبة وذاك الدجال قال ابن عبد البر وهذا اولى ما يخرجه المحدثون فى رواية الكبار عن الصغار قال أهل السير ولما فتحت مكة ودانت له صلى الله عليه وسلم قريش عرفت العرب انهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعداوته لان قريشا كانت قادة العرب فلما اسلموا دخل الناس فى دين الله افواجا وتتابعت الوفود عليه صلى الله عليه وسلم

(وفد كعب بن زهير رضى الله عنه وقد تقدمت قصته فى فتح مكة)

*(وفد ثقيف) ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك فى رمضان قدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف وكان من خبرهم انه لما انصرف صلى الله عليه وسلم من محاصرتهم تبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل ان يصل الى المدينة فأسلم رضى الله عنه وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرجع الى قومه يأمرهم بالاسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوك فقال عروة يا رسول الله أنا أحب اليهم من ابكارهم أى أولادهم وفى رواية من أبصارهم ثم خرج يدعو قومه الى الاسلام رجاء ان لا يخالفوه لمرتبته فيهم لانه كان محببا مطاعا وفيه كانوا يقولون كما حكى الله عنهم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فالقريتان مكة والطائف والرجلان الوليد بن المغيرة بمكة وعروة ابن مسعود الثقفى بالطائف فتوجه الى قومه فلما اشرف لهم على علية دعاهم الى الاسلام واظهر دينه فرموه بالنبل من كل جانب فأصابه سهم فقتله وفى لفظ انه قدم الطائف عشاء فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم الى الاسلام ونصح لهم فعصوه واسمعوه من الاذى ما لم يكن يخشاه منهم فخرجوا من عنده فلما كان السحر وطلع الفجر قام على غرفة فى داره وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله فقيل له

قبل ان يموت ماترى في دملك قال كرامة اكرمني الله بها وشهادة ساقها الله الي فليس في الا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يرتحل عنكم فادفنوني معهم فدفنوه معهم وقال في حقه صلى الله عليه وسلم ان مثله في قومه كمثل صاحب يس انه قال لقومه اتبعوا المرسلين الآيات فقتله قومه والمراد المذكور في سورة يس وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل هذه المقالة في حق شخص آخر يقال له قرة بن حصين أو ابن الحارث بعثه صلى الله عليه وسلم الى بني هلال بن عامر يدعوهم الى الاسلام فقتلوه فقال صلى الله عليه وسلم مثله مثل صاحب يس ثم ان ثقيفا اقامت بعد قتل عروة اشهرا ثم انهم ائتمروا بينهم فرأوا انهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب فاجمعوا ان يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فكلموا في ذلك عبد يا ليل بن عمرو وكان في سن عروة بن مسعود فأبى لانه خشي ان يفعل به كما فعل بعروة وقيل كلموا مسعود بن عبد يا ليل فقال لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجالا فبعثوا معه خمسة انفار منهم شرحبيل بن غيلان أحد أشراف ثقيف ويقال وفد عليه صلى الله عليه وسلم تسعة عشر رجلا هم اشراف ثقيف فيهم كنانة بن عبد يا ليل وهو رئيسهم يومئذ وفيهم عثمان بن أبي العاص وهو أصغرهم فلما قربوا من المدينة رآهم المغيرة بن شعبة الثقفي فذهب مسرعا ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه فلقي أبا بكر رضي الله عنه فأخبره فقال له أبو بكر رضي الله عنه أقسمت عليك لا تسبقني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكون أنا أحدثه ففعل فدخل أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بقدومهم عليه ثم خرج المغيرة وعلمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا الا تحية الجاهلية وهي عم صباحا ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب لهم قبة في ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس اذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم ويخلفون عثمان بن أبي العاص عند متاعهم فكان عثمان رضي الله عنه اذا رجعوا ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الدين ويستقرئه القرآن واذا وجد النبي صلى الله عليه وسلم نائما ذهب الى أبي بكر رضي الله عنه وكان يكتم ذلك من أصحابه فاعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحبه وروى ابن منده وغيره عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أصغر الذين وفدوا عليه من ثقيف لاني كنت قرأت سورة البقرة في مدة اقامتهم وعنه رضي الله عنه قال قلت يارسول الله ان القرآن يتفلت مني فوضع يده على صدري وقال ياشيطان اخرج من صدر عثمان فما نسيت شيئا بعده أريد حفظه وعنه رضي الله عنه قلت يارسول الله ادع الله ان يفقهني في الدين ويعلمني قال ماذا قلت فاعدت عليه القول فقال لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أصحابك اذهب فأنت أمير عليهم وعلى من تقدم عليه من قومك وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص قال قلت يارسول الله ان الشيطان حال بيني وبين صلاتي فقال ذاك الشيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت فأذهبه الله عني وكان في هذا الوفد رجل مجذوم فأرسل صلى الله عليه وسلم يقول له انا بايعناك فارجع وفي الخبر المرفوع لا تديموا النظر الى المجذومين وجاء كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين وهذا معارض بقوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة وبما جاء في احاديث أخر انه صلى الله عليه وسلم أكل مع المجذوم طعاما وأخذ بيده وجعلها معه في القصعة وقال كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه واجيب بان الامر باجتناب المجذوم ارشادي ومواكلته لبيان الجواز وجواز المخالطة في حق من قوي ايمانه وعدم جوازها في حق من ضعف ايمانه ومن ثم باشر صلى الله عليه وسلم الصورتين ليقتدي به فيأخذ قوي الايمان

بطريق التوكل وضعيف الايمان بطريق التحفظ والاحتياط ولا تأثير الا لله ومايتخيل من العدوى في ابطال ذلك من جملة الاسباب العادية التي لا تأثير لها بل يحصل الشئ عندها لابها والفعل لله وحده الله خالق كل شئ* وعند انصراف وفد ثقيف قالوا يارسول الله أمر علينا رجلا يؤمنا فأمر عليهم عثمان ابن أبي العاص لما رأى من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين وقال الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله اني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القرآن وفي رواية ان عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال قلت يارسول الله اجعلني امام قومي قال أنت امامهم وقال له اذا أممت فاخف بهم الصلاة واتخذ مؤذنا لا يأخذ على اذانه اجرا وكان خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه هو الذي يمشي بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم حتى كتب لهم كتابا وكان الكاتب له خالد المذكور ومن جملته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد من وجد يفعل ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه ووج واد بالطائف وقيل هو الطائف والعضاه كل شجر له شوك واحده عضة كشفة وشفاه وروى أبو داود وغيره ألا ان صيد وج وعضاهه حرام محرم والقول بأخذ سلب المتعرض لصيد وج والمدينة هو أحد قولين للشافعي رضي الله عنه والمشهور عنه في وج وحرم المدينة انه يحرم التعرض لصيدهما من غير جزاء وهذا مذهب الجمهور من العلماء وكان هؤلاء الوفد لا يطعمون طعاما يأتيهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد حتى اسلموا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يترك لهم الصلاة فقال لا خير في دين لا صلاة فيه وفي لفظ لا ركوع فيه وان يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك وسألوه ان يترك لهم الطاغية التي هي صنمهم لا يهدمها الا بعد ثلاث سنين من مقدمهم وهي اللات وكانوا يقولون لها الربة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يتركها سنة فأبى حتى سألوه شهرا واحدا وأرادوا بذلك ليدخل الاسلام في قومهم ولا يرتاع سفهاؤهم ونساؤهم وذراريهم بهدمها فأبى عليهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند خروجهم قال لهم كأنه أنا اعلمكم بثقيف اكتموا اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال وأخبروهم ان محمدا سألنا امورا عظيمة فأبيناها عليه سألنا أن نهدم الطاغية وان نترك الزنا والربا وشرب الخمر فلما رجعوا وجاءتهم ثقيف وسألوهم قالوا جئنا رجلا فظا غليظا قد ظهر بالسيف ودان له الناس فعرض علينا امورا شدادا وذكروا ما تقدم قالوا والله لا نعطيه ولا نقبل هذا ابدا فقالوا لهم أصلحوا السلاح وتهيؤا للقتال ورموا حصونكم فمكثت ثقيف كذلك يومين أو ثلاثة ثم ألقى الله الرعب في قلوبهم وقالوا والله ما لنا به من طاقة فارجعوا اليه وأعطوه ماسأل فعند ذلك قالوا لهم قد قاضيناه واسلمنا فقالوا لهم لم كتمتمونا قالوا اردنا ان ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان فأسلموا ومكثوا اياما فقدم عليهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما لهدم الطاغية فهدماها كما تقدم وأخذا مالها من المال والحلي فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صلى الله عليه وسلم أبا سفيان ان يقضي دين عروة وأخيه الاسود من مال الطاغية فقضاه وذلك ان أبا مليح بن عروة بن مسعود وابن عمه قارب بن الاسود أخو عروة بن مسعود سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وكانا قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين لما قتلت ثقيف عروة بن مسعود وقبل ان تسلم ثقيف كما تقدم فأجابهما الى ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفد بني عامر بن صعصعة)

وفيهم عدو الله عامر بن الطفيل واربد بن قيس وجبار بن سلمى بضم السين وفتحها وكان هؤلاء الثلاثة

رؤساء القوم وكان عامر بن الطفيل سيدهم كان ينادي بسوق عكاظ هل من راجل فنحمله
أو جائع فنطعمه أو خائف فنؤمنه وكان من أجمل الناس وكان مضمر الغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم
فقال لاربد وهو أخو لبيد الشاعر اذا قدمنا على الرجل فاني شاغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله
بالسيف وقد قال له قومه يا عامر ان الناس قد أسلموا فأسلم فقال والله لقد كنت آليت على نفسي أي
حلفت أن لا أنتهي حتى تتبع عقبي فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش فلما قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل يا محمد خالني أي اجعلني خليلا وصديقا لك قال صلى الله عليه
وسلم لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له قال يا محمد خالني وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم
وينتظر من اربد ما كان أمره به فجعل اربد لا يأتي بشيء ويبست يده على السيف فلم يستطع سله
وفي رواية لما جاء عامر وسده أي ألقى له وسادة ليجلس عليها ثم قال له أسلم يا عامر فقال عامر لي اليك
حاجة قال اقرب مني فقرب منه حتى حنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اتجعل لي الامر بعدك ان اسلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك لك
ولا لقومك أي انما ذلك الى الله يجعله حيث شاء ولكن لك أعنة الخيل قال أنا الآن في أعنة خيل
نجد أتجعل لي الوبر ولك المدر قال لا وفي رواية قال له يا محمد مالي ان أسلمت فقال له لك ما للمسلمين وعليك
ما عليهم فقال أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا وفي رواية خيلا جردا ورجالا مردا ولأربطن
بكل نخلة فرسا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعك الله عز وجل ومكث صلى الله عليه وسلم اياما
يدعو الله ويقول اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث له داء يقتله واهد قومه ثم قال صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أسلم وأسلمت بنو عامر لزاحمت قريشا على منابرها ثم دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا قوم آمنوا ثم قال اللهم اهد بني عامر واشغل عني عامر بن الطفيل
كيف شئت وأنى شئت وفي البخاري انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أخيرك بين ثلاث خصال
يكون لك أهل السهل ولي أهل الوبر أو أكون خليفتك من بعدك أو أغزوك من غطفان بألف أشقر
وألف شقراء فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لاربد ويلك يا اربد أين ما كنت
أمرتك به وما كان على وجه الارض رجل أخافه على نفسي غيرك وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا
فقال لا أبا لك لا تعجل علي والله ما هممت بالذي أمرتني به الا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك
أفأضربك بالسيف وفي رواية الا رأيت بيني وبينه سورا من حديد وفي رواية لما وضعت يدي على
السيف يبست فما أستطيع أحركها وفي رواية لما أردت ضربه نظرت فاذا فحل من الابل فاغر فاه
بين يدي يهوي الي فوالله لو سللته لخفت أن يبتلع رأسي ولا مانع من تكرر هذه على الفعل وعند كل
مرة يرى واحدا مما ذكره ثم خرج عامر بن الطفيل ومن معه راجعين الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض
الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فأوى الى بيت امرأة من بني سلول وكانوا
موصوفين باللؤم فصار يتأسف على مجيء الموت له في بيتها ويمس الطاعون ويقول يا بني عامر غدة كغدة
البعير في بيت امرأة من بني سلول ائتوني بفرسي ثم ركب فرسه وأخذ رمحه وصار يجول حتى سقط عن
فرسه ميتا وكان يقول وهو يجول ابرز يا ملك الموت وفي لفظ يا موت ابرز لي لا فاتك فلم يزل كذلك حتى
أماته الله وهذا دليل على فرط حماقته وقد وهم بعضهم فادعى بقاء عامر بن الطفيل على الاسلام الى أن
مات وذلك اشتباه وعامر بن الطفيل الاسلمي فانه صحابي رضي الله عنه قال يا رسول الله زودني كلمات
أعيش بهن قال يا عامر أفش السلام وأطعم الطعام واستحي من الله كما تستحي من رجل من أهلك واذا
أسأت فأحسن فان الحسنات يذهبن السيئات وأما عامر بن الطفيل العامري فهو الكافر وقد مات

على كفره وقدم صاحباه بعد موته على قومهما فقالوا الاربد ماوراءك يا اربد قال لاشئ والله لقد دعانا الى شئ لوددت انه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين معه جمله يتبعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة أحرقتهما وكان ذلك فى يوم صحو قائظ وأنزل الله قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وأما جبار بن سلمى الذى هو ثالثهم فقد أسلم مع من أسلم من بنى عامر وحسن اسلامه رضى الله عنه

(وفد ضمام بن ثعلبة رضى الله عنه) قيل انه وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة خمس والصواب كما قاله الحافظ ابن حجر انه سنة تسع قال ابن عباس رضى الله عنهما ما سمعنا بوافد وفد كان أفضل من ضمام ابن ثعلبة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه متكئا جاءه رجل من أهل البادية على جمل فأناخه فى المسجد ثم عقله وقال أيكم ابن عبد المطلب وفى رواية أيكم محمد قالوا هذا المتكئ فقال انى سائلك فشدد عليك فلا تجد على فقال سل عما بدا لك فقال يا محمد جاءنا رسولك فذكر لنا انك تزعم ان الله أرسلك قال صدق فقال أنشدك برب من قبلك ورب من بعدك وفى رواية أنشدك بالذى خلق السموات والارض ونصب هذه الجبال آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا وان نخلع هذه الانداد التى كان آباؤنا يعبدونها قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك أن نأخذ من أموال أغنيائنا فنرده على فقرائنا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من اثنى عشر شهرا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن نحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلا قال اللهم نعم قال آمنت وصدقت وانا ضمام بن ثعلبة ولما رجع الى قومه كان أول شئ تكلم به أن سب اللات والعزى فقال له قومه يا ضمام اتق البرص اتق الجذام اتق الجنون فقال ويلكم انهما والله لا يضران ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه وانى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه فلم يبق من القوم رجل ولا امرأة الا وأسلم

(وفد عبد القيس) وكانت منازلهم بالبحرين وكان ممن وفد فيهم الجارود وكان نصرانيا قد قرأ الكتب فقال أبياتا يخاطب بها النبى صلى الله عليه وسلم منها قوله

يا نبى الهدى أتاك رجال * قطعت فدفدا وآلا فآلا
تتقى وقع يوم عبوس * أوجل القلب ذكره ثم هالا

والفدفد المفازة والآل ما يرفع الشخوص فى أول النهار وفى آخره وقيل السراب قيل كان مجيئهم سنة عشر فعرض صلى الله عليه وسلم الاسلام على الجارود بعد انشاده الابيات فقال يا محمد انى كنت على دين وانى تارك دينى لدينك فتضمن لى دينى فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم انا ضامن أن قد هداك الله الى ما هو خير منه فأسلم وأسلم أصحابه وجاء فى رواية انه كان مع الجارود سلمة بن عياض الاسدى وان الجارود قال لسلمة ان خارجا خرج يزعم انه نبى فهل لك أن نخرج اليه فان رأينا خيرا دخلنا فيه وأنا أرجو أن يكون هو النبى الذى بشر به عيسى ابن مريم لكن يضمر كل واحد منا ثلاث مسائل يسأله عنها لا يخبر بها أصاحبه فلعمرى ان أخبرنا بها انه لنبى يوحى اليه فلما قدما عليه صلى الله عليه وسلم قال له الجارود بم بعثك ربك يا محمد قال بشهادة أن لا اله الا الله وأنى عبد الله ورسوله والبراءة من كل ند يعبد من دون الله وباقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة لحقها وصوم رمضان وحج البيت من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد قال الجارود يا محمد ان كنت نبيا أخبرنا عما أضمرنا عليه فخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة كأنها سنة ثم رفع رأسه والعرق يتحدر عنه فقال أما أنت يا جارود

فلذا أمرت أن تسألني عن دم الجاهلية وعن حلف الجاهلية وعن المتعة ألا وانّ دم الجاهلية
موضوع وحلفها مردود ولا حلف في الاسلام ألا وانّ أفضل الصدقة أن تمنح أخاك ظهر دابة أو لبن شاة
وأما أنت يا سلمة فلذا أمرت أن تسألني عن عبادة الاوثان وعن يوم السباسب وعن عقل الهجين وأما
عبادة الاوثان فان الله تعالى يقول انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون وأما
يوم السباسب فقد أعقب الله ليلة خيرا من ألف شهر فاطلبوها في العشر الاواخر من رمضان فانها ليلة
بلجة سمحة لا ريح فيها تطلع الشمس في صبيحتها لا شعاع لها وأما عقل الهجين فان المؤمنين اخوة تتكافأ
دماؤهم يجير أقصاهم على أدناهم أكرمهم عند الله أتقاهم فقالا نشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك
له وانك عبده ورسوله وذكر بعضهم ان وفد عبد القيس كان قبل فتح مكة ويمكن أن وفادتهم تكررت
وجزم بذلك في المواهب وجاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم بينما هو يحدث أصحابه اذ قال لهم
سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق وفي رواية يأتي ركب من المشرق لم يكرهوا على
الاسلام قد أنضوا أي أهزلوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فقام عمر رضي الله عنه
فتوجه نحو مقدمهم فلقي ثلاثة عشر راكبا وقيل كانوا عشرين راكبا وقيل كانوا أربعين رجلا فقال من
القوم قالوا من بني عبد القيس فقال أما ان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكركم آنفا فقال خيرا ثم مشى
معهم حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر للقوم هذا صاحبكم الذي تريدون فرمى القوم بأنفسهم
عن ركائبهم بباب المسجد وحلوا ثياب سفرهم وتبادروا يقبلون يده صلى الله عليه وسلم ورجله وكان
فيهم عبد الله بن عوف الاشج وهو رأسهم وكان أصغرهم سنا فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع
المتاع وذلك بمرأى من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما ثم جاء يمشي حتى
أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها وكان رجلا دميما ففطن لنظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى دمامته فقال يا رسول الله انه لا يستقي أي لا يشرب في مسوك الرجال أي جلودهم انما يحتاج
من الرجل الى أصغريه لسانه وقلبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيك خلتين وفي رواية
خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما قال بل
الله تعالى جبلك عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله والاناة كقناة
التؤدة أي التأني في الامر وقد جاء في الحديث التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة
وعشرين جزءا من النبوة وفي رواية انهم لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من
القوم قالوا من ربيعة فقال مرحبا بالقوم وفي رواية بالوفد غير خزايا ولا ندامى فقالوا يا رسول الله
انا نأتيك من شقة بعيدة أي لان مساكنهم بالبحرين أي وما والاها من أطراف العراق وانه يحول
بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام وصرح في بعض الروايات
بانه رجب فمرنا بأمر نأخذه ونخبر به من وراءنا وندخل به الجنة فقال آمركم بالايمان بالله أتدرون
ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان
وان تعطوا الخمس من المغنم وفي مسند الامام أحمد ذكر الحج فيما أمرهم به وأنهاكم عن الدباء والحنتم
والنقير وفي رواية والمقير والمراد النهي عن انتباذ النبيذ في هذه الاشياء لانها تسرع بالتخمير
الذي هو سبب الاسكار والدباء القرع والحنتم جرار مدهونة بدهان أخضر والنقير أصل النخلة
ينقر فيتخذ فيه التمر والمقير ما طلي بالقار وهو الزفت وجاء في رواية بدل المقير والمزفت وفي رواية
قال واشربوا في أسقية الادم أي الجلود يعني انبذوا فيها بدل تلك الاواني فقالوا يا رسول الله ان
أرضنا كثيرة الجرذان أي الفيران أي لا تبقى فيها أسقية الادم قال وان أكلها الجرذان قال ذلك

مرتين أو ثلاثا فقال له الاشج يارسول الله ان أرضنا ثقيلة وخمة وانا اذا لم نشرب هذه الاشربة عظمت بطوننا فرخص لنا في مثل هذه وأومأ بكفه فقال صلى الله عليه وسلم يا اشج ان أرخصت لك في مثل هذه شربته في مثل هذه وفرج يديه وبسطها يعني أعظم منها حتى اذا ثمل أحدكم من شرابه أي سكر قام الى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وكان في القوم رجل قد وقع له ذلك وهو جهم بن قثم قال فلما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت اسدل ثوبي لاغطي الضربة وقد أبداها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وفي رواية انهم سألوه عن النبيذ فقالوا يارسول الله ان أرضنا أرض وخمة لا يصلحنا الا النبيذ قال قال فلا تشربوا في النقير فكاني بكم اذا شربتم في النقير قام بعضكم الى بعض بالسيوف فضرب رجل منكم ضربة لا يزال يعرج منها الى يوم القيامة فضحكوا فقال ما يضحككم قالوا والله لقد شربنا في النقير فقام بعضنا الى بعض بالسيوف فضرب هذا ضربة بالسيف فهو اعرج كما ترى ثم ذكر لهم أنواع تمر بلدهم فقال لكم تمرة تدعونها كذا وتمرة تدعونها كذا فقال له رجل من القوم بأبي أنت وأمي يارسول الله لو كنت ولدت في جوف هجر ما كنت باعلم منك الساعة اشهد انك رسول الله فقال ان أرضكم رفعت لي منذ قعدتم فنظرت من ادناها الى أقصاها وقال لهم خير تمركم البرني يذهب بالداء ولا داء معه وانما اقتصر في المناهي على شرب الانبذة في الاوعية المذكورة مع ان في المناهي ما هو أشد في التحريم لكثرة تعاطيهم لها ثم ان النهي عن الانتباذ في هذه الاواني انما كان في أول تحريم الخمر حين كانت نفوسهم راغبة في شربها معتادة لها ثم لما استقر أمر التحريم وتوطنت نفوسهم على تركها والتباعد عنها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الانتباذ في هذه الاواني فانتبذوا في كل اناء واجتنبوا المسكر فالنهي عن الانتباذ فيها منسوخ والقصد اجتناب المسكر فقط والله أعلم

(وفد بني حنيفة) ابن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم وكانوا سبعة عشر رجلا ومعهم مسيلمة الكذاب قيل جاءت بنو حنيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم مسيلمة يسترونه بالثياب تعظيما له وكانت تلك عادتهم فيمن يعظمونه وكان أمره عند قومه كبيرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في أصحابه معه عسيب من سعف النخل في رأسه خويصات فلما انتهى مسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلم النبي صلى الله عليه وسلم وسأله ان يشركه معه في النبوة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سألتني هذا العسيب ما اعطيتكه وقيل ان بني حنيفة جعلوه في رحالهم فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا يارسول الله انا قد خلفنا صاحبنا في رحالنا يحفظها لنا فأمر له صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر لواحد من القوم وقال اما انه ليس بشركم مكانا فلما رجعوا وانتهوا الى اليمامة ادعى مسيلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم اشركه معه في النبوة وقال لمن وفد معه ألم يقل لكم حين ذكرتموني اما انه ليس بشركم مكانا ماذاك الا لما كان يعلم اني اشركت معه في الامر أي وهو صلى الله عليه وسلم انما أراد بذلك انه حفظ ضيعة أصحابه وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه وقد بلغه صلى الله عليه وسلم ان مسيلمة قال ان جعل لي محمد الامر من بعده اتبعته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان سألتني هذه القطعة ما اعطيتكها واني لاراك الذي رأيت منه ما رأيت وهذا قيس يجيبك عني ثم انصرف عنه صلى الله عليه وسلم والذي رأى منه صلى الله عليه وسلم هو انه رأى في المنام ان في يده سوارين من ذهب قال فاهمني شأنهما فأوحى الله الي في المنام ان انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي أي وهما

الاسود العنسى صاحب صنعاء ومسيلمة صاحب اليمامة فان كلامنهما ادعى النبوة فى حياته صلى الله عليه وسلم وكان العنسى يقول ان ملكا يقال له ذوالنون يأتينى كما يأتى جبريل محمدا فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لقد ذكر ملكا عظيما فى السماء يقال له ذوالنون وجمع بعضهم بين هذا الذى فى الصحيحين وماهنا بأنه يجوز أن يكون مسيلمة قدم مرتين الاولى كان فيها تابعا ومن ثم جاؤا به مستورا حتى انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم أوقام فى حفظ الرحل كما تقدم والثانية كان متبوعا لم يحضر أنفة واستكبارا وعامله صلى الله عليه وسلم معاملة الكرام تألفا له فأتاه الى قومه وهو فيهم ولما خرج الاسود العنسى بصنعاء وادعى النبوة غلب عامل النبى صلى الله عليه وسلم على صنعاء وهو المهاجر بن أبى أمية ويقال انه مر به فلما حاذاه عثر حمار المهاجر فادعى الاسود انه سجد له ولم يقم الحمار حتى قال له شيئا فقام وكان مع الاسود شيطانان يقال لاحدهما سحيق بمهملتين وقاف مصغرا والآخر شقيق بمعجمتين وقافين مصغرا وكانا يخبرانه بكل شئ يحدث من امور الناس وكان باذان عاملا للنبى صلى الله عليه وسلم أيضا بصنعاء فمات فجاء شيطان الاسود فأخبره فخرج فى قومه حتى ملك صنعاء وتزوج المرزبانة زوجة باذان فواعدت فيروز الديلمى وغيره فدخلوا عليه ليلا وقد سقته الخمر صرفا حتى سكر وكان على بابه ألف حارس فنقب فيروز ومن معه الجدار حتى دخلوا فقتله فيروز واحتز رأسه وأخرجوا المرأة وما أحبوا من متاع البيت وأرسلوا الخبر الى المدينة فوافاهم عند وفاته صلى الله عليه وسلم قال أبو الاسود عن عروة اصيب الاسود قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بيوم وليلة فأتاه الوحى فأخبر أصحابه ثم جاء الخبر الى أبى بكر وقيل وصل الخبر بذلك صبيحة دفن النبى صلى الله عليه وسلم وقصة أبى مسلم الخولانى مع الاسود العنسى مشهورة رواها جملة من أصحاب السنن عن جملة من الصحابة حتى قال بعضهم انها من المشهور المستفيض وحاصلها ان الاسود العنسى بعث الى أبى مسلم الخولانى لما ادعى الاسود النبوة بصنعاء اليمن فلما جاءه قال له أتشهد أنى رسول الله قال ما أسمع قال أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم فردد ذلك عليه مرارا وهو يقول كما قال أولا فأمر بنار عظيمة فأججت ثم ألقى فيها أبو مسلم فلم تضره فقيل له انفه عنك والا أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فأتى المدينة وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر الصديق رضى الله عنه فأناخ راحلته بباب المسجد ودخل يصلى الى سارية فبصر به عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ممن الرجل قال من أهل اليمن قال مافعل صاحبنا الذى أحرقه الكذاب قال أنا هو قال أنشدك الله أنت هو قال اللهم نعم فاعتنقه عمر رضى الله عنه ثم بكا وأتى به حتى أجلسه بينه وبين أبى بكر رضى الله عنهما ثم قال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله قال ابن عباس رضى الله عنهما أنا أدركت أمداد خولان يقولون للامداد من بنى عنس صاحبكم الكذاب أحرق صاحبنا بالنار فلم تضره ونقلة هذا الحديث مشهورون ومجراه مجرى الاستفاضة ثم ان مسيلمة حين ادعى النبوة صار يتكلم بالهذيان ليضاهى به القرآن فمن ذلك قوله قبحه الله لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا وصنع اللعين سجعا ومراده أن يكون على منوال سورة الكوثر فقال انا أعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر ان مبغضك رجل فاجر وفى رواية انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وبادر فى الليالى الغوادر وفى رواية انا أعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر واحذر أن تحرص أو تكاثر فنطق اللعين المخذول أن الجواهر تعادل الكوثر فجهل اللغة مع أن الكوثر الخير الكثير فليت شعرى ما الذى جاء به فانه أخذ لفظ القرآن وحرف الكلم عن مواضعه وأبدل شانئك بمبغضك ولكونه هو الفاجر أتى الفجور فى لباسه وصرف عن الاتيان بمثله ولم يعرف

المخذول انه محروم عن الوصول الى المطلوب فما أقبح هذا التسجيع الركيك الذي لا يساوي أقل كلام من كلام الفصحاء فضلا عن كلام رب العالمين ثم ان اللعين وضع عن قومه الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا ترغيبا لهم في اتباعه وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة ويدعي أنه مشارك له وهذا من سخافة عقله اذ النبي لا يبيح المحرمات وكانت دعوى مسيلمة النبوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لكن لم تظهر شوكته ولم تقع محاربته الا في زمن الصديق رضي الله عنه وكان مسيلمة أقوى أسباب الفتنة على بني حنيفة جمع جموعا كثيرة ليقاتل بها الصحابة فجهز له الصديق رضي الله عنه جيشا أمر عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتل أصحاب مسيلمة ثم كان الفتح بقتل مسيلمة قتله عبد الله بن زيد ابن عاصم الانصاري المازني وقيل عدي بن سهل وقيل أبو دجانة رضي الله عنه وقيل وحشي والاول أشهر ولعل عبد الله بن زيد هو الذي ضربه أولا وكمل عليه الآخرون وفي البخاري عن وحشي لما خرج مسيلمة قلت لأخرجن اليه لعلي أقتله فأكافئ به حمزة فخرجت مع الناس فاذا رجل قائم كأنه جمل أورق ثائر الرأس فرميته بحربتي فوضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه وضربه رجل من الانصار بالسيف على هامته وكان عمره حين قتل مائة وخمسين سنة وقال رجل من بني حنيفة يرثيه

لهفي عليك أبا ثمامه * لهفي على ركن اليمامه
كم آية لك فيهما * كالشمس تطلع من غمامه

قال السهيلي وكذب أي هذا القائل بل كانت آياته منكوسة ذكر بعضهم انه دعا لابنين له بالبركة فرجع الى منزله فوجد أحدهما قد سقط في بئر والآخر أكله الذئب وتفل مرة في بئر فملح ماؤها ومسح رأس صبي فقرع قرعا فاحشا والله سبحانه وتعالى أعلم

وفد *(وفد طيء)* وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفد طيء وفيهم قبيصة بن الاسود وسيدهم زيد الخيل قيل له ذلك لخمسة أفراس كانت له وكان زيد أعظم قومه جودا وخلقا وأحسنهم وجها وشعرا وكان يركب الفرس الطويل العظيم فتخط رجلاه في الارض كأنه راكب حمار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه الحمد لله الذي أتى بك من حزنك وسهلك وسهل قلبك للايمان ثم قبض على يده فقال من أنت فقال أنا زيد الخيل بن مهلهل أشهد أن لا اله الا الله وانك عبد الله ورسوله فقال له بل أنت زيد الخير وعرض الاسلام على من معه فأسلموا وحسن اسلامهم وقال صلى الله عليه وسلم في حق زيد الخيل ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني الا رأيته دون ما قيل فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ ما قيل فيه كل ما فيه وسماه زيد الخير وأجاز كل واحد منهم خمس أواق وأعطى زيد الخيل اثنى عشر أوقية ونشا وأقطعه محلين من أرضه وكتب له بذلك كتابا ولما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى قومه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجوز زيد من حمى المدينة أي ما ينجو منها ففي اثناء الطريق أصابته الحمى وفي لفظ قال له يا زيد تقتلك أم ملدم يعني الحمى ولما مات أقام قبيصة بن الاسود النائحة عليه سنة ثم وجه براحلته ورحله وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أقطعه فيه محلين بأرضه فلما رأت امرأته الراحلة أضرمتها بالنار فاحترقت واحترق الكتاب وقيل ان زيد الخير بقي الى خلافة عمر رضي الله عنه وانه لما ارتدت العرب عند موت النبي صلى الله عليه وسلم ثبت على الاسلام وكتب الى أبي بكر بهذين البيتين

أماتخشين الله بنت أبي نصر * فقد قام بالامر الجلي أبو بكر
نجي رسول الله في الغار وحده * وصاحبه الصديق في معظم الامر

(وفد عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه) قال عدي بن حاتم رضي الله عنه كنت امرأ شريفا في قومي آخذ الربع من الغنائم كما هو عادة سادات العرب في الجاهلية فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ما رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني فقلت لغلام كان راعيا لابلي لا أبالك اعزل لي من ابلي اجمالا ذللا سمانا فاحبسها قريبا مني فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذني ثم انه أتاني ذات يوم فقال يا عدي ما كنت صانعا اذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن فاني قد رأيت الرايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد فقلت له قرب لي أجمالي فقربها فاحتملت أهلي وولدي والتحقت بأهل ديني من النصارى بالشام وخلفت بنتا لحاتم في الحاضر فأصيبت فيمن أصيب من الحاضر أي سبيت فلما قدمت في السبايا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ رسول الله هربي الى الشام من عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساها وحملها وأعطاها نفقة وخرجت الى ان قدمت على الشام فوالله اني لقاعد في أهلي اذ نظرت الى ظعينة تؤمنا فقلت ابنة حاتم فاذا هي هي فلما وقفت علي قالت القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وقطعت بقية والدك وعورتك فقلت أي أخية لا تقولي الا خيرا فوالله مالي من عذر ولقد صنعت ما ذكرت ثم نزلت وأقامت عندي فقلت لها وكانت امرأة حازمة ماذا ترين في أمر هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فان يكن نبيا فللسابق اليه فضيلة وان يكن ملكا فأنت أنت فقلت والله ان هذا الرأي قال فخرجت حتى جئت المدينة فدخلت عليه فقال من الرجل فقلت عدي بن حاتم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلق بي الى بيته فوالله انه لعامدي اليه اذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها فقلت ما هذا بملك ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفا فقدمها الي وقال اجلس على هذه فقلت بل أنت فاجلس عليها قال بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارض فقلت والله ما هذا بأمر ملك ثم قال له ما معناه يا عدي بن حاتم ألست من القوم الذين لهم دين لانه كان تقدم كان نصرانيا فقلت بلى فقال ألم تكن تسير في قومك بالمرباع أي تأخذ ربع الغنيمة كما هو شأن الاشراف من أخذهم في الجاهلية ربع الغنيمة قلت بلى قال فان ذلك لم يكن يحل لك في دينك قلت أجل والله وعرفت انه نبي مرسل يعلم ما يجهل ثم قال لعلك يا عدي انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية وهي قرية بينها وبين الكوفة نحو مرحلتين على بعيرها حتى تزور البيت أي الكعبة لا تخاف ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم قال عدي وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت وأيم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفد عروة المرادي) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة مفارقا للملوك كندة وكان بين قومه مراد وبين همدان قبل الاسلام وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا في يوم يقال له الردم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أساءك ما أصاب قومك يوم الردم قال يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم ولا يسوءه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان ذلك لم يزد قومك في الاسلام الا خيرا واستعمله على مراد وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنهم على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وفد بنى زبيد) بضم الزاى وفتح الموحدة وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم وفيهم عمرو بن معدى كرب الزبيدى وكان فارس العرب مشهورا بالشجاعة شاعرا مجيدا قال لابن أخيه قيس المرادى انك سيد قومك وقد ذكر لنا ان رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول انه نبى فانطلق بنا اليه حتى نعلم علمه فان كان نبيا كما يقول فانه لا يخفى عنك اذا لقيناه اتبعناه وان كان غير ذلك علمنا علمه فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فأسلم فلما بلغ ذلك قيسا توعد عمرا فقال عمرو فى قيس أبياتا منها

فمن ذا عاذرى من ذى سفاه * يرد بنفسه شد المرادى
أريد حباءه ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مرادى

أى وبعد موته صلى الله عليه وسلم أسلم قيس فليس له صحبة وقيل بل أسلم قبل موته صلى الله عليه وسلم فله صحبة والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفد كندة) وكندة قبيلة باليمن ينسبون الى كندة لقب جدهم ثور بن عفير وله صلى الله عليه وسلم جدة منهم وهى أم جده كلاب وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثمانون من كندة وقيل ستون فيهم الاشعث ابن قيس وكان وجيها مطاعا فى قومه وهو أصغرهم فلما أرادوا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم سرحوا شعورهم وتكحلوا ولبسوا جبب الحبرة قد مجفوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أبيت اللعن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ملكا أنا محمد بن عبد الله قالوا لا نسميك باسمك قال أنا أبو القاسم فقالوا يا أبا القاسم انا خبأنا لك خبئا فما هو وكانوا خبؤا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عين جرادة فى ظرف سمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والكهانة والتكهن فى النار فقالوا كيف نعلم انك رسول الله فأخذ كفا من حصباء فقال هذا يشهد أنى رسول الله فسبح الحصى فى يده فقالوا نشهد انك رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثنى بالحق وأنزل على كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا أسمعنا منه فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والصافات صفا حتى بلغ ورب المشارق ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن بحيث لا يتحرك منه شئ ودموعه تجرى على لحيته فقالوا انا نراك تبكى أمن مخافة من أرسلك قال خشيتى منه أبكتنى بعثنى على صراط مستقيم فى مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ثم تلا ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك الآية ثم قال لهم ألم تسلموا قالوا بلى قال فما بال هذا الحرير فعند ذلك شقوه وألقوه ولعل مجفهم جاوزت الحد الجائز شرعا وكان على النبى صلى الله عليه وسلم حين دخلوا عليه حلة يمانية يقال انها حلة ذى يزن وعلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما مثلها وكان صلى الله عليه وسلم اذا قدم عليه وفد لبس أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك وقال الاشعث بن قيس له صلى الله عليه وسلم نحن بنو آكلة المرار وأنت ابن آكلة المرار يعنون جدته أم كلاب لما تقدم أنها من كندة وآكل المرار هو الحارث بن عمرو ولقب بذلك لاكله شجرا يقال له المرار فى غزوة غزاها ولما قال له الاشعث ما ذكر قال صلى الله عليه وسلم لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا وننتفى من أبينا أى لا ننتسب الى الامهات ونترك النسب الى الآباء فقال الاشعث بن قيس يا معشر كندة والله لا أسمع رجلا يقولها الا ضربته ثمانين والاشعث هذا ممن ارتد بعد النبى صلى الله عليه وسلم ثم عاد الى الاسلام فى خلافة الصديق رضى الله عنه فانه حوصر وجئ به أسيرا فقال للصديق حين أراد قتله استبقنى لحروبك وزوجنى أختك فزوجه أخته أم فروة وعاد الى الاسلام فدخل سوق الابل بالمدينة واخترط سيفه فجعل لا يرى جملا الا عرقبه فصاح الناس كفر الاشعث فلما فرغ طرح سيفه

وقال والله ما كفرت الا ان الرجل يعني أبا بكر رضي الله عنه زوجني أخته ولو كانت بلادنا كانت لي وليمة غير هذه ثم قال يا أهل المدينة انحروا وكلوا وأعطى أصحاب الابل أثمانها وقال صلى الله عليه وسلم للاشعث هل لك من ولد فقال لي غلام ولد عند مخرجي اليك لوددت أن لي به سبعة قال انهم لمجبنة مبخلة وانهم لقرة العين وثمرة الفؤاد وقد شهد الاشعث اليرموك بالشام ثم القادسية وحروب العراق وسكن الكوفة وشهد صفين مع علي رضي الله عنه ومات بعد ذلك بأربعين ليلة وصلى عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما وقيل مات سنة ثنتين وأربعين

*(وفد أزد شنوءة) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الازد وفيهم صرد بن عبد الله الازدي وكان أفضلهم فأمره على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج حتى نزل بجرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة وهي مدينة بها قبائل اليمن فحاصرها المسلمون قريبا من شهر ثم رجعوا عنها حتى اذا كانوا بجبل يقال له شكر بالشين المعجمة والكاف المفتوحتين فلما وصلوا ذلك المحل ظن أهل جرش أن المسلمين انما رجعوا عنهم منهزمين فخرجوا في طلبهم حتى اذا أدركوهم عطف المسلمون عليهم فقتلوهم قتلا شديدا وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان أي ينظران الاخبار فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال صلى الله عليه وسلم بأي بلاد الله شكر فقام الرجلان فقالا يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر فقال انه ليس بكشر ولكنه شكر قالا فما شأنه يا رسول الله قال ان بدن الله لتنحر عنده الآن يعني قتل قومهم أطلق البدن عليهم على سبيل الاستعارة أو التشبيه البليغ والمعنى أن قومكم الذين هم كالبدن في عدم الادراك حيث لم يؤمنوا وحاربوا المسلمين ينحرون نحر البدن فجلس الرجلان الى أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما فقالا لهما ويحكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لينعى لكما قومكما أي يخبر كما بموتهم فقوما اليه فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما فسألاه ذلك فقال اللهم ارفع عنهم ثم خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا في اليوم والساعة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ثم بعد ذلك وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفد جرش فأسلموا فقال لهم صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم أحسن الناس وجوها أنتم مني وأنا منكم وحمى لهم حول بلدهم .

(وفادة رسول الحارث بن كلال وأصحابه) وذلك أن الحارث بن كلال بضم الكاف والنعمان ومعافر بالفاء مكسورة وهمدان باسكان الميم وفتح الدال المهملة وهي قبيلة كتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم باسلامهم فكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن كلال والى النعمان ومعافر وهمدان أما بعد فاني أحمد الله اليكم الذي لا اله الا هو أما بعد فانه وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم أي رجوعنا من غزوة تبوك فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وان الله قد هداكم بهداه ان أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة أما بعد فان محمدا النبي أرسل الى زرعة ذي يزن وفي رواية أي زرعة بن سيف ذي يزن أن اذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفكم بالخاء المعجمة جمع مخلاف وأبلغوها رسلي وان أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا ولا تغلوا ولا تحادلوا فان رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لاهل بيته انما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل والسلام عليكم ورحمة الله

(وفادة رسول فروة بن عمرو الجذامى) وفد رسول فروة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره باسلامه واهدى فروة له صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء يقال لها فضة وحمارا يقال له يعفور وفرسا يقال لها الظرب وثيابا وقباء مرصعا بالذهب فقبل صلى الله عليه وسلم الهدية وأعطى الرسول اثنتى عشرة أوقية من فضة وكان فروة عاملا للروم على مايليهم من العرب وكان منزله معان وماحولها من أرض الشام ومعان بفتح الميم وضمها اسم جبل فلما بلغ الروم اسلامه أخذوه وحبسوه ثم ضربوا عنقه بعد أن قال له الملك ارجع عن دين محمد ونحن نعيدك الى ملكك قال لا أفارق دين محمد فانك تعلم أن عيسى بشر به ولكنك تضن بملكك

(وفد الحارث بن كعب) قد تقدم بعث خالد بن الوليد رضى الله عنه اليهم فلما رجع أقبل وفدهم معه وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدا بظلم قال صدقتم وأمر عليهم زيد بن حصين ولم يمكثوا بعد رجوعهم الى قومهم الا أربعة أشهر حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وفد رفاعة بن زيد الخزاعى) بالخاء المعجمة والزاى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا الى قومه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد انى بعثته الى قومه عامة ومن دخل منهم يدعوهم الى الله والى رسوله فمن أقبل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا رضى الله عنهم

(وفد همدان) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من همدان فيهم مالك بن نمط وكان شاعرا مجيدا فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات بكسر الحاء ثياب مخططة من برود اليمن والعمائم العدنية نسبة الى عدن مدينة باليمن سميت بذلك لان تبعا كان يحبس فيها أرباب الجرائم ووفدوا عليه على الرواحل المهرية والارحبية والمهرية نسبة الى قبيلة يقال لها مهرة باليمن والارحبية نسبة الى أرحب وصار مالك بن نمط يرتجز أى يقول الرجز بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

اليك جاوزنا سواد الريف * فى هبوات الصيف والخريف * مخطمات بحبال الليف

ومن شعره حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد

بأن رسول الله فينا مصدق * رسول أتى من عند ذى العرش مهتد

فما حملت من ناقة فوق رحلها * أشد على أعدائه من محمد

وقد أمره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وتقدم أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث خالد ابن الوليد اليهم ثم بعث عليا رضى الله عنه وأمر خالدا بالرجوع وان من كان مع خالد ان شاء بقى مع على وان شاء رجع وأنه صلى الله عليه وسلم لما جاءه خبر اسلامهم خر ساجدا ثم رفع رأسه ثم قال السلام على همدان وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال نعم الحى همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم أوتاد الاسلام

(وفد تجيب) بضم المثناة فوق وهى قبيلة من كندة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة عشر رجلا وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم التى فرض الله عليهم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وأكرم مثواهم وقالوا يارسول الله انا سقنا اليك حق الله فى أموالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوها فاقسموها على فقرائكم قالوا يارسول الله ماقدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا

فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد الله به خيرا شرح صدره للدين وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن فازداد رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبة فيهم وأرادوا الرجوع الى أهليهم فقيل لهم ما يعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم وملاقاتنا له وكلامنا اياه وما رد علينا ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه فأرسل اليهم بلالا فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم هل بقي منكم أحد قالوا غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سنا فقال أرسلوه الينا فأرسلوه فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أنا من الرهط الذين أتوك آنفا فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي قال وما حاجتك فقال يا رسول الله ان حاجتي ليست كحاجة أصحابي وان كانوا راغبين في الاسلام والله ما أخرجني الا أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني وأن يجعل غناي في قلبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه وقد قال صلى الله عليه وسلم من أراد الله به خيرا جعل غناه في نفسه وتقاه في قلبه واذا أراد الله بعبد شرا جعل فقره بين عينيه ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ثم انهم بعد ذلك وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى في الموسم الا ذلك الغلام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل الغلام الذي أتاني معكم قالوا يا رسول الله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله اني لأرجو أن يموت جميعا فقال رجل منهم أوليس يموت الرجل جميعا قال صلى الله عليه وسلم تتشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا فلعل أجله أن يدركه في بعض تلك الاودية فلا يبالي الله عز وجل في أيها هلك قالوا فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال وأزهده في الدنيا وأقنعه بما رزق فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع من رجع من أهل اليمن عن الاسلام قام في قومه فذكرهم الله والاسلام فلم يرجع منهم أحد وجعل الصديق رضي الله عنه يذكره ويسأل عنه حتى بلغه حاله وما قام به فكتب الى زياد بن الوليد يوصيه به خيرا وكان زياد واليا على حضرموت

(وفد بني ثعلبة) وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من الجعرانة أربعة نفر من بني ثعلبة مقرين بالاسلام فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته ورأسه يقطر ماء قال بعضهم فرمى ببصره الينا فأسرعنا اليه وبلال يقيم الصلاة فسلمنا وقلنا يا رسول الله انا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اسلام لمن لا هجرة له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم ثم صلى بنا الظهر ثم انصرف الى بيته فلم يلبث ان خرج الينا فدعانا فقال كيف بلادكم فقلنا مخصبون فقال الحمد لله فأقمنا أياما وضيافته تجري علينا ثم لما جاؤا يودعونه قال لبلال أجزهم فأعطى كل واحد منهم خمس أواق فضة والاوقية أربعون درهما

(وفد بني سعد هذيم من قضاعة) عن النعمان رضي الله عنه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد أي جعلها موطوءة قهرا وغلبة واستولى عليها والناس صنفان اما داخل في الاسلام راغب فيه واما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فنجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على جنازة في المسجد وهي سهيل بن بيضاء فقمنا خلفه ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى يصلي

رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبايعه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الينا فدعانا فقال ممن أنتم فقلنا من بنى سعد هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلا صليتم على أخيكم فقلنا يارسول الله ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أينما أسلمتم فأنتم مسلمون قال فأسلمنا وبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبنا فأتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه على الاسلام فقلنا يارسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال أصغر القوم خادمهم بارك الله عليه قال النعمان فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فكان يؤمنا فلما أردنا الانصراف أمر بلالا فأجازنا بأواق من فضة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله الاسلام

(وفد بنى فزارة) وفد عليه صلى الله عليه وسلم بضعة عشر رجلا من بنى فزارة فيهم خارجة بن حصن أخو عيينة بن حصن وابن أخيه الحر بن قيس بن حصن وهو أصغرهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون أى توالت عليهم السنون والجدب على ركائب عجاف أى هزال فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقال رجل منهم أى وهو خارجة يارسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا أى ما حولنا وجاعت عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا الى ربك فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر ورفع يديه حتى رئى بياض ابطيه ودعا وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلدك غيثا مغيثا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء فقام أبو لبابة رضى الله عنه فقال يارسول الله ان التمر فى المربد ثلاث مرات فقال عليه السلام اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره قال فلا والله ما فى السماء من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون ثم أمطرت السماء وقام أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه فوالله ما رأوا الشمس سبعا ثم قام الرجل يعنى الذى سأله أن يستسقى لهم فقال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه حتى رئى بياض ابطيه فقال اللهم حوالينا ولا علينا على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب

* وفى السيرة الحلبية ان هذا المطر كان عاما للمدينة وما حولها الى محل هؤلاء الوفد وان أحاديث الاستسقاء تعددت وتكررت فهذه القصة غير قصة الاعرابى الذى سأله السقيا وهو صلى الله عليه وسلم على المنبر وقد أشار صاحب الهمزية الى قصة حصول المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم حيث يقول

ودعا للانام اذ دهمتهم * سنة من محولها شهباء
فاستهلت بالغيث سبعة أيا * م عليهم سحابة وطفاء
تتحرى مواضع الرعى والسقى وحيث العطاش توهى السقاء
وأتى الناس يشتكون أذاها * ورخاء يؤذى الانام غلاء
فدعا فانجلى الغمام فقل فى * وصف غيث اقلاعه استسقاء
ثم أثرى الثرى فقرت عيون * بقراها وأحييت أحياء
فترى الارض غبه كسماء * أشرقت من نجومها الظلماء
تخجل الدر واليواقيت من نو * ر رباها البيضاء والحمراء

وحديث الاعرابي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو يخطب على المنبر يوم الجمعة اذ قام اعرابي فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقينا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما في السماء قزعة فثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن المنبر حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته قال فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابي أو غيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال ادع الله لنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل يشير بيده الى ناحية من السماء الا انفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادي شهرا فلم يجئ أحد من ناحية الا حدث بالجود أي المطر الكثير وجاء في أحاديث أنه صلى الله عليه وسلم خرج مرة أخرى الى المصلى بعد أن وعد الناس يوما أن يخرج فيه ونصب له منبر واستسقى وأجيبت دعوته ونزل المطر وجاء اليه مرة اعرابي فقال يارسول الله أتيناك ومالنا بعير يئط ولا صغير يغط ثم أنشد أبياتا منها قوله

ولبس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فدعا فسقوا ثم قال لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقام علي فقال يارسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال صلى الله عليه وسلم أجل وفي رواية لما جاءه المسلمون وقالوا يارسول الله قحط المطر ويبس الشجر وهلكت المواشي وأسنت الناس فاستسق لنا ربك فخرج صلى الله عليه وسلم والناس معه يمشون بالسكينة والوقار حتى أتوا المصلى فتقدم صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة وكان يقرأ في العيدين والاستسقاء في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الاعلى وفي الركعة الثانية بالفاتحة وهل أتاك حديث الغاشية فلما قضى صلاته استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه لكي ينقلب القحط الى الخصب ثم جثا على ركبتيه ورفع يديه وكبر تكبيرة ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا واسعا طبقا مغدقا عاما هنيئا مريئا مريعا مربعا وابلا شاملا مجللا دارا نافعا غير ضار عاجلا غير آجل اللهم غيثا تحيي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغا للحاضر منا والباد اللهم أنزل في أرضنا زينتها وأنزل علينا سكينتها اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهورا تحيي به بلدة ميتا وتسقيه مما خلقت أنعاما وأناسي كثيرا فما برحوا حتى أقبل قزع من السماء فالتأم بعضه الى بعض ثم أمطرت سبعة أيام بلياليهن لا يقلع عن المدينة فأتاه المسلمون وهو على المنبر فقالوا قد غرقت الارض وتهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله يصرفه عنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تعجبا لسرعة ملالة ابن آدم ثم رفع يديه وقال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على رؤس الظراب ومنبت الشجر وبطون الاودية وظهور الآكام فتقشعت عن المدينة ثم قال لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من الذي ينشدنا قوله فقام علي رضي الله عنه فقال يارسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال أجل فهذه الاحاديث كلها تدل على تعدد الاستسقاء وتكرره منه صلى الله عليه وسلم وفي كل مرة يسقون ففي ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم ثم أجاز صلى الله عليه وسلم بني فزارة بما يجيز به الوفود ورجعوا الى قومهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفد بني أسد) وفد عليه صلى الله عليه وسلم جماعة من بني أسد فيهم حضرمي بن عامر فدخلوا

المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد مع أصحابه فسلموا عليه وقال شخص منهم يا رسول الله صلى الله عليك وسلم أنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله ثم أسلم الباقون وقالوا جئناك يا رسول الله ولم تبعث الينا بعثا ونحن على من وراءنا وفي رواية ان حضرمي ابن عامر قال أتيناك بتدرع الليل البهيم في سنة شهباء أي ذات قحط ولم تبعث الينا وفي رواية يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك العرب فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين وسألوه عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من القيافة وهي زجر الطير والكهانة وهي الاخبار عن الكائنات في المستقبل فنهاهم عن ذلك فقالوا يا رسول الله خصلة بقيت قال وما هي قالوا الخط أي خط الرمل ومعرفة ما يدل عليه فقال علمه نبي فمن صادف مثل علمه علم وفي رواية في مسلم فمن وافق خطه خطه فذاك أي مباح له فلا يباح الا بتبين الموافقة وفي شرح مسلم أن محصل مجموع كلام العلماء الاتفاق على النهي عنه أي لانه لا طريق لنا الى العلم اليقيني بالموافقة وكأنه صلى الله عليه وسلم قال لو علمتم موافقته لكن لا علم لكم بها وأقاموا أياما يتعلمون الفرائض ثم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه وأمر لهم بجوائز ثم انصرفوا الى أهليهم

(وفد بني عذرة) قبيلة باليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا من بني عذرة وسلموا اسلام الجاهلية أي من قولهم عم صباحا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القوم فقال قائل منهم نحن من بني عذرة أخو قصي لامه نحن الذين عضدوا قصيا وأزاحوا خزاعة وبني بكر من بطن مكة فلنا قرابات وأرحام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم وأهلا ما أعرفني بكم أي لقيتم مكانا رحبا وأتيتم أهلا فاستأنسوا ولا تستوحشوا ثم قال فما يمنعكم من تحية الاسلام قالوا يا محمد كنا على ما كان عليه آباؤنا فقدمنا مرتادين لانفسنا ولقومنا ثم قالوا الام تدعو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تشهدوا أني رسول الله الى كافة الناس فقال متكلمهم فما وراء ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات تحسن طهورهن وتصليهن لمواقيتهن فانه أفضل العمل ثم ذكر لهم باقي الفرائض من الصيام والزكاة والحج فأسلموا وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الشام عليهم وهرب هرقل الى ممتنع بلاده ونهاهم عن سؤال الكاهنة لانهم قالوا له يا رسول الله ان فينا امرأة كاهنة وقريش والعرب يتحاكمون اليها أفنسألها عن أمور فقال لا تسألوها عن شئ ونهاهم عن الذبائح التي كانوا يذبحونها لاصنامهم وقالوا نحن أعوانك وأنصارك ثم انصرفوا وقد أجيزوا وكسي أحدهم بردا

(وفد بلي) على وزن علي مكبرا وهم حي من قضاعة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من بلي منهم وهو شيخهم أبو الضبيب تصغير الضب الدابة المعروفة فنزلوا على رويفع بن ثابت البلوي فقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هؤلاء قومي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك وبقومك فأسلموا وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من مات منكم على غير الاسلام فهو في النار وفي رواية عن رويفع قال قدم وفد قومي فأنزلتهم علي ثم خرجت بهم حتى انتهينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في أصحابه فسلمنا فقال رويفع فقلت لبيك قال من هؤلاء قلت قومي قال مرحبا بك وبقومك قلت يا رسول الله قدموا وافدين عليك مقرين بالاسلام وهم على من وراءهم من قومهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يهده للاسلام فتقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يدي رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال يارسول الله انا قد ساءلتك لنصدقك ونتهدأ لك في جنا وخلعنا ما كنا نعبد وآباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو في النار وقال له أبو الضبيب يارسول الله ان لي رغبة في الضيافة فهل لي في ذلك أجر قال نعم وكل معروف صنعته الى غني أو فقير فهو صدقة قال يارسول الله ما وقت الضيافة قال ثلاثة أيام فما بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحرجك أي يضيق عليك وفي افط فيؤثمك أي يعرضك للاثم بأن تتكلم بسيء القول قال يارسول الله أرأيت الضالة من الغنم أجدها في الفلاة من الارض قال لك أو لاخيك أو للذئب قال فالبعير قال مالك وله دعه حتى يجده صاحبه قال رويفع ثم قاموا فرجعوا الى منزلي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي منزلي يحمل تمرا فقال استعن بهذا التمر فكانوا يأكلون منه ومن غيره فأقاموا ثلاثة ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجازهم ورجعوا الى بلادهم

(وفد بني مرة) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلا من بني مرة ورأسهم الحارث بن عوف فقال يارسول الله انا قومك وعشيرتك نحن قوم من بني لؤي بن غالب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له أين تركت أهلك قال بسلاح وما والاها قال وكيف البلاد قال والله انا لمسنتون وما في المال صوت يرده فادع الله لنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقهم الغيث فأقاموا أياما ثم أرادوا الانصراف الى بلادهم فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم مودعين له فأمر بلالا أن يجيزهم فأجاز كل واحد بعشر أواق فضة وفضل الحارث بن عوف فأعطاه اثنتي عشرة أوقية ورجعوا الى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة فسألوا قومهم متى مطرتم فاذا هو ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخصبت بعد ذلك بلادهم

(وفد خولان) وهي قبيلة من اليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من خولان فقالوا يارسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل مصدقون برسوله قد ضربنا اليك آباط الابل وركبنا حزون الارض وسهولها والحزون كفلوس جمع حزن وهو ما غلظ من الارض والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ما ذكرتم من مسيركم الي فان لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة وأما قولكم زائرين لك فان من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة ثم سألهم عن صنم لخولان اسمه عم أنس كانوا يعبدونه فقالوا بدلنا الله ما جئت به وقد بقيت منا بقايا من شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولو قدمنا عليه هدمناه ان شاء الله تعالى فقد كنا منه في غرور وفتنة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أعظم ما رأيتم من فتنته قالوا لقد أصابتنا سنة حتى أكلنا الرمة فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا مائة ثور ونحرناها لذلك الصنم قربانا في غداة واحدة وتركناها فأكلتها السباع ونحن أحوج الى ما من السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا ولقد رأينا العشب يواري الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عم أنس وذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يقسمون لهذا الصنم من أموالهم وأنعامهم وحرثهم فقالوا كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه فنسميه له ونسمي زرعا آخر حجرا أي ناحية لله فاذا مالت الريح بالذي سميناه لله جعلناه لعم أنس يعنون الصنم ولم نجعله لله فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل عليه في ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وقالوا كنا نحاكم اليه فيتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الشياطين تكلمكم وسألوه صلى الله

عليه وسلم عن فرائض الدين فأخبرهم بها وأمرهم بالوفاء بالعهد وحسن الجوار لمن جاوروا وأن لا يظلموا أحدا فان الظلم ظلمات يوم القيامة ثم ودعوه بعد أيام وأجازهم أى أعطى كل واحد ثنتى عشرة أوقية ونشا أى نصفا ورجعوا الى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا صنمهم المسمى عم أنس

(وفد بنى محارب) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من بنى محارب وفيهم خزيمة بن سواد وكانوا أغلظ العرب وأشدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام عرضه نفسه على القبائل فى المواسم يدعوهم الى الله تعالى فجلسوا عنده يوما من الظهر الى العصر وأدام صلى الله عليه وسلم النظر لرجل منهم وقال له قد رأيتك يعنى قبل هذا اليوم فقال له ذلك الرجل انك والله لقد رأيتنى وكلمتك بأقبح الكلام ورددتك بأقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف على الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال يارسول الله ما كان فى أصحابى أشد عليك يومئذ ولا أبعد عن الاسلام منى فأحمد الله الذى جاءبى حتى صدقت بك ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معى على دينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه القلوب بيد الله عز وجل فقال يارسول الله استغفر لى من مراجعتى اياك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام يجب ما قبله من الكفر ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه خزيمة بن سواد فصارت له غرة بيضاء وأجازهم كما يجيز الوفود وانصرفوا الى أهليهم

(وفد صداء) وهم حى من عرب اليمن وفد عليه صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا من صداء وسبب ذلك انه صلى الله عليه وسلم هيأ بعثا أربعمائة من المسلمين واستعمل عليهم قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنه ودفع له لواء أبيض وراية سوداء وأمره أن يطأ ناحية اليمن التى كان فيها صداء فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم وعلم بالجيش فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله جئتك وافدا عمن ورائى فاردد الجيش وأنا لك بقومى فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد وخرج الصدائى الى قومه ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولئك القوم فقال سعد بن عبادة يارسول الله دعهم ينزلون على فنزلوا عليه فأعطاهم وأكرمهم وكساهم ثم ذهب بهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وقالوا نحن لك على من وراءنا من قومنا فرجعوا الى قومهم ففشا الاسلام فيهم فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة فى حجة الوداع ويسمى ذلك الرجل الذى كان سببا فى رد الجيش ومجىء الوفد زياد بن الحارث الصدائى وقال له صلى الله عليه وسلم يا أخا صداء انك لمطاع فى قومك قال فقلت بل من الله عز وجل ومن رسوله وفى رواية بل الله هداهم للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أؤمرك عليهم فقلت بلى يارسول الله فكتب لى بذلك فقلت يارسول الله مر لى بشئ من صدقاتهم قال نعم فكتب لى كتابا آخر قال زياد وكنت معه صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وكنت رجلا قويا فلزمت غرزه أى ركابه وجعل أصحابه يتفرقون عنه فلما كان السحر قال أذن يا أخا صداء فأذنت على راحلتى ثم سرنا حتى نزلنا فذهب لحاجته ثم رجع فقال يا أخا صداء هل معك ماء قلت معى شئ فى اداوتى أى وهى اناء من جلد صغير وفى رواية الا شئ قليل لا يكفيك قال هاته فجئته به قال صب فصببت ما فى الاداوة فى القعب أى وهو القدح الكبير وجعل أصحابه يتلاحقون ثم وضع كفه على الاناء فرأيت من بين كل أصبعين عينا تفور ثم قال يا أخا صداء لولا انى أستحيى من ربى عز وجل لسقينا وأسقينا أى من غير نهاية ثم توضأ وقال أذن فى أصحابى من كانت له حاجة بالوضوء بفتح الواو فليرد قال فورد الناس من آخرهم ثم جاء بلال يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم قال فأقمت ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا فلما سلم من صلاته قام رجل يشكو من عامله فقال يارسول الله انه أخذنا بكل شئ كان بيننا وبينه فى الجاهلية فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في الامارة لرجل مسلم ثم قام رجل آخر فقال يارسول الله اعطني من الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يكل قسمها الى ملك مقرب ولا نبي مرسل جزأها على ثمانية أجزاء فان كنت جزأ منها أعطيتك وان كنت غنيا عنها فانما هو صداع في الرأس وداء في البطن ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على رجل من قومك أستعمله فدللته على رجل منهم فاستعمله قلت يارسول الله ان لنا بئرا اذا كان الشتاء كفانا ماؤها وان كان الصيف قل علينا فتفرقنا على المياه والاسلام اليوم فينا قليل ونحن نخاف فادع الله عز وجل لنا في بئرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولني سبع حصيات فناولته فعركهن بيده الشريفة ثم دفعهن الي وقال اذا انتهيت اليها فالق فيها حصاة حصاة وسم الله قال ففعلت فما أدركنا لها قعرا حتى الساعة

غسان *(وفد غسان)* اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه ومنهم بنو جفنة وقيل غسان قبيلة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر من غسان فأسلموا وقالوا لا ندري هل يتبعنا قومنا أم لا لانهم يحبون بقاء ملكهم وقربهم من قيصر فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز وانصرفوا راجعين الى قومهم فلما قدموا عليهم ولم يستجيبوا لهم كتموا اسلامهم

سلامان *(وفد سلامان)* بفتح السين وتخفيف اللام وفي العرب بطون ثلاثة ينسبون اليه بطن من الازد وبطن من طيء وبطن من قضاعة ومنهم هؤلاء وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من سلامان فيهم حبيب بن عمرو السلامي فأسلموا قال حبيب رضي الله عنه صادفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد الى جنازة دعي اليها فقلنا السلام عليك يارسول الله فقال وعليكم من أنتم قلنا نحن من سلامان قدمنا اليك لنبايعك على الاسلام ونحن على من وراءنا من قومنا فالتفت الى ثوبان غلامه فقال أنزل هؤلاء قال حبيب قلت يارسول الله ما أفضل الاعمال قال الصلاة في وقتها وصلوا معه يومئذ الظهر والعصر ثم شكوا اليه جدب بلادهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اللهم أسقهم الغيث في دارهم فقلت يارسول الله ارفع يديك فانه أكثر وأطيب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ثم قام وقمنا معه وأقمنا ثلاثة أيام وضيافته تجري علينا ثم ودعناه وأمر لنا بجوائز فاعطانا لكل واحد منا خمس أواق فضة واعتذر الينا بلال رضي الله عنه وقال ليس عندنا اليوم مال فقلنا ما أكثر هذا وأطيبه ثم رحلنا الى بلادنا فوجدناها قد مطرت في اليوم الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

عبس *(وفد بني عبس)* وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من بني عبس فقالوا يارسول الله قدم علينا قراؤنا فأخبرونا انه لا اسلام لمن لا هجرة له ولنا أموال ومواش هي معاشنا فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا عن آخرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم أي ينقصكم من أعمالكم شيئا وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد بن سنان هل له عقب فأخبروه بانه لا عقب له كانت له ابنة فانقرضت وأنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه عن خالد بن سنان وقال انه نبي ضيعه قومه لكن ورد ليس بيني وبين عيسى نبي ويمكن الجمع بأن معنى هذا ليس بيني وبينه نبي مرسل فلا ينافي ان خالدا نبي غير مرسل

مزينة *(وفد مزينة)* وهي قبيلة تنسب الى مزينة امرأة عمرو بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر روى البيهقي عن النعمان بن مقرن المزني رضي الله عنه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة رجل وفي رواية غير النعمان ان فيهم رجالا من جهينة فلما أردنا أن ننصرف قال القوم يارسول الله ما لنا من طعام نتزوده فقال ياعمر زود القوم قال ما عندي ما أزودهم به الا شيء من تمر ما أظنه يقع

من القوم موقعا قال انطلق فزودهم فانطلق بهم فأدخلهم منزله ثم أصعدهم الى علية قال عمر رضى الله عنه فلما دخلنا اذا فيها من التمر مثل الجمل الاورق فأخذ القوم منه حاجتهم قال النعمان وكنت فى آخر من خرج فنظرت وما أفقد موضع تمرة من مكانها وفى هذا معجزة له صلى الله عليه وسلم فان التمر كان قليلا فزاد القليل حتى أخذوا منه كفايتهم واستمر على زيادته وفى رواية وقد احتمل منه أربعمائة وكأنا لم نرزأه أى ننقصه

(وفد الاشعريين) قوم أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه وهم منسوبون الى أشعر بن أدد وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم قيل وكان معهم بعض أهل اليمن من حمير بن سبا وفيهم اياس بن عمرو الحميرى فقالوا يارسول الله أتيناك لنتفقه فى الدين والمحققون على ان قدوم الاشعريين كان مع أبى موسى سنة سبع عند فتح خيبر وقدوم حمير كان فى سنة تسع وهى سنة الوفود ولذا اجتمعوا مع بنى تميم روى يزيد بن هارون عن حميد عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوبا فقدم الاشعريون فجعلوا يرتجزون قائلين غدا نلقى الاحبه * محمدا وحزبه

وروى الامام أحمد عن جبير ابن مطعم رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب وهم خيار من فى الارض فقال رجل من الانصار الا نحن فسكت صلى الله عليه وسلم ثم قال الا نحن فسكت ثم قال الا نحن يارسول الله قال الا أنتم ولما لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلموا وبايعوا فقال صلى الله عليه وسلم الاشعريون كصرة فيها مسك وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية والسكينة فى أهل الغنم والفخر والخيلاء فى الفدادين بالتشديد جمع فداد وهو من يعلو صوته وهم المكثرون من الابل أهل الوبر قبل مطلع الشمس وقوله الايمان يمان أى منسوب لاهل اليمن لان صفاء القلب ورقته ولين جوهره تؤدى الى عرفان الحق والتصديق به وهو الايمان والانقياد وقال أبو عبيدة وغيره معناه ان مبدأ الايمان من مكة لان مكة من تهامة وتهامة من اليمن وقيل مكة والمدينة لصدور هذا الكلام من النبى صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك فتكون المدينة حينئذ بالنسبة الى المحل الذى هو فيه يمانية وقيل المراد الانصار لانهم يمنيون فى الاصل فنسب الايمان اليهم لكونهم أنصاره وقيل غير ذلك ومعنى الحديث وصف الذين جاؤا بقوة الايمان وكماله ولا مفهوم له فلا يدل على ان المخاطبين من الصحابة ليسوا كذلك ثم المراد الموجودون حينئذ منهم لا كل أهل اليمن فى كل زمان والحديث يشمل من نسب الى اليمن بالسكنى وبالقبيلة فغالب من يوجد فى جهة اليمن رقاق القلوب والابدان بخلاف أهل الشمال فانهم غلاظ القلوب والابدان وفى البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنهما وعنا بهما ان نفرا من بنى تميم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا يابنى تميم فقالوا بشرتنا فأعطنا فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء نفر من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى اذلم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يارسول الله جئنا لنتفقه فى الدين ونسألك عن أول هذا الامر فقال كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شئ وروى البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اذ قال الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن نقية قلوبهم حسنة طاعتهم الايمان يمان والحكمة يمانية وروى الطبرانى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعيينة ابن حصن أى الرجال خير قال أهل نجد فقال كذبت بل هم أهل اليمن الايمان يمان الحديث والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفد دوس) وهم قوم أبى هريرة رضى الله عنه ينتهى نسبهم الى الازد وكان قدومهم بخيبر سنة سبع

قال ابن اسحاق كان الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه يحدث انه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها قبل الهجرة فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا كثير الضيافة فقالوا له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا وشتت آراءنا وانما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابنه وبين المرء وأخيه وبين الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا من الكلام فلا تكلمه ولا تسمع منه قال فوالله ما زالوا بي حتى عزمت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت في اذني حين غدوت اليه كرسفا أي قطنا فرقا من أن يبلغني شئ فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة فقمت قريبا منه فأبى الله الا أن يسمعني بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت واثكل أمي والله اني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني ان أسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان ما يقول حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت قال فمكثت حتى أتى عليه الصلاة والسلام الى بيته فتبعته حتى اذا دخل بيته دخلت عليه فقلت يا محمد ان قومك قد قالوا لي كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لاجل أن لا أسمع قولك ثم أبى الله الا أن يسمعنيه فسمعت قولا حسنا فرد الله كيدهم في نحورهم وقلب مكرهم عليهم فاعرض علي أمرك فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا علي القرآن قال فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا رسول الله اني امرؤ مطاع في قومي واني راجع اليهم فداعيهم الى الاسلام فادع الله أن يجعل لي آية فقال اللهم اجعل له آية وفي رواية اللهم اجعل له نورا قال الطفيل فخرجت الى قومي حتى اذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت اللهم في غير وجهي اني اخشى ان يقولوا انها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم فوقع في رأس سوطي فكان يضيء كالقنديل في الليلة المظلمة فكان الطفيل يسمى ذا النور فرأى قومه ذلك النور وهو مقبل عليهم قال فلما اصبحت فيهم جاءني أبي وكان شيخا كبيرا فقلت اليك عني يا أبت فلست مني ولست منك قال ولم يا بني قلت اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قال يا بني فديني دينك قال فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال أعلمك ما علمت قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فأسلم ثم أتتني صاحبتي يعني زوجته فقلت لها اليك عني فلست مني ولست منك قالت ولم قلت فرق الاسلام بيني وبينك اسلمت وتابعت محمدا قالت فديني دينك ثم أمرها فذهبت فاغتسلت وجاءت فعرض عليها الاسلام فاسلمت ثم دعا دوسا الى الاسلام فأجابه أبو هريرة رضي الله عنه وأبطأ الباقون قال فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقلت يا رسول الله قد غلبني على دوس الزنا أي حبهم له وعلمهم بانهم ان أسلموا منعوا منه فادع الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اهد دوسا وائت بهم ثم قال ارجع الى قومك فادعهم الى الله وارفق بهم فرجعت اليهم فلم أزل بأرض دوس ادعوهم الى الله حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا وكانوا في العدد أربعمائة ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال مرحبا بأحسن الناس وجوها وأطيبهم افواها أي كلاما وأعظمهم امانة وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع ابن عرفطة الغفاري فقرأ في الركعة الاولى بسورة مريم وفي الاخيرة ويل للمطففين فلما قرأ اذا اكتالوا على الناس يستوفون قلت تركت عمي له مكيالان اذا اكتال اكتال بالاوفى واذا كال كال بالناقص فلما فرغنا من صلاتنا قال قائل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وهو قادم عليكم فقلت

لا اسمع به فى مكان ابدا الا جئته فزودناسباع وجئنا خيبر فنجده قد فتح النطاة وهو محاصر الكتيبة فأقمنا حتى فتح الله علينا فاسهم لنا مع المسلمين ويروى ان الطفيل بن عمرو رضى الله عنه قال لم أزل مع النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا فتح الله عليه مكة قلت يارسول الله ابعثنى الى صنم عمرو بن حممة يعنى صنم دوس حتى أحرقه فبعثه فهدمه ثم أوقد النار عليه وهو يقول

يا ذا الكفين لست من عبادكا * ميلادنا أقدم من ميلادكا * انى حشوت النار فى فؤادكا

ثم رجع فكان مع المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى قبض فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين حتى فرغوا من قتال أهل الردة من أهل اليمامة وغيرهم وكان وهو متوجه الى اليمامة ومعه ابنه عمرو رأى رؤيا فقال لاصحابه انى رأيت رؤيا فاعبروها الى انى رأيت ان رأسى قد حلق وانه خرج من فى طائر ولقيتنى امرأة فادخلتنى فى فرجها وان ابنى يطلبنى طلبا حثيثا ثم رأيته حبس عنى قالوا خيرا قال اما انا والله فقد أولتها قالوا ماذا قال اما حلق رأسى فوضعه وأما الطائر الذى خرج من فى فروحى وأما المرأة التى أدخلتنى فى فرجها فالارض تحفر لى فاغيب فيها وأما طلب ابنى اياى ثم حبسه عنى فانى أراه سيجهد ان يصيبه ما أصابنى فاستشهد الطفيل باليمامة وجرح ابنه جراحة شديدة ثم شفى منها ثم استشهد عام اليرموك زمن عمر رضى الله عنه وقال بعض أهل المغازى ان الطفيل استشهد باليرموك وجزم بهذا ابن حبان وقال موسى بن عقبة انه استشهد باجنادين وأخرج البغوى عن الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه قال أقرأنى ابى بن كعب القرآن فأهديت له فرسا والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفد طارق بن عبد الله المحاربى رضى الله عنه) روى البيهقى عن جامع بن شداد المحاربى قال حدثنى رجل يقال له طارق بن عبد الله المحاربى قال انى لقائم بسوق ذى المجاز وكان على فرسخ من عرفة بناحية كبكب اذ أقبل رجل فسمعته وهو يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة وقد أدمى كعبيه يقول يا أيها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا قالوا غلام من بنى هاشم يزعم انه رسول الله قلت من هذا الذى يفعل به هذا الاذى قالوا عمه عبد العزى أبو لهب قال فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الربذة وهى موضع معروف به قبر أبى ذر رضى الله عنه نريد المدينة نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلنا لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه فاذا رجل فى طمرين له فسلم وقال من أين أقبل القوم قلنا من الربذة قال وأين تريدون قلنا نريد المدينة قال ما حاجتكم فيها قلنا نمتار من تمرها قال طارق بن عبد الله ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل احمر مخطوم فقال اتبيعونى جملكم هذا قلنا نعم بكذا وكذا صاعا من تمر فأخذ بخطام الجمل فانطلق به فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمنا فعرضناه للضياع قال طارق فقالت المرأة التى معنا والله لقد رأيت رجلا كأن وجهه قطعة القمر ليلة البدر انا ضامنة لثمن جملكم وفى رواية قالت الظعينة فلا تلاوموا أى لا يلم بعضكم بعضا لقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم ما رأيت شيئا اشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه فلما كان العشى أتانا رجل فقال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم هذا تمركم الذى بعتم به جملكم فكلوا واشبعوا واكالوا واستوفوا أى فلا تسامحوا فى الكيل فى مقابلة اكالكم قال فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم دخلنا المدينة فلما دخلنا المسجد اذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فأدركنا من خطبته وهو يقول تصدقوا فان الصدقة خير لكم اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول أمك فأباك وأختك وأخاك وأدناك فأدناك فقام رجل من الانصار فقال يارسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع قتلوا فلانا فى الجاهلية فخذلنا بثارنا فرفع صلى الله عليه وسلم يده حتى رأيت بياض ابطه فقال لا تجنى

أم على ولد مرتين وأسلم القوم على يديه صلى الله عليه وسلم ثم رجعوا الى أهلهم والله أعلم

بهراء *(وفد بهراء)* بالمد قبيلة من قضاعة روى الواقدى عن كريمة بنت المقداد قالت سمعت أمى ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب تقول قدم وفد بهراء من اليمن وكانوا ثلاثة عشر رجلا فأقبلوا يقودون رواحلهم فلما انتهوا الى باب المقداد ونحن فى منازل الانصار خرج اليهم المقداد فرحب بهم وقدم لهم جفنة من حيس وهو تمر يعجن بسمن وأقط فأكلوا منها حتى نهلوا وردت القصعة وفيها شئ فجمع فى قصعة صغيرة فأرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سدرة مولاة ضباعة وهو فى بيت أم سلمة رضى الله عنها فأصاب منها هو ومن معه فى البيت حتى نهلوا ثم قال اذهبى بما بقى الى ضيفكم فرجعت بها فأكل منها الضيف ما أقاموا أى مدة اقامتهم يرددون ذلك عليهم وما تغض حتى جعلوا يقولون للمقداد يا أبا معبد انك لتنهلنا من أحب الطعام الينا وما كنا نقدر على مثل هذا الا فى الحين فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه أكل منها وردها فان هذه بركة أصابعه عليه الصلاة والسلام فجعل القوم يقولون نشهد انه رسول الله وازدادوا يقينا وذلك الذى أراد صلى الله عليه وسلم فاظهروا الاسلام ونطقوا بالشهادتين وتعلموا الفرائض وأقاموا أياما ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر لهم بجوائز وانصرفوا الى أهلهم باليمن

غامد *(وفد غامد)* قبيلة من الازد باليمن قدم عليه صلى الله عليه وسلم سنة عشر عشرة من غامد فنزلوا فى بقيع الغرقد وفيه يومئذ أثل وطرفاء ثم انطلقوا الى النبى صلى الله عليه وسلم وخلفوا أصغرهم فى رحالهم وأقروا بالاسلام وسلموا على النبى صلى الله عليه وسلم وكتب لهم كتابا فيه شرائع الاسلام وقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم من خلفتم فى رحالكم قالوا أحدثنا سنا قال فانه قد نام عن متاعكم حتى أتى آت فأخذ عيبة أحدكم فقال أحدهم مالاحد عيبة غيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذت وردت الى موضعها فخرجوا حتى أتوا رحالهم فسألوا الذى خلفوه فقال فزعت من نومى ففقدت العيبة فقمت فى طلبها فاذا رجل كان قاعدا فثار يعدو منى فانتهيت الى حيث انتهى فاذا أثر حفر واذا هو قد غيب العيبة فاستخرجتها فقالوا نشهد انه رسول الله فانه قد أخبرنا خبرها وانها قد ردت فرجعوا وأخبروه صلى الله عليه وسلم وجاء الغلام الذى خلفوه فأسلم وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أبى بن كعب أن يعلمهم قرآنا ثم أجازهم كما يجيز الوفود وانصرفوا الى بلادهم

الازد *(وفد الازد)* قدم عليه صلى الله عليه وسلم قوم من الازد ينسبون الى جدهم الاعلى وهو الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان روى أبو نعيم عن سويد بن الحارث الازدى رضى الله عنه قال وفدت سابع سبعة من قومى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال ما أنتم أى ما صفتكم قلنا مؤمنون فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وايمانكم قلنا خمس عشرة خصلة خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها وخمس أمرتنا أن نعمل بها وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية فنحن عليها الا أن تكره شيئا منها فنتركه فقال صلى الله عليه وسلم ما الخمس التى أمرتكم بها رسلى أن تؤمنوا بها قلنا أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال وما الخمس التى أمرتكم رسلى أن تعملوا بها قلنا أمرتنا أن نقول لا اله الا الله أى مع محمد رسول الله ونقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ان استطعنا اليه سبيلا قال وما الخمس التى تخلقتم بها فى الجاهلية قلنا الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والرضا بمر القضاء والصدق فى مواطن اللقاء وترك الشماتة بالاعداء فقال صلى الله عليه وسلم حكماء علماء أى هم حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء

ثم قال وأنا أزيدكم خمسا فتتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون أى متصفين بالخمس عشرة التى ذكرتم فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا فى شئ أنتم عنه غدا زائلون واتقوا الله الذى اليه ترجعون وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه الصلاة والسلام وعملوا بها توفيقا من الله تعالى ببركته صلى الله عليه وسلم

(وفد بنى المنتفق) وهى قبيلة من عامر بن صعصعة قدم عليه صلى الله عليه وسلم جماعة من بنى المنتفق وفيهم لقيط بن عامر بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق قال فوافقناه حين انصرف من صلاة الغداة أى الصبح فقام فى الناس خطيبا فلما فرغ قلت يارسول الله علام نبايعك فبسط صلى الله عليه وسلم يده وقال على اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن لا تشركوا بالله شيئا قال قلت يارسول الله وان لنا ما بين المشرق والمغرب فقال تحل منها حيث شئت ولا يجنى عليك الا نفسك فلما انصرفنا عنه قال انهم من أتقى الناس لله فى الدنيا والآخرة فقال له بعض أصحابه من هم يارسول الله قال بنو المنتفق قالها ثلاثا

(وفد النخع) بفتح النون والخاء المعجمة قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود وكان وفودهم سنة احدى عشرة فى النصف من المحرم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا رجل من النخع مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل رضى الله عنه فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو يارسول الله انى رأيت فى سفرى هذا عجبا وفى رواية رأيت رؤيا هالتنى قال وما رأيت قال رأيت أتانا تركتها فى الحى ولدت جديا أى وهو ولد المعز أسفع أحوى والاسفع الذى سواده مشرب بحمرة والاحوى الذى ليس شديد السواد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت لك أمة مصرة على حمل قال نعم قال فانها قد ولدت غلاما وهو ابنك فقال يارسول الله فما له أسفع أحوى قال ادن منى فدنا منه فقال هل بك برص تكتمه قال فوالذى بعثك بالحق ما علم به أحد ولا اطلع عليه غيرك قال هو ذاك قال يارسول الله ورأيت النعمان بن المنذر أى وهو ملك العرب وعليه قرطان والقرط ما يكون فى شحمة الاذن ودملجان بضم الدال المهملة وضم اللام وفتحها ومسكتان بفتح الميم والسين المهملة قال ذلك ملك العرب رجع الى أحسن زيه وبهجته قال يارسول الله ورأيت عجوزا شمطاء أى يخالط شعر رأسها الابيض شعر أسود خرجت من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورأيت نارا خرجت من الارض فحالت بينى وبين ابن لى يقال له عمرو وهى تقول لظى لظى بصير وأعمى أطعمونى أكلكم وأهلكم ومالكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون فى آخر الزمان قال يارسول الله وما الفتنة قال يقتل الناس امامهم ويشتجرون اشتجار أطباق الرأس أى يشتبكون فى الفتنة اشتباك أطباق الرأس وخالف رسول الله بين أصابعه يحسب المسئ فيها انه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن أسهل وفى رواية أحلى من شرب الماء وان مات ابنك أدركت الفتنة وان مت أنت أدركها ابنك قال يارسول الله ادع الله انى لا أدركها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تدركها ابله فمات وبقى ابنه عمرو ولم يجتمع به صلى الله عليه وسلم فهو تابعى وكان ممن خلع عثمان رضى الله عنه وفى رواية أن النخع بعثوا رجلين ارطاة بن شرحبيل من بنى حارثة والارقم من بنى بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهما الاسلام فقبلاه فبايعاه على قومهما وأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما وحسن هيئتهما وقال لهما خلفتما وراءكما من قومكما مثلكما قالا يارسول الله قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلا كلهم أفضل منا وكلهم يقطع الامر وينفذ من الاشياء ما يشاء فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقومهما بخير وقال اللهم بارك فى النخع وعقد لارطاة لواء على قومه فكان فى يده يوم الفتح وشهد به القادسية وقتل يومئذ لكن قوله وكان فى يده يوم الفتح لا يناسب ما تقدم ان وفد النخع كان

قدومه في المحرم سنة احدى عشرة الا أن يقال ان هذين وفدا قبل وفود النخع والله سبحانه وتعالى أعلم

(باب بيان كتبه صلى الله عليه وسلم) التي أرسلها الى الملوك يدعوهم فيها الى الاسلام أي في الغالب والا فمنها ما ليس كذلك ولما أراد صلى الله عليه وسلم أن يكتب للملوك قيل له يا رسول الله انهم لا يقرؤن كتابا الا اذا كان مختوما أي لكون في ذلك اشعار بأن الاحوال المعروضة عليهم ينبغي أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وفيه أن هذا واضح اذا كان الختم عليها بأن يطويها ويجعل عليها نحو شمع ويختم فوق ذلك والظاهر أن ذلك لم يكن وحينئذ يكون الغرض من ذلك أمن التزوير بعده مع الختم فاتخذ صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة أي بعد أن اتخذ خاتما من ذهب فاقتدى به ذووا اليسار من أصحابه فصنعوا خواتيم من ذهب ولما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لبس أصحابه خواتيمهم فأخبره جبريل عليه السلام من الغد بأن لبس الذهب حرام على ذكور أمتك فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الخاتم فطرح أصحابه خواتيمهم وكان نقش خاتمه الفضة ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر والاسطر الثلاثة تقرأ من أسفل الى فوق فمحمد آخر الاسطر ورسول في الوسط والله فوق وكانت الكتابة مقلوبة لتكون على الاستواء اذا ختم بها فكان ذلك الخاتم في يده صلى الله عليه وسلم ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان رضي الله عنهم حتى وقع في بئر أريس في السنة التي توفي فيها عثمان رضي الله عنه فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه واختلفت الروايات في موضع الخاتم من يده صلى الله عليه وسلم فقيل في خنصر اليسار وهو المروي عن عامة الصحابة وقيل في خنصر اليمين وهو المروي عن طائفة منهم ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم وجمع البغوي بأن النبي صلى الله عليه وسلم فعل كلا من الامرين تختم في يمينه وفي يساره لكن قال التختم في اليسار كان آخر الامرين وروى أشعب الطامع عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في اليمين قال الامام النووي التختم في اليمين أو اليسار كلاهما صح نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم لكنه في اليمين أفضل لانه زينة واليمين به أولى ونقل ابن أبي حاتم عن أبي زرعة انه صلى الله عليه وسلم كان في يمينه أكثر منه في يساره وكان يجعل فصه مما يلي كفه وعند عزمه صلى الله عليه وسلم على ارسال الكتب وتكلمه مع أصحابه في ذلك خرج على أصحابه يوما فقال أيها الناس ان الله بعثني رحمة وكافة فأدوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا علي كما اختلفت الحواريون على عيسى ابن مريم فقال أصحابه وكيف اختلفت الحواريون على عيسى يا رسول الله قال دعاهم لمثل ما دعوتكم له فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضي وسلم وأما من بعثه مبعثا بعيدا كره وأبى فشكا ذلك عيسى الى ربه فأصبحوا وكل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه اليهم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى قيصر) المدعو هرقل وهو ملك الروم وقيصر معناه البقير لانه بقر أي شق عنه لان أم قيصر ماتت في المخاض فشق عنه وأخرج فسمي قيصر وكان يفتخر بذلك ويقول لم أخرج من فرج ثم صار قيصر اسما لكل من ملك الروم وكان ارسال الكتاب لقيصر سنة ست من الهجرة بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الحديبية وكان وصوله اليه في المحرم سنة سبع وكان ارساله مع دحية الكلبي رضي الله عنه وأمره صلى الله عليه وسلم أن يدفع الكتاب الى قيصر وكان صلى الله عليه وسلم قال قبل ذلك من ينطلق بكتابي هذا الى قيصر الى هرقل وله الجنة فقال دحية أنا يا رسول الله فأعطاه ذلك الكتاب وقيل انه صلى الله عليه وسلم أمر دحية رضي الله عنه أن يدفعه الى عظيم بصرى وهو الحارث ملك غسان ليدفعه الى قيصر فلما انتهى دحية الى الحارث أرسل معه عدي ابن حاتم رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك ليوصله الى قيصر فذهب به اليه فقال قومه لدحية اذا رأيت الملك فاسجد له ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك قال دحية رضي الله عنه لا أفعل هذا أبدا ولا أسجد لغير

الله

الله تعالى قالوا اذا لا يؤخذ كتابك فقال له رجل منهم أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له
فقال دحية وما هو فقال ان له على كل عتبة منبرا يجلس عليه فدع صحيفتك تجاه المنبر فان أحدا
لا يحركها حتى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها ففعل فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب
فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية ثم قال انظر لنا من قومه أحدا نسأله عنه وكان أبو سفيان بن حرب
... عنه بالشام قبل اسلامه أي كان بغزة مع رجال من قريش في تجارة لهم زمن هدنة الحديبية
... الهدنة في ذي القعدة سنة ست وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب لقيصر من تبوك
في السنة التاسعة وجمع بينهما بأنه كتب لقيصر مرتين قال أبو سفيان فأتانا رسول قيصر وهو والي
شرطته فانطلق بنا حتى قدمنا عليه في بيت المقدس فاذا هو جالس وعليه التاج وعظماء الروم حوله
فقال لترجمانه أيهم أقرب نسبا لهذا الذي يزعم انه نبي وفي رواية لهذا الرجل الذي خرج بأرض
العرب يزعم انه نبي فقال أبو سفيان أنا أقربهم نسبا أي لانه لم يكن في الركب يومئذ من بني عبد مناف
غيره وعبد مناف هو الاب الرابع له صلى الله عليه وسلم وكذا لابي سفيان زاد في رواية ماقرابتك منه
قلت هو ابن عمي فقال لترجمانه ادنه مني ثم أمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري ثم قال لترجمانه قل لاصحابه
اني قدمت هذا أمامكم لاسأله عن هذا الرجل الذي يزعم انه نبي وانما جعلتكم خلف كتفيه لتردوا
عليه الكذب ان قاله أي حتى لا تستحيوا أن تشافهوه بالتكذيب اذا كذب قال أبو سفيان فوالله
لولا الحياء يومئذ ان يأثروا علي كذبا لكذبت ولكني استحييت فصدقت وأنا كاره وفي رواية لولا مخافة
ان ينقلوا عني الكذب الى قومي ويتحدثوا به في بلادي لكذبت عليه وبه يعلم ان الكذب من
القبائح جاهلية واسلاما ثم قال لترجمانه قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم قلت هو فينا ذو نسب
قال قل له هل قال هذا القول أحد منكم قبله قلت لا قال قل له هل كنتم تتهمونه بالكذب على الناس
قبل ان يقول ماقال قلت لا وفي رواية هل كان حلافا كذابا مخادعا قلت لا قال هل كان من آبائه ملك
قلت لا زاد في رواية كيف عقله ورأيه قال لم نعب عليه عقلا ولا رأيا قط قال فأشراف الناس يتبعونه
أم ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم والمراد بأشراف الناس أهل النخوة والتكبر فلا يرد مثل أبي بكر وعمر
وحمزة رضي الله عنهم ممن أسلم قبل هذا السؤال فانهم من ذوي الانساب الكريمة لكنهم ليسوا من
أهل النخوة والتكبر فجعلهم من الضعفاء بهذا الاعتبار وفي رواية عند ابن اسحاق تبعه منا الضعفاء
والمساكين والاحداث وأما ذو والانساب والشرف فما تبعه منهم أحد وهو محمول على الاكثر الاغلب
أي الاكثر والاغلب ان أتباعه الضعفاء قال فهل يزيدون أو ينقصون قلت بل يزيدون قال فهل يرتد
أحد منهم سخطة لدينه أي كراهية له وعدم رضى به بعد ان دخل فيه قلت لا قال فهل يغدر اذا عاهد قلت لا
ونحن الآن منه في ذمة ماندري ماهو فاعل فيها قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف حربكم وحربه قلت
دول وسجال ندال عليه مرة أي كما في أحد ويدال علينا اخرى أي كما في بدر وقد تقدم في غزوة أحد
ان أبا سفيان قال في يوم احد يوم احد بيوم بدر والحرب سجال أي نوب وفي لفظ قال أبو سفيان لقيصر
علينا مرة يوم بدر وأنا غائب ثم غزوتهم في بيوتهم نبقر البطون ونجدع الآذان والانوف والفروج
واشار بذلك ليوم احد قال فما يأمركم به قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا وينهانا
عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف أي ترك المحارم وخوارم المروءة
والوفاء بالعهد واداء الامانة فقال لترجمانه قل له اني سألتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب
وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل هذا القول قاله منكم أحد قبله فزعمت ان لا فلو كان
أحد منكم قال هذا القول قبله لقلت هو يأتم بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب

قبل أن يقول ما قال فزعمت ان لا فعرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك هل كان من آبائه ملك فقلت لا فقلت لو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل أي لان الغالب ان اتباع الرسل أهل الخضوع والاستكانة لا أهل التجبر والاستكبار وسألتك هل يزيدون أو ينقصون فزعمت انهم يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه فزعمت ان لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب أي اذا حصل به انشراح الصدر وسألتك هل قاتلتموه فقلت نعم وان حربكم وحربه دول وسجال يدال عليكم مرة وتدالون عليه اخرى وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة وسألتك ماذا يأمركم به فزعمت انه يأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد واداء الامانة وسألتك هل يغدر فذكرت ان لا وكذلك الرسل لا تغدر لانها لا تطلب حظ الدنيا الذي لا يناله طالبه الا بالغدر فعلمت انه نبي وقد كنت أعلم انه خارج ولكن لم أظن انه فيكم وان كان ما حدثتني به حقا فيوشك أي يقرب ان يملك موضع قدمي هاتين وهذه الاشياء التي سأل عنها هرقل كانت مذكورة عنده في الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ثم قال قيصر ولو أعلم اني أخلص اليه أي أصل لتجشمت أي تكلفت مع المشقة لقيه وفي رواية لا استطيع أن أفعل ان فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم * قال الامام النووي ولا عذر له في هذا لانه قد عرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم وانما شح بالملك وطلب الرياسة وآثرها على الاسلام ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي فانه لما أسلم ما زالت عنه الرياسة قال الحافظ ابن حجر لو تفطن هرقل لقوله صلى الله عليه وسلم في الكتاب أسلم تسلم وحمل الجزاء على عمومه في الدنيا والآخرة وأسلم لسلم من كل ما يخافه ولكن التوفيق بيد الله ثم قال هرقل ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه أي مبالغة في خدمته والتعبد له ولا أطلب منه ولاية ولا منصبا قال أبو سفيان ثم دعا قيصر بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقرئ فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أي بالكلمة الداعية للاسلام وهي كلمة التوحيد أي ادعوك اليها أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين أي لايمانك بعيسى ثم بمحمد عليهما الصلاة والسلام فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين أي الفلاحين في القرى وفي رواية اثم الاكارين والاكار هو الفلاح والمراد اثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لامرك وخص هؤلاء بالذكر لانهم أسرع انقيادا من غيرهم لان الغالب عليهم الجهل والجفاء وقلة الدين والمراد عليك مع اثمك اثم رعاياك لانه اذا أسلم أسلموا واذا امتنع امتنعوا فهو متسبب في عدم اسلامهم ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون قال أبو سفيان فلما قضى مقالته وفرغ من الكتاب علت اصوات الذين حوله وكثر لغطهم أي اصواتهم التي لا تفهم فلا أدري ماذا قالوا وأمر بنا فأخرجنا فلما خرجت أنا وأصحابي وخلصنا قلت لهم لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أي عظم أمره هذا ملك بني الاصفر يخافه فما زلت موقنا انه سيظهر حتى أدخل الله علي الاسلام أي فاظهرت ذلك اليقين وفي رواية ما زلت مرعوبا من محمد حتى أسلمت وقوله ابن أبي كبشة قيل انه جد لآمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم كان يكنى أبا كبشة وجاء في رواية ان أبا سفيان قال لقيصر لما سأله هل تتهمونه بالكذب فقال لا ولكن سأخبرك عنه أيها الملك خبرا تعرف به انه قد كذب قال وما هو قال يزعم انه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا في تلك الليلة قبل الصباح

فقال بطريق أي قائد من قواد الملك كان واقفا عند رأس قيصر صدق أيها الملك أي في انه جاء مسجدنا فنظر اليه قيصر وقال وما علمك بهذا قال اني كنت لا أنام ليلة ابدا حتى اغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت الابواب كلها غير باب واحد غلبني فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرني فلم نستطع ان نحركه كانما نزاول جبلا فدعوت النجارين فنظروا اليه فقالوا لا نستطيع ان نحركه حتى نصبح فلما اصبحت جئت المسجد فاذا الحجر الذي في زاويته مثقوب واذا فيه مربط الدابة فقلت لاصحابي ماحبس هذا الباب الليلة الا هذا الامر فقال قيصر لقومه ياقوم ألستم تعلمون ان بين يدي الساعة نبيا بشركم به عيسى بن مريم ترجون ان يجعله الله فيكم قالوا بلى قال فان الله قد جعله في غيركم وهي رحمة الله عز وجل يضعها حيث يشاء ثم أمر بانزال دحية واكرامه وجاء في رواية ان ابن أخي قيصر أظهر الغيظ الشديد وقال لعمه ابتدأ بنفسه وسماك صاحب الروم ألق به يعني الكتاب فقال له والله انك لضعيف الرأي أترى أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الاكبر هو أحق ان يبدأ بنفسه ولقد صدق انا صاحب الروم والله مالكي ومالكه وفي لفظ ان أخا قيصر لما سمع الترجمان يقرأ من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم ضرب في صدر الترجمان ضربة شديدة ونزع الكتاب من يده وأراد ان يقطعه فقال قيصر ماشأنك فقال تنظر في كتاب رجل بدأ بنفسه قبلك وسماك قيصر صاحب الروم وماذكر ملك الروم فقال له قيصر انك أحمق صغير أو مجنون كبير أتريد ان امزق كتابا قبل أن أنظر مافيه ولعمري لئن كان رسول الله كما يقول فنفسه أحق ان يبدأ بها مني ولئن سماني صاحب الروم فلقد صدق ماأنا الا صاحبهم ولا املكهم ولكن الله سخرهم لي ولو شاء اسلطهم علي كما سلط فارس على كسرى فقتلوه ولما جاء صلى الله عليه وسلم الخبر عن قيصر قال ثبت ملكه وفي رواية سيكون لهم بقية وقد صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد ذكر الحافظ ابن حجر ان الملك المنصور قلاوون أرسل بعض امرائه الى ملك المغرب بهدية فأرسل ملك المغرب الى ملك الفرنج في شفاعة فقبله واكرمه وقال له لأتحفنك بتحفة سنية ثم أخرج صندوقا مصفحا بالذهب وأخرج منه قصبة من الذهب فأخرج منها كتابا قد زالت أكثر حروفه وقد ألصق عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر مازلنا نتوارثه الى الآن وذكر لنا آباؤنا عن آبائهم انه مازال هذا الكتاب عندنا لا يزول الملك عنا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه من النصارى ليدوم الملك فينا ولا ينافيه ماصح عنه صلى الله عليه وسلم اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده لان المراد اذا زال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه أحد وكان كذلك وملكه لم يبق الا ببلاد الروم * يروى ان قيصر لما ظهر على الفرس وأخرجهم من بلاده نذر ان يأتي بيت المقدس ماشيا شكرا لله فلما أراد الذهاب الى بيت المقدس ماشيا بسطت له البسط وطرح عليها الرياحين ولا زال يمشي على ذلك حتى وصل الى بيت المقدس فلما رجع الى حمص كان له فيها قصر عظيم فأغلق أبوابه وأمر مناديا ينادي ألا ان هرقل قد آمن بمحمد واتبعه فدخلت الاجناد في سلاحها وطافت بقصره تريد قتله فأرسل اليهم اني أردت ان اختبر صلابتكم في دينكم فقد رضيت فرضوا عنه والذي في البخاري ان قيصر لما سار الى حمص أذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال يامعشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد أغلقت وقالوا له أتدعونا ان نترك النصرانية ونصير عبد الاعرابي فلما رأى نفرتهم وايس من ايمانهم قال ردوهم علي وقال اني قلت مقالتي اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه وعند ذلك كتب كتابا وأرسله مع دحية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه اني مسلم ولكني مغلوب وأرسل بهدية فلما قرأ صلى الله

عليه وسلم الكتاب قال كذب عدوّ الله ليس بمسلم وقبل هديته وقسمها بين المسلمين وفي صحيح ابن حبان
عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب اليه أيضا من تبوك يدعوه وانه قارب
الاجابة ولم يجب والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى كسرى ملك فارس) كتب اليه صلى الله عليه وسلم كتابا وبعث به

ابه وسلم

مع عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه لانه كان يتردد على كسرى كثيرا وفي الكتاب بسم الله
الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله
وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فاني أنا رسول الله
الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان أبيت فعليك اثم المجوس
أي الذين هم أتباعك * قال عبد الله بن حذافة رضي الله عنه فانتهيت الى بابه وطلبت الاذن عليه حتى
وصلت اليه فدفعت اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرئ عليه فأخذه فمزقه و في رواية
ان كسرى لما أعلم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لحامل الكتاب أن يدخل عليه فلما وصل
أمر كسرى أن يقبض منه الكتاب فقال لا حتى أدفعه اليه كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال كسرى ادنه فدنا فناوله الكتاب فدعا من يقرؤه فقرأه فاذا فيه من محمد رسول الله الى كسرى
عظيم فارس فأغضبه حيث بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصاح ومزق الكتاب قبل أن يعلم
ما فيه وأمر باخراج حامل ذلك الكتاب فأخرج فلما رأى ذلك قعد على راحلته وسار فلما ذهب عن
كسرى سورة غضبه بعث يطلب حامل الكتاب فلم يجده فلما وصل اليه صلى الله عليه وسلم وأخبره
الخبر قال صلى الله عليه وسلم مزق ملك كسرى و في رواية مزق الله ملكه و في رواية اللهم مزق
ملكه كل ممزق وكتب كسرى الى أميره باليمن يقال له باذان انه بلغني ان رجلا من قريش خرج بمكة
يزعم انه نبي فسر اليه فاستتبه فان تاب والا فابعث الي برأسه يكتب الي بهذا الكتاب أي الذي بدأ
فيه بنفسه وهو عبدي و في رواية قال له ان لم تكفني رجلا خرج بأرضك يدعوني الى دينه والا فعلت
بك كذا يتوعده فابعث اليه رجلين جلدين فليأتياني به فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبي صلى الله
عليه وسلم مع قهرمانه و بعث معه رجلا آخر من الفرس و بعث بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكتب معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى فخرجا وقدما
الطائف فوجدا رجلا من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه فقال هو بالمدينة فلما قدما عليه
المدينة قالا له شاهنشاه ملك الملوك كسرى بعث الى الملك باذان أن يبعث اليك من يأتي بك وقد بعثنا
اليك فان أبيت أهلكك وأهلك قومك وخرب بلادك وكانا على زي الفرس من حلق لحاهم واعفاء
شواربهم فكره صلى الله عليه وسلم النظر اليهم ثم قال لهما ويلكما من أمركما بهذا قالا أمرنا بهذا
يعنيان كسرى فقال صلى الله عليه وسلم ولكن ربي أمرني باعفاء لحيتي وقص شاربي ثم قال لهما
ارجعا حتى تأتياني غدا وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بأن الله سلط على كسرى
ابنه فقتله في شهر كذا في ليلة كذا أي ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الاولى سنة سبع فلما كان
الغد دعاهما وأخبرهما الخبر وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى باذان ان الله قد وعدني أن يقتل
كسرى يوم كذا في شهر كذا فلما أتى باذان الكتاب توقف وقال ان كان نبيا فسيكون ما قال فقتل الله
كسرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على يد ولده شيرويه قيل قتله ليلا بعد ما مضى
من الليل سبع ساعات فيكون المراد باليوم في هذا بالروايه مجرد الوقت وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
قال لرسول باذان اذهب الى صاحبك وقل له ان ربي قد قتل ربك الليلة ثم جاء الخبر بأن كسرى قتل تلك

الليلة فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم فلما جاءه صلى الله عليه وسلم هلاك كسرى قال لعن الله كسرى أول الناس هلاكا فارس ثم العرب وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال لتفتحن عصابة من المسلمين أو من المؤمنين أو رهط من أمتي كنوز كسرى التي في القصر الابيض فكنت أنا وأبي فيهم وأصبنا من ذلك ألف درهم وقدم على باذان كتاب شيرويه وفيه أما بعد فقد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضبا لفارس فانه قتل أشرافهم فتفرق الناس فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب اليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك أمري فيه فبعث باذان باسلامه واسلام من معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ملك الله المسلمين ملك كسرى وخزائنهم وأموالهم في خلافة عمر رضي الله عنه ومزقهم الله كل ممزق تحقيقا لدعوته صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للنجاشي ملك الحبشة) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه الى النجاشي سنة ست وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة سلم أنت أي أنت سالم لان السلم بأتي بمعنى السلامة فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول أي المنقطعة عن الرجال التي لا شهوة لها فيهم أو المنقطعة عن الدنيا وزينتها الطيبة الحصينة حملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله واني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى* فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم أسلم ودعا بحق من عاج وهو عظم الفيل فجعل فيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم أرسل الى النجاشي مع عمرو بن أمية كتابين يدعوه في أحدهما الى الاسلام وفي الآخر يأمره أن يزوجه أم حبيبة فأخذ الكتابين ووضعهما على رأسه وعينيه ونزل عن سريره تواضعا ثم أسلم وشهد شهادة الحق وكتب الجواب للنبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة السلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا اله الا هو الذي هداني للاسلام أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى لا يزيد على ما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به الينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه يعني جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من المسلمين فأشهد انك رسول صادق مصدق وقد بايعتك وبايعت ابن عمك أي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأسلمت على يده لله رب العالمين وفي رواية وقد بعثت اليك يا نبي الله وان شئت أتيتك بنفسي والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم انه أرسل ابنه في ستين نفسا في أثر من أرسلهم مع جعفر بن أبي طالب عند خروجه من عنده فلما كانوا في وسط البحر غرق ابنه والستون الذين معه ووافى جعفر وأصحابه وكانوا سبعين وعند وصول كتابه قال النبي صلى الله عليه وسلم اتركوا الحبشة ما تركوكم وفي رواية ان عمرو بن أمية قال للنجاشي عند اعطائه الكتاب يا أصحمة ان علي القول وعليك الاستماع كأنك منا أي في الرقة علينا وكأنا منك أي في الثقة بك لانا لم نظن بك خيرا قط الا نلناه ولم نخفك على شر قط الا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من قبل الانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفي ذلك توقع الجد واصابة الفصل والا فأنت في هذا النبي الامي كاليهود في عيسى ابن مريم وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم

رسله الى الناس فرجالك لما لم يرجهم له وآمنك على ما خافهم عليه نظير سالف وأجر ينتظر فقال النجاشي أشهد بالله انه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وانه ليس الخبر كالعيان ولكن أعواني من الحبشة قليل فأنظرني حتى اكثر الاعوان وألين القلوب وفي رواية ولو أستطيع ان آتيه لاتيته وتوفي النجاشي سنة تسع وقيل سنة ثمان وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهذا النجاشي هو الذي أسلم واكرم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأما النجاشي الذي ولي الامر بعده فكان كافرا لم يعرف اسلامه ولا اسمه وجاء في بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم كتب له حين كتب لقيصر وكسرى يدعوه الى الاسلام فقد روى البيهقي عن ابن اسحاق قال هذا كتاب من النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمدا عبده ورسوله وادعوك بدعاية الله فاني رسوله فأسلم تسلم يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فان أبيت فعليك اثم النصارى من قومك قال في المواهب وقد خلط بعضهم فلم يميز بينهما أي بين النجاشيين فظنهما واحدا وفي صحيح مسلم ما يدل على انهما اثنان فان فيه عن قتادة عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى والى قيصر والى النجاشي والى كل جبار يدعوهم الى الله وليس بالنجاشي الذي صلى عليه والله سبحانه وتعالى أعلم .

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للمقوقس) ومعناه المطوّل البناء وهو لقب لكل من ملك القبط وهم أهل مصر والاسكندرية وليسوا من بني اسرائيل بعث صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة اللخمي رضي الله عنه الى المقوقس وذلك أنه صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الحديبية قال أيها الناس أيكم ينطلق بكتابي هذا الى صاحب مصر وأجره على الله فوثب اليه حاطب وقال أنا يا رسول الله قال بارك الله فيك يا حاطب قال حاطب فأخذت الكتاب وودعته صلى الله عليه وسلم وسرت الى منزلي وشددت على راحلتي وودعت أهلي وسرت وفي رواية أنه أرسل مع حاطب جبرا مولى أبي رهم الغفاري والكتاب مع حاطب وفيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله وفي رواية عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم القبط أي الذين هم رعاياك ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ثم ان حاطبا رضي الله عنه سار بالكتاب حتى قدم على المقوقس بالاسكندرية بعد أن ذهب الى مصر فلم يجده فذهب الى الاسكندرية فأخبر أنه في مجلس مشرف على البحر فركب حاطب سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب اليه فلما رآه أمر باحضاره بين يديه فلما جيء به اليه نظر الى الكتاب وفضه وقرأه وقال لحاطب ما منعه ان كان نبيا أن يدعو على من خالفه من قومه وأخرجه من بلده الى غيرها فقال له حاطب ألست تشهد أن عيسى ابن مريم رسول الله فماله حيث أخذه قومه وأرادوا أن يصلبوه أن لا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه اليه قال أحسنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال له حاطب انه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الاعلى يعني فرعون فأخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك ان هذا النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى

بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل نبي أدرك قوما فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه فأنت ممن أدرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به فقال انى قد نظرت فى أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب عنه أي بل يأمر بما تفرح وترغب فيه القلوب النيرة والعقول السليمة وينهى عما ترغب عنه ولم أجده بالساحر الضار ولا بالكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبأ أى الشئ الغائب والاخبار بالنجوى أي يخبر بالمغيبات وسأنظر وأخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وجعله فى حق عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ودعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا قد بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك أى فانه دفع له مائة دينار وخمسة أثواب وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم فى القبط وهما مارية وسيرين وبثياب وهى عشرون ثوبا من قباطى مصر وفى رواية وأرسل له عمائم وقباطى وطيبا وعودا وندا ومسكا مع ألف مثقال من الذهب ومع قدح من قوارير فكان صلى الله عليه وسلم يشرب فيه ثم قال وأهديت لك بغلة لتركبها والسلام عليك ولم يزد على ذلك ولم يسلم وفى رواية أنه أهدى له مع الجاريتين جارية أخرى اسمها قيس وهى أخت مارية وفى رواية ذكر جارية رابعة اسمها بريرة وكانت سوداء وأن النبي صلى الله عليه وسلم اهدى واحدة من تلك الجوارى لابى جهم بن حذيفة العدوى وهى أم ابنه زكريا الذى كان خليفة عمرو بن العاص رضى الله عنه على مصر وأهدى صلى الله عليه وسلم أخرى لحسان بن ثابت رضى الله عنه وهى أم عبد الرحمن بن حسان وفى رواية أن المقوقس أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مع الجوارى غلاما أسود خصيا يقال له مأبور وفى رواية أنه أهدى مع البغلة حمارا أشهب يقال له يعفور وأما البغلة فسمي الدلدل وكانت شهباء ولم يكن يومئذ فى العرب بغلة غيرها وأهدى له أيضا فرسا وهو اللزاز فى رواية أن المقوقس قال لحاطب ما الذى يحب صاحبك من الخيل فقال له حاطب الاشقر وقد تركت عنده فرسا يقال له المرتجز فانتخب له فرسا من خيل مصر الموصوفة فأسرج وألجم وهو فرسه الميمون وأهدى له عسلا من عسل بنها بكسر الموحدة قرية من قرى مصر فأعجب به صلى الله عليه وسلم ودعا فى عسل بنها بالبركة ولما أكل منه قال ان كان عسلكم أشرف فهذا أحلى وأهدى له مربعة يضع فيها المكحلة وقارورة الدهن والمشط والمقص والسواك ومكحلة من عيدان شامية ومرآة ومشطا وفى رواية أنه أرسل مع الهدية طبيبا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع ثم ان المقوقس قال لحاطب ارجع الى صاحبك وارحل من عندى ولا تسمع منك القبط حرفا واحدا قال حاطب فرحلت من عنده وبعث معي جيشا يحرسني الى أن دخلت جزيرة العرب ووجدت قافلة من الشام تريد المدينة فرد الجيش وارتفقت بالقافلة وفى بعض كتب السير أن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه وفد على المقوقس ومعه رهط من ثقيف وكان ذلك قبل اسلام المغيرة فلما دخلوا على المقوقس قال ما صنعتم فيما دعاكم اليه محمد قالوا ما تبعه منا رجل واحد قال كيف صنع قومه قالوا اتبعه أحداثهم وقد لاقاه من خالفه فى مواطن كثيرة قال فالى ماذا يدعو قالوا الى أن نعبد الله وحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا ويدعو الى الصلاة والزكاة وصلة الرحم ووفاء العهد وتحريم الزنا والربا والخمر فقال المقوقس هذا نبي مرسل الى الناس كافة ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه وقد أمرهم بذلك عيسى وهذا الذى تصفون منه نعت الانبياء من قبله وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد ويظهر دينه الى منتهى الخف والحافر فقالت

تشيب لو دخل الناس كلهم معه ملء حلنا معه فهز المقوقس رأسه وقال أنتم في التعب ثم سأله عن أشياء مثل سؤال هرقل لأبي سفيان ثم قال لهم ماعلمتهم ودينه تركنا حاسدينه فأوقع بهم فقال هم حسد أما انهم يعرفون من أمره مثل ماعرف وذكر الواقدي وابن أبي الحكم من طريق أبان بن صالح قال أرسل المقوقس الى حاطب أي حين جاءه بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال أسألك عن ثلاث فقال لاتسألني عن شئ الاصدقتك قال الام يدعو محمد قلت الى أن يعبد الله وحده ويأمر بخمس صلوات في اليوم والليلة وصيام رمضان وحج البيت والوفاء بالعهد وينهى عن أكل الميتة والدم الى أن قال صفه لي فوصفته فأوجزت قال بقيت أشياء لم تذكرها أفي عينيه حمرة قلت مافارقته وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزي بالتمرات والكسر لايبالي من لاقى من عم ولا ابن عم قلت هذه صفته قال قد كنت أعلم أن نبيا قد بقي وكنت أظن أن مخرجه من الشام وهناك كانت تخرج الانبياء قبله فأراه قد خرج في أرض العرب في أرض جهد وبؤس والقبط لاتطاوعني على اتباعه وأنا أضن بملكي أن أفارقه وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهر على ماههنا وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفا ولا أحب أن تعلم بمحاورتي اياك أحدا قال حاطب رضي الله عنه فذكرت قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه فكان كما قال ولم يزد على هذا ولم يسلم بل استمر على نصرانيته حتى فتح المسلمون منه مصر في خلافة عمر رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى التميمي) وكان بالبحرين بعث صلى الله عليه وسلم اليه العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه ومعه كتاب يدعوه فيه الى الاسلام * قال في شرح المواهب ولم أر أحدا ذكر لفظ ذلك الكتاب فلما وصل اليه الكتاب آمن وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد يارسول الله فاني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه فلم يدخل فيه وبأرضي يهود ومجوس أي باقين على كفرهم فأحدث الي أمرك في ذلك فكتب اليه في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أما بعد فاني أذكرك الله فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد أثنوا عليك خيرا أي من قبولك الحق وانقيادك للايمان واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه أي من مال وزوجات أربع بحل نكاحهن وعفوت عن أهل الذنوب أي المتقدمة منهم في الكفر وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية وجاء في رواية أنه كتب اليه أن افرض على كل رجل ليس له أرض أربعة دراهم وعباءة وفي رواية كتب اليه أن اعرض عليهم الاسلام فان أبوا أخذت منهم الجزية على أن لاتنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم *وذكر السهيلي في الروض أن العلاء لما قدم على المنذر قال له يامنذر انك عظيم العقل في الدنيا فلا تقصرن عن الآخرة ان هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكرم العرب ولا علم أهل الكتاب ينكحون مايستحيا من نكاحه ويأكلون مايتكرم عن أكله ويعبدون في الدنيا نارا تأكلهم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا رأي فانظر هل ينبغي لمن لايكذب أن لاتصدقه ولمن لايخون أن لا تأمنه ولمن لايخلف أن لاتثق به فان كان هكذا فهذا هو النبي الأمي الذي والله لايستطيع ذو عقل أن يقول ليت ماأمر به نهى عنه أو مانهى عنه أمر به أو ليته زاد في عفوه أو نقص من عقابه اذ كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل البصر فقال

المنذر وقد نظرت فى هذا الذى فى يدى فوجدته للدنيا دون الآخرة ونظرت فى دينكم فرأيته للآخرة والدنيا فما يمنعنى من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده وان من اعظام ما جاء به أن يعظم رسوله وسأنظر أى سأنظر فيما أصنع من الذهاب اليه أو مكاتبته وروى الطبرانى وابن قانع عن سليمان بن نافع العبدى عن أبيه *قال وفد المنذر بن ساوى من البحرين ومعه ناس وأنا معهم أمسك جمالهم فذهبوا بسلاحهم فسلموا على النبى صلى الله عليه وسلم ووضع المنذر سلاحه ولبس ثيابا كانت معه ومسح لحيته بدهن فأتى نبى الله صلى الله عليه وسلم وأنا مع الجمال أنظر الى نبى الله صلى الله عليه وسلم قال المنذر قال لى النبى صلى الله عليه وسلم رأيت منك مالم أر من أصحابك فقلت أشئ جبلت عليه أو أحدثته قال لا بل جبلت عليه فأسلموا انتهى قال بعض أهل السير ان ذلك اشتباه وان هذا الوفد معروف للأشج واسمه المنذر بن عائذ وان المنذر بن ساوى لم تعرف له وفادة وذكر أبو جعفر الطبرى أن المنذر بن ساوى مات بالقرب من وفاته صلى الله عليه وسلم وكان قد قدم عليه عمرو بن العاص رضى الله عنه وحضر وفاته فقال المنذر لعمرو كم جعل صلى الله عليه وسلم للميت من ماله عند الموت فقال الثلث قال فما ترى أن أصنع فى ثلث مالى قال ان شئت قسمته فى سبيل الخير وان شئت جعلت غلته تجرى بعدك على من شئت قال ما أحب أن أجعل شيئا من مالى كالسائبة ولكنى أقسمه والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى ملكى عمان) بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلدة باليمن سميت باسم عمان بن سبا وأما عمان بفتح العين وشد الميم فبلدة بالشام وليست مرادة هنا روى مسلم عن أبى برزة رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا الى قوم فسبوه وضربوه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أهل عمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك وروى الامام أحمد عن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لأعلم أرضا يقال لها عمان ينضح بناحيتها البحر لو أتاهم رسولى ما رموه بسهم ولا بحجر وكان بعث كتابه صلى الله عليه وسلم الى ملكى عمان فى ذى القعدة سنة ثمان مع عمرو بن العاص رضى الله عنه وكتب له فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى جيفر على وزن جعفر وعبد ابنى الجلندى سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فانى رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما وان أبيتما أن تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلى تحل بساحتكما وتظهر نبوتى على ملككما وكتب الكتاب أبى بن كعب وختمه صلى الله عليه وسلم قال عمرو فخرجت حتى انتهيت الى عمان فلما قدمتها عمدت الى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقا فقلت انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى أخيك بهذا الكتاب أى وبالدعاء الى ما تضمنه من الايمان فقال عبد أخى جيفر هو المقدم على بالسن والملك وأنا أوصلك اليه حتى تقرأ كتابك عليه ثم قال وما تدعوا اليه قلت أدعوك الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع ما عبد من دونه وأن تشهد أن محمدا عبده ورسوله قال يا عمرو انك كنت ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك فان لنا فيه قدوة قلت لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت أنه كان أسلم وصدق به وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هدانى الله للاسلام فسألنى أين كان اسلامك قلت عند النجاشى وأخبرته أن النجاشى قد أسلم قال كيف صنع قومه بملكه قلت أقروه واتبعوه قال والاساقفة والرهبان تبعوه قلت نعم فاستعظم وقوع ذلك فقال انظر يا عمرو ما تقول فانه ليس من خصلة فى رجل أفضح له من كذب قلت وما كذبت وما نستحله فى ديننا ثم قال ما أرى هرقل علم باسلامه أى النجاشى قلت بلى قال بأى شئ

علمت ذلك قلت كان النجاشي يخرج له خراجا فلما أسلم وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم قال لا والله ولو سألني درهما واحدا ما أعطيته فبلغ هرقل قوله فقال أخوه أتدع عبدك لا يخرج لك خراجا و يدين دينا محدثا فقال هرقل رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع قال انظر ما تقول يا عمرو قلت والله صدقتك قال عبد فأخبرني ما الذي يأمر به و ينهى عنه قلت يأمر بطاعة الله عز وجل و ينهى عن معصيته و يأمر بالبر وصلة الرحم و ينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب قال ما أحسن هذا الذي يدعو اليه ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن أي أبخل بملكه من أن يدعه و يصير ذنبا أي طرفا وتابعا بعد ان كان رأسا ومتبوعا قلت ان أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه يأخذ الصدقات من غنيهم ويردها على فقرائهم قال ان هذا الخلق حسن أي لما فيه من من مواساة الفقراء قال وما الصدقة فأخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات في الاموال حتى انتهيت الى الابل فقال يا عمرو و يؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه قلت نعم قال والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون لهذا قال فمكثت ببابه أياما وهو يصل الى أخيه فيخبره كل خبري ثم انه دعاني يوما لأدخل معه على أخيه فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي فقال دعوه فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس على عادة ملوك العجم في أن رسول شخص ولو ملكا لا يجلس عند الملك فنظرت اليه فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه الكتاب مختوما ففض ختمه فقرأه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى أخيه فقرأه مثل قراءته الا اني رأيت أخاه أرق منه فقال جيفر ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه اما راغب في الدين واما مقهور بالسيف قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله انهم كانوا في ضلال فما أعلم أحدا بقي غيرك في هذه الحرجة وهي الشجر الملتف والمراد التجوز وان لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل ويبيد خضراءك أي جماعتك فأسلم تسلم و يستعملك على قومك تبقى على ملكك مع الاسلام ولا تدخل عليك الخيل والرجال و في هذا مع سعادة الدارين راحة من القتال و في هذا دليل على قوة نفس عمرو رضي الله عنه وشدة شكيمته حيث خاطبه بهذا الخطاب وأنذره بالحرب والهلاك في محل ملكه بحضرة أعوانه مع انه واقف بين يديه لم يتمكن من الجلوس ومع ذلك حمى الله رسول نبيه ببركته صلى الله عليه وسلم فلم يؤذه جيفر ولا بكلمة بل خاطبه باللين حيث قال دعني يومي هذا وارجع الي غدا قال عمرو فرجعت الى أخيه فقال يا عمرو اني أرجو أن يسلم أخي ان لم يضن بملكه حتى اذا كان الغد أتيت اليه فأبى أن يأذن لي فانصرفت الى أخيه فأخبرته اني لم أصل اليه فأوصلني اليه فقال اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا أنا أضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ خيله هاهنا أي لبعد الدار وان بلغت خيله هاهنا وجدت قتالا ليس كقتال من لاقى قال عمرو قلت وأنا خارج غدا فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه فقال له ما نحن فيما ظهر عليه وكل من أرسل اليه أجابه فأصبح فأرسل الي فأجاب للاسلام هو وأخوه جميعا وصدقا النبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة و بين الحكم فيما بينهم وكانا عونا على من خالفني وأسلم معهما خلق كثير و وضعت الجزية على من لم يسلم قال بعضهم ثم ان عمرا لم يزل بعمان حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن سعد ولعل اقامته كانت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه أو باشارة فهم منها ذلك أو باجتهاد حتى يجمع الصدقة والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن علي الحنفي) صاحب اليمامة وهي بلاد بالمشرق كثيرة

الانجيل على نحو ست عشرة مرحلة من مكة كتب صلى الله عليه وسلم الى صاحب اليمامة هوذة بن على الحنفى وأرسل الكتاب مع سليط بن عمرو العامرى رضى الله عنه وكان ممن أسلم قديما وهاجر الى الحبشة ثم الى المدينة وشهد بدرا وغيرها واستشهد باليمامة فى قتال أهل الردة وفى الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن على سلام على من اتبع الهدى واعلم أن دينى سيظهر الى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوما أنزله وحباه وقرأ عليه الكتاب فرد ردا فيه لطف قال السهيلى وقال له سليط ياهوذة انك سودتك أعظم حائلة أى بالية وأرواح فى النار وانما السيد من متع بالايمان ثم زود بالتقوى ان قوما سعدوا برأيك فلا يشقون به وانى آمرك بخير مأمور به وأنهاك عن شر منهى عنه آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان فان فى عبادة الله الجنة وفى عبادة الشيطان النار فان قبلت نلت ما رجوت وأمنت ما خفت وان أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهول المطلع فقال هوذة ياسليط سودنى من لو سودك شرفت به وقد كان لى رأى أختبر به الامور ففقدته فوضعه من قلبى هواء فاجعل لى فسحة يرجع الى فيها رأيى فأجيبك به ان شاء الله وذكر الواقدى أن أركون دمشق الرومى من عظماء النصارى كان عند هوذة فقال له هوذة جاءنى كتاب من النبى يدعونى الى الاسلام فلم أجبه فقال الاركون لم لا تجيبه قال ضننت بدينى وأنا ملك قومى ولئن تبعته لن أملك قال بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وان الخير لك فى اتباعه وانه للنبى العربى الذى بشر به عيسى بن مريم عليه السلام وانه لمكتوب عندنا فى الانجيل محمد رسول الله والاركون هذا أسلم على يد خالد بن الوليد فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ثم ان هوذة كتب للنبى صلى الله عليه وسلم جواب كتابه وقال فيه ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله وأنا شاعر قومى وخطيبهم والعرب تهاب مكانى فاجعل لى بعض الامر أتبعك وكانه أراد الشركة فى النبوة او الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم وأجاز سليطا بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر فقدم بكتابه على النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبره فلما قرأ الكتاب على النبى صلى الله عليه وسلم قال لو سألنى سيابة من الارض أى قطعة منها ما فعلت باد وباد ما فى يديه أى هلك وهو خبر أو دعاء فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم من الفتح اخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بأن هوذة قد مات على كفره فقال صلى الله عليه وسلم أما ان اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ يقتل بعدى فكان كذلك فظهر بها مسيلمة لعنه الله وقتل وفى رواية فقال قائل يارسول الله من يقتله قال أنت وأصحابك قال بعضهم والظاهر أن المخاطب من الذين اشتركوا فى قتله أوهو خالد بن الوليد أى فانه رضى الله عنه كان أمير الجيش الذى قاتل مسيلمة لعنه الله والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن أبى شمر الغسانى) وكان أميرا بدمشق من جهة قيصر وكانت اقامته بغوطتها وهو موضع بالشام كثير الماء والشجر وبعث صلى الله عليه وسلم اليه شجاع ابن وهب الاسدى من اسد بن خزيمة رضى الله عنه وكان من السابقين الاولين واستشهد باليمامة ومعه كتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن أبى شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق فانى أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك وختم الكتاب قال شجاع فانتهيت فوجدته مشغولا بتهيئة الضيافة لقيصر وقد جاء من حمص الى ايليا حيث كشف الله عنه جنود فارس شكرا لله تعالى قال شجاع فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حاجبه لا تصل اليه حتى يخرج يوم كذا وكذا وجعل حاجبه يسألنى عنه صلى الله عليه وسلم وما يدعو اليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول انى قرأت فى الانجيل وأجد صفة هذا النبى بعينه وكنت أظنه يخرج بالشام فأراه خرج بأرض القرظ فأنا

أومن به وأصدقه وأنا أخاف من الحارث بن أبي شمر أن يقتلني وكان هذا الحاجب روميا اسمه مري قال شجاع وكان يكرمني ويحسن ضيافتي ويخبرني باليأس من الحارث ويقول هو يخاف قيصر قال فخرج الحارث يوما فوضع التاج على رأسه فأذن لي عليه فدفعت اليه الكتاب فقرأه ثم رمى به وقال من ينتزع مني ملكي أنا سائر اليه ولو كان باليمن جئته علي بالناس فلم يزل جالسا حتى الليل وأمر بالخيل أن تنعل ثم قال أخبر صاحبك بما ترى وكتب الى قيصر يخبره بخبري فصادف قيصر بايليا وعنده دحية رضي الله عنه وقد بعثه صلى الله عليه وسلم فلما قرأ قيصر كتاب الحارث كتب اليه أن لا تسر اليه واله عنه ووافني بايليا قال ورجع اليه جوابه وأنا مقيم فدعاني وقال متى تريد أن تخرج الى صاحبك قلت غدا فأمر لي بمائة مثقال ذهبا ووصلني حاجبه مري بنفقة وكسوة وقال اقرأ على رسول الله مني السلام وأخبره بأني متبع دينه فقدمت فأخبرته صلى الله عليه وسلم بخبر الحارث فقال باد ملكه وأقرأته من مري السلام وأخبرته بما قال فقال صلى الله عليه وسلم صدق وفي كلام بعض أهل السير أن الحارث أسلم ولكن قال أخاف أن أظهر اسلامي فيقتلني قيصر وذكر ابن هشام وغيره أن شجاع ابن وهب انما توجه الى جبلة بن الايهم ويقال أرسل الى الحارث والى جبلة وأن شجاعا قال له ياجبلة ان قومك يعني الانصار نقلوا هذا النبي الامي من داره الى دارهم وآووه ومنعوه ونصروه وان هذا الدين الذي أنت عليه ليس بدين آبائك ولكنك ملكت الشام وجاورت الروم ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس فان أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم وان لم يفعلوا كانت لهم الدنيا وكانت لك الآخرة وقد كنت استبدلت المساجد بالبيع والاذان بالناقوس والجمع بالشعانين وكان ما عند الله خيرا وأبقى فقال جبلة والله اني لوددت أن الناس اجتمعوا على هذا النبي اجتماعهم على من خلق السموات والارض وقد سرني اجتماع قومي به وقد دعاني قيصر الى قتال أصحابه يوم مؤتة فأبيت عليه ولكني لست أرى حقا ولا باطلا وسأنظر * وذكر بعضهم أنه أسلم خفية ورد جواب كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه باسلامه وأرسل له هدية وكان ثابتا على اسلامه الى زمن خلافة عمر رضي الله عنه فكتب الى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه فسر عمر رضي الله عنه بذلك وأذن له فخرج في خمسين ومائتين من أهل بيته حتى اذا قارب المدينة عمد الى أصحابه فحملهم على الخيل وقلدها قلائد الفضة والذهب وألبسها الديباج والحرير ووضع تاجه على رأسه فلم تبق بكر ولا عاتق الا خرجت تنظر اليه والى زيه وزينته فلما دخل على عمر رضي الله عنه رحب به وأدنى مجلسه وأقام عنده بالمدينة مكرما فخرج عمر حاجا فخرج معه وحين تطوف بالبيت وطئ رجل من فزارة ازاره فغضب فلطم الفزاري لطمة هشم بها انفه وكسر ثناياه وفي رواية فقلع عينه فشكى الفزاري الى عمر رضي الله عنه فاستدعاه وقال له لم هشمت انفه أو قال له لم فقأت عينه فقال يا أمير المؤمنين وطئ على ازاري ولولا حرمة البيت لضربت عنقه بالسيف فقال له عمر رضي الله عنه اما انت فقد أقررت اما أن ترضيه والا أقدته منك وفي رواية قال والحكم اما بالعفو أو بالقصاص فقال جبلة فيصنع بي ماذا قال مثل ما صنعت به فقال أتقتص له مني سواء وأنا ملك وهذا سوقي فقال له عمر رضي الله عنه الاسلام سوى بينكما ولا فضل لك عليه الا بالتقوى قال ان كنت أنا وهذا الرجل في الدين سواء فانا أتنصر فاني كنت يا أمير المؤمنين أظن اني أكون في الاسلام أعز مني في الجاهلية فقال له عمر رضي الله عنه اذا تنصرت أضرب عنقك قال فأمهلني الليلة حتى أنظر في أمري قال ذلك الى خصمك فقال الرجل أمهلته يا أمير المؤمنين فأذن له عمر في الانصراف ثم ركب في بني عمه وهرب الى قسطنطينية فدخل على هرقل وتنصر هناك وكان مع الروم في قتالهم المسلمين حتى هلك على النصرانية وقيل عاد الى الاسلام

ومات مسلما ولم يصح وكان جبلة رجلا طوالا طوله اثنا عشر شبرا وكان يمسح الارض برجله وهو راكب فسر هرقل به وزوجه ابنته وقاسمه ملكه وجعله من سماره وجعل له مدينة بين طرابلس واللاذقية سماها جبلة باسمه قيل فيها قبر ابراهيم بن أدهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى بنى نهد) وهم قبيلة باليمن كانوا يتكلمون بألفاظ غريبة وحشية لا تعرفها أكثر العرب وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل قوم ويكاتبهم بلغتهم وذلك من أنواع بلاغته صلى الله عليه وسلم فكان يتكلم مع كل ذى لغة غريبة بلغته ومع كل ذى لغة بليغة بلغته اتساعا فى الفصاحة واستحداثا للالفة والمحبة فكان يخاطب أهل الحضر بكلام ألين من الدهن وأرق من المزن ويخاطب أهل البدو بكلام أرسى من الهضب وأرهف من العضب فانظر الى دعائه صلى الله عليه وسلم لاهل المدينة حين سألوه ذلك * فقال اللهم بارك لهم فى مكيالهم وبارك لهم فى صاعهم ومدّهم وفى رواية اللهم بارك لنا فى تمرنا وبارك لنا فى مدينتنا وبارك لنا فى صاعنا وبارك لنا فى مدّنا اللهم انى أدعوك للمدينة بمثل مادعاك ابراهيم لمكة ثم انظر دعاءه لبنى نهد وقد وفدوا عليه فى جملة الوفود فقام طهفة بن رهم النهدى يشكو الجدب اليه فقال يارسول الله أتيناك من غورى تهامة بأكوار الميس ترتمى بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستجيل الجهام من أرض غائلة النطاء غليظة الوطاء قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدى ومات الودى برئنا اليك يارسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة الاسلام وشرائع الاسلام ما طمى البحر وقام تعار ولنا نعم همل أغفال ما تبل ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل أصابتها سنية حمراء مؤزلة ليس لها علل ولا نهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدعاء لهم اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها فى الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك له فى المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا لكم يابنى نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة ثم كتب معه كتابا الى بنى نهد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى بنى نهد بن زيد السلام على من آمن بالله عز وجل ورسوله لكم يابنى نهد فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم مالم تضمروا الاماق وتأكلوا الرباق من أقر بما فى هذا الكتاب فله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة وروى العسكرى عن على رضى الله عنه قلنا يانبى الله نحن بنو أب واحد ونشأنا فى بلد واحد وانك تتكلم بلسان العرب مالا نعرف أكثره قال ان الله عز وجل أدبنى فأحسن تأديبى أى علمنى رياضة النفس ومحاسن الاخلاق الظاهرة والباطنة ونشأت فى بنى سعد ابن بكر أى فجمع لى بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها وخلوص ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها قال فى المواهب وتحتاج هذه الالفاظ البالغة أعلى أنواع البلاغة الى التفسير فغورى تهامة ما انحدر منها والاكوار الرحل والميس بفتح الميم وسكون التحتية شجر صلب يعمل منه رحال الابل ونستحلب بالحاء المهملة الصبير بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة سحاب أبيض متراكب متكاثف أى نستدر السحاب ونستخلب الخبير بالخاء المعجمة فيهما والخبير هو العشب فى الارض شبه بخبير الابل وهو وبرها واستخلابه احتشاشه بالمخلب وهو المنجل وقيل نستخلب الخبير أى نقطع النبات وتأكله ونستعضد البرير أى نقطعه والبرير ثمر الاراك وكانوا يأكلونه فى الجدب لقلة الزاد ونستخيل الرهام بكسر الراء وهى الامطار الضعيفة واحدتها رهمة أى نتخيل الماء فى السحاب القليل ونستجيل بالجيم الجهام أى نراه

جائلا يذهب به الريح ههنا وههنا والجهام بفتح الجيم السحاب الذى فرغ ماؤه ويروى ونستخيل بالخاء المعجمة الجهام من خلت أخال اذا ظننت أراد لانتخيل فى السحاب الا المطر وان كان جهاما لشدة حاجتنا اليه فنظن مالا وجود له موجودا ويروى ونستحيل بالحاء المهملة والمراد لا ننظر من السحاب فى حال الا الى جهام من قلة المطر وقوله من أرض غائلة النطا بكسر النون أى المهلكة للبعد يقال بلد نطى أى بعيد والمدهن بالضم نقرة فى الجبل يستنقع الماء وكل موضع حفره السيل وآلة الدهن وقارورته وهذا كناية عن جفاف الماء فى جميع نواحيهم والجعثن بالجيم والثلثة المكسورتين بينهما مهملة ساكنة آخره نون أصل النبات والاملوج بضم الهمزة واللام وبالجيم ورق شجر يشبه الطرفا والعسلوج بضم العين وبالسين المهملتين آخره جيم هو الغصن اذا يبس وذهبت طراوته يريد ان الاغصان يبست وهلكت من الجدب وقوله ومات الهدى بفتح الهاء وكسر الدال المهملة وشدة الياء كالهدى بسكون الدال وتخفيف الياء ما يهدى الى البيت الحرام من النعم لينحر فأطلق على جميع الابل وان لم تكن هديا لصلوحها له تسمية للشئ ببعضه وقوله ومات الودى بشد الياء هو فسيل النخل يريد هلكت الابل ويبست النخيل وبرئنا اليك من الوثن أى الصنم يعنون أنهم تركوا عبادة الاصنام والاتجاه اليها والعنن أى الاعتراض يقال عن لى الشئ اذا اعترض كأنه قال برئنا اليك من الشرك والظلم وقيل أراد به الخلاف والباطل وقوله ما طما البحر بالطاء المهملة أى ارتفع بأمواجه وتعار بكسر المثناة الفوقية بعدها عين مهملة فألف فراء بزنة كتاب اسم جبل يصرف ولا يصرف باعتبار المكان والبقعة وقوله ولنا نعم همل بفتحتين أى مهملة لا رعاة لها ولا فيها ما يصلحها ويهديها فهى كالضالة والابل الاغفال التى لا لبن فيها والوقير القطيع من الغنم وقوله كثير الرسل بفتح الراء أى شديد التفرق فى طلب الرعى قليل الرسل بكسر فسكون اللبن وقوله سنية بالتصغير للتعظيم وقوله حمراء أى شديدة أى أصابها جدب شديد وقوله مؤزلة أى آتية بالازل أى القحط ليس لها علل هو الشرب ثانيا ولا نهل هو الشرب أولا أى لشدة القحط وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم فى محضها بالحاء المهملة والضاد المعجمة أى خالص لبنها ومخضها بالمعجمتين ما مخض من اللبن وهو الذى حرك فى السقاء حتى يتميز زبده فيؤخذ منه ومذقها وهو اللبن الممزوج بالماء والضمائر لارضهم أو انعامهم المذكورة فى كلام طهفة فدعا النبى صلى الله عليه وسلم لهم فى ألبانهم بأقسامها والقصد الدعاء لهم بخصب أرضهم وسقيها فكأنه قال اللهم اسق بلادهم واجعلها مخصبة ملبنة وابعث راعيها فى الدثر بالمهملة المفتوحة ثم المثلثة الساكنة ويجوز فتحها ثم الراء المال الكثير وقيل الخصب والنبات الكثير لانه من الدثار وهو الغطاء لانه يغطى وجه الارض وافجر له الثمد بفتح المثلثة واسكان الميم وتفتح الماء القليل أى صيره كثيرا وقوله ودائع الشرك قيل المراد بها العهود والمواثيق التى كانت بينهم وبين من جاورهم من الكفار ووضائع الملك بكسر الميم هى الوظائف التى تكون على الملك وهو ما يلزم الناس فى أموالهم من الزكاة والصدقة أى لكم الوظائف التى تلزم المسلمين لانتجاوز عنكم ولا نزيد عليكم فيها شيئا بل أنتم فيها كسائر المسلمين وقوله لا تلطط بضم المثناة الفوقية ثم اللام الساكنة ثم طاءين الاولى مكسورة والثانية ساكنة أى لا تمنع الزكاة يقال لط الغريم اذا منعه حقه ولا تلحد بضم المثناة الفوقية واسكان اللام وكسر الحاء المهملة آخره دال مهملة أى لا تمل عن الحق ما دمت حيا والخطاب لطهفة بن زهير ويروى ولا تلطط فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة بصيغة التفعل ولا تثاقل عن الصلاة أى لا تتخلف عنها وعن أدائها فى وقتها وقوله فى الكتاب فى الوظيفة الفريضة الوظيفة الحق الواجب والفريضة هى الهرمة المسنة التى انقطعت عن العمل والانتفاع بها أى لا نأخذ

في الصدقات هذا الصنف كالا تأخذ خيار المال والفارض بالفاء والضاد المعجمة المريضة أي فهي لكم لا نأخذها في الزكاة أيضا والفريش بالفاء وكسر الراء وتحتية ساكنة آخره شين معجمة وهي من الابل الحديثة العهد بالنتاج كالنفاس من بني آدم أي لكم خيار المال كالفريش لانها لبون نفيسة ولكم شراره أيضا كالفريضة والفارض ولنا وسطه رفقا بالفريقين وذو العنان بكسر العين ونونين بينهما ألف سير اللجام والركوب بفتح الراء أي الفرس الذلول أي المذلل المركوب أي لا تؤخذ الزكاة من الفرس المعد للركوب أي بخلاف المعد للتجارة والفلو بفتح الفاء وضم اللام وشد الواو المهر الصغير والضبيس بفتح المعجمة وكسر الموحدة آخره سين مهملة المهر العسر الركوب الصعب امتن عليهم بترك الصدقة في الخيل جيدها وهو ذو العنان الركوب ورديها وهو الفلو الضبيس أي أظهر المنة عليهم في ذلك لان الله ما أوحى اليه باخذ الزكاة في ذلك فهي غير واجبة فيه لا عليهم ولا على غيرهم وقوله لا يمنع سرحكم بضم المثناة التحتية وفتح النون سرحكم بفتح السين المهملة وسكون الراء وبالحاء المهملة ما سرح من المواشي أي لا يدخل عليكم احد في مراعيكم والمراد أن مطلق الماشية لا تمنع عن مرعاها وقوله ولا يعضد طلحكم أي لا يقطع شجركم الذي لا ثمر له فغيره من باب أولى وقوله ولا يحبس دركم أي لا تحبس ذوات اللبن عن المرعى الى أن تجتمع الماشية ثم تعد أي يعدها الساعي لما فيه من ضرر صاحبها بعدم رعيها ومنع درها والقصد الرفق بمن تؤخذ منهم الزكاة أو المعنى لا نأخذ ذات الدر لما في ذلك من الاضرار وقوله مالم تضمروا الاماق أي مالم تخلفوا وتكتموا والاماق أي الغدر والبغض وهو بكسر الهمزة وميم ساكنة وهمزة ممدودة تليها قاف بزنة الاكرام وفي رواية الرماق وهو الغدر أيضا وقال الزمخشري في تفسير الاماق المراد اضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار في دين الله وقوله وتأكلوا الرباق بكسر الراء وبالموحدة المخففة جمع ربق أصله الحبل الذي يجعل فيه عرى وتشد به البهيمة لتتخلص من الرباط أي الا أن تنقضوا العهد فاستعار الاكل لنقض العهد استعارة تصريحية أو تمثيلية وشبه ما يلزم من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقضه والمعنى هذا أمر مقدر عليكم مدة مالم تنقضوا العهد وترجعوا عن الاسلام فان فعلتم فعليكم ما على الكفرة وقوله فعليه الربوة بكسر الراء وفتحها وضمها أي الزيادة يعني من تقاعد عن اعطاء الزكاة فعليه الزيادة في الفريضة عقوبة له وهو صادق بأي زيادة كانت أي يزاد في عقوبته ولو بقتاله فان مانع الزكاة يقاتل قال في المواهب فانظر الى هذا الدعاء والكتاب الذي انطبق على لغتهم أي من حيث المماثلة في غرابة الالفاظ مع انه زاد عليها في الجزالة أي حسن النظم والتأليف وقد كان من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه أن يكلم كل ذي لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها فلما كان كلام من تقدم على هذا الحذو وبلاغتهم على هذا النمط وأكثر استعمالهم لهذه الالفاظ استعملها معهم فاستعمالها مع من هي لغته لا يخل بالفصاحة بل هو من أعلى طبقاتها وان كان فيها ما هو غريب وحشي بالنسبة لغيرهم حتى ان كلام البادية الوحشي فصيح بالنسبة لهم وكان أحدهم لا يجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربي وما ذاك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طرا والى الناس سودا وحمرا فعلمه الله جميع اللغات قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أي لغتهم فلما بعثه الله للجميع علمه الجميع ليحدث الناس بما يعلمون فكان ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم وقد خاطب بعض الحبشة بكلامهم وبعض الفرس بكلامهم وغيرهم مما هو ثابت في كتب السنة وفي شرح الشهاب الخفاجي على الشفاء ان جماعة وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث فلما دخلوا المسجد الحرام لم يعرفوا النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا لا يعرفون

العربية فقال رجل منهم بلغته من أهل الحجاز أي أيكم رسول الله فلم يفهم الحاضرون قوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشكدّا زر ومعنى اشكدا تعال وأقبل وهلم وازر معناه هنا أو الينا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيبه بلغته ولا يفهم القوم فأسلم وبايع وانصرف لقومه وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر الصحابة بقدومه ولغته فسبحان من علمه ذلك انه المنعم الكريم وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب فلا توازى فصاحته ولا تبارى بلاغته فلا حاجة الى الاطالة فيها وفي المواهب والشفاء وشروحهما كثير من ذلك

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لذي المشعار الهمداني) المشعار بكسر الميم واسكان الشين المعجمة وعين مهملة فألف فراء اسم موضع باليمن لقب به مالك بن نمط الهمداني وهمدان شعب عظيم أي قبيلة من همدان ويكنى مالك بأبي ثور وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مقدمه من تبوك فقال يارسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تأخذهم في الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم عن سنة ماحل ولا سوداء عنقفير ما قام لعلع وما جرى اليعفور بصلع فكتب لهم النبي صلى الله عليه وسلم أي أمر بكتابة ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها اي المشعار مالك بن النمط ومن أسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح (فقوله) نصية من كل حاضر وباد بنون مفتوحة وصاد مهملة مكسورة وتحتية ثقيلة مفتوحة من يتنصى من القوم ويختار وهم الرؤس والاشراف ويقال للاشراف نواص كما يقال للاتباع أذناب وقوله أتوك على قلص بضم القاف واللام جمع قلوص وهي الناقة الشابة ولا تزال قلوصا حتى تصير بازلا وهي ما تم لها ثمان سنين ودخلت في التاسعة والنواجي السراع جمع ناجية وقوله متصلة بحبائل الاسلام أي عهوده ومواثيقه وخارف بالخاء المعجمة المفتوحة والراء المكسورة والفاء ويام بالمثناة التحتية فألف فميم ويقال ايام قبيلتان من همدان وقوله ولا ينقض عهدهم عن سنة ماحل أي لا ينقض بسعي ساع بالنميمة والافساد والسنة الطريقة ويروى عن وشية ماحل والماحل هو الواشي والساعي بالافساد والعنقفير بفتح العين المهملة وسكون النون وتقديم القاف على الفاء بعدها تحتية فراء الداهية أي لا ينقض عهدهم بسعي الواشي ولا بداهية تنزل وقوله سوداء أي شديدة فهو من اضافة الصفة للموصوف أي لا ينقض عن داهية شديدة ولعلع بلامين وعينين جبل وما جرى اليعفور بفتح التحتية واسكان المهملة وضم الفاء فواو فراء ولد الظبية وقوله بصلع بضم الصاد المهملة وتشديد اللام الارض التي لا نبات فيها فالمراد ان عهدهم لا ينقض أصلا لان لعلعا مقيم واليعفور لا ينفك عن جريانه بالارض القفراء وقوله صلى الله عليه وسلم لمخلاف هو الناحية وطرف الاقليم وقوله خارف اسم موضع وأهل جناب الهضب بكسر الجيم والهضب بفتح الهاء وسكون المعجمة وموحدة جمع هضبة مركب تركيب مزج اسم موضع أيضا وحقاف الرمل بحاء مهملة مكسورة فقاف بينهما ألف اسم موضع أيضا وهذه المواضع ببلادهم وفراعها بكسر الفاء وبراء وعين مهملة جمع فرعة بفتح فسكون أي ما علا من الجبال أو الارض ووهاطها بكسر الواو وبطاء مهملة المواضع المطمئنة واحدها وهط كسهم وسهام والوهط اسم أرض كانت لعمرو بن العاص رضي الله عنه بالطائف على ثلاثة أميال

ه عليه
همداني

من وج وكان يعرشها على ألف ألف خشبة وقيل الوهط قرية بالطائف وعزازها بفتح العين المهملة ثم زاءين مخففتين ماصلب من الارض وخشن مما لا ملك لاحد فيه وقوله يأكلون علافها بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء جمع علف وهو ما تأكله الماشية ففيه مجاز الحذف أى تأكل ماشيتهم أوأن يأكلون بمعنى يملكون وعفاءها بفتح المهملة وتخفيف الفاء وبالمد أى المباح الذى ليس لاحد فيه ملك ولا أثر من عفا الشئ اذا اندرس ومن دفئهم بكسر الدال المهملة وسكون الفاء وبالهمز نتاج الابل وألبانها والانتفاع بها وسماها دفئا لانه يتخذ من أصوافها وأوبارها ما يتدفأ به وصرامهم بكسر الصاد المهملة وتخفيف الراء أى لنا من نخلهم ما يصرم أى يقطع وما يخرج منه وهو التمر والثلب بكسر المثلثة واللام الساكنة وبباء موحدة ماهرم بكسر الراء من ذكور الابل وتكسرت أسنانه والانثى ثلبة والناب بالنون والموحدة الناقة الهرمة التى طال نابها والفصيل بالمهملة الذى انفصل عن أمه من أولاد النوق والفارض بالفاء والراء المسن من البقر والداجن الدابة التى تألف البيوت والكبش الحورى بحاء مهملة فواو مفتوحتين وقد تسكن الواو فراء مكسورة الذى فى صوفه حمرة منسوب الى الحورة وهى جلود تتخذ من الضأن وقيل ما دبغ من الجلود بغير القرظ والصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة من صلغت الشاة ونحوها اذا تم سنها وذلك اذا دخلت فى السادسة وقيل السابعة والقارح بالقاف والراء والحاء المهملة وهو من الخيل الذى دخل فى السنة الخامسة او السادسة وفى النهاية القارح والصالغ من البقر والغنم الذى كمل وانتهى سنه وذلك فى السنة السادسة والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لقطن بن حارثة العليمى) وقطن بفتح القاف والطاء المهملة ونون والعليمى بمهملة مصغر نسبة لبنى عليم الكلبى وفد قطن مع قومه على النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم وأنشد النبى صلى الله عليه وسلم قوله

رأيتك ياخير البرية كلها * نبت نضارا فى الارومة من كعب
أغر كأن البدر سنة وجهه * اذا ما بدا للناس فى حلل العصب
أقمت سبيل الحق بعدا عوجاجها * ودنت اليتامى فى السقاية والجدب

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم خيرا وكتب له كتابا وخاطب فيه قومه بما يعرفون من لغتهم وهذا صورته هذا كتاب من محمد لعمائر كلب واحلافها ومن ظأره الاسلام من غيرهم من قطن بن حارثة العليمى باقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة بحقها فى شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر من شهود المسلمين وسمى جماعة منهم دحية بن خليفة الكلبى وسعد بن عبادة وعبد الله بن أنيس عليهم من الهمولة الراعية البساط الظئار فى كل خمسين ناقة غير ذات عوار والحمولة المائرة لهم لاغية وفى الشوى الورى مسنة حامل أوحائل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر وفى العثرى شطره بقيمة الامين لا يزاد عليهم وظيفة ولا يفرق عهد على ذلك الله ورسوله وكتب ثابت بن قيس بن شماس * وتفسير ذلك ان العمائر جمع عمارة بالفتح أصغر من القبيلة والاحلاف المحالفون لهم ومن ظأره الاسلام بالظاء المعجمة والهمزة المفتوحة آخره هاء على وزن منعه أى ومن جمعه الاسلام عليهم من غيره والهمولة بفتح الهاء هى التى ترعى بأنفسها بأن تكون سائمة فى كلاء مباح والبساط التى معها أولادها والظئار أن تعطف الناقة على غير ولدها فهو اسم جمع ظئر بمعنى مرضعة وقوله ناقة بالرفع فاعل لجب مقدرا وهذه الصفات ليست للتخصيص لما علم من غير هذا الحديث من عموم الحكم لجميع اصناف الابل حتى لو تمحضت من بنات المخاض لوجبت فيها الزكاة وقوله عوار بفتح العين وضمها والمراد منه العيب وقوله والحمولة المائرة لهم لاغية الحمولة بفتح الحاء والمائرة التى تحمل الميرة وهى الطعام والمعنى ان الابل التى تحمل

لهم المبرة لا تؤخذ منها زكاة لانها عوامل وبه قال قوم وقوله وفى الشوى بفتح الشين المعجمة وكسر الواو والياء المشددة اسم جمع للشاة والورى بفتح الواو وكسر الراء وشد الياء السمينة والمسنة ما لها سنتان لكن الذى فى الفروع ان الواجب فى الغنم جذعة ضأن لها سنة أو أجذعت مقدم أسنانها أو ثنية معز لها سنتان ويمكن حمل ما هنا عليه واقتصر لهم على زكاة الغنم والابل لانهما غالب أموالهم والجدول النهر الصغير والعين المعين الماء الظاهر الجارى على وجه الارض بلا تعب والعثرى الزرع الذى لا يسقيه الا ماء المطر وقوله بقيمة الامين أى بتقويم الخراص العدل والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر) بضم الحاء المهملة وبعدها جيم ساكنة وراء الحضرمى رضى الله عنه ونسبه ينتهى الى مالك بن مرة بن حمير بن زيد الحضرمى كان أبوه من أقيال اليمن ووفد هو على النبى صلى الله عليه وسلم واستقطعه أرضا فاقطعه اياها وأرسل النبى صلى الله عليه وسلم معه معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما ليسلمها اياها وكان معاوية رضى الله عنه حافيا فأحرقه حر الشمس فسأله أن يردفه خلفه فأبى ورأى انه لا يكون كفؤا لان يكون رديفه وقال له لست ممن يردفه الملوك فسأله نعليه أن يلبسهما فأبى وقال دونك ظل ناقتى فامش فيه وذلك كاف فنال حر الشمس من معاوية غايته وشق عليه ذلك نعاش وائل بن حجر حتى أدرك خلافة معاوية فوفد عليه فتلقاه وأكرمه قال وائل فوددت لو كنت حملته بين يدى وكان له قبل الاسلام صنم من عقيق يعبده ويسجد له فنام عنده يوما فى الظهيرة فسمع صوتا هائلا فأتى فسجد له فسمع هاتفا يقول

واعجبا لوائل بن حجر * يخال يدرى وهو ليس يدرى
ماذا ترجى من نحيت صخر * ليس بذى عرف ولاذى نكر
ولا بذى نفع ولا ذى ضر * لو كان ذا حجر أطاع أمرى

فرفع رأسه وقال بماذا تأمرنى فقال

ارحل الى يثرب ذات النخل * وسر اليها سير مستقل
فدن بدين الصائم المصلى * محمد الرسول خير الرسل

ثم خر الصنم لوجهه فقام اليه فجعله رفاتا ثم سار حتى أتى المدينة ودخل المسجد فأدناه النبى صلى الله عليه وسلم وبسط له رداءه وأجلسه معه ثم صعد المنبر وقال أيها الناس هذا وائل بن حجر سيد الاقيال أتاكم من أرض بعيدة راغبا فى الاسلام فقال يا رسول الله بلغنى ظهورك وأنا فى ملك عظيم فتركته واخترت دين الله فقال صدقت اللهم بارك فى وائل وولده وولد ولده ثم انه نزل الكوفة فى آخر عمره وتوفى بها فى خلافة معاوية رضى الله عنه وله بها عقب ووقع فى الشفاء انه صلى الله عليه وسلم وصفه بالكندى فقيل انه غلط والصواب الحضرمى وقال ابن الجوزى الحضرمى أو الكندى فلا مانع من كونه حضرميا كنديا ثم كتب له صلى الله عليه وسلم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب فى التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وأنطوا الثبجة وفى السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرائض الله تعالى وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال وتفسيره الاقيال هم الرؤساء دون الملوك وقيل الملوك والعباهلة بالموحدة المفتوحة الذين أقروا على ملكهم لا يزالون من عبهلت الابل اذا تركتها ترعى متى شاءت والارواع بفتح الهمزة وسكون الراء آخره عين مهملة جمع رائع وهم ذو والهيئات الحسنة الحسان الوجوه والمشابيب بفتح الميم والشين المعجمة وباءين موحدتين بينهما مثناة تحتية ساكنة السادة الرؤس الحسان الوجوه فهم مع اتصافهم بالحسن متصفون بأنهم

رؤساء سادات فلا يرد انه مساو لمفهوم الارواح وقوله وفي التبعة بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية وبالعين المهملة أربعون من الغنم وفي القاموس التبعة أدنى ما تجب فيه الصدقة من الحيوان أي غير البقر وقوله ولا مقورة بضم الميم وفتح القاف وشد الواو والالياط بفتح الهمزة وسكون اللام وبعدها تحتية فألف آخره طاء مهملة أي لا مسترخية الجلود لكونها هزيلة جمع ليط بكسر اللام وهو قشر العود فاستعير للجلد من لاطه يلوطه اذا ألصقه وقيل المقورة المقطوعة والمعنى بها الناقصة فالتفاسير متقاربة وقوله ولا ضناك بكسر المعجمة وتخفيف النون ضد ما قبلها وهي الكثيرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها وقوله وأنطوا بقطع الهمزة بعدها نون أي اعطوا بلغة اليمن أو بني سعد وقرئ شاذا انا أنطيناك الكوثر وفي الدعاء لا مانع لما أنطيت والثبجة بمثلثة فموحدة فجيم مفتوحات وقد تكسر الموحدة أي اعطوا الوسط في الصدقة لا من خيار المال ولا من دنيه وفي السيوب بضم المهملة والمثناة التحتية وواو آخره موحدة جمع سيب وهو الركاز أو المعدن ومن زنى مم بكر بكسر الراء بلا تنوين لان الاصل من البكر لكن أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميما وهي ساكنة فأدغمت النون فيها وحذفوا همزة الوصل في الرسم تخفيفا فلذلك اتصلت النون بالميم لفظا وخطا فأدغمت اذ لم يبق مانع من الادغام بخلاف ما لو رسمت فانها تكون فاصلة وقوله فاصقعوه بهمزة وصل واسكان الصاد المهملة وفتح القاف وضم العين المهملة أي اضربوه وأصله الضرب على الرأس وقيل الضرب ببطن الكف ويروى فاصفعوه بالفاء بدل القاف يقال صفعت فلانا أصفعه اذا ضربت قفاه واستوفضوه بهمزة وصل وكسر الفاء وضم الضاد المعجمة ثم واو ساكنة فضمير النصب أي غربوه وانفوه وقوله فضرجوه بالضاد المعجمة المفتوحة وشد الراء المكسورة وبالجيم المضمومة من التضريج وهو التدمية أي ارجموه حتى يسيل دمه ويموت وقوله بالاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة وميمين أولاهما مكسورة بينهما تحتية ساكنة أي بالحجارة وقوله ولا توصيم في الدين بصاد مهملة مكسورة تفعيل من الوصم وهو العيب والعار أي لا عار في اقامة الحدود أي لا تحابوا فيها أحدا وهذا بمعنى قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقوله ولا غمة في فرائض الله بضم الغين المعجمة وشد الميم أي لا تستر ولا تخفى بل تظهر ويجهر بها اقامة واظهار الشعائر الدين ويروى ولا عمه في الدين بفتح العين المهملة والميم المخففة والهاء أي لا حيرة ولا تردد فيه وقوله يترفل بشد الفاء المفتوحة أي يتسود ويترأس استعارة من ترفيل الثوب وهو اسباغه أي تطويله واسباله للفخر والعظمة فاستعير أو هو كناية عن جعله رئيسا عليهم محكما فيهم * فهذه نبذة من مكاتباته صلى الله عليه وسلم ومخاطباته يعلم منها انه كان يكلم كل ذي لغة بلغته من العرب أو العجم وذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم ومع ذلك كان أفصح خلق الله وأعذبهم كلاما وأسرعهم أداء وأحلاهم منطقا حتى كان كلامه يأخذ بمجامع القلوب وكأنه يسلب الارواح ففصاحة لسانه عليه الصلاة والسلام غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يداني منتهاها ولذا قال بعضهم كلامه صلى الله عليه وسلم معجز قال الزهري قال رجل من بني سليم يا رسول الله أيدالك الرجل امرأته قال نعم اذا كان ملفجا فقال له أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما قال لك وما قلت له فقال صلى الله عليه وسلم قال أيماطل الرجل أهله قلت نعم اذا كان مفلسا قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك قال أدبني ربي ونشأت في بني سعد رواه ابن عساكر وغيره قال في القاموس دلكه أي ماطله والملفج بضم الميم واسكان اللام وفتح الفاء وبالجيم اسم فاعل من ألفج الرجل فهو ملفج اذا كان فقيرا وهو على غير قياس والقياس كسر الفاء ومثله في الخروج عن القياس أحصن فهو محصن بفتح الصاد المهملة وأسهب الرجل اذا أكثر الكلام فهو مسهب بفتح الهاء والقياس الكسر في الجميع وقيل ان الكلام كناية عن مماطلة الرجل امرأته في الابلاج عند ارادة

الوقاع أي أيقاع الرجل امرأته قبل الجماع فقال صلى الله عليه وسلم نعم اذا كان مائقا أي مفلسا كناية
عن كونه عاجزا ضعيف الشهوة لكون ذلك محركا لشهوته ولعجزه معنى مفلسا تشبيها بمن لا يملك مالا لعجزه
وقيل معناه أبطأها اجهرها اذا كان فقيرا فقد أجاب صلى الله عليه وسلم السائل بجواب يحتمل لتلك
المعاني كما أن سؤاله كان كذلك فهذا من بلاغته صلى الله عليه وسلم ومن جوامع كلمه التي اختص بها
صلوات الله وسلامه عليه وفي حديث عطية السعدي رضي الله عنه قال قدمت وافدا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع قومي فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وذكر من كلامه ما أغناك الله فلا
تسأل الناس شيئا فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة وقال الله مسؤول ومنطي وفي شرح
الشهاب على الشفاء روي باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم بينما هو ذات يوم جالس مع أصحابه اذ نشأت
سحابة فقالوا يا رسول الله هذه سحابة فقال كيف ترون قواعدها قالوا ما أحسنها وأشد تمكنها قال
وكيف ترون رحاها قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال وكيف ترون بواسقها قالوا ما أحسنها وأشد
استقامتها قال وكيف ترون برقها أوميضا أم خفيا أم يشق شقا قالوا بل يشق شقا قال وكيف ترون
جونها قالوا ما أحسنه وأشد سواده فقال صلى الله عليه وسلم الحيا فقالوا يا رسول الله ما رأينا أفصح منك
قال وما يمنعني من ذلك وانما أنزل القرآن بلسان عربي مبين وقواعد السحابة أسافلها واحدتها قاعدة
وأما القواعد من النساء فواحدتها قاعد وهي التي قعدت عن الولد ورحاها وسطها ومعظمها وكذا
رحى الحرب وسطها ومعظمها حيث استدار القوم وقال الجوهري مستدارها وبواسقها ما علا منها
وارتفع وكل شيء علا فقد بسق والوميض اللمع الخفي يقال أومض ايماضا وأومض بعينه غمز والخفي رتبة
الضرب العرق الضعيف قال الجوهري خفق اذا لمع لمعا ضعيفا معترضا في نواحي الغيم فان لمع قليلا ثم
سكن فهو الوميض والذي يشق شقا هو الذي يستطيل في الغمام وجونها أسودها وهو من الاضداد لانه
يكون بمعنى الابيض والحيا بالقصر الغيث وجمعه أحياء وبعد أن بث صلى الله عليه وسلم كتبه في
الآفاق أمر أمراء في كل قطر دخل في طاعته وانقاد لشريعته فمن أمرائه صلى الله عليه وسلم باذان بن
ساسان كان نائبا لكسرى على اليمن فلما هلك كسرى باخبار النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم أسلم
باذان لظهور صدق النبي صلى الله عليه وسلم له في اخباره بهلاك كسرى مع ما بلغه عنه من المعجزات
وأرسل للنبي صلى الله عليه وسلم باسلامه واسلام من معه فأقره صلى الله عليه وسلم على اليمن وفاء بقوله
صلى الله عليه وسلم لرسولي باذان حين أرادا الرجوع اليه قولا له ان أسلمت أقرك على ملكك وهو أول أمير
في الاسلام على اليمن وأول من أسلم من ملوك العجم ثم مات واستعمل النبي صلى الله عليه وسلم ابنه شهر بن
باذان وقيل ان باذان خرج للوفود على النبي صلى الله عليه وسلم فلحقه العبسي الكذاب الذي ادعى النبوة
باليمن فقتله وقيل ان الذي قتله الاسود انما هو ابنه شهر لا هو وأن العبسي تزوج زوجته بعد قتله
وكانت مسلمة فأعانت فيروز الديلمي على قتل الاسود فانها مكنته من الدخول عليه ليلا فقتله وأمر صلى
الله عليه وسلم على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه وولى زياد بن لبيد الانصاري رضي الله
عنه حضرموت وهو مخلاف باليمن وولى أبا موسى الاشعري رضي الله عنه زبيد وعدن وولى معاذ بن
جبل رضي الله عنه الجند ومخاليفها وولى أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه نجران وهو موضع باليمن قال
بعضهم انه لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان أبو سفيان بمكة فلعل مدة تلك الولاية لم تطل وولى ابنه
يزيد تيماء بلدة ساحلية تبوك ثم ان أبا بكر لما جهز الجيوش للشام كان أول أمير عقد رايته يزيد بن أبي
سفيان ثم ولي الشام في خلافة عمر رضي الله عنه بعد أبي عبيدة رضي الله عنه وقيل أخيه معاوية وتوفي
يزيد رضي الله عنه بالشام وهو أكبر من معاوية قال بعضهم ان يزيد بن أبي سفيان أفضل آل أبي

سفيان وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وولى صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضي الله عنه مكة وولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه القضاء باليمن وولى عمرو بن العاص رضي الله عنه عمان الى غير ذلك مما بسطه أهل السير وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

(باب في ذكر شيء من معجزاته صلى الله عليه وسلم) اعلم أن معجزاته صلى الله عليه وسلم كثيرة لا يمكن حصرها ولنقتصر على المشهور منها وقد يذكر شيء مما تقدم في أول بعثته أو مما اندرج في غزواته وسراياه فلا ينبغي الملل والسآمة عند ذكر شيء من ذلك لان بتكراره تزداد الفائدة

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

والمعجزة هي الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي أي بطلب المعارضة كانشقاق القمر ونبع الماء من بين الاصابع وسميت معجزة لعجز البشر عن الاتيان بمثلها لانها لا تدرك بسببهم لكونها خارقة للعادة وهي تدل على صدق من ظهرت على يديه وشرط تسميتها معجزة أن تظهر على يد مدعي الرسالة على طبق دعواه وتقسيم الامر الخارق للعادة الى المعجزة والكرامة وغيرهما مذكور في كتب الكلام فلا حاجة الى الاطالة به ثم ان دلائل رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة والاخبار عن شأنه شهيرة فمن ذلك ما وجد في التوراة والانجيل وسائر كتب الله المنزلة من ذكره ونعته بالصفات المميزة له وخروجه بأرض العرب وما خرج بين يدي مولده ومبعثه من الامور الغريبة العجيبة كقصة الفيل وما احل الله بأصحابه فان تلك القصة مؤيدة لشأن العرب منوهة بذكرهم مشيرة الى أنه سيصير لهم نبأ عظيم وذلك لظهور هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وخمود نار فارس عند ميلاده عليه الصلاة والسلام وكانوا يعبدونها وكان لها ألف عام لم تخمد وسقوط أربع عشرة من شرفات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة وكانت متسعة أكثر من ستة فراسخ يركب فيها السفن ويسافر فيها الى ما حولها من البلاد والمدن فأصبحت ليلة المولد ناشفة كان لم يكن بها شيء من الماء ورؤيا الموبذان وهو قاضي المجوس رأى ليلة مولده صلى الله عليه وسلم ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في البلاد فقال له كسرى أي شيء يكون هذا قال حدث يكون من ناحية العرب ومن ذلك ما سمع من هواتف الجن الصارخة بدعوته وانتكاس الاصنام المعبودة وخرورها لوجوهها من غير دافع لها من أمكنتها الى غير ذلك مما روي ونقل في الاخبار المشهورة من ظهور العجائب في ولادته وأيام حضانته وبعدها الى أن بعثه الله نبيا ومن تأمل في جميل مآثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجميع خصاله لم يشك في صحة نبوته وقد اكتفى كثير ممن عاصره صلى الله عليه وسلم بتلك الاشياء فآمن وانقاد له صلى الله عليه وسلم وعلم أن تلك الصفات لا يمكن أن يتصف بها غير نبي فقد أخرج الترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان من علماء اليهود قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فصدقه وآمن به وقال لليهود يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون أنه رسول الله الذي تجدونه عندكم مكتوبا في التوراة اسمه وصفته واني أومن به وأصدقه وعن أبي رمثة التيمي رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيته قلت هذا نبي الله أي لما شاهده من عظمته ونور نبوته فأوقع الله في قلبه علما ضروريا بصدقه صلى الله عليه وسلم وروى مسلم أن ضماد بن ثعلبة الازدي كان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وكان يغيب في قومه ثم يقدم وافدا الى مكة فقدم مرة في أول مبعثه صلى الله عليه وسلم وسمع الناس يقولون فيه ما قالوا أي من نسبته للسحر أو الكهانة أو الجنون وكان ضماد عاقلا يطبب ويرقي في الجاهلية فلما سمعهم يقولون ان محمدا مجنون جاءه وقال اني راق فهل بك من شيء فأرقيك فأجابه صلى

الله عليه وسلم بقوله ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فقال له ضماد أعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغت قاموس البحر أى وسطه أو لجته ثم قال هات يدك أبايعك وآمن به وصدقه وأسلم وانقاد من غير تردد واكتفى بهذه الكلمات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم البالغة من الفصاحة والبلاغة غايتهما مع ما شاهده من نور وجهه الشريف وحسن بهجته وقال بعضهم فى قوله تعالى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يقرأ قرآنا أى وان لم يظهر معجزة كما قال ابن رواحة رضى الله عنه

لو لم يكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر

ومع ذلك لم يكن معه صلى الله عليه وسلم ما يستميل به القلوب من مال يطمع فيه ولا قوة يقهر بها الرجال ولا أعوان على الدين الذى أظهره ودعا اليه وكانوا مجتمعين على عبادة الاصنام وتعظيم الازلام مقيمين على عادة الجاهلية فى العصبية والحمية والتعادى والتباغى وسفك الدماء وشن الغارات لا تجمعهم ألفة دين ولا يمنعهم من سوء أفعالهم نظر فى عاقبة ولا خوف عقوبة ولا لوم لائم فألف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الآراء وتناصرت القلوب وتتابعت الايدى فى التعاون والتناصر على اظهار الحق فصاروا جمعا واحدا فى نصرته ناظرين الى طلعته ليدفعوا عنه ما يكره ويعاونوه على ما يريد وهجروا بلادهم وأوطانهم وجفوا قومهم وعشائرهم فى محبته وبذلوا أرواحهم فى نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف والسهام والرماح ووطنوا أنفسهم على اصابة ذلك لوجوههم وصدورهم لاجل اعزاز كلمته واعلاء دينه واظهاره بلا دنيا بسطها لهم ولا أموال أفاضها عليهم ولا عرض فى العاجل أطمعهم فى نيله ديرغبون بسببه أوملك أوشرف فى الدنيا يحوزونه بل كان من شأنه صلى الله عليه وسلم أن يجعل الغنى فقيرا لانه كان يحمل الاغنياء على صرف أموالهم فى الجهاد ونحوه من أنواع القرب ويجعل الشريف مثل الوضيع بتهذيب النفس وعدم الفخر والاعراض عن الاسباب المشعرة بنحو الكبر وهل يلتئم مثل هذه الامور أو يتفق مجموعها لاحد هذا سبيله بالاختيار العقلى والتدبير الفكرى لا والذى بعثه بالحق وسخر له هذه الامور ما يشك عاقل فى شئ من ذلك وانما هو أمر الهى وشئ غالب سماوى ناقض للعادات تعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم أكثرها متواتر رواها جمع عن جمع وكانت تظهر فى مواطن اجتماعهم كيوم الخندق وبقية الغزوات وفى محافل المسلمين ومجمع العساكر والجند ولم ينقل عن أحد من الصحابة مخالفة ولا انكار على من روى ذلك مع شدة تحريهم فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق لانهم مبرءون عن السكوت على باطل وعن المداهنة فى الكذب كلهم عدول لا يخافون فى الله لومة لائم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها من السنن والسير وبعض الفاظ فى القرآن ثم نقلت الى من بعدهم قرنا بعد قرن تأخذها طائفة عن طائفة وجماعة عن جماعة قال القاضى عياض فى الشفاء فمن اعتنى بطرق النقل لم يشك فى صحة هذه القصص المشهورة أى من المعجزات وخوارق العادات كالاخبار بالمغيبات ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فان أكثر الناس يعلمون بالخبر المتواتر وجود بغداد وأنها مدينة عظيمة وأنها دار الامامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها أى فجهل الجاهل بذلك لا ينفى التواتر فكذا ما نحن فيه ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم أنه كان أميا لا يخط كتابا بيده ولا يقرؤه ولد فى قوم أميين ونشأ بينهم فى بلد

ليس بها عالم يعرف أخبار الماضين ولم يخرج في سفر قاصدا الى عالم يعكف عليه ليتعلم منه فجاءهم بأخبار التوراة والانجيل والامم الماضية وقد كانت ذهبت تلك الكتب ودرست وحرفت عن مواضعها ولم يبق من المتمسكين بها وأهل المعرفة بصحيحها الا القليل واقلتهم لم يجتمع صلى الله عليه وسلم بأحد منهم حتى يظن انه أخذ عنهم ثم انه جادل كل فريق من أهل الملل المخالفة له بآيات وبراهين لو اجتمع لردها حذاق المتكلمين وجهابذة النقاد المتقنين لم يتهيأ لهم نقض ذلك وهذا أدل شئ على انه أمر جاءه من عند الله تعالى لا صنع لاحد فيه ومن أعظم دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم فقد تحداهم بما فيه من الاعجاز ودعاهم الى معارضته والاتيان بسورة من مثله فعجزوا عن الاتيان بشئ منه فكان هذا القرآن الذي أعجزهم أوضح في الدلالة على الرسالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمقدمين في اللسان بكلام مفهوم المعنى عندهم فكان عجزهم عنه اعجب من عجز من شاهد المسيح عليه السلام عند احياء الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في ابراء الاكمه والابرص وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة وانشاء الكلام البليغ ارتجالا في المحافل جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة فيأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديهة في المقامات وفي كل موضع شديد الخطب ويرتجزون بين الطعن والضرب ويتوصلون بذلك الى مطالبهم ويرفعون من مدحوه بمدحهم ويضعون من ذموه بقدحهم فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون الاعناق بأحسن من عقد اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق فكل من البدوي والحضري لهما الحجة البالغة والقوة الدامغة لا يرتابون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا للبلوغ اسبابها فجاءهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبادرت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه جاءهم وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا وأكثر في السجع والشعر ارتجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم من الاعوام بضعا وعشرين على رؤس الملأ أجمعين فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فلم يزل يقرعهم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا عاجزون عن معارضته وما ذاك الا ليصير علما على رسالته وصحة نبوته وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح وهو باق دون غيره من المعجزات ومنه تستنبط الاحكام الشرعية والعلوم العقلية ولم تستنبط من معجز سواه فمعجزات الانبياء انقرضت بانقراض اعصارهم فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القرآن باقية الى يوم القيامة وقد قطع صلى الله عليه وسلم بانهم لا يقدرون على معارضة القرآن حيث تحداهم به وقال لهم كما أمره الله تعالى فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين

فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار فلولا علمه صلى الله عليه وسلم بان ذلك من عند الله علام الغيوب وانهم لا يقدرون لما قال لهم ولن تفعلوا لانه كان اعقل الرجال من أهل زمانه بل هو اعقل خلق الله على الاطلاق فلكمال عقله لم يحصل له ريب في خبر الله بل قطع القول فيما أخبر به عن ربه بانهم لا يأتون بشئ من مثله وهذا من أحسن ما يكون في هذا المجال وأبدعه وأبينه فانه نادى عليهم بالعجز عن معارضته ونفى قدرتهم في المستقبل حيث قال ولن تفعلوا فلو قدروا لفعلوا فصار صارخا بعجزهم على رؤس الاشهاد فلم يستطع أحد منهم الالمام به مع توفر الدواعي وتظاهر الاجتهاد وهم في كل حين ناكصون عن معارضته يخادعون انفسهم بالتكذيب والافتراء يقولون ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين ورضوا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر أي صمم ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وقنعوا بادعاء القدرة مع عجزهم كما قال تعالى حكاية عنهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وهذه وقاحة ومكابرة لفرط عنادهم فلو استطاعوه ما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز بضعا وعشرين سنة ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا مع استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في الفصاحة وقال تعالى اظهارا لعجزهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي معينا فهذا انزل ردا لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وانما ذكر سبحانه وتعالى الجن تعظيما لاعجاز القرآن والا فالتحدي انما وقع للانس دون الجن لانهم ليسوا من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على اساليبه لان للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للافراد واذا فرض اجتماع الثقلين واعانة بعضهم بعضا ومع ذلك عجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد اعجز فرضيت هممهم الشريفة وأنفسهم الابية بسفك الدماء وهتك الحرم عجزا عن الاتيان بمثله وعنادا فلو قدروا على المعارضة لدفعوا ما حل بهم بالمعارضة فهذا برهان على عجزهم وابطال لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فان هذا قاطع بعجزهم وعدم قدرتهم فلا عبرة بقولهم وقد اعترف كثير منهم من أهل الفصاحة والبلاغة بانه لا يقدر أحد على معارضته وانه ليس من كلام البشر فمن اعترف عتبة بن ربيعة وذلك انه ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي ان كنت تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا أو تطلب الشرف فنحن نسودك علينا وان كان الذي يأتيك رئيا بذلنا أموالنا في طلب الطب لك فلما فرغ قال صلى الله عليه وسلم اسمع مني بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته حتى انتهى صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فوضع عتبة يده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وقال له لا تدع علينا ثم رجع فقالت له قريش ما وراءك فقال والله لقد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ وتقدمت قصته مبسوطة بعد ذكر قصة اسلام حمزة رضي الله عنه عند ذكر ما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية وروي من حديث اسلام أبي ذر رضي الله عنه كما رواه مسلم انه حين بلغه بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعث أخاه انيسا ينظر له في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو ذر يصف أخاه بقوله والله ما سمعت باشعر من اخي انيس قد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية أي عارضهم في قصائدهم أي فيدل ذلك على فصاحته ومعرفته بالشعر قال فانطلق انيس الى مكة ثم رجع الى أبي ذر يخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رأيت رجلا بمكة يزعم ان الله أرسله قلت فما يقول الناس فيه قال يقولون شاعر كاهن ساحر ولقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على أنواع الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان أحد وانه

لصادق وانهم لكاذبون وروى البيهقي في قصة الوليد بن المغيرة وكان سيد قريش في الفصاحة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرأ على شيئا لانظر فيه فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون فقال الوليد أعد على قراءتك فاعاد صلى الله عليه وسلم الآية فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق ومايقول هذا بشر ثم قال لقومه والله مافيكم رجل اعلم بالاشعار مني ولا باقوال الجن مني والله مايشبه الذى يقول شيئا من ذلك والله ان لقوله الذى يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلى عليه وانه ليحطم ماتحته وقد سبق عند ذكر استهزاء المستهزئين به صلى الله عليه وسلم ان الوليد بن المغيرة هذا قال في حق النبي صلى الله عليه وسلم ماهو بكاهن ولا بمجنون ولا بشاعر ولكن أقرب القول فيه انه ساحر كما تقدم مبسوطا وروى أبونعيم من طريق ابن اسحاق عن رجل من بنى سلمة بكسر اللام بطن من الانصار قال لما أسلم فتيان بنى سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه معاذ أخبرنى ماسمعت من كلام هذا الرجل وكان معاذ أسلم قبل أبيه فقرأ عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم فقال عمرو لابنه ماأحسن هذا وأجمله أوكل كلامه مثل هذا قال يا أبت وأحسن من هذا * قال في المواهب نقلا عن بعضهم ان هذا القرآن لو وجد مكتوبا في مصحف في فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هنا لشهدت العقول السليمة انه منزل من عند الله تعالى وان البشر وغيرهم لا قدرة لهم على تأليف ذلك فكيف اذا جاء على يد أصدق الخلق وأبرهم وأتقاهم وقد قال انه كلام الله وتحدى الخلق كلهم ان يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا شك

(ذكر وجوه اعجاز القرآن) اعلم ان وجوه اعجاز القرآن لا تنحصر فمنها الايجاز أى قلة اللفظ وكثرة المعانى والبلاغة الخارقة لعادة العرب حتى كان فى الحد الاعلى مثل قوله ولكم في القصاص حياة فجمع فى كلمتين عدد حروفهما عشرة احرف معانى كثيرة وحكى أبوعبيد أن اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام أى انما كان سجوده لانه هزه العجب لفصاحته ولدهشته من بلاغته حتى ذل ومرغ وجهه فى التراب وسمع اعرابى آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام أى لاعجاز بلاغته وخروجها عن طوق البشر وحكى الاصمعى انه رأى جارية صغيرة السن بلغت خمس سنين أوستا وهى تقول استغفر الله من ذنوبى كلها قال الاصمعى فقلت لها مم تستغفرين وأنت صغيرة لم يجرعليك قلم أى لم تبلغى الحلم فقالت

استغفر الله لذنبى كله * قتلت انسانا لغيرحله

مثل غزال ناعم فى دله * انتصف الليل ولم أصله

فقلت لها قاتلك الله ماأفصحك فقالت أوتعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين فالامران ارضعيه وألقيه والنهيان ولا تخافى ولا تحزنى والخبران وأوحينا وفاذا خفت وقيل الخبران والبشارتان انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فهو خبر من جهة وبشارة من جهة وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يوما نائما فى المسجد فاذا برجل على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأخبره انه من بطارقة الروم وهم قواد الروم وأهل الرياسة فيهم وكان ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم ايها المسلمون قال فتأملتها فاذا هى قد جمع فيها ماأنزل الله على عيسى بن مريم عليه السلام من أحوال الدنيا والآخرة وهى قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون

فكان ذلك سببا لاسلامه وقد أراد جماعة من أهل الزيغ والطغيان ممن أوتوا طرفا من البلاغة وشيئا من البيان أن يضعوا شيئا يلبسون به على الناس يزعمون انه يشبه القرآن فعجزوا عن ذلك ورأوه مكان النجم من يد المتناول ومنهم من أراد أن يصنع كلاما فلا يعما كى به نحو سورة الكوثر ليدخل الشبهة على الجهال القاصرة عقولهم عن تمييز الحسن من القبيح فجاء بما يدل على سخافة عقله وجمود قريحته وسوء فعله وظهر لاهل التمييز انه ليس من نمط فصاحتهم ولا من جنس بلاغتهم فولوا عنه مدبرين واعترفوا بعصمة القرآن مذعنين فمن ذلك قول مسيلمة الكذاب لعنه الله ياضفدع كم تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشرب تمنعين ولما سمع مسيلمة لعنه الله قوله تعالى والنازعات غرقا قال والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخافرات حفرا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر الى غير ذلك من الهذيان الدال على سخافة عقله بل كلامه هذا مسلوب عنه أدنى الفصاحة التى أقرها فيكون حجة على خزيه ومن كلامه وقيل من كلام غيره ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف وأحشا وقال بعض الحمقاء الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل أى ممتد ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا لقليل ففى هذا الكلام مع قلة حروفه من السخافة مالا يخفى على من لا يعلم فضلا عمن يعلم اذ كل من سمعه مجه و يعلم ضرورة هجانته ولكنته *(ومن وجوه اعجازه)* الوصف الذى صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والسجع فلا يشبه نظما ولا نثرا ولا خطبة ولا رسالة ولا سجعا مع أنه يشاركها فى أنه مؤلف من كلماتهم ونزل على أساليب كلامهم فى البلاغة وقد اشتمل على حسن التأليف والتآم الكلمات وفصاحتها وغير ذلك من وجوه الاعجاز الخارقة لعادة العرب فى عجائب تراكيبهم وغرائب أساليبهم وبدائع انشائهم وروائع اشاراتهم الذين هم فرسان الكلام ومن صورة نظمه العجيب وأسلوبه الغريب الوضع المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذى جاء به القرآن ووقفت عليه مقاطيع آياته وانتهت اليه فواصل كلماته لم يوجد قبله ولا بعده نظيره ولذلك تحيرت عقولهم ودهشت أحلامهم ولم يهتدوا الى مثله فى حسن كلامهم فلاريب أنه فى فصاحته قد قرع القلوب ببديع نظمه و فى بلاغته قد أصاب المعانى بصائب سهمه فانه حجة الله الواضحة ومحجته اللائحة ودليله القاهر وبرهانه الباهر ما رام معارضته شقى الا تهافت تهافت الفراش فى الشهاب وذل ذل الغنم بين الليوث الغضاب وقد حكى عن غير واحد ممن رام معارضته أنه أصابته روعة وهيبة منعته عن ذلك كما يحكى عن يحيى بن حكيم الاندلسى وكان بليغ الاندلس فى زمانه قيل انه بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة وتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين أنه رام شيئا من المعارضة للقرآن فنظر فى سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج على منوالها فاعترته خشية ورقة فى قلبه حملته على التوبة عما كان رامه وعلم أنه أمر لا يقدر عليه البشر ويحكى أن المقفع بضم الميم وفتح القاف والفاء المشددة قبل العين المهملة وكان أفصح أهل وقته وكان فى عصر التابعين طلب المعارضة ورامها فانتظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فاجتاز يوما بصبى يقرأ فى المكتب قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين فقال اشهد أن هذا ما هو من كلام البشر وأن هذا لا يعارض أبدا ثم رجع ومحا ما عمله وأبطله وعلم أنه لا مناسبة بينه و بين كلام الله فى شئ وبالتأمل فى القرآن المجيد يظهر لك من عجائبه مالا يمكن حصره فتأمل فى مثل قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وقوله تعالى ويا أرض ابلعى ماءك الآية وقوله تعالى فكلا

أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وأشباه هذه الآيات بل جميع آيات القرآن اذا دققت النظر فيها تبين لك أن تحت كل لفظة جملا كثيرة وفصولا جمة ووجدت فيها علوما واخرمع ايجاز الالفاظ وكثرة المعانى ولطائف العبارات والدعاء الى التوحيد وطاعة الرب المجيد والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد الى محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها كل شئ فى موضعه بحيث لاترى محلا أولى من محل واذا تأملت أيضا القرآن وجدته مودعا فيه مثلات أخبار القرون الماضية منبئا بالحوادث المستقبلة جامعا للحجج والمحتج له واستيفاء هذه الامور متسقة أحسن نسق لا يتمكن لغير الله عز وجل فادعاء أنه من عند النبى صلى الله عليه وسلم وأنه تقوله على الله معلوم البطلان بالضرورة بل المعلوم بالضرورة أنه جاء على لسانه من عند الله فان عجز العرب عن الاتيان بمثله معلوم بالضرورة وتحديهم به معلوم بالضرورة كما أن كونه خارقا للعادة معلوم بالضرورة كل ذلك معلوم بعجز المنكرين عن معارضته مع اعترافهم باعجاز بلاغته ثم هو آية معجزة فى سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التى يضعف فى عادة الفصحاء نطقهم ببيانها مع ما اشتمل عليه من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناسق وجوهه وتشابه أطرافه وانظر الى قصة يوسف عليه السلام على طولها قصها الله تعالى على أعجب ترتيب وأبدع تهذيب مرتبطا أولها بآخرها لم ينضب ماء بيانها ولم يحل عقد نظامها ثم ان قصصه اذا كررت فيه وذكرت مرة بعد أخرى اختلفت فيها العبارات وذكرت فى كل مكان لمعنى ضربت له مثلا غير المكان الآخر وحكيت بعبارات مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى واحدا حتى تكاد كل واحدة من القصص المكررة تنسى فى البيان صاحبتها فيكون سامعها كأنه انما سمعها الآن ولم يسبق لها ذكر ولا نفور للنفوس من تكريرها ولا معاداة لمعادها قال فى الشفا ومن تفنن فى علوم البلاغة وأرهف خاطره وفكره ولسانه لم يخف عليه جميع ما تقدم وأن كل واحد من تلك الوجوه معجز على حدته فهو كاحياء الموتى وقلب العصا حية وتسبيح الحصى بل أعظم من ذلك لان هذا من جنس ما يتعاطونه ومع ذلك لم يأتوا فيه بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا أشمخ الانوف أباة الضيم بحيث لا يرضون ذلك الذل اختيارا ولا يؤثرونه الا اضطرارا فالمعارضة لو كانت من قدرتهم فالشغل بها أهون عليهم وأسرع للنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم أهل القدرة والمعرفة بالكلام من جميع الانام وما منهم أحد الا جهد جهده واستفرغ ما فى وسعه فى اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما أظهروا فى ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا أتوا بقطرة من معين مياههم مع طول الأمد وكثرة العدد وتظاهر الوالد والولد فما نطقوا بل انقطعوا .

(ومن وجوه اعجازه) ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات مما سبق ومما كان فى وقت نزوله ومما سيقع بعد ذلك مما لا يعلم علمه الا الله فجاء كما أخبر على الوجه الذى به أخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين أخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بدخوله معهم المسجد الحرام وهو بالمدينة قبل عام الحديبية فظنوا أنه ذلك العام فلما صدهم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك فأنزل الله سورة الفتح عند منصرفهم من الحديبية وفيها هذه الآية فأخبرهم بأنه سيقع بعد ذلك فكان كما أخبر فلما وقع ذلك قال لهم صلى الله عليه وسلم ذلك الذى قلت لكم وكقوله تعالى غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين فأخبر الله تعالى أن الروم تغلب فارس فى بضع سنين وهو من الثلاث الى التسع فكان كما أخبر الله وذلك أن الروم كانوا أهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين فكان المشركون كلما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس للروم ويفرحون

بهاتما ولا نغلبنهم لنساب فبعث كسرى جيشا الى الروم فالتقيا بأذرعات و بصرى فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين فأنزل الله الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين وأخبر أبو بكر رضى الله عنه المشركين بذلك وقال ستظهر الروم على فارس فلا تفرحوا وقد أخبر الله نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له أمية بن خلف وقيل أبى بن خلف كذبت فقال له أبو بكر بل أنت كذبت يا عدو الله فقال اجعل بينى و بينك أجلا على عشر قلائص يأخذها الصادق منا فراهنه على ذلك وكان ذلك قبل تحريم القمار وجعلوا الموعد بينهما ثلاث سنين وأخبر أبو بكر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له مد الاجل وزد فى الرهان فان الله قال فى بضع سنين وهو من الثلاث الى التسع ففعل فجعل القلائص مائة والاجل الى تسع سنين فوقع ذلك أى غلبة الروم الفارس عام الحديبية وهو لم يخرج عن مدة التسع سنين فأخذ القلائص أبو بكر رضى الله عنه من ورثة أمية أو أبى لان أمية قتل يوم بدر وأبى قتله النبى صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد فتمام الاجل انما وقع بعد موتهما فالقلائص انما أخذت من ورثتهما فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه تصدق بها وانما أمره بالتصدق بها وان كان هذا قبل تحريم القمار شكرا لله على تصديق مقالته وتكذيب مقالتهم (ومن الاخبار بالغيب الواقع فى القرآن قوله تعالى ليظهره على الدين كله فهذا وعد من الله بأن دين رسوله صلى الله عليه وسلم سيظهر و يغلب سائر الاديان وتقهر أمته صلى الله عليه وسلم جميع الامم وقد وقع ذلك كما أخبر ومن ذلك قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا أى ليجعلنهم خلفاء فى أرضه مالكين لها منصورين على أعدائهم والآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ومن كان معه من الصحابة رضى الله عنهم فكانت الغلبة لهم على أهل الردة فى خلافة الصديق رضى الله عنه وعلى الروم وفارس فى خلافة عمر ومن بعده وهكذا حتى مكن الله لهم فى البلاد وأبدلهم بعد خوفهم أمنا كما أخبر سبحانه وتعالى ومكن دينهم فى مشارق الارض ومغاربها وملكهم اياها وصاروا خلفاء فيها كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها وكقوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره فالآية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة ناعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما نزلت وتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بكى عمه العباس رضى الله عنه فقال ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك فقال انه كما تقول ففتحت مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجا أى جماعات كثيرة بعد جماعات كثيرة لما أعز الله الدين ونشر أعلامه فى الخافقين فما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى بلاد العرب موضع لم يدخله الاسلام بل كلهم أسلموا ثم انتقل صلى الله عليه وسلم الى الدار الآخرة فكان الامر كما أخبر الله وكقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فأخبر سبحانه وتعالى بأنه تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير فى سائر الازمان بدليل التعبير بالجملة الاسمية المؤكدة بالمؤكدات فكان فى المستقبل كما أخبر فلا مبدل لكلماته بخلاف سائر الكتب فانه تعالى وكل حفظها الى الامم المنزلة عليهم كما قال تعالى بما استحفظوا من كتاب الله أى طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صارت لا يوثق بما نقل منها فالمراد بالذكر فى قوله انا نحن نزلنا الذكر القرآن وقد اجتهد كثير من الملحدة فى ادخال شئ من التبديل فى القرآن بعد أن أجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم فى هذه المدة الطويلة فما قدروا على اطفاء شئ من نوره ولا على تغيير كلمة من كلامه ولا

تشكيك المسلمين في حرف من حروفه فكان الحفظ حاصلا بالله كما أخبر الله تعالى فالحمد لله على حفظه لكلامه وبقاء رونقه ونظامه وخيبة سعي من سعى في اطفائه وافتضاح جهلة أعدائه ومما أخبر الله به من المغيبات في القرآن العزيز قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر نزلت هذه الآية بمكة والمسلمون مستضعفون فلم يدر واما هذا الجمع الذي سيهزم ولا المراد من الآية فلما كان يوم بدر وكان بعد سبع سنين من نزولها لبس صلى الله عليه وسلم درعه وخرج اليهم وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر رضي الله عنه فعلمت المراد منها حينئذ أي سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين أدبارهم أي يجعلون المسلمين متوالين على أدبارهم بالطعن والضرب فعبر عن شدة انهزامهم بأبلغ عبارة ففيها الاعجاز لفظا ومعنى وكقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ففيها اخبار بالغيب وذلك أن ناسا من اليمن وبني خزاعة أسلموا وبقوا بمكة بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وكثير من أصحابه فلقوا من المشركين أذى شديدا فأرسلوا وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصبروا وأبشروا بفرج قريب وأذن الله للمسلمين في الجهاد وأنزل آيات في الامر بالجهاد ومنها هذه الآية قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم الى آخرها فكان بعدها ما أوقع الله بهم من القتل ونصرة المؤمنين التي شفيت بها صدورهم حتى خربوا ديار المشركين بالسبي والجلاء وسلب النعم وكقوله تعالى لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون أخبر سبحانه وتعالى عن اليهود بأنهم لا يقدرون عليكم الا باذية يسيرة كالتهديد بالالسنة وأنهم ان يقاتلوكم يخذلوا ويكون لكم النصر عليهم فكان الامر كذلك (ومما في القرآن من الاخبار بالمغيبات ما فيه من كشف أسرار المنافقين مما كانوا يخفونه في قلوبهم مما لا يعلم علمه الا الله وكشف أسرار اليهود واظهار كذبهم وما قالوه فيما بينهم وهم يظنون أنه لا يشعر به غيرهم وتقريع الله لهم وتوبيخهم فكانوا يحلفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على مقالتهم أنها صادقة فينزل الله تكذيبهم كقوله تعالى والله يعلم انهم لكاذبون ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول أي يقول اليهود فيما بينهم وفي تناجيهم في خلوتهم هلا يعذبنا الله في قولنا في حق محمد لو كان نبيا الدعاء علينا حتى نعذب ففضح الله مقالتهم وأظهر مناجاتهم وزاد ذلك بقوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يعني انهم يسرون في ضمائرهم غير ما يظهرونه لك اذا أتوك وهذا بيان لحال المنافقين ومكرهم والذي أخفوه هو قول بعضهم لبعض في الخلوة يوم أحد لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا فأعلم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فأخبرهم بما قالوه فهو من جملة الاخبار بالمغيبات وكقوله تعالى سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه وكقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين أي بالتكذيب والسخرية فأخبر الله تعالى بتحريفهم كتابهم وبمقالتهم وعدم طاعتهم وبما يقصدونه بقولهم راعنا من الاستهزاء به صلى الله عليه وسلم ووصفه بالحماقة والرعونة ويظهرونه في صورة التماس نظره ورعايته تنكرا منهم وليا بألسنتهم وهو من الاخبار بالغيب فضيحة لهم ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم فهذا اخبار عن المؤمنين بأمر وقع في نفوسهم وودوه وأحبوه وهو مغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه به جبريل عليه السلام حين نزل عليه بهذه الآية وذلك ان الله وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بأحد الامرين الظفر بالعير القافلة من الشام بأموال قريش أو قتال النفير وهم قريش الذين خرجوا من مكة لتخليص تلك العير وكانت الصحابة رضي الله عنهم يودون في أنفسهم أخذ العير لما فيها من المال ولقلة ما عندهم من

السلاح والرجال فقذف الله بهم بالقرب العدو ويقطع دابر الكافرين بقتل صناديدهم وأيد الله المؤمنين وأعز الدين ومن الإخبار بالغيب قوله تعالى إنا كفيناك المستهزئين وهم خمسة أو سبعة من الكفار كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم أشد الأذى ويسخرون به فأخبره الله تعالى بهلاكهم قبل وقوعه فكان كما قال فلما نزلت هذه الآية عليه صلى الله عليه وسلم بشر أصحابه بهلاكهم وقد تقدم الكلام عليهم في مباحث البعثة * ومن الإخبار بالغيب قوله تعالى والله يعصمك من الناس أي يحفظك من جميع الناس الذين يريدون بك سوءا وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرسونه صلى الله عليه وسلم في أسفاره فلما نزلت هذه الآية منعهم من الحراسة وما أصابه يوم أحد لا ينافي هذا لأن الآية نزلت بعدها أو المراد من هذه الآية حفظه من القتل فكان بحمده وطامع كثرة من رام ضرره وقصده له والأخبار بذلك معروفة منها ما في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاه فنزل تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها وتفرق الناس في الوادي ليستظلوا بالشجر فأتاه رجل وهو صلى الله عليه وسلم نائم فأخذ السيف فاستيقظ وهو قائم على رأسه والسيف مصلت في يده فقال له من يمنعك مني قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله فسقط السيف من يده ووقعت له رعدة فأخذ السيف صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فعفا عنه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم للصحابة هذا هو جالس وهو ملك قومه فانصرف حين عفا عنه وقال والله لا أكون في قوم هم حرب لك وأمثال هذا كثير وتقدم في الغزوات شيء من ذلك *(ومن وجوه إعجازه القرآنية)* ما أخبر الله به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ الشاذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فأورد الله ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم على أتم حال يليق به وسعى له وأتى به على غاية مرتبة من كماله ورفعته فاعترف العالمون بذلك بصحته وصدقه مع أنه لم ينله تعليم ومع أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ولم يشتغل بمدارسة ومداومة طلب ومجالسة تحمل فيها الركب بالركب ولم يغب عن قومه غيبة يحتمل أنه تعلم فيها ما أخبرهم به ولا جهل حاله أحد منهم من ولادته إلى وفاته حتى يتوهم تعلمه ذلك من أهل الكتاب وقد كان أهل الكتاب من أحبار اليهود والنصارى كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن أخبار الأمم السالفة فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الأنبياء عليهم السلام مع أممهم فيذكرها لهم صلى الله عليه وسلم مفصلة بأبلغ عبارة وألطف إشارة كخبر موسى والخضر وخبر يوسف وإخوته وكقصة أصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه وأشباه ذلك من الأنباء والقصص المذكورة في القرآن عمن مضى من الأمم السالفة وكبيان ابتداء الخلق وما جرى في ذلك وخلقه للسموات والأرض وآدم وحواء وما في التوراة والإنجيل من الأحكام والشرائع والتوحيد وما في الزبور وصحف إبراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها من أهل الكتاب ولم يقدروا على تكذيب شيء منها بل أذعنوا لذلك واعترفوا به فمنهم من وفقه الله وهداه فآمن لما سبق له من العناية الأزلية ومنهم من خذله الله فكفر عنادا وحسدا ومع هذا العناد والحسد الذي أظهره ولم يذكر عن واحد من النصارى واليهود تكذيب شيء من ذلك مع شدة عداوتهم له صلى الله عليه وسلم وحرصهم على تكذيبه في شيء من كلامه ومع طول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام وتعنيتهم إياه في طلب أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم فكان يعلمهم بمكتوم شرائعهم وما تضمنته كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف وعيسى عليه السلام وكحكم الرجم لما

سألوه

سألوه عن حكم الرجم للزاني المحصن وكانوا قد أنكروه في شريعتهم فبينه صلى الله عليه وسلم لهم وأخبرهم بأنه مذكور في التوراة وكبيان ما حرّم اسرائيل على نفسه واسرائيل هو يعقوب عليه السلام وكان اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم امتحانا له عما حرّم اسرائيل على نفسه فقال لهم لحوم الابل والبانها فصدقوه وذلك أن يعقوب عليه السلام نذر أنه ان دخل بيت المقدس سليما من الامراض والآفات أن يذبح آخر أولاده فلما سار اليه وقرب منه بعث الله له ملكا وكزه فأخذه فمرض بعرق النسا حتى كان من وجعه ما كان وذلك لطف من الله به لئلا يلزمه ذبح ولده لانه اشترط في النذر الدخول الى بيت المقدس سليما من الامراض والآفات فلم يحصل الشرط فحرم على نفسه ما مرّ لانه يضرّ عرق النسا وكان ذلك باجتهاد منه والانبياء يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح وسألوه صلى الله عليه وسلم أيضا عما حرّم على بني اسرائيل من الطيبات والانعام التي كانت أحلت لهم فحرمها الله عليهم ببغيهم أي عقوبة لهم بسبب ظلمهم وأنزل الله في ذلك وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فحرّم الله عليهم ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطيور كالابل والنعام والاوز والبط وقيل كل ذي مخلب من الطيور وكل ذي حافر من الدواب وحرّم عليهم شحم البقر والغنم والكليتين الا ما التصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون وفصلوه في سورة الانعام وقوله ببغيهم أي بقتل أنبيائهم وأخذهم أموال الناس بالباطل وكانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم لم يحرّم الله علينا شيئا فان حرّم علينا شيئا فبينه فأنزل الله هذه الآية الصريحة في تكذيبهم فافتضحوا وجاء أن اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم تزعم أنك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحم الابل ولبنها وذلك محرّم في شرعه فأنزل الله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرّم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فكتموا ما لم يجدوا فيها ما ادعوه ومن الاخبار عما في الكتب السابقة قوله تعالى في وصف أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل الآية والاشارة لقوله تعالى سيماهم في وجوههم من أثر السجود ولم يذكر عن أحد منهم أنه كذبه في شيء من ذلك بل كثير منهم صرّح بصحة نبوّته وصدق مقالته وبأنهم انما جحدوا نبوّته حسدا وعنادا كأهل نجران وعبد الله بن صوريا وحيي بن أخطب وغيرهم من أحبار اليهود والنصارى حتى ان نصارى نجران لما طلب مباهلتهم امتنعوا وخافوا من نزول العذاب عليهم واعترفوا بنبوّته فيما بينهم وامتنعوا من اتباعه ظاهرا بغيا وعنادا وصالحوه وانصرفوا كما سيأتي وعن صفية أم المؤمنين رضي الله عنها وكانت بنت حيي بن أخطب قالت كان عمي أبو ياسر أحسن رأيا من أبي كان يقول لابي أليس هو الذي نجده في كتبنا فيقول نعم هو هو فيقول له فما في نفسك منه فيقول معاداته وقد فضح الله أهل الكتاب الذين حسدوه صلى الله عليه وسلم وأظهر كثيرا مما أخفوه قال تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير أي لحلمه وستره عليهم رجاء هدايتهم بتوفيق الله تعالى *(ومن وجوه اعجازه)* ما ذكره تعالى من عجز قوم في قضايا واعلامهم بأنه لا يفعلونها فما فعلوا وما قدروا على ذلك كاليهود لما ادّعوا دعاوي باطلة وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فكذبهم الله وألزمهم الحجة فقال خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أي ان كنتم صادقين أنكم من أهل الجنة وأنها مخصوصة بكم فتمنوا الموت لان من تيقن دخول الجنة اشتاق اليها وأحبّ التخلص من هذه الدار وأكدارها ومن أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه قال الله تعالى ولن يتمنوه

أبدا بما قدمت أيديهم فنفى عنهم تمنى الموت فى جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وأبدا وما قدمت أيديهم هو كفرهم بالله وتحريفهم التوراة ففى هذه الآية من المعجزات الاخبار بالغيب وهو انتفاء تمنيهم الموت فى المستقبل فكان كما أخبر اذلم يتمنوه ولو تمناه أحد منهم لمات ولم يقع التمنى من أحد منهم مع توفر الدواعى على نقله لو وقع والتمنى وان كان من اعمال القلب الخفية الا ان النطق بقولهم تمنينا ممكن وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا والذى نفسى بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعنى يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما أوحى اليه ولم يتمنه أحد منهم لخوفهم الموت ولحرصهم على الحياة وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا على تكذيبه بأن يتمنوا ولا يموتوا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته وفى الشفا من أعجب أمر اليهود انه لا يوجد منهم أحد يقدم على تمنى الموت ولا يجيب اليه من يوم نزول هذه الآية لشدة خوفهم ولما جبلهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة وهذا المذكور من امتناعهم من التمنى موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنهم به ومثل ما تقدم فى الاخبار بالغيب عن المستقبل قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار فقوله ولن تفعلوا اخبار بالغيب وتعجيز لهم * (ومن وجوه اعجازه) * الروعة التى تلحق قلوب سامعيه عند سماعه والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والانذار قال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا لما فيه من الروعة التى تهد الجبال فما بالك بالرجال وهذه الروعة على المكذبين به أعظم منها على المؤمنين حتى كانوا يستثقلون سماعه لصعوبة ما فيه عليهم ويزيدهم سماعه نفورا عن الحق والاصغاء اليه ويودون انقطاعه لكراهتهم له لخبث طباعهم قال تعالى واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحاكم الفاصل بين الحق والباطل والبر والفاجر وأما المؤمن فلا تزال روعته به أى فزعه وخوفه من زواجره ومواعظه اجلالا وهيبة توليه عند تلاوته انجذابا تميل قلبه وسمعه لحبه استماعه ويزداد هشاشة ونشاطا لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله أى يعرض للجلد الخشية عند القرآن قشعريرة من الخوف من هيبته فاذا تأمله وتدبره لان قلبه وجلده لانسه وسروره به ولذا ترى الصالحين اذا تلى القرآن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى ذلك الى الغشى وشق الثياب ونحوه ومثله لا ينكر ومن لم يذق لا يعرف وانما لم يقع مثل هذا من الصحابة رضى الله عنهم لان مقامهم مقام تمكين ومما يدل على ان ما يحدث للقلوب من الروعة والمهابة شئ خص به القرآن دون غيره من الكلام انه أمر يعترى من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره وما ذاك الا لسر فيه وأمر ربانى ولذلك يتأثر قارئه وسامعه وان لم يفهمه بخلاف غيره وفى الشفا للقاضى عياض ان نصرانيا مر بقارئ يتلو القرآن جهرا فوقف ليسمع قراءته وهو يبكى فقيل له مم بكيت فقال للشجا والنظم والمراد بالشجا الطرب وبالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه فأثر ذلك فى نفسه وهو لا يفهم حتى أبكاه وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام عند سماعهم القرآن فمنهم من أسلم لهذه الروعة لاول وهلة وآمن به وصدق ومنهم من كفر روى البخارى ومسلم عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى صلاة المغرب بالطور وذلك قبل اسلامه حين جاء الى المدينة ليكلم النبى صلى

الله عليه وسلم في أسارى بدر قال فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون كاد قلبي أن يطير أي حدث عنده فزع وخوف شديد حتى ظن أن قلبه يفنى ويطير زاد في رواية وذلك أول ما وقر الايمان في قلبي أي لانه لما سمعها وفهمها علم ما فيها من برهان الايمان القاطع لعرق الكفر لدلالتها على ان لا خالق يستحق العبادة الا الله فسكن الايمان في قلبه بعد اضطرابه وفي رواية فصدع قلبي وفي رواية انه لما سمع قوله تعالى والطور وكتاب مسطور في رق منشور تحير واندهش فلما سمع ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع جلس وخاف ان العذاب ينزل به فلما سمع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين أخذه خوف شديد فلما وصل الى قوله أم هم المسيطرون قال كاد قلبي يطير الخ الحديث ففيه دليل لروعة القرآن لمن سمعه وان تلك الروعة سبب لاسلامه رضي الله عنه *(ومن وجوه اعجازه)* ان قارئه لا يمله ولو أعاده مرارا مع ان القلوب جبلت على معاداة المعادات وسامعه لا يعرض عنه ولا يكره تكراره على سمعه بل الملازمة لتلاوته تزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وحسنا وبهجة وقبولا ولا يزال غضا طريا لا تتغير بهجته ونضارته فكأنه في كل مرة قريب عهد بالنزول وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة ما بلغ يمل مع الترديد ويعادى اذا أعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته عند نزول الكربات وسواه من الكتب لا يوجد فيه ذلك حتى أحدث لها أصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها والمراد ان غير القرآن يخترع له اسباب تحمل الناس على الرغبة فيه والاقبال عليه ولاختصاص القرآن بعدم ملل قارئه وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا تلتبس به الالسن ولا تخلق على الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم *(ومن وجوه اعجازه)* جمعه لعلوم ومعارف لم تعرفها العرب ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي عليه بل ولا يحيط أحد من علماء الامم بها ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقلية والرد على فرق الامم براهين قوية بينة سهلة الالفاظ رام المتحذلقون أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا كقوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وكقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وكقوله تعالى قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وكقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفيه من دقائق علم النجوم كقوله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ومن دقائق علم الطب كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومن دقائق علم الهندسة انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب ففيه اشارة الى شكل مثلث مع بعض أحكامه التي لا يعرفها الا الراسخون في علم الهندسة وفيه جمل من علوم السير والاخلاق الحميدة وتزكية النفس وأنباء الامم والمواعظ والحكم وجوامع الكلم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم والامثال والاشياء التي دلت على البعث وآياته والاخبار بما كان وما يكون وما فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع من اراقة الدماء وما فيه من صلة

الاجارم الى غير ذلك قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل واخرج ابن أبى شيبة ان الله تعالى قال للنبى صلى الله عليه وسلم انى منزل عليك توراة أى كتابا يشبه التوراة لكثرة ما اشتمل عليه تفتح بها أعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وفيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب الاحبار عليكم بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى فجمع الله فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما فى الكتب قبله التى ألفاظها على الضعف منه مرات *(ومن وجوه اعجازه)* ان اجتمع فيه بين الدليل والمدلول وذلك ان الله احتج بنظم القرآن البديع المعجز وبحسن تأليفه واعجازه وبلاغته فهذا دليل وفى اثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده وغير ذلك من المقاصد العظيمة فهى مدلول فالقارئ يفهم الحجة والتكليف من كلام واحد وسورة منفردة *(ومن وجوه اعجازه)* تيسير الله تعالى حفظه لمتعلمه قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وكانت سائر الامم لا يحفظ كتبها الا الواحد النادر مع طول اعمارهم وامتداد أزمنتهم قال سعيد بن جبير ان بنى اسرائيل لم يكن فيهم من يحفظ التوراة فكانوا لا يقرؤنها الا نظرا فى صحفها غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير وقد من الله تعالى على هذه الامة بأن يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة له لا تحصى ويسر حفظه للغلمان فى أقرب مدة *(ومن وجوه اعجازه)* مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص من قصة الى أخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة الى أمر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير لبعض ما شرع وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده كضرب الامثال وذكر القصص للاعتبار بها دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه فتأمل أول ص وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكروا من تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به والخبر عن انطلاق الملا منهم واجماعهم على الكفر وما ظهر من الحسد فى كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزى الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبى صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ فى ذكر داود عليه السلام وقصص الانبياء كسليمان وأيوب عليهما السلام وكل هذا فى أوجز كلام وأحسن نظام على أتم ارتباط من غير خلل يزيل رونقه ويشل فصاحته *(ومن وجوه اعجازه)* ان الله وسع على الامة بقراءته على أوجه متنوعة وطرق متعددة وهى طرق القراءات المشهورة ومع ذلك لا يختل شئ من بلاغته وجميع انواع اعجازه كل طريق من طرق قراءته مشتمل على تلك الوجوه وهذا لا يمكن مثله فى كلام البشر فان الشاعر البليغ اذا اجتهد فى انشاء قصيدة بليغة فانها تختل لو غير شئ من كلماتها ولا تبقى على بلاغتها لو أريد قراءتها على أوجه متنوعة بخلاف القرآن العزيز قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلم يقدر احد أن يأتى بمثل القرآن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده الى زمننا هذا بل الى يوم الدين وكيف يقدر عليه أحد وقد عجزت عنه العرب الفصحاء والخطباء والبلغاء من قريش وغيرها فعجز غيرهم أولى وهم قد عرفوا انه صلى الله عليه وسلم من قبل نبوته باربعين سنة لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولم يتعلم شيئا ولم ينشد شعرا فضلا عن انشائه ولا يحفظ خبرا ولا يروى أثرا حتى أكرمه الله بالوحى المنزل والكتاب المفصل فدعاهم اليه

وحاجهم به قال تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون وشهد له سبحانه وتعالى فى كتابه بذلك قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ووجوه اعجاز القرآن كثيرة وعجائبه لا تنقضى ولا تتناهى واذا عرفت ما تقدم عرفت انه لا يحصى عدد معجزات القرآن بألف ولا ألفين ولا أكثر لانه صلى الله عليه وسلم قد تحداهم بسورة منه فعجزوا عنها وأقصر السور انا أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات منه بعددها منه معجزة ثم فيها نفسها معجزات كما تقدم وجاء فى حديث قدسى من شغله القرآن عن دعائى ومسألتى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعله ربيع قلوبنا وشفاء همومنا وغمومنا ونور أبصارنا واجعلنا من المتنفعين به العاملين بما فيه التالين له حق تلاوته انك على كل شئ قدير والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم)* انشقاق القمر اعلم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم ترجع الى ثلاثة أقسام ماض وجد قبل وجوده ومستقبل وجد بعد وفاته ومقارن له من حين حمله الى ان نقله الله الى محل فضله فأما القسم الماضى وهو ما كان قبل وجوده فكثير كقصة الفيل وتبشير الانبياء والكهان به وغير ذلك مما هو تأسيس لنبوته وارهاص لرسالته وهذا القسم سماه بعضهم ارهاصا وجوز بعضهم تسمية ذلك معجزة وأما القسم الثانى وهو ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فكثير جدا اذ فى كل حين يقع لخواص أمته من الكرامات وخوارق العادات بسببه ما لا يحصى فكرامات الاولياء من تتمات معجزاته صلى الله عليه وسلم ورحم الله الابوصيرى حيث يقول

والكرامات منهم معجزات * حازها من نوالك الاولياء

وأما القسم الثالث وهو ما كان معه من حين ولادته الى حين وفاته فما وجد قبل البعثة يسمى أيضا ارهاصا وذلك كالنور الذى خرج معه حتى أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأت أمه قصور بصرى وروى ابن سعد عن ابن عباس رضى الله عنهما ان آمنة قالت لما فصل منى تعنى النبى صلى الله عليه وسلم خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب وغير ذلك مما شوهد حال ولادته وفى رضاعه وكتظليل الغمام فانه انما كان قبل البعثة وكذا كل ما كان قبل بعثته وما وجد بعد البعثة فكثير جدا منه انشقاق القمر وقد نطق القرآن به قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وروى أحاديثه أهل السنن كالبخارى ومسلم والامام أحمد والبيهقى وبقية أهل السنن رووا ذلك عن جمع من الصحابة منهم على وابن مسعود وابن عمر وجبير بن مطعم وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس وحذيفة بن اليمان وغيرهم ورواه عنهم جمع عن جمع حتى بلغ مبلغ التواتر قال العلامة عبد الوهاب ابن السبكى ان انشقاق القمر متواتر منصوص عليه فى القرآن مروى فى الصحيحين وغيرهما من طرق ولم ينشق لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته صلى الله عليه وسلم قال فى المواهب وقد أجمع أهل السنة والمفسرون على وقوعه لاجله صلى الله عليه وسلم قال الخطابى انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شئ من آيات الانبياء ولذا اختص بها سيدهم وذلك انه ظهر فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع فى الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر من غيره وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفى رواية عن أنس رضى الله عنه ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وكان انشقاق القمر قبل الهجرة بخمس سنين وكان أنس بالمدينة صغيرا فروايته كانت عن ابن مسعود رضى الله عنه وكذا رواية ابن عباس رضى الله

عنهما لانه اذذاك لم يولد وفي رواية لابيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال قد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة دون الجبل وفلقة خلف الجبل أي فوقه كما في الحديث قبله فقال صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية للامام أحمد عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا أي الكفار سحرنا محمد فقال رجل منهم أي وهو أبو جهل ان كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم ان كان محمد سحر القمر فانه لم يبلغ سحره أن يسحر الارض كلها فسلوا من يأتيكم من بلد آخر فسألوا فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وفي رواية لابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش هذا سحر ابن ابي كبشة ثم قالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم فجاء السفار فأخبروهم بذلك رواه أبو داود الطيالسي وفي رواية للبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه انشق القمر بمكة فقالوا سحركم ابن أبي كبشة سلوا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق فانه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم وان لم يكونوا رأوا ما رأيتم فهو سحر فسألوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا رأيناه فقال الكفار هذا سحر مستمر وفي رواية لابي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاص ابن وائل والاسود بن المطلب والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فانشق وفي رواية فقال لهم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا ورواه البخاري مختصرا عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ أن القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عباس رضي الله عنهما وان لم يشاهد القصة كما تقدم ففي بعض طرقه أنه حمل الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه وجاء في رواية لعبد الرزاق والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه رأيت القمر منشقا شقتين شقة على أبي قبيس وشقة على السويداء والسويداء بالمد والتصغير ناحية خارج مكة عندها جبل وفي شرح المواهب أن التعبير بأبي قبيس من تغيير بعض الرواة لان الغرض ثبوت رؤيته منشقا احدى الشقتين على جبل والاخرى على جبل آخر ولا يغاير ذلك قول الراوي الآخر رأيت الجبل بينهما أي بين الفرقتين لانه اذا ذهبت فرقة عن يمين الجبل وفرقة عن يساره صدق أنه بينهما وأي جبل آخر كان في جهة يمينه أو يساره صدق عليه أنها عليه أيضا ووقع في بعض روايات ابن مسعود رضي الله عنه أن انشقاق القمر كان والنبي صلى الله عليه وسلم بمنى وفي روايات أنس أن ذلك كان بمكة ولا تعارض لان مراد أنس رضي الله عنه أن ذلك كان وهم بمكة قبل أن يهاجروا الى المدينة ويصدق على منى أنها من جملة مكة بل جاءت رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمكة قبل أن يصير الى المدينة فظهر أن المراد بذكر مكة في رواية أنس الاشارة الى أن ذلك وقع قبل الهجرة وقيل ان الشق تعدد مرة كان وهم بمنى ومرة وهم بمكة وقيل أن مدة الشق كانت بقدر ما بين العصر الى الليل فيحتمل أنهم كانوا بمنى ثم رجعوا الى مكة مرة ذكروا حراء ومرة ذكروا أبا قبيس فقد روى أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما انشق القمر ليلة أربع عشرة نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل وجاء أنه تباعد ما بين الفرقتين فأراهم النبي صلى الله عليه وسلم احدى الفرقتين وقال اشهدوا ثم أراهم الفرقة

الاخرى وقال اشهدوا وعلى هذا حمل بعضهم الرواية التى فيها أنه أراهم انشقاق القمر مرتين وجزم بعضهم بتكرر الانشقاق وأنه وقع مرتين فلا تنافى بين الروايات قال القاضى عياض فى الشفا وحيث أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه وتواترت أحاديثه فلا التفات الى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا الانشقاق ثابتا لم يخف على أهل الارض اذ هو شئ ظاهر لجميعهم وحاصل الرد عليه أنه لم ينقل لنا عن أهل الارض أنهم رصدوه تلك الليلة وترقبوه ونظروا الى مطلعه فلم يروه انشق بل لو فرض أنهم فعلوا ذلك لما كانت بهم حجة علينا لانه اذ ليس القمر فى حد واحد لجميع أهل الارض لاختلاف أحواله باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض فقد يطلع فى ليلة فى بعض البلاد دون بعض وقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابلهم من أقطار الارض أو يحول بين قوم وبينه سحاب ولهذا توجد الكسوفات فى بعض البلاد دون بعض وفى بعضها جزئية وفى بعضها كلية وفى بعضها لا يعرفها الا ذو المعرفة ذلك تقدير العزيز العليم وانشقاق القمر وقع بالليل والعادة من الناس فى الليل السكون واغلاق الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئا الا من رصد ذلك واعتنى به غاية الاعتناء وكثيرا ما يكون خسوف القمر فى البلاد وأكثر الناس لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع وأمور عظام تظهر بالليل فى السماء ولا يعلم بها كثير من الناس ومع ذلك قد سالت قريش كثيرا من أهل الآفاق فأخبروهم بأنهم شاهدوا ذلك فقالوا سحر مستمر أى عام وكان المخبرون هم السفار لان المسافرين فى الليل غالبا يكونون فى ضوء القمر ولا يخفى عليهم ذلك بخلاف غيرهم فان الغالب عليهم أن يكونوا نياما ويكفى ذلك فى ثبوت التواتر وان خفى على كثير من أهل الآفاق وقال بعض الملحدة من الفلاسفة ان الاجرام العلوية لا تتهيأ فيها الانخراق والالتئام وكذا قالوا فى فتح أبواب السماء ليلة الاسراء الى غير ذلك من انكارهم ما يكون يوم القيامة من تكوير الشمس وغير ذلك وأجيب بأنه لا انكار للعقل فى ذلك فان القمر مخلوق فلله أن يفعل فيه ما يشاء يحكى أن أبا بكر بن الطيب لما أرسله صاحب الدولة لملك الروم بقسطنطونية وأخبر ملك الروم بأن هذا أجل علماء الاسلام أحضر بعض بطارقته لينا ظره فقال له تزعمون أن القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم فقال له وهل بينكم وبين المائدة اخوة ونسب اذ رأيتموها ولم ترها اليهود واليونان والمجوس الذين أنكروها وهم فى جواركم فأفحم ولم يحر جوابا *(تنبيه)* ما يذكره بعض القصاص أن القمر دخل فى جيب النبى صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فليس له أصل وسئل النووى عن رجلين تنازعا فى انشقاق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما انشق فرقتين دخلت احداهما فى كمه وخرجت من الكم الآخر وقال الآخر بل نزل الى بين يديه فرقتين ولم يدخل فى كمه فأجاب الاثنان مخطئان بل الصواب أنه انشق وهو فى موضعه من السماء وظهرت منه احدى الشقتين فوق الجبل والاخرى دونه هكذا أثبت فى الصحيحين من رواية ابن مسعود رضى الله عنه انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم رد الشمس له روت أسماء بنت عميس الخثعمية رضى الله عنها وهى زوج جعفر ابن أبى طالب رضى الله عنه ثم تزوجها أبو بكر رضى الله عنه بعد استشهاد جعفر رضى الله عنه ثم تزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد وفاة أبى بكر رضى الله عنه قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه فى حجر على بن أبى طالب رضى الله عنه فلم يصل على رضى الله عنه العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا على قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء بنت عميس رضى الله عنها

قوله
الله
سر
قال
ج

فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقعت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر رواه الامام أبو جعفر الطحاوي وقال ان أحمد بن صالح المصري كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لانه من علامات النبوة وأحمد بن صالح من كبار أئمة الحديث الثقات وحسبه أن البخاري روى عنه في صحيحه ولا عبرة باخراج ابن الجوزي لهذا الحديث في الموضوعات فقد أطبق العلماء على تساهله في كتاب الموضوعات حتى أدرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة قال السيوطي

ومن غريب ما تراه فاعلم * فيه حديث من صحيح مسلم

وزي المروي

قال في المواهب في حديث رد الشمس قد صححه الطحاوي والقاضي عياض قال الزرقاني وناهيك بهما وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها باسناد حسن ورواه ابن مردويه من حديث أبي هريرة باسناد حسن أيضا ورواه الطبراني في معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه شيخ الاسلام قاضي القضاة ولي الدين العراقي في شرح التقريب عن أسماء ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا رضي الله عنه في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يحركه حتى غابت الشمس فاستيقظ فسأله أصليت قال لا فقال عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس كي يصلي قالت أسماء فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس وذلك بالصهباء ورواه الطبراني أيضا عن أسماء رضي الله عنها بلفظ آخر قالت اشتغل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا علي أصليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضأ صلى الله عليه وسلم وجلس في المجلس فتكلم بكلمتين أو ثلاثة كأنهما من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر فقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم تكلم صلى الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار في الخشبة وطلعت الكواكب وفي لفظ آخر عند الطبراني أيضا في الكبير كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه الوحي يغشى عليه فأنزل عليه يوما وهو في حجر علي رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لما سري عنه صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله بكلمتين أو ثلاث فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت أسماء فرأيت الشمس طلعت بعدما غابت حتى صلى العصر علي رضي الله عنه ومن القواعد أن تعدد الطرق يفيد أن للحديث أصلا قال الزرقاني في شرح المواهب ومن لطائف الاتفاقات الحسنة أن أبا المظفر الواعظ ذكر يوما قريب الغروب فضائل علي رضي الله عنه ورد الشمس له والسماء مغيمة غيما مطبقا فظنوا أنها غربت وهموا بالانصراف فأصحت السماء ولاحت الشمس صافية الاشراق فأشار اليهم بالجلوس وقال ارتجالا

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي * مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك ان أردت ثناءهم * أنسيت اذ كان الوقوف لأجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن * هذا الوقوف لخيله ولرجله

وروى الطبراني في معجمه الاوسط باسناد حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الشمس أن لا تغرب حتى تقدم عير قريش التي رآها ليلة الاسراء وأخبرهم أنها تقدم يوم كذا أول النهار ولم تجئ فتأخرت ساعة من نهار الى أن قدمت وروى يونس بن أبي بكر عن ابن اسحاق امام المغازي قال لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي

في العير قالوا له هي تجيء يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون وقد ولى النهار
أي قارب ذلك اليوم أن يتم ويدخل الليل بغروب الشمس ولم تجئ العير فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فزيد له في النهار ساعة حبست عليه الشمس أي أمسكها الله بقدرته حتى قدمت العير قبل غروبها
وأما حديث لم تحبس الشمس على أحد الا ليوشع بن نون عليه السلام فهو محمول على أن المعنى لم تحبس
على أحد من الانبياء غيري الا ليوشع وقال الحافظ ابن حجر الحصر محمول على الماضي للانبياء قبل نبينا
وليس فيه أنها لا تحبس بعد الماضي وحديث حبسها على يوشع لا يعارض حديث علي رضي الله عنه لانه
في قصة يوشع كان حبسها قبل الغروب وفي قصة علي كان حبسها بعد الغروب وقوله الا ليوشع بن نون يعني
حين قاتل الجبارين بعد وفاة موسى وهارون عليهما السلام وكان يوشع خليفة موسى عليه السلام وهو
القائم بالرسالة بعده فدعا الله تعالى أن يدنيه من الارض المقدسة رمية حجر وقاتلهم يوم الجمعة فلما
قاربت الشمس الغروب خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا
الله تعالى فرد عليه الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم قيل كان علم النجم صحيحا قبل ذلك فلما وقفت
الشمس ليوشع عليه السلام بطل أكثره ولما ردت لعلي رضي الله عنه بطل جميعه *(ومن معجزاته)*
صلى الله عليه وسلم كلام الشجر له وانقياده له وشهادته له بالرسالة وأحاديث كلام الشجر له كثيرة
شهيرة رواها أهل السنن عن كثير من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله
ابن عباس وعائشة وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأسامة بن زيد وأنس
ابن مالك ويعلى بن مرة وغيرهم ورواها عنهم أضعافهم من التابعين قال القاضي عياض في الشفا
فصارت في انتشارها من القوة حيث هي قال الشهاب الخفاجي يعني أنها نقلت عن كثير من الصحابة
والتابعين حتى بلغت التواتر المعنوي وصارت في مرتبة قوية لا يشك فيها أحد من العقلاء روى البيهقي
والبزار والدارمي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا
منه اعرابي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أين تريد يا اعرابي قال أهلي قال هل لك الى خير قال وما هو
قال تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال
هذه السمرة وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الارض أي تشقها بعروقها حتى وقفت بين يديه صلى الله
عليه وسلم فاستشهدها ثلاثا أي طلب منها أن تشهد له بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت له بأنه
رسول الله حقا ثم رجعت الى مكانها ورجع الاعرابي الى قومه وقال يا رسول الله أن يتبعوني آتك بهم
والا رجعت اليك وكنت معك وروى البزار عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال سأل اعرابي النبي
صلى الله عليه وسلم آية أي علامة تدل على أنه رسول فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك فدعاها
فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر
عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله
قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت فقال الاعرابي ائذن لي
أسجد لك أي بعد أن آمن به كما صرح به في رواية فقال له صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد
لاحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها فقال الاعرابي فأذن لي أقبل يديك ورجليك فأذن له وروى
البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال آذنت أي أعلمت النبي صلى الله عليه وسلم
بالجن ليلة استمعوا له شجرة وان الجن قالوا له من يشهد لك أي بأنك رسول الله فقال هذه الشجرة ثم دعاها
للشهادة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وتقدم في مباحث البعثة قبيل باب ذكر تعذيب قريش
للمستضعفين قصة ركانة رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وفيها أنه صلى الله عليه وسلم لما طلب

منه أن يسلم قال لا الا أن ترينى آية فقال له ان أريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها أقبلى باذن الله تعالى فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله عليه وسلم وبيدى ركانة فقال أريتنى أمرا عظيما فمرها فلترجع فقال ان أمرتها فرجعت تسلم قال نعم فأمرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر فقال له أسلم فأبى وبقى على كفره حتى كان عام الفتح فأسلم رضى الله عنه وتوفى بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله عنه سنة اثنين وأربعين وروى البيهقى عن الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم شكى الى ربه من قومه فى أوائل البعثة قبل قوة الاسلام وأهله وانهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فأوحى الله اليه أن ائت وادى كذا من أودية مكة فان فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله أى جعله مدة قائما عنده ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال علمت ان لا مخافة على ورواه بنحو هذا البزار وابو يعلى والبيهقى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذكر فيه انه صلى الله عليه وسلم قال أرنى آية لا أبالى من كذبنى فذكر نحوه وروى البخارى فى تاريخه والبيهقى والدارمى والترمذى بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال بم أعرف انك رسول الله فقال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتؤمن بى قال نعم فدعاه فجعل ينقز أى يثب حتى أتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه فأسلم الاعرابى وفى رواية فجعل ينزل من النخلة شيئا فشيئا حتى سقط على الارض فأقبل وهو يسجد ويرفع حتى انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال له ارجع فعاد فأسلم الاعرابى وقال اشهد انك رسول الله والمراد من العذق العرجون بما فيه من الشماريخ وروى الامام أحمد عن جابر رضى الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة حين كذبوه فقال له مالك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بى هؤلاء وفعلوا فقال له جبريل أتحب أن أريك آية أى تزيل حزنك فقال نعم فنظر الى شجرة من وراء الوادى أى الذى كان فيه مع جبريل فقال ادع تلك الشجرة فدعاها قال فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى مكانها فأمرها فرجعت الى مكانها فقال صلى الله عليه وسلم حسبى حسبى وفى رواية لا أبالى من كذبنى من قومى بعد هذا أى لان الجماد اذا أطاع دعوته دل ذلك على ان الناس تطيعه لكن تأخير ذلك لحكم خفية ورواه الدارمى من حديث أنس والبيهقى من حديث عمر رضى الله عنهما وروى الامام أحمد والطبرانى والبيهقى عن يعلى بن مرة الثقفى رضى الله عنه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير فذكر الحديث الى أن قال ثم سرنا حتى نزلنا منزلا فنام النبى صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض حتى غشيته وفى رواية طافت به ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ صلى الله عليه وسلم ذكرت له ذلك فقال هى شجرة استأذنت ربها فى أن تسلم على فأذن لها وروى مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة حتى نزلنا واديا أفيح أى واسعا فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتان فى شاطئ الوادى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فأخذ بغصن من اغصانها فقال انقادى معى باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده والمخشوش الذى وضع له الخشاش وهو عود يجعل فى أنف البعير لينقاد بسهولة ثم فعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما على باذن الله فالتأمتا والمنصف بفتح الميم والصاد بينهما نون ساكنة آخره فاء الموضع الوسط بين الموضعين والالتئام الاجتماع وفى رواية انه لما أخذ بغصن احداهما قال لجابر قل لهذه

الاخرى

الشجرة تقول لك رسول الله الحق بصاحبتك حتى أجلس خلفكما فزحفت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فرجعت أحضر أى أعدو وأجرى وجلست أحدث نفسى بهذا الامر الغريب العجيب فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وهو حديث واحد طوله بعض الرواة واختصره بعضهم وروى البيهقى وابو يعلى عن اسامة بن زيد رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه هل تعنى مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أى تقصده وتعينه فقلت ان الوادى مافيه موضع خال عن الناس فقال هل ترى من نخل أو حجارة قلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله يأمركن أن تقاربن وقل للحجارة مثل ذلك فقلت لهن ذلك فوالذى بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما فقضى حاجته ثم قال لى قل لهن يفترقن والذى نفسى بيده لرأيتهن يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وروى الامام أحمد والبيهقى والطبرانى بسند صحيح عن يعلى بن سيابة رضى الله عنه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وقال فى رواية فأمر ودبيتين أى نخلتين صغيرتين فانضمتا وعن غيلان ابن سلمة الثقفى رضى الله عنه مثله فى شجرتين وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله فى غزوة حنين ولله در الابوصيرى حيث يقول

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشى اليه على ساق بلا قدم

كأنما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط فى اللقم (أى الطريق)

(ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم تسليم الحجر والشجر عليه وسجودهما له وطاعتهما له روى مسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث وانى لاعرفه الآن قال بعضهم هو الحجر الاسود وقال آخرون هو غيره بزقاق يعرف بزقاق الحجر وبزقاق المرفق بمكة والناس يتبركون بلمسه ويقولون انه هو الذى كان يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم متى اجتاز به ذكر ذلك فى المواهب ثم نقل عن ابن رشد وجماعة من أئمة المالكية منهم الامام أبو حفص الميانشى قال أخبرنى كل من لقيته بمكة ان هذا الحجر المبنى فى الجدار المقابل لدار أبى بكر رضى الله عنه المشهورة هو الذى كلم النبى صلى الله عليه وسلم وروى الترمذى والدارمى والحاكم وصححه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه قال كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله قال العلماء وانما كان هذا فى بدء نبوته تطمينا لقلبه وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعد ذلك واجابتهم لدعوته وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلنى جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله وروى أبو نعيم عن برة رضى الله عنها قالت لما أراد الله كرامة نبيه صلى الله عليه وسلم كان يمضى الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله وكان يرد عليهم وعليكم السلام قال بعضهم وهذا أمر يقربه الحجر فكيف ينكره البشر رواه البزار وأبو نعيم وروى البيهقى عن جابر رضى الله عنه قال لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم أى فى ابتداء البعثة يمر بحجر ولا شجر الا سجد له ومن ذلك تامين أسكفة الباب أى عتبته وحوائط البيت على دعائه صلى الله عليه وسلم روى البيهقى وابن ماجه عن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ياأبا الفضل لا ترم بكسر الراء أى لا تبرح من منزلك أنت وبنوك حتى آتيك فان لى فيكم

حاجة فانتظر ومحتى جاء بعد ما أضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم قالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف أصبحتم قالوا أصبحنا بخير نحمد الله تعالى فقال لهم تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم الى بعض حتى اذا أمكنوه أى أمكنوا منه اشتمل عليهم بملاءته فقال يارب هذا عمى وصنو أبى أى مثله وهؤلاء أهل بيتى أى من أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه قال فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين آمين آمين وبنو العباس هؤلاء هم الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن وسعيد واختهم أم حبيبة رضى الله عنهم وفيهم يقول عبد الله الهلالى

ما ولدت نجيبة من فحل * بجبل نعلمه أو سهل
كستة من بطن أم الفضل * أكرم بها من كهلة وكهل
عم النبى المصطفى ذى الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل

وروى الامام أحمد والبخارى والترمذى وابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال صعد النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق وعمر وعثمان رضى الله عنهم أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان وروى مسلم مثل هذا عن أبى هريرة رضى الله عنه فى حرا وزاد وقال ومعه على وطلحة والزبير وفى رواية وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم وقال فانما عليك نبى أو صديق أو شهيد وأولئك تسعة وروى مسلم أيضا والترمذى والنسائى فى حراء أيضا عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال ومعه عشرة من أصحابه وزاد فيهم عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وفى رواية وقع مثل ذلك وهم على ثبير ويجمع بين الروايات بتعدد القصة وتكررها ولا مانع من ذلك ورجف الجبل هذا هو تحرك طربا بصعودهم عليه أو خوفا وهيبة واجلالا وليست رجفة غضب كرجفته ببنى اسرائيل لما حرفوا الكلم وروى مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وروى البخارى ومسلم والبزار والطبرانى وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم قال كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص فى الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب فى يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل فما أشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم وفى رواية لابن مسعود رضى الله عنه فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ولا تنافى بين الروايتين لاحتمال أن يفسر قوله يطعنها بأنه يشير اليها من غير مس ليوافق ما قبله أو أنها لكثرتها كان يشير الى بعضها من غير مس ويطعن بعضها بمس لطيف لا يقتضى سقوطها عادة فعلى الحالين يكون سقوطها معجزة له صلى الله عليه وسلم وروى الترمذى والبيهقى فى حديث بحيرا الراهب وهو بفتح الباء مقصورا فى ابتداء أمره صلى الله عليه وسلم وهو صغير السن لم يبعث حين خرج مع عمه أبى طالب فى تجارة وكان الراهب لا يخرج الى أحد فخرج تلك المرة فجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش من أين عرفت هذا فقال لانه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبى ولانه أقبل وعليه غمامة تظلله ولما دنا من القوم وقد سبقوه الى فىء الشجرة فجلس صلى الله عليه وسلم فمال الفىء اليه ومما يلتحق بذلك تأثير قدميه صلى الله عليه وسلم فى الحجارة والانة الصخر له قال الشهاب الخفاجى فى شرح الشفا وهذا مما شاع فى الاقطار ونظمه الشعراء فى فصيح الاشعار فمن ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان فى بعض الاحيان اذا مشى غاص قدمه فى الحجارة بحيث بقى ذلك الى الآن وارتسم فيها مثاله بعينه والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه

كما

كما فى القدس ونقل منه امر فى أماكن متعددة حتى قبل ان السلطان قايتباى اشتراه بعشرين ألف دينار وأوصى بجعله عند قبره هو موجود الى الآن وانه صلى الله عليه وسلم اذا مشى على الرمل أحيانا لا يكون لقدمه أثر وقال الامام القسطلانى فى المواهب اللدنية كان صلى الله عليه وسلم اذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به الشعراء فى قصائدهم النبوية والبلغاء فى منثورهم مع اعتضاده بوجود أثر قدمى الخليل عليه الصلاة والسلام فى حجر المقام المنوه به فى التنزيل فى قوله تعالى فيه آيات بينات البالغ تعيينه وأنه أثره مبلغ التواتر وفيه يقول أبو طالب

وموطئ ابراهيم فى الصخر وطؤه * على قدميه حافيا غير ناعل

وبما فى البخارى من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بتأثير ضربه فى الحجر ستا أو سبعا لما فر بثوبه حين اغتسل وقد صح مامن معجزة لنبى الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها ويؤيده وجود أثر حافر بغلته صلى الله عليه وسلم فى مسجد بطيبة عرف بمسجد البغلة الى الآن وماذاك الا من سره صلى الله عليه وسلم السارى فى البغلة ليكون أوضح فى الدلالة على انه أوتى مثل ما أوتى الخليل صلى الله عليه وسلم على وجه أعلى منه وفى شرح المواهب للعلامة الزرقانى ان أثر قدمه صلى الله عليه وسلم وأثر أصابعه موجود على صخرة بيت المقدس وذكر السيوطى فى الخصائص ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه ماوطئ على صخر الا وأثر فيه قال بعضهم كان ذلك قبل البعثة وبالجملة فهذه المعجزة ثابتة محققة عند الائمة الجهابذة من أهل الحديث فلا وجه لانكار بعض القاصرين لها وفى فتاوى الجلال السيوطى من جملة أسئلة رفعت اليه فأجاب عنها بأنها باطلة ان أبا جهل قال يا محمد ان أخرجت لنا طاوسا من صخرة فى دارى آمنت بك فدعا النبى صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فصارت الصخرة تئن كأنين المرأة الحبلى ثم انشقت عن طاوس صدره من ذهب ورأسه من زبرجد وجناحاه من ياقوت ورجلاه من جوهر فلما رأى ذلك أبو جهل لعنه الله أعرض ولم يؤمن انتهى قال بعض المحققين وفى معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم ما يغنى عن حكاية مثل هذه القصة التى لم يردها حديث صحيح ولا ضعيف فهى باطلة كما قال الجلال السيوطى رحمه الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تسبيح الحصى فى كفه صلى الله عليه وسلم وحديثه قد اشتهر ورواه كثير من أهل السنن منهم البيهقى والبزار والطبرانى وابن عساكر من حديث ابى ذر وأنس بن مالك رضى الله عنهما ففى رواية عن ابى ذر رضى الله عنه قال كنت أتتبع خلوات النبى صلى الله عليه وسلم فرأيته يوما خاليا فاغتنمت خلوته فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس وكأنى أرى انه فى وحى فسلمت عليه فرد على السلام ثم قال ماجاء بك قلت الله ورسوله أى جهما فأمرنى أن أجلس فجلست الى جنبه لا أسأل عن شئ ولا يذكره لى فكنت غير كثير فجاء أبو بكر رضى الله عنه يمشى مسرعا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال ماجاء بك قال الله ورسوله فأشار بيده أن اجلس فجلس الى ربوة تقابل النبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر رضى الله عنه ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وجلس الى جنب أبى بكر رضى الله عنه ثم جاء عثمان رضى الله عنه كذلك وجلس الى جنب عمر رضى الله عنه ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصيات سبع أو تسع أو ماقرب من ذلك فسبحن فى يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل فى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وضعهن بالارض فخرسن ثم أخذهن وناولهن أبا بكر رضى الله عنه فسبحن فى كف أبى بكر رضى الله عنه حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن منه فوضعهن فى الارض فخرسن ثم تناولهن وناولهن عمر رضى الله عنه فسبحن فى كفه كما سبحن فى كف أبى بكر رضى الله عنه وفى رواية حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن منه فوضعهن فى الارض فخرسن ثم تناولهن من

الارض وناولهن عثمان رضي الله عنه فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وفي رواية حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن فوضعهن في الارض فخرسن ثم دفعهن الناقلم يسبحن مع واحد منا وفي رواية أنس رضي الله عنه ثم وضعهن في أيدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن واستشكل قوله ثم وضعهن في أيدينا بأن ما تقدم يقتضي انه لم يحضر غير أبي بكر وعمر وعثمان وأبي ذر رضي الله عنهم وأجيب بأنه يحتمل تكرر القصة أو أن ما تقدم باعتبار أول الامر ثم حضر جماعة من الصحابة منهم أنس رضي الله عنه خصوصا وقد كان خادم النبي صلى الله عليه وسلم فتقل مفارقته له ولم يذكر علي رضي الله عنه لانه لم يكن حاضرا معهم في ذلك المجلس وذلك لا يشين مقامه رضي الله عنه مع ماله من المناقب ولو كان حاضرا لسبحت في كفه قطعا (ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تسبيح الطعام وهو يؤكل) روى البخاري والترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيح الطعام وفي الشفا للقاضي عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه قال مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل عليه السلام بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وروى أبو الشيخ عن أنس رضي الله عنه قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم بطعام ثريد فقال ان هذا الطعام يسبح قالوا أوتفقه تسبيحه قال نعم ثم قال لرجل أدن هذه القصعة من هذا الرجل فأدناها فقال نعم يا رسول الله هذا الطعام يسبح ثم قال ردها فردها وظاهر هذا انه كان يسبح وهو في الاناء وظاهر حديث البخاري انه كان يسبح بعد وضعه في الفم ولا مانع منهما وفي قوله كنا دليل على تكرره وانه وقع مرارا عديدة وهو آية للنبي صلى الله عليه وسلم أعظم من تسبيح الجبال مع داود وفهم نطق الطير لسليمان عليهما السلام وكذا تسبيح الحصى لان الجبال لم تسبح وهي بيد داود عليه السلام بخلاف الحصى فانها سبحت بيده صلى الله عليه وسلم وبيد من أراد من أمته وتسبيح الطعام أعظم منهما اذ لم يعهد مثله والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع وانما كان أعظم من فهم سليمان عليه السلام منطق الطير لان الطير ناطق في الجملة بخلاف الطعام وروى البيهقي ان أبا الدرداء وسلمان الفارسي رضي الله عنهما كانا اذا كتب أحدهما للآخر قال له بآية الصحفة وذلك انهما بيناهما يأكلان في صحفة اذ سبحت وما فيها والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم حنين الجذع والمراد بحنينه شوقه وانعطافه الى النبي صلى الله عليه وسلم مع ظهور صوت دال على ذلك الشوق والجذع واحد جذوع النخل وهو بالذال المعجمة وقد روى حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك حتى صار متواترا قال القاضي عياض والتاج السبكي والحافظ ابن حجر وغيرهم ان حنين الجذع وانشقاق القمر كل منهما أحاديثه متواترة نقلت نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك وهذه الآية من أكبر الآيات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي رضي الله عنه ما أعطى الله نبيا مثل ما أعطى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقيل له أعطى عيسى عليه السلام احياء الموتى فقال أعطى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع حتى سمع صوته فهي أكبر من ذلك وقال القاضي عياض في الشفا حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر أي لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة عن جماعة له يستحيل تواطؤهم على الكذب أخرجه أهل الصحيح أي الذين التزموا اخراج الاحاديث الصحيحة في كتبهم كالشافعي والامام أحمد والبخاري وابن خزيمة وابن حبان والترمذي وابن ماجه وابي يعلى والطبراني والحاكم والدارمي ورواه من الصحابة جمع كثير منهم أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر ابن الخطاب وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة بن الحصيب الاسلمي وأم

سلمة والمطلب بن أبي وداعة السهمي فما رواه الشافعي في مسنده حديث أبي بن كعب رضي الله عنه
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي مستندا الى جذع اذ كان المسجد عريشا أي مسقوفا بالجريد
وكانت الجذوع له كالاعمدة وكان يخطب الى ذلك الجذع فقال رجل من أصحابه أي وهو تميم الداري
رضي الله عنه هل لك أن نجعل منبرا تقوم عليه يوم الجمعة ويسمع الناس خطبتك قال نعم فصنع له ثلاث
درجات هي التي على المنبر أي في خلافة معاوية رضي الله عنه لان مروان زاد فيه ست درجات وقال انما
زدت فيه حين كثر الناس واستمر على ذلك الى أن احترق مسجد المدينة سنة أربع وخمسين
وستمائة فاحترق ذلك المنبر فلما صنع له صلى الله عليه وسلم المنبر وكان من أثل الغابة وضعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم موضعه الذي هو فيه فكان اذا بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطب
فجاوز الجذع الذي يخطب عليه خار فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الجذع فمسحه
بيده فسكت ثم رجع الى المنبر وفي رواية للبخاري عن جابر رضي الله عنه فجعلوا له منبرا فلما كان
يوم الجمعة رفع أي النبي صلى الله عليه وسلم الى المنبر فصاحت النخلة زاد في رواية صياح الصبي حتى
كادت أن تنشق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمها أي النخلة وفي رواية فضمه أي الجذع
اليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكن قال عليه الصلاة والسلام كانت تبكي على ما كانت تسمع من
الذكر عندها وفي رواية للبخاري عن جابر أيضا رضي الله عنه كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل
فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا
كصوت العشار حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت والعشار بكسر العين النوق
الحوامل التي انتهت في حملها الى عشرة أشهر وفي رواية للنسائي في السنن الكبرى عن جابر رضي
الله عنه اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج بفتح الخاء وضم اللام الخفيفة آخره جيم
الناقة التي انتزع ولدها وفي رواية لابن خزيمة عن أنس رضي الله عنه فحنت الخشبة حنين الواله وفي
رواية للامام أحمد والدارمي وابن ماجه عن أبي بن كعب رضي الله عنه فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع
وانشق يعني انه بالغ في الصياح فأخذ أبي ذلك الجذع لما هدم المسجد فلم يزل عنده حتى بلي وصار رفاتا
وهذا لا ينافي انه جاء في رواية فأمر به نبي الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر لاحتمال انه ظهر بعد
الهدم عند التنظيف فأخذه أبي بن كعب رضي الله عنه وفي رواية لابي يعلى عن أنس رضي الله عنه خار
كخوار الثور وارتج المسجد لخواره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية سهل بن سعد وكثر
بكاء الناس لما رأوه وفي رواية حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت وقال والذي
نفسي بيده لولم ألتزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة وفي رواية للدارمي عن بريدة بن الحصيب الاسلمي
رضي الله عنه فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم للجذع حين سمع حنينه ان شئت أن أردك الى الحائط
أي البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر وان شئت
أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل
مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال
النبي صلى الله عليه وسلم اختار دار البقاء أي وهي الجنة على دار الفناء أي وهي الدنيا قال القاضي
عياض في الشفا وكان الحسن البصري رحمه الله اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا الى لقائه قال في المواهب ان الله
خلق في الجذع حياة وعلما حتى صوت واشتاق وقد عامله النبي صلى الله عليه وسلم معاملة الحي فالتزمه
كما يلتزم الغائب أهله وأعزته يبرد شوقهم اليه وأسفهم عليه ولله در القائل

وحن اليه الجذع شوقا ورقة * ورجع صوتا كالعشار مرددا
فبادره ضما فقر لوقته * لكل امرئ من دهره ما تعودا

قال العلامة الزرقاني يعني انه أمر مسطر في كل من اعتاد أمرا او انقطع عنه فانه يتألم لذلك و يحزن فاذا رجع اليه فرح واطمأن وهذا الجذع لما ألف مقامه صلى الله عليه وسلم عنده اعتاد ذلك فصار يتألم لمراقه تألم من فارقه أحبته فلما ضمه سكن وفرح كمقيم ورد عليه أحبته المسافرون سفرا طويلا لاسيما اذا لم يأمل المقيم أن لا يرجع المسافر اليه ولله در القائل

وألقى حتى في الجمادات حبه * فكانت لاهداء السلام له تهدى
وفارق جذعا كان يخطب عنده * فأن أنين الام اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع يا قوم هكذا * أما نحن أولى أن نحن له وجدا
اذا كان جذع لم يطق فقد ساعة * فليس وفاء أن نطيق له بعدا

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم سجود الجمل له وشكواه كثرة العمل وقلة العلف روى الامام أحمد والنسائي باسناد جيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان اهل بيت من الانصار لهم جمل يسنون أي يستقون عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره أي الانتفاع به فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل نسني عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فدخل الحائط أي البستان والجمل في ناحية فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار يا رسول الله قد صار مثل الكلب الكلب اي العقور وانا نخاف عليك صولته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس علي منه بأس فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه أي واضعا مشفره بار كا بين يديه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله في العمل فقال له أصحابه يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق بالسجود لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لامرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وروى الامام أحمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح عن يعلى بن مرة الثقفي رضي الله عنه قال بينما نحن نسير مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر أي صوت كثيرا فوضع جرانه وهو بالكسر مقدم العنق فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فقال أين صاحب هذا البعير فجاء فقال صلى الله عليه وسلم له بعنيه فقال بل نهبه لك يا رسول الله وانه لاهل بيت مالهم معيشة غيره فقال اما اذ ذكرت هذا من امره فانه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا اليه أي بقلة العمل وكثرة العلف وروى الدارمي والبزار والبيهقي باسناد جيد عن جابر رضي الله عنه ان جملا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان قريبا منه خر الجمل ساجدا فقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس من صاحب هذا الجمل فقال فتية من الانصار هو لنا قال فما شأنه قالوا استنينا عليه عشرين سنة فلما كبرت سنه أردنا نحره فقال صلى الله عليه وسلم تبيعونيه قالوا هو لك يا رسول الله فقال أحسنوا اليه حتى يأتي أجله فقالوا يا رسول الله نحن أحق أن نسجد لك من البهائم فقال لا ينبغي لبشر أن يسجد لبشر ولو كان النساء لازواجهن وفي رواية انه قال اما صاحب الجمل ما بعيرك يشكوك زعم أنك شننته حتى كبر تريد أن تنحره فقال صدقت والذي بعثك بالحق لا أفعل وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا من الانصار كان له فحلان فاغتلما فادخلهما حائطا فسد عليهما الباب ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يدعو له والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد معه نفر من الانصار

فقال يارسول الله اني جئت في حاجة وانه كان لي فحلان فاغتلما واني أدخلتهما حائطا وسددت عليهما الباب فأحب أن تدعو لي أن يسخرهما الله عز وجل فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا معنا فذهب حتى أتى الباب فقال افتح فشفق الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افتح ففتح فاذا أحد الفحلين قريب من الباب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد له فقال صلى الله عليه وسلم ائتني بشئ أشد به رأسه وأمكنك منه فجاء بخطام فشد به رأسه وأمكنه منه ثم مشى الى أقصى الحائط اذا الفحل الآخر فلما رآه وقع له ساجدا فقال ائتني بشئ أشد به رأسه وأمكنك منه فجاء بخطام فشد به رأسه وأمكنه منه وقال اذهب فانهما لا يعصيانك وروى الامام أحمد وأبو داود وابن شاهين عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما قال أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فأسر الي حديثا لا أحدث به أحدا من الناس قال وكان أحب ما استتر به النبي صلى الله عليه وسلم أي عند قضاء الحاجة هدف وهو كل شئ مرتفع على الارض أو حائش نخل أي وهو النخل المجتمع فدخل حائط رجل من الانصار أي لحاجته فاذا جمل فلما رأى الجمل النبي صلى الله عليه وسلم حن فذرفت عيناه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفره أي وهو الموضع الذي يعرق من قفا البعير عند أذنه فسكن ثم قال من رب هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هو لي يارسول الله فقال الا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها فانه شكا الي أنك تجيعه وتدئبه أي تتعبه بكثرة العمل وفي رواية وكان لا يدخل أحد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه أي وضع زمامه الذي يقاد به في رأسه وقال صلى الله عليه وسلم ما بين السماء والارض شئ الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم سجود الغنم وطاعتها له صلى الله عليه وسلم روى الامام أحمد والبزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا أي بستانا للانصاري ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له أي تعظيما له لما شاهدت نور نبوته وألهمها الله معرفته فقال أبو بكر يارسول الله نحن أحق بالسجود لك من الغنم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد أن يسجد لاحد وروى البيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن وهو على بعض حصون خيبر وكان الرجل في غنم يرعاها لاهل خيبر فقال يارسول الله كيف لي بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك أمانتك ويردها الى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى أهلها معجزة له صلى الله عليه وسلم فهذا من طاعات الحيوانات له ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم كلام الذئب واقراره برسالته صلى الله عليه وسلم روى الامام أحمد باسناد جيد والترمذي والحاكم باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فاقعى الذئب على ذنبه وقال الا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله الي فقال الراعي ياعجبا ذئب مقع على ذنبه يكلمني بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانباء ما قد سبق وفي رواية رسول الله في النخلات بين الحرتين يحدث الناس عن نبأ ما قد سبق وما يكون بعد ذلك وفي لفظ يدعو الناس الى الهدى والى الحق وهم يكذبونه قال أبو سعيد فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمر رسول صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي أخبرهم أي بما شاهدته ليسروا ويزدادوا ايمانهم فأخبرهم وفي رواية وكان الرجل يهوديا فجاء وأسلم وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه ثم قال صلى الله عليه وسلم انها أمارات بين يدي الساعة قد أوشك الرجل

أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده وفي رواية أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال الذئب للراعي أنت أعجب مني واقف على غنمك وقد تركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه قدرا عنده وقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فأسلم الرجل اليه غنمه ومضى فذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها أي لم ينقص منها شيء فعاد فوجدها كذلك فذبح للذئب شاة منها وروى قصة كلام الذئب أيضا الامام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه وروى سعيد بن منصور عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء الذئب فأقعى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يبصبص بذنبه أي يحركه فقال صلى الله عليه وسلم هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئا قالوا والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجرا ورماه به فأدبر الذئب وله عواء فقال صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب وهذا الاستفهام مفخم أمره قال القاضي عياض في الشفاء وقد روى ابن وهب ان الذئب كلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية قبل اسلامهما وذلك أنهما وجدا ذئبا يريد أخذ ظبي فجرى الذئب خلف الظبي من الحل فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب عنه فعجبا من ذلك فقال الذئب لما سمع تعجبهما أو علمه من حالهما أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال أبو سفيان لصفوان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة أي لأهلها ليتركنها خلوفا بضم الخاء المعجمة أي فاسدة متغيرة يعني يقع الفساد والتغير في أهلها باسلامهم وهجرتهم الى المدينة وسمى ذلك فسادا باعتبار زعمهم الذي كانوا يعتقدونه قبل اسلامهم (ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم حديث الحمار أخرج ابن عساكر عن ابن منظور رضي الله عنه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أصاب حمارا أسود فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار فكلمه الحمار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كل منهم لا يركبه الا نبي وقد كنت أتوقعك أن تركبني لانه لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء غيرك وقد كنت قبلك لرجل يهودي وكنت أعثر به عمدا وكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فأنت يعفور وهو اسم ولد الظبي كأنه سمي به لسرعته فكان عليه الصلاة والسلام يبعثه الى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فاذا خرج اليه صاحب الدار أومأ اليه أن أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى بئر كانت لابي الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الواقدي مات يعفور منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع وبه جزم النووي عن ابن الصلاح فيكون موته قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى حديث الحمار أبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وأخرجه ابن حبان وغيره وأنكره بعضهم وقال انه موضوع وقال بعضهم انه ضعيف وقد تعددت طرقه قال العلامة الزرقاني وليس فيه ما ينكر شرعا فلا بدع في وقوعه له صلى الله عليه وسلم فغايته الضعف لا الوضع ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم حديث الضب بفتح المعجمة وموحدة ثقيلة حيوان بري يشبه الورل قال ابن خالويه لا يشرب الماء ويعيش سبعمائة سنة فصاعدا ويقال انه يبول كل أربعين يوما قطرة ولا يسقط له سن ويقال ان اسنانه قطعة واحدة ليست متفرقة وحديثه مشهور على الالسنة وقد رواه البيهقي والطبراني وشيخه الحاكم وشيخه ابن عدي والدارقطني كلهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله

عليه وسلم كان فى محفل من أصحابه اذ جاءه اعرابى من بنى سليم قد صاد ضبا جعله فى كمه ليذهب به الى رحله فيشويه ويأكله فلما رأى الجماعة أى الصحابة قال من هذا قالوا نبى الله وفى رواية الدارقطنى فقال على من هؤلاء الجماعة فقيل له على هذا الذى يزعم انه نبى فأتاه فقال يا محمد ما اشتملت النساء على ذى لهجة أكذب منك فلولا أن تسمينى العرب عجولا لقتلتك ولسررت الناس أجمعين بقتلك فقال عمر يارسول الله دعنى أقتله فقال صلى الله عليه وسلم أما علمت ان الحليم كاد أن يكون نبيا ثم أقبل الاعرابى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرج الضب من كمه وقال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياضب فأجابه بلسان بين وفى رواية فكلمه الضب بلسان طلق فصيح عربى مبين يسمعه وفى رواية يفهمه القوم جميعا لبيك وسعديك يازين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الاعرابى زاد الدارقطنى وابن عدى فقال الاعرابى أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الارض أحد هو أبغض الى منك ووالله لانت الساعة أحب الى من نفسى وولدى فقد آمن بك شعرى وبشرى وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك الى هذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقرآن قال فعلمنى فعلمه صلى الله عليه وسلم الفاتحة والاخلاص فقال يارسول الله ما سمعت فى البسيط ولا فى الوجيز أحسن من هذا فقال صلى الله عليه وسلم هذا كلام رب العالمين وليس بشعر واذا قرأت قل هو الله أحد مرة فكأنما قرأت ثلث القرآن وان قرأتها مرتين فكأنما قرأت ثلثى القرآن وان قرأتها ثلاثا فكأنما قرأت القرآن كله فقال الاعرابى نعم الاله الهنا يقبل اليسير ويعطى الكثير ثم قال صلى الله عليه وسلم ألك مال فقال ما فى سليم قاطبة أفقر منى فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اعطوه فأعطوه حتى أثروه فقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انى أعطيه يارسول الله ناقة عشراء أهديت الى يوم تبوك تلحق ولا تلحق أتقرب بها الى الله دون البختى وفوق العرابى فقال صلى الله عليه وسلم لقد وصفت ما تعطى فأصف لك ما يعطيك الله قال نعم قال لك ناقة من درة جوفاء قوائمها من زمرد أخضر وعنقها من زبرجد أصفر عليها هودج وعلى الهودج السندس والاستبرق تمر بك على الصراط كالبرق الخاطف فخرج الاعرابى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاه ألف اعرابى من بنى سليم على ألف دابة بألف رمح وألف سيف فقال لهم أين تريدون فقالوا هذا الذى يكذب ويزعم أنه نبى فقال الاعرابى انى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا اصبوت فحدثهم بحديثه فقالوا كلهم لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فتلقاهم بلا رداء فنزلوا عن ركائبهم يقبلون ما ولوا منه وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله وقالوا يارسول الله مرنا بأمرك فقال كونوا تحت راية خالد بن الوليد قال ابن عمر رضى الله عنهما فلم يؤمن فى أيامه صلى الله عليه وسلم من العرب ولا من غيرهم ألف غيرهم وهذا الحديث قد ضعفه بعضهم وادعى بعضهم انه موضوع وذلك مردود كيف وقد رواه الائمة الحفاظ الكبار كابن عدى وتلميذه البيهقى وهو لا يروى موضوعا والدارقطنى وناهيك به والحديث ابن عمر طرق ورواه أبو نعيم وورد مثله عند ابن عساكر عن على رضى الله عنه ورواه ابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما ومن حديث عائشة وأبى هريرة رضى الله عنهما غاية الامر أن بعض الطرق ضعيفة لكنها يقوى بعضها بعضا والله أعلم ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم حديث الغزالة أى كلامها له روى حديثها

البيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من طرق يقوي بعضها بعضا فيعلم أن له أصلا فيكون حسنا لغيره وذكره القاضي عياض بلا سند عن أم سلمة رضي الله عنها بدون تمريض فيدل على قوته ولا عبرة بتضعيف بعضهم له ورواه أبو نعيم في الدلائل النبوية عن أنس وعن أم سلمة أيضا رضي الله عنهما قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحراء من الارض اذا هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي منجدل في شملة نائم في الشمس فقال لها ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان أي ولدان في ذلك الجبل فاطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت عذبني الله عذاب العشار أي المكاس ان لم أرجع فأطلقها فذهبت فأرضعتهما ورجعت عن قرب فأوثقها النبي صلى الله عليه وسلم كما كانت فانتبه الاعرابي من نومه فقال يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهي تضرب برجلها الارض وتقول أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وفي رواية لزيد بن أرقم رضي الله عنه قال فهي فأنا والله رأيتها تسيح في البرية وهي تقول لا اله الا الله محمد رسول الله ورواه الطبراني بنحو هذا وساق الحافظ المنذري لفظ الطبراني في الترغيب والترهيب من باب الزكاة وأنكر السخاوي حديث تكليم الغزالة ثم قال لكنه في الجملة وارد في عدة أحاديث يتقوى بعضها ببعض أوردها شيخنا شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في المجلس الحادي والستين من تخريج احاديث المختصر الكبير في الاصول لابن الحاجب وقال العلامة ابن السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب وحديث تسبيح الحصى وتكليم الغزالة وان لم يكونا اليوم متواترين لعلهما تواترا اذ ذاك وقال الحافظ ابن حجر والذي أقوله انها كلها مشتهرة بين الناس انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تعظيم داجن البيوت له وانقيادها وطاعتها له وشهادتها عنده صلى الله عليه وسلم والداجن ما ألف البيوت من الحيوانات كالطير والشاة والناقة وقد روى ذلك الامام أحمد والبزار وقاسم بن ثابت السرقسطي الاندلسي عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر أي سكن وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب أي مشى في البيت وتردد فيه لانه ليس ثمة من يهابه وقيل معناه لم يقر لعدم رؤيته صلى الله عليه وسلم شوقا له وكلاهما أي ألف الحيوان الذي لا يعقل له صلى الله عليه وسلم ومهابته عنده آية ظاهرة وذكره القاضي عياض في الشفاء بسنده الى قاسم بن ثابت أيضا وعن عبد الله بن قرط رضي الله عنه قال قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بأيتهن يبدأ أي تقدمت كل واحدة منهن اليه صلى الله عليه وسلم رغبة في أن ينحرها وانقيادا له بالهام من الله تعالى رواه الحاكم والطبراني وأبو نعيم وروى الطبراني عن زيد بن ثابت والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بمجمع طرق المدينة بصرنا باعرابي آخذ بخطام بعير حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا نبي الله فرد عليه السلام فجاء رجل وقال ان هذا الاعرابي سرق هذا البعير فرغا البعير وهو صلى الله عليه وسلم منصت له ثم قال للرجل انصرف فان البعير يشهد بأنك كاذب وعبارة الشفاء ومن معجزاته حديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها وانها ملكه وفي الشفاء أيضا ومن هذا القبيل ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لفرسه وقد قام الى الصلاة في بعض أسفاره والفرس غير مربوط لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله في قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم ففيه معجزة له حيث فهم الحيوان كلامه وربما يندرج في تسخير الحيوانات له صلى الله عليه وسلم ما رواه

البخاري في تاريخه والبيهقي في سننه من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فقال له أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي كتابه فألهمه الله تعالى أن فهم كلامه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه من اليمن مثل ذلك وفي رواية للبزار والبيهقي صححها السيوطي ان سفينة رضي الله عنه كان في سفينة في البحر فانكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد قال فقلت له أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق وأخذ صلى الله عليه وسلم مرة بأذن شاة أي مسكها باصبعيه ثم خلاها فصار ذلك ميسما فيها وفي نسلها ويلتحق بهذا المبحث ما رواه الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك خرج ستة نفر منهم في يوم واحد فأصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم والواقدي امام جليل من أئمة السير وثقه بعضهم وتكلم فيه بعضهم قال الشهاب الخفاجي وكفى برواية الشافعي عنه دليلا على صحة ما رواه وقد ترجمه الذهبي وابن سيد الناس وغيرهما بترجمة جليلة قال القاضي عياض في الشفا والاحاديث في هذا الباب كثيرة وقد جئنا منها بالمشهور والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم نبع الماء الطهور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم قال القرطبي قصة نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم قد تكررت في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي وقال القاضي عياض هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير والجم الغفير عن الكافة متصلة بالصحابة وكان ذلك في مواطن اجتماع الكثير منهم في المحافل ومجامع العساكر ولم يرد عن أحد منهم انكار على الراوي ذلك فهذا النوع ملحق بالقطعي من معجزاته صلى الله عليه وسلم وحديث نبع الماء جاء من رواية أنس عند الشيخين وأحمد وغيرهم من خمسة طرق وعن جابر عندهم من أربعة طرق وعن ابن مسعود عند البخاري والترمذي وعن ابن عباس عند الامام أحمد والطبراني من طريقين فقول ابن بطال لم يرد الا من طريق انس مردود وهذه المعجزة لم يسمع انها وقعت لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وهي أعظم من نبع الماء من الحجر الذي وقع لموسى عليه الصلاة والسلام حين ضرب الحجر بعصاه فتفجر منه اثنتا عشرة عينا لان خروج الماء من الحجارة معهود في الجملة بخلاف نبع الماء من بين لحم ودم فانه ليس بمعهود. وما أحسن قول بعضهم

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر * فان في الكف معنى ليس في الحجر

قال في المواهب وقد روى حديث نبع الماء جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود وابن عباس وأبو ليلى رضي الله عنه فأما حديث أنس ففي الصحيحين قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر زاد في رواية وهو بالزوراء موضع بسوق المدينة فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده في ذلك الاناء فأمر الناس أن يتوضؤا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم وكانوا سبعين أو ثمانين وفي رواية فقلنا لانس كم كنتم قال كانوا زهاء ثلثمائة وحمل على تعدد القصة وانهم كانوا مرة ثمانين أو سبعين ومرة ثلثمائة فهما كما قال النووي قضيتان جرتا في وقتين حضرهما جميعا أنس رضي الله عنه وقوله حتى توضؤا من عند آخرهم مبالغة في التعميم حتى كأن الآخر هو الذي ابتدئ به اشارة الى أن الآخر اسبغ الوضوء من غير نقص مثل اسباغ الاول بل كأنه هو الاول وروى ابن شاهين عن أنس رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال المسلمون يا رسول الله عطشت دوابنا وابلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل في شن أي قربة بالية بشئ من ماء فقال هاتوا صحفة فصب الماء

ثم وضع راحته في الماء قال أنس رضي الله عنه فرأيتها أي الصحفة تخلل عيونا أي تتخلل أي تنفذ عيونها بين أصابعه فسقينا الظهر وشربنا وتزودنا أي حملنا الماء معنا فقال صلى الله عليه وسلم أكفيتم قلنا نعم يا رسول الله فرفع يده من الصحفة فارتفع الماء وأخرج البيهقي عن أنس أيضا رضي الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى قباء فأتى من بعض بيوتهم بقدح صغير فأدخل يده فلم يسعها القدح فأدخل أصابعه الاربعة ولم يستطع أن يدخل ابهامه ثم قال للقوم هلموا الى الشراب قال أنس رضي الله عنه بصر عيني نبع الماء من بين أصابعه فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعا وأما حديث جابر رضي الله عنه ففي الصحيحين من رواية سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه قال عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها فجهش الناس نحوه أي اسرعوا فقال ما لكم قالوا يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا ماء نشربه الا ما بين يديك فوضع صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا قال سالم قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى هذه القصة البخاري أيضا عن البراء ابن عازب رضي الله عنهما وقال كنا أربع عشرة مائة وجمع بينهما بأنهم كانوا أكثر من أربع عشرة مائة فمن قال خمس عشرة جبر الكسر ومن قال أربع عشرة ألغاه ويؤيده انه جاء في رواية للبخاري كانوا ألفا وأربعمائة أو أكثر واعتمد النووي هذا الجمع قال اصح الروايات كلها وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه انه كان مثل ذلك في غزوة بواط وهو اسم جبل من جبال جهينة بقرب ينبع ولفظه قال جابر رضي الله عنه قال لي رسول الله ناد ألا وضوء فقلت ألا وضوء ألا وضوء ألا وضوء قال ثم قلت يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة وكان رجل من الانصار يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء في أشجاب له على حمارة من جريد قال فقال لي انطلق الى فلان الانصاري فانظر هل في أشجابه من شيء فانطلقت اليه فنظرت فيها فلم أجد الا شيئا يسيرا لو أني أفرغه لشربه يابس الاناء فرجعت فأخبرته قال اذهب فأتني به فأتيته به فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو ويغمز بيده ثم أعطانيه فقال يا جابر ناد بجفنة فقلت يا جفنة الركب فأتيت بها تحمل فوضعتها بين يديه فقال صلى الله عليه وسلم بيده هكذا فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة وقال خذ يا جابر فصب علي وقل باسم الله فصببت عليه وقلت باسم الله فرأيت الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال يا جابر ناد من كانت له حاجة بماء قال فأتى الناس فاستقوا حتى رووا وبقي فقلت هل بقي أحد له حاجة فرفع صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى قال الحافظ ابن حجر وهذه القصة أبلغ من جميع ما تقدم لاشتمالها على قلة الماء وعلى كثرة من استقى منه وقوله في أشجاب جمع شجب وهي القربة البالية وروى حديث جابر رضي الله عنه الامام أحمد في مسنده بلفظ اشتكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فدعا بعس وهو القدح الكبير فصب فيه شيئا من الماء ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده وقال استقوا فاستقى الناس فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ عن جابر أيضا قال فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفه في الاناء ثم قال باسم الله ثم قال اسبغوا الوضوء قال جابر والذي ابتلاني ببصري أي بفقده وذهابه لانه عمي آخر عمره رضي الله عنه لقد رأيت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم فما رفعها أي يده حتى توضؤوا أجمعون ورواه أيضا عن جابر البيهقي في الدلائل قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر أي وهو الحديبية فأصابنا عطش فجهشنا أي أسرعنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جابر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في تور من ماء وهو بفتح المثناة

الفوقية اناء من حجارة أوصفر يشرب فيه قيل انه يشبه الطست فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كأنه العيون قال خذوا باسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة ألف لكفانا قلت لجابر كم كنتم قال كنا ألفا وخمسمائة وأما حديث ابن مسعود رضى الله عنه ففى صحيح البخارى من رواية علقمة عن ابن مسعود رضى الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فى سفر قيل هو الحديبية وجزم أبو نعيم بأن ذلك كان فى غزوة خيبر ورجحه الحافظ ابن حجر وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء وفى رواية فجاؤا باناء فيه ماء قليل فصبه فى اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مسعود رضى الله عنه فجعلت أبادرهم الى الماء أدخله فى جوفى أى اطلب البركة وفى رواية قال كنا نعد الآيات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باناء فيه ماء قليل فأدخل يده فى الاناء ثم قال حى على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبى صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وانما كان النبى صلى الله عليه وسلم يطلب ماء قليلا و يضع يده فيه ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ولا وضع اناء تأدبا مع الله تعالى اذهو المنفرد بابتداع المعدومات وايجادها من غير أصل ولئلا يظن بعض القاصرين أنه هو الموجد للماء وللاشارة الى أن الله تعالى أجرى العادة فى الدنيا غالبا بالتسبب وحديث ابن مسعود هذا رواه عنه أيضا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال دعا النبى صلى الله عليه وسلم بلالا لطلب الماء فقال بلال لا والله ما وجدت الماء فقال هل من شن فأتى بشن فبسط كفه فيه فانبعثت تحت يده عين فكان ابن مسعود يشرب و يكثر وغيره يتوضأ رواه الدارمى وأبو نعيم ورواه الطبرانى وأبو نعيم من حديث أبى ليلى ورواه أبو نعيم أيضا من طريق القاسم بن عبد الله بن أبى رافع عن أبيه عن جده أبى رافع مولى النبى صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم تفجر الماء وكثرته ووجوده ببركته صلى الله عليه وسلم وبمسه لمحله وبدعوته فمن ذلك ما تقدم ذكره فى غزوة تبوك انه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه جاؤا عين تبوك فوجدوها تبض بشئ من ماء مثل شراك النعل قال معاذ بن جبل الراوى لهذه القصة فغرفنا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع شئ ثم غسل عليه الصلاة والسلام وجهه ويديه به ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير وفى رواية فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق فاستقى الناس ثم قال عليه السلام يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ماههنا قد ملئ جنانا أى بساتين وعمرانا فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم وفى البخارى فى غزوة الحديبية من حديث المسور بن مخرمة رضى الله عنهما ومروان بن الحكم ان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه نزلوا بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله مازال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه والثمد بفتحتين حفرة فيها ماء قليل وفى رواية للبخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم توضأ فتمضمض ودعا ومج فى بئر الحديبية منه فجاشت بالماء كذلك وفى مغازى أبى الاسود محمد ابن عبد الرحمن الاسدى المدنى يتيم عروة بن الزبير عن عروة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم توضأ فى الدلو ومضمض فاه ثم مج فى الدلو وأمر أن يصب فى البئر ونزع سهما من كنانته وألقاه فى البئر ودعا الله تعالى ففارت الى أن ارتفعت حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفيرها فجمع فى هذه الرواية بين التوضى والمج والقاء سهم من كنانته ففى رواية البخارى اختصار وفيه معجزات ظاهرة وبركة سلاحه وما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم وهذه القصة غير القصة السابقة قريبا فى ذكر نبع الماء

من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم مما رواه البخاري ومسلم في المغازي من حديث جابر رضي الله عنه
لانه قال في حديثه فجعل الماء يفور من بين أصابعه وفي حديث البراء انه صب ماء وضوءه في البئر فالقصة
متعددة فحديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند ارادة الوضوء وحديث المسور
والبراء كان في تكثير ماء البئر لارادة ماهو أعم من ذلك كشرب وسقي دواب ويحتمل أن يكون الماء لما
تفجر من بين أصابعه ويده في الركوة وتوضؤا كلهم وشربوا أمر حينئذ بصب الماء الذي بقي في الركوة
في البئر فتكاثر الماء فيها قال في فتح الباري وفي حديث زيد بن خالد انهم أصابهم مطر بالحديبية فكان
ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع رضي الله عنهما مما رواه
البخاري ومسلم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرهم لاتروي خمسين شاة فنزحناها فلم
نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفيرها قال البراء وأتى صلى الله عليه وسلم بدلو
منها فبصق ودعا الله ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة قال البراء فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا نحن
وركابنا وفي رواية فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا وفي الصحيحين عن عمران بن حصين الخزاعي
رضي الله عنهما وعن أبيهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قيل هو الحديبية وقيل
تبوك وقيل غيرهما فاشتكى الناس اليه صلى الله عليه وسلم العطش فنزل صلى الله عليه وسلم ودعا
الزبير وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وقال اذهبا فابتغيا الماء فانطلقا فلقيا امرأة على بعير سادلة
رجليها بين مزادتين فجاءا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فأفرغ من أفواه المزادتين وأوكأ
أفواههما ثم وضع يده في الماء فجعل يفور ونودي في الناس اسقوا واستقوا ففعلوا والمرأة قائمة تنظر
مايفعل بمائها ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اجمعوا لها أي للمرأة أي تطييبا لخاطرها في مقابلة
حبسها في ذلك الوقت عن المسير الى قومها وما نالها من خوف أخذ مائها قال بعضهم انما أخذوها
واستجازوا أخذ مائها لانها كانت حربية وعلى فرض أن يكون لها عهد فضرورة العطش تبيح
للمسلم الماء المملوك لغيره على عوض على أن نفس الشارع صلى الله عليه وسلم تفدى بكل نفس فجمعوا لها
مابين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما كثيرا فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب
بين يديها وقال لها صلى الله عليه وسلم تعلمين مارزأنا من مائك شيئا ولكن الله هو الذي سقانا فأتت
أهلها وقد احتبست عنهم فقالوا ماحبسك يافلانة فقالت العجب اي حبسني العجب لقيني رجلان
فذهبا بي الى هذا الرجل الذي يقال له الصابي ففعل كذا وكذا وحكت لهم مافعل ثم قالت فوالله انه
لاسحر الناس أو انه لرسول الله حقا فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين
ولا يصيبون الصرم الذي هي منه فقالت المرأة يوما لقومها ما أرى أن هؤلاء يدعونكم الا عمدا فهل
لكم رغبة في الاسلام فأطاعوها فدخلوا في الاسلام وتقدمت هذه القصة في غزوة تبوك وتقدم فيها
أيضا أنه صلى الله عليه وسلم توضأ من ميضأة لابي قتادة رضي الله عنه وبقي فيها شيء من ماء ثم قال صلى
الله عليه وسلم لابي قتادة احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ ثم أصابهم عطش شديد فشكوا اليه
صلى الله عليه وسلم ذلك فدعا بالميضأة فجعل صلى الله عليه وسلم يصب في قدحه وأبو قتادة يسقيهم
فازدحم الناس على الميضأة بمجرد رؤية الماء لشدة عطشهم فقال صلى الله عليه وسلم أحسنوا الملء
أي لاوانيكم فلا تزدحموا على الاخذ كلكم سيروى ففعلوا أي تركوا الازدحام قال أبو قتادة رضي
الله عنه فجعل صلى الله عليه وسلم يصب في قدحه وأسقيهم زاد الامام أحمد فشرب القوم وسقوا دوابهم
وركابهم وملؤا ما كان معهم من قربة ومزادة حتى مابقي غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم صب الماء فقال لي اشرب فقلت لا أشرب حتى تشرب يارسول الله قال ان ساقي القوم آخرهم شربا

قال فشرب وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم فى الوفود عند ذكر وفد بنى فزارة أنهم شكوا اليه القحط فدعا لهم صلى الله عليه وسلم فأمطرت السماء عليهم سبعا حتى قالوا يارسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وسال الوادى قناة شهرا وقناة بمنع الصرف بدل من الوادى وهو اسم لواد معين من أودية المدينة بناحية أحد به مزارع ولم يجئ أحد من ناحية الا حدث بالجود بفتح الجيم أى المطر الكثير وتقدم فى غزوة تبوك أنهم عطشوا عطشا شديدا فقال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله ان الله قد عودك فى الدعاء خيرا فادع الله لنا أن يسقينا قال أتحبون ذلك قال نعم فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء أى غيمت وظهر فيها سحاب فانسكبت فملؤا مامعهم من آنية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوزا لعسكر وروى ابن اسحاق فى مغازيه عن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن أبيه عن جده عبد الله أن أبا طالب قال كنت بذى المجاز وهو اسم سوق بقرب عرفة كانوا يجتمعون فيه فى الجاهلية فأدركنى العطش فشكوت الى ابن أخى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا ابن أخى عطشت وقالت له ذلك وأنا لا أرى عنده شيئا فثنى وركه ثم نزل عن الدابة وكان صلى الله عليه وسلم رديفا لابى طالب وقال ياعم عطشت فقلت نعم فأهوى نعقبه الى الارض أى ضرب الارض بقدمه فاذا بالماء فقال اشرب ياعم فشربت ورواه أيضا ابن سعد وابن عساكر والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه روى البخارى ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فى قصة حفر الخندق قال رأيت بالنبى صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا وهو ضمور البطن من الجوع فأخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة بضم الباء مصغرا وهى الصغيرة من أولاد المعز وفى رواية عناق داجن أى لا تخرج الى المرعى فذبحتها وطحنت الشعير وفى رواية فأمرت امرأتى فطحنت لنا الشعير وفى رواية عن جابر رضى الله عنه انا يوم الخندق نحفر فعرضت لنا كدية شديدة فجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت فى الخندق فقال أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا أهيل أو أهيم فقلت يارسول الله ائذن لى الى البيت فقلت لامرأتى رأيت بالنبى صلى الله عليه وسلم شيئا ما كان فى ذلك صبر فعندك شئ قالت عندى شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة ثم جئت النبى صلى الله عليه وسلم والعجين قد اختمر والبرمة بين الاثافى كادت أن تنضج فقالت امرأته لا تفضحنى برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه فجئته فساررته فقلت يارسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير فتعال أنت ونفر معك يعنى دون العشرة وفى رواية فقلت طعيم لنا صنعته فقم أنت يارسول الله ورجل أو رجلان وكنت أريد أن ينصرف وحده قال كم هو فذكرت له فقال كثير طيب قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى فصاح النبى صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا صنع سورا فحيهلا بكم أى هلموا مسرعين والسور الطعام الذى يدعى اليه وفى رواية فقال قوموا فقام المهاجرون والانصار فلما دخل على امرأته قال ويحك جاء النبى صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم قالت هل سألك قلت نعم وفى رواية قال فلقيت من الحياء ما لا يعلمه الا الله تعالى وقلت جاء الخلق على صاع من شعير وعناق فدخلت على امرأتى أقول افتضحت جاءك رسول الله بالجند أجمعين فقالت هل كان سألك كم طعامك فقلت نعم فقالت الله ورسوله أعلم نحن أخبرناه بما عندنا وفى رواية أنها خاصمته فى أول الامر وقالت بك وبك فلما أعلمها بأنه أعلم به النبى

صلى الله عليه وسلم سكن ما عندها وقالت الله ورسوله أعلم لعلمها بامكان خرق العادة ودل ذلك على وفور عقلها وكمال فضلها رضي الله عنها واسمها سهلة بنت معوذ الانصارية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء ثم جاء وفي رواية فجئت وجاء النبي صلى الله عليه وسلم يقدم الناس فأخرجت المرأة له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق فيها وبارك أي دعا بالبركة ثم قال لجابر ادع خابزة فلتخبز معي وجئت ثم قال لها واقدحي أي اغرفي من برمتكم ولا تنزلوها وهم أي القوم الذين جاؤا معه ألف وأنعدهم عشرة عشرة يأكلون فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا أي مالوا عن الطعام وان برمتنا لتغط أي تغلي وتفور كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ادخلوا ولا تضاغطوا فجعل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية قال كلي هذا وأهدي فان الناس أصابتهم مجاعة وفي رواية فما زال يقرب الى الناس حتى شبعوا أجمعين ويعود التنور والقدر أملأ ما كانا فقال كلي وأهدي فلم نزل نأكل ونهدي يومنا أجمع وفي رواية فأكلنا وأهدينا لجيراننا فلما خرج صلى الله عليه وسلم ذهب ذلك وصريح هذا أن الذي باشر الغرف النبي صلى الله عليه وسلم فيخالف ظاهر قوله واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها الدال على أن مباشر ذلك المرأة ويمكن الجمع بينهما فانها كانت تساعده في الغرف وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال أبو طلحة زيد بن سهل الانصاري رضي الله عنه وهو زوج أم أنس لام سليم رضي الله عنها وهي أم أنس رضي الله عنهما لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع وفي رواية لمسلم قال أبو طلحة جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عصب بطنه بعصابة فسألت فالوا من الجوع وفي رواية للامام أحمد أن أبا طلحة رأى النبي صلى الله عليه وسلم طاويا فدخل على أم سليم فقال هل عندك من شيء يأكله النبي صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي أي تحت ابطي ولاثتني أي ببعض الخمار أي أدارت بعض الخمار على رأسه كالعمامة ثم أرسلتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس فسلمت عليه وفي رواية فقمت عليهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أأرسلك أبو طلحة قلت نعم قال لطعام أي لاجله قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه من أصحابه قوموا فانطلق وانطلقوا وهم سبعون أو ثمانون رجلا وانطلقت بين أيديهم ولابي نعيم أخذ صلى الله عليه وسلم يدي فشدها ثم أقبل بأصحابه حتى اذا دنوا أرسل يدي فدخلت وأنا حزين لكثرة من جاء معه حتى جئت أبا طلحة فأخبرته بعينهم قال يا أنس فضحتنا وللطبراني فجعل يرميني بالحجارة ثم قال أبو طلحة يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم أي قدر ما يكفيهم فقالت الله ورسوله أعلم كأنها عرفت أنه فعل ذلك عمدا ليظهر المعجزة في تكثير الطعام ودل ذلك على فضل أم سليم رضي الله عنها ورجحان عقلها فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انما أرسلت أنسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى فقال ان الله مبارك فيه فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه حتى دخل على أم سليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمي يا أم سليم ما عندك فأتت بذلك الخبز الذي كانت أرسلته مع أنس رضي الله عنه فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت أي كسر وعصرت أم سليم عكة وفي رواية فقال هل من سمن فقال أبو طلحة قد كان في العكة شيء فجعلا يعصرانها حتى خرج ثم مسح صلى الله عليه وسلم به سبابته ثم مسح الخبز فانتفخ وقال باسم الله فلم يزل يصنع ذلك والخبز ينتفخ حتى رأيته في الجفنة يتسع فأدمته أي صيرت ما خرج من العكة اداما له ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيه ماشاء أن يقول وفى رواية للامام أحمد فقال باسم الله وفى مسلم فمسحها ودعافيها بالبركة وفى رواية للامام أحمد فجئت بها ففتح رباطها ثم قال باسم الله اللهم أعظم البركة فيها ثم قال ائذن لعشرة أى بالدخول لانه أرفق ثم لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون ثم أكل النبى صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وتركوا سؤرا أى بقية وفى مسلم وفضلت فضلة فاهديناه لجيراننا ولابى نعيم حتى أهدت أم سليم لجيرانها وهذه القصة قيل انها جرت أيام حفر الخندق كقصة جابر المتقدمة فعلى هذا يكون المراد بالمسجد هنا الموضع الذى أعده النبى صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه حين حاصره الاحزاب بالمدينة فى غزوة الخندق ووقع فى هذه القصة اختلاف فى الالفاظ فى روايات كثيرة وفى بعضها أنهم صنعوا له صلى الله عليه وسلم عصيدة وهو محمول على تعدد القصة وتكرر ذلك وتقدم فى غزوة الحديبية وفى غزوة تبوك أيضا أن الصحابة أصابتهم مجاعة فاستأذنوه صلى الله عليه وسلم فى نحر بعض ظهورهم فأذن فقال عمر رضى الله عنه يانبى الله لو أمرتهم أن يجمعوا فضل أزوادهم ثم تدعو الله لهم بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم نعم فأمرهم فجمعوا ذلك فدعا لهم فيه بالبركة ثم قال خذوا فى أوعيتكم فأخذوا حتى ماتركوا اناء الاملأوه فقال صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله لايلقى الله بهما عبد غيرشاك فيحجز عن الجنة وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب بنت جحش الاسدية رضى الله عنها فقالت لى أمى أم سليم لو أهدينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فقلت لها افعلى فعمدت الى تمر وسمن واقط فصنعت حيسا فجعلته فى تور وهو اناء من صفر أو حجارة وفى رواية للبخارى فى برمة فقالت يا أنس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك أمى وهى تقرئك السلام فقال صلى الله عليه وسلم ضعه أى التور ثم قال اذهب فادع لى فلانا وفلانا رجالا سماهم وادع لى من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فاذا البيت غاص بأهله قيل لانس كم كان عددكم قال زهاء ثلثمائة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة من القوم الذين اجتمعوا يأكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال فأكلوا كلهم حتى شبعوا ثم قال لى يا أنس ارفع فرفعت فما أدرى حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال ان أم مالك الانصارية كانت تهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم فى عكة لها سمنا فيأتيها بنوها فيسألون الادم وليس عندهم شئ فتعمد الى الذى كانت تهدى فيه للنبى صلى الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا فمازال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته فأتت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال أعصرتيها فقالت نعم قال لوتركتيها مازال قائما وروى ابن ابى عاصم وابن أبى خيثمة عن أم مالك الانصارية أنها جاءت بعكة سمن الى النبى صلى الله عليه وسلم فأمر بلالا فعصرها ثم دفعها اليها فاذا هى مملوءة فجاءت فقالت أنزل فى شئ قال وماذاك قالت رددت على هديتى فدعا بلالا فسأله فقال والذى بعثك بالحق لقد عصرتها حتى استحييت فقال هنيئا لك هذه بركة يا أم مالك هذه بركة عجل الله لك ثوابها ثم علمها أن تقول دبر كل صلاة سبحان الله عشرا والحمد لله عشرا والله أكبر عشرا وأخرج الطبرانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن أمه رضى الله عنها قالت كانت لى شاة فجعلت من سمنها فى عكة فبعثت بها مع زينب الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أفرغوا لها عكتها ففرغت وجاءت بها فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر سمنا فقالت يازينب ألست أمرتك أن تبلغى هذه العكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يأتدم بها قالت قد فعلت فان لم تصدقينى فتعالى معى فذهبت معها الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال جاءت بها فقلت والذى بعثك بالهدى ودين الحق انها ممتلئة سمنا تقطر فقال أتعجبين يا أم سليم ان الله أطعمك

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رجلا من أهل البادية أتى النبى صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه أى أعطاه شطر وسق من شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له لولم تكله لأكلتم منه أى دائما ولقام بكم أى مدة حياتكم من غير نقص وهذا الرجل قال بعضهم هو جد سعيد بن الحارث استعان بالنبى صلى الله عليه وسلم فى انكاحه فأنكحه امرأة فالتمس صلى الله عليه وسلم ماله فلم يجد فبعث أبا رافع وأبا أيوب بدرعه فرهناه عند يهودى فى شطر وسق من شعير فدفعه صلى الله عليه وسلم اليه قال فأطعمنا منه وأكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما أدخلنا فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له لولم تكله لأكلتم منه ولقام بكم والحكمة فى ذهاب النمو حين عصرت أم مالك العكة واعدام الشعير حين كاله أن عصرها وكيله مضاد كل منهما للتسليم والتوكل على رزق الله ويتضمن التدبير والأخذ بالحول والقوة وتكلف الاحاطة بأسرار حكم الله وفضله فعوقب فاعله بزواله قاله النووى فى شرح مسلم وقيل انما كان ذلك لافشائه سرا من أسرار الله ينبغى كتمه ولا يعارض هذا قوله صلى الله عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه لانه فيمن يخشى الخيانة أو كيلوا ما تخرجوه للنفقة منه لئلا تخرج أكثر من الحاجة أو أقل بشرط بقاء الباقى مجهولا أو كيلوا عند الشراء أو ادخاله المنزل وروى الترمذى وشيخه الدارمى عن سمرة بن جندب رضى الله عنهما قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم نتداول من قصعة فيها لحم من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قلنا فما كانت تمد أى أى شئ كانت تزاد به قال من أى شئ تعجب ما كانت تمد الا من ههنا وأشار بيده الى السماء والمراد من احسان الله معجزة له صلى الله عليه وسلم وفى رواية عن سمرة أيضا رواه الترمذى والدارمى وابن أبى شيبة والحاكم والبيهقى وأبو نعيم قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها أى تعدلها عشرة بعد عشرة من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون فقال رجل لسمرة هل كانت تمد فقال ما كانت تمد الا من ههنا وأشار بيده الى السماء وروى الامام أحمد والترمذى والنسائى عن سمرة أيضا رضى الله عنه نحو ذلك وروى البخارى ومسلم عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة فقال النبى صلى الله عليه وسلم هل مع أحد منكم طعام فاذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعجن ثم جاء رجل مشرك مشعان أى ثائر الرأس شعثه طويل جدا بغنم يسوقها فقال النبى صلى الله عليه وسلم أبيعا أم عطية أو قال أم هبة قال لا بل بيع فاشترى شاة فصنعت وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يشوى وايم الله ما فى الثلاثين ومائة الا وقد حز له النبى صلى الله عليه وسلم حزة من سواد بطنها ان كان شاهدا أعطاه اياه وان كان غائبا خبأ له فجعل منها قصعتين فأكلوا أجمعون وشبعنا ففضلت القصعتان فحملناه على بعير وفيه معجزة ظاهرة وآية باهرة من تكثير القدر اليسير من الصاع ومن اللحم حتى وسع الجمع المذكور وفضل وروى الامام أحمد والبيهقى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه قال لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب أى بمكة فى ابتداء البعثة وكانوا أربعين رجلا منهم جماعة الواحد منهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق وهو اناء يسع اثنى عشر صاعا وذلك ستة عشر رطلا فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو ثم دعا بعس من لبن والعس قدح من خشب يروى الثلاثة والأربعة فشربوا منه حتى رووا وبقى كأنه لم يشرب منه فلما أراد صلى الله عليه وسلم أن يتكلم قال أبو لهب سحركم محمد فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان الغد أعاد لهم ذلك فكان مثل ذلك فأعاد ذلك ثالثا ثم دعاهم الى الله وحذرهم عقابه فقال أبو لهب تبا لك ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبى لهب الى آخر السورة وروى

ن أبي شيبة والطبراني وأبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ن أدعو أهل الصفة لطعام يأكلونه عنده فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فيها طعام
أكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت أي لم تنقص شيئا الا أن فيها أثر الاصابع قال أبو نعيم
ي الحلية كان أهل الصفة نيفا ومائة وفي عوارف المعارف أنهم كانوا نحوا الأربعمائة وروى الطبراني
البيهقي عن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر رضي
الله عنه حين قدما المدينة في الهجرة من الطعام زهاء ما يكفيهما أي طعاما يكفي رجلين فقط فقال له
لنبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الانصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه أي شبعوا وتركوا
لطعام ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوا وما خرج أحد منهم حتى
سلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجهاد معه ونصرته لما رأوا من تلك المعجزة ولطفه بهم
ال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وكأنه حضر معهم جماعة لم يدعهم حتى بلغوا مائة
وثمانين والا فالذين دعاهم مائة وستون وخص النبي صلى الله عليه وسلم أشراف الانصار ليتألفهم
وليشاهدوا تلك المعجزة فيسلموا وينصروه وقد كان ذلك وسماهم أنصار الله صلى الله عليه وسلم بأنهم
سينصرونه وتفاؤلا بذلك وروى ابن سعد عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن علي زين
العابدين رضي الله عنهم أن فاطمة الزهراء رضي الله عنها طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا رضي
الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فأمرها صلى الله عليه وسلم فغرفت لجميع نسائه
صحفة صحفة ثم له ولعلي رضي الله عنه ثم لها ثم رفعت القدر وانها تفيض أي لكثرة ما فيها من الطعام
حتى كان يسيل من جوانبها ببركته صلى الله عليه وسلم فأكلت فاطمة رضي الله عنها منها ما شاء الله
وروى أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يزود أربعمائة
راكب من أحمس من تمر كان في علية فقال يا رسول الله ما هي الا أصوع أي ليس ذلك التمر يكفي
هؤلاء القوم لقلته قال اذهب وافعل ما آمرك به أي ولا تبال بقلة التمر فذهب فزودهم منه وكان
التمر قدر الفصيل أي ولد الناقة الصغير الرابض وبقي بحاله بعد اعطائهم لم ينقص منه شئ ورواه
البيهقي بسند صحيح من رواية النعمان بن مقرن الا أنه قال أربعمائة راكب من مزينة فيحتمل تعدد
القصة أو أنه كان بعضهم من أحمس وبعضهم من مزينة وروى البخاري حديث جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما في قصة قضاء دين أبيه لما استشهد يوم أحد وعليه دين أراد اداءه لغرمائه وكان قد بذل
لغرماء أبيه أصل ماله أي بستانا له ونخلا كان يتقوت منه فلم يقبلوه ولم يكن في ثمره سنين كفاف دينهم
فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فكلم الغرماء وكانوا يهودا فلم يرضوا فجاء النبي صلى الله
عليه وسلم بعد أن أمره بجذ الثمار وجعلها بيادر في أصولها أي جعلها كوما كوما في أصول النخل
فمشى صلى الله عليه وسلم في أرضها ودعا الله تعالى أن يبارك فيها فنمت وزادت فأوفى منها جابر الغرماء
وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال
النبي صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه ائت أبا بكر وعمر فأخبرهما أي ليسر بذلك ويزدادا ايمانا
وروى البيهقي والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أصاب الناس مخمصة أي جوع زاد في رواية
في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم وفي أخرى أنها غزوة تبوك فقال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل من شئ قلت نعم شئ من التمر في المزود قال فأتني به فقبض قبضة جاء في رواية أنها بضع عشرة
تمرة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع لي عشرة فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا ثم قال ادع عشرة فدعوتهم
فأكلوا حتى شبعوا وهكذا حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال لي خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض

منه ولا نكيه فتفيض على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت أهلى ومن أردت اطعامه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما الى أن قتل عثمان رضى الله عنه فانتهب منى فذهب وانما قال له خذ ما جئت به لانه بقى بعد أكلهم ماجاء به كحاله فأمره برده الى محله وأن يأخذ منه كل ما أراد وفى رواية الترمذى فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق فى سبيل الله أى جعلته محمولا معى فى أسفارى وأما غازٍ فى سبيل الله وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أبا هريرة رضى الله عنه أصابه الجوع مرة فاستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم أى طلب منه أن يتبعه فتبعه فوجد صلى الله عليه وسلم فى بيته لبنا فى قدح قد أهدى اليه صلى الله عليه وسلم فأمر أبا هريرة رضى الله عنه أن يدعو أهل الصفة قال فقلت ما موقع هذا اللبن منهم أى ما مقداره القليل كافيهم كنت أحق به منهم لشدة جوعى ولابد من امتثال أمر النبى صلى الله عليه وسلم فدعوتهم اليه صلى الله عليه وسلم فأمرنى أن أسقيهم فجعلت أعطى الرجل منهم فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الآخر حتى روى جميعهم قال أبو هريرة رضى الله عنه فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت أنا وأنت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب ومازال يقولها وأشرب حتى قلت لا والذى بعثك بالحق لا أجد له مسلكا فأخذ القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة وروى البيهقى من حديث خالد بن عبد العزى وهو خالد بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى أسلم قديما وهاجر الى الحبشة فمات فى الطريق وهو ابن أخى خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها وأخو حكيم بن حزام رضى الله عنه وكان خالد هذا ينزل بناحية الجعرانة فنزل به النبى صلى الله عليه وسلم مرة فأعطى النبى صلى الله عليه وسلم شاة ليذبحها ويأكلها ضيافة منه له وكان عيال خالد كثيرا ما يذبح الشاة لاجلهم فلا تكفيهم عظما عظما لكثرتهم فأكل النبى صلى الله عليه وسلم من تلك الشاة وجعل فضلها فى دلو لخالد ودعا له بالبركة وفى رواية أنه قال اللهم بارك لابى خناش فنثر ذلك لعياله فأكلوا وأفضلوا ببركته صلى الله عليه وسلم وبركة دعائه قال القاضى عياض فى الشفاء أكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة أى نبع الماء من بين أصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته فى الصحيح أى من الاحاديث وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة ورواه عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم وأكثرها فى قصص مشهورة ومجامع مشهودة ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يمكن أن يسكت من حضرها على ما أنكره ويلحق بهذا ما ذكره فى الشفاء مما أخرجه البيهقى وابن سعد وابن عدى عن سعد مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنهم كانوا فى غزوة مع النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا زهاء ثلثمائة نزلوا على غير ماء وأصابهم عطش فجاءتهم عنز فحلبها النبى صلى الله عليه وسلم أى أمر بحلبها فأروى لبنها الجند حتى زال ما كان بهم من العطش ثم قال صلى الله عليه وسلم لرافع مولاه املكها وما أراك تملكها فربطها ثم رجع فوجدها قد انطلقت أى انحلت وثابها وغابت وفى رواية قال رافع ثم قمت فى بعض الليل فلم أجدها فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رافع ذهب بها الذى جاء بها (ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم احياء الموتى وكلامهم له صلى الله عليه وسلم روى البيهقى فى الدلائل أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلا الى الاسلام فقال لا أومن بك حتى تحيى لى ابنتى فقال النبى صلى الله عليه وسلم أرنى قبرها فأراه اياه فقال صلى الله عليه وسلم يا فلانة فقالت لبيك وسعديك فقال صلى الله عليه وسلم أتحبين أن ترجعى فقالت لا والله يا رسول الله انى وجدت الله خيرا لى من أبوى ووجدت الآخرة خيرا لى من الدنيا وهذه القصة أوردها القاضى عياض فى الشفا بلفظ ومن الحسن اى البصرى أتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فذكر أنه طرح بنية له فى وادى كذا فانطلق معه الى الوادى وناداها باسمها يا فلانة

احيي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان أبويك قد أسلما فان أحببت أن أردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وروى ابن عدي وابن أبي الدنيا والبيهقي وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال كنا في الصفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته عجوز عمياء مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ فلم يلبث ان أصابه وباء المدينة فمرض أياما ثم قبض فغمضه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر أي أنا بجهازه فلما أردنا أن نغسله قال يا أنس ائت أمه فأعلمها قال فأعلمتها فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت مات ابني فقلنا نعم فقالت اللهم انك تعلم اني أسلمت اليك طوعا وخلعت الاوثان زهدا وخرجت اليك رغبة اللهم لا تشمت بي عبدة الاوثان ولا تحملني في هذه المصيبة مالا طاقة لي بحمله فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وطعم وطعمنا معه وعاش حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم وهلكت أمه وهذا وان كان كرامة لا مه فانما أعطيتها ببركته صلى الله عليه وسلم لدخولها في دينه وكل كرامة لولي فهي معجزة لنبيه وروى الطبري والخطيب البغدادي وابن عساكر وابن شاهين عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فأقام بها ماشاء الله ثم رجع مسرورا قال سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها الى الموت وكذا روى من حديث عائشة رضي الله عنها احياء أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به وتقدم الكلام على ذلك في أول السيرة مستوفى فارجع اليه ان شئت ومما يلحق بذلك مارواه ابن أبي الدنيا وابن منده والطبراني وأبو نعيم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال كان خارجة بن زيد من سراة الانصار أي أشرافهم فبينما هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر اذ خر فتوفي فأعلمت به الانصار فأتوه فاحتملوه الى بيته وسجوه بكساء وبردين وفي البيت نساء من نساء الانصار يبكين عليه ورجال من رجالهم فمكث على حاله مسجى لانهم شكوا في موته لكونه مات فجأة فأخروا تجهيزه ودفنه حتى اذا كان بين المغرب والعشاء اذ سمعوا صوت قائل يقول أنصتوا أنصتوا فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب المسجى بها فحسروا عن وجهه الغطاء فاذا هو قائل محمد رسول الله النبي الامي خاتم النبيين لا نبي بعده كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق ثم قال هذا رسول الله السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان وكأنه رأى روحه صلى الله عليه وسلم حاضرة عنده لان ماذكر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وفي رواية وذكر أبابكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أي أثنى عليهم بخير بما فعلوه وأيدوا به الدين ولم يذكر عليا رضي الله عنه لان ذلك كان قبل ولاية علي رضي الله عنه وانما ألحق هذا بما نحن فيه وان كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لان هذا الكلام بعد الموت كرامة وكرامات أمته صلى الله عليه وسلم من معجزاته أو يقال انه اذا كان في أمته من يصدر عنه مثل ذلك فكيف لا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ومثل ذلك مارواه البيهقي عن عبد الله ابن عبد الله الانصاري قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس رضي الله عنه وكان قتل باليمامة وهو خطيب الانصار وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا اليه فاذا هو ميت وتقدم في غزوة خيبر حديث الشاة المسمومة وذلك أن يهودية أهدت له صلى الله عليه وسلم شاة مشوية قد سمتها فأكل صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فانها أخبرتني أنها مسمومة وفي المواهب عن سعيد بن المسيب أن رجلا من الانصار توفي فلما كفن وأتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله أخرجه أبو بكر بن الضحاك وأخرج أبو نعيم أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ذبح شاة وطبخها وثرد في جفنة وأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل القوم وكان صلى الله عليه وسلم يقول لهم كلوا ولا

تكسر واعطاها ثم انه عليه الصلاة والسلام جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها فقال خذ شاتك يا جابر بارك الله لك فيها فأخذتها ومضيت وانها لتنازعني أذنها حتى أتيت بها المنزل فقالت المرأة ماهذا يا جابر قلت والله هذه شاتنا التي ذبحناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله فأحياها فقالت أشهد أنه رسول الله ورواه أيضا الحافظ محمد بن المنذر المعروف بشكر في كتاب العجائب والغرائب (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم كلام الصبيان له وشهادتهم بنبوته صلى الله عليه وسلم وابراء ذوي العاهات ببركته صلى الله عليه وسلم روى البيهقي والدارقطني والحاكم والخطيب البغدادي عن معرض بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الراء الثقيلة ثم ضاد معجمة معيقيب اليماني قال حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيته صلى الله عليه وسلم فيها ووجهه مثل دائرة البدر وفي رواية لابن قانع كان وجهه القمر ورأيت منه عجبا جاء رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام من أنا قال أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب فكنا نسميه مبارك اليمامة أي لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم بارك الله فيك قال الجلال السيوطي رحمه الله في خصائصه الكبرى قد وقعت رواية هذا الحديث من طرق فهو حديث حسن وقد ذكر السيوطي في نظمه المشهور في عدد الذين تكلموا في المهد مبارك اليمامة هذا حيث قال

تكلم في المهد النبي محمد * ويحيي وعيسى والخليل ومريم
ومبري جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي * يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم

أما تكلم النبي صلى الله عليه وسلم فتقدم في أول السيرة انه تكلم حين خرج من بطن أمه وحمد الله تعالى وكان يناغي القمر ويكلمه وأما بقية هؤلاء الذين تكلموا في المهد فالكلام على قصصهم شهير ولا حاجة الى الاطالة به وروى البيهقي مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصبي قد شب أي كبر وصار شابا وهو لم يتكلم أي لانه خلق أخرس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أنا قال أنت رسول الله فانطقه الله معجزة بعد ما كان أبكم فهو بمنزلة الميت والجماد لعدم القدرة على النطق وروى الامام أحمد والبيهقي وابن أبي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان امرأة جاءت بابن لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ابني به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره بيده الشريفة فثع ثعة بفتح المثلثة وشد العين يعني قاء وخرج من جوفه مثل الجرو الاسود يسعى وشفاه الله وروى ابن أبي شيبة عن أم جندب رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم أتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتي بماء فمضمض فاه وغسل يده وأعطاها اياه وأمرها بسقيه ومسحه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وتقدم في غزوة أحد ان قتادة بن النعمان رضي الله عنه لما قلعت عينه أخذها بيده فجاء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها فقال يارسول الله ان الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكني رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور ولكن تردها وتسأل الله لي الجنة فأخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم بصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة وهو الحارث بن ربعي الانصاري السلمي رضي الله عنه قال رضي الله عنه فما ضرب

علىّ ولا قاح أى ما أوجعنى ولا سال منه قيح وروى النسائى والترمذى والحاكم والبيهقى وصححوه عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه ان رجلا أعمى قال يارسول الله ادع الله لى أن يكشف عن بصرى يعنى يزيل عنى العمى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربك أن يكشف عن بصرى اللهم شفعه فى فما قام القوم من مجالسهم الا ورجع الرجل وقد أبصر وكان عثمان بن حنيف وبنوه يعلمونه للناس فيدعون به عند تعسر قضاء الحاجات فتقضى وقد أخرجه البرهان الحلبى من طرق متعددة قال الشهاب الخفاجى فى شرح الشفا فلم يبق فيه شبهة فاحفظه وروى أبونعيم ان ملاعب الاسنة عامر بن مالك أصابه استسقاء فبعث الى النبى صلى الله عليه وسلم قاصدا يلتمس منه الدعاء وأن يشفيه الله ببركته فأخذ صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة حثوة من الارض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يظن أن قد هزئ به فأتاه بها وهو على شفا أى قريب من الموت فشربها أى بعد أن وضعها فى ماء فشفاه الله ببركته صلى الله عليه وسلم وروى ابن أبى شيبة والبيهقى والطبرانى أن فديك بن عمرو السلامانى جئ به الى النبى صلى الله عليه وسلم وعيناه مبيضتان وهو عبارة عن العمى فسأله عما أصابه فقال كنت أقود جملا لى فوقعت رجلى على بيض حية فأصيبت فى بصرى فلا أبصر شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فأبصر فكان يدخل الخيط فى الابرة وهو ابن ثمانين سنة وتقدم فى غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ثم بعث الى على بن ابى طالب رضى الله عنه وكان به رمد فجئ به الى النبى صلى الله عليه وسلم فوضع رأسه فى حجره صلى الله عليه وسلم ثم بصق فى عينيه وفى رواية فتفل فى كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كان لم يكن بهما وجع وروى البخارى فى صحيحه عن المكى ابن ابراهيم قال حدثنى يزيد بن أبى عبيد قال رأيت أثر ضربة بساق سلمة بن الاكوع رضى الله عنه فقلت يا أبا مسلم ماهذه الضربة قال هذه ضربة أصابتنى يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة وهذا من ثلاثيات البخارى وفى الشفا ورمى كلثوم بن الحصين رضى الله عنه يوم أحد فى نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أى فى نحره ومحل جراحته فبرأ وروى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم تفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد أى لم يبق فيها مدة وقيح وروى أبو القاسم البغوى باسناده عن معاوية بن الحكم قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم يعنى فى غزوة الخندق كما قال السيوطى فأنزى أخى على بن الحكم فرسا له الخندق فأصاب رجله جدار الخندق فدقها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم ومانزل عن فرسه فمسحها له وقال باسم الله فما آذاه شئ وقد عده أبو حاتم البغوى فى الثقات وروى ابن اسحاق وغيره ان معاذ بن عفراء رضى الله عنه قطعت يده يوم بدر فجاء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فبصق عليها وألصقها فلصقت كما كانت بين كثرة ريقه الشريف الذى تفله عليها وروى ابن اسحاق وغيره أيضا ان خبيب بن أساف رضى الله عنه أصيب يوم بدر بضربة بسيف على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح وروى البيهقى والنسائى والطيالسى باسناد صحيح ان قدرا انكفأت على ذراع محمد بن حاطب الجمحى وهو طفل فمسح عليه صلى الله عليه وسلم ودعا له وتفل عليه فبرأ لحينه وروى الطبرانى والبيهقى أن شرحبيل الجعفى رضى الله عنه كانت فى كفه سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبى صلى الله عليه وسلم فجعل يطحنها أى يدير كفه الشريفة عليها بقوة كما تدور الرحى حتى أزالها ولم يبق لها أثر ففى قوله يطحنها استعارة لطيفة وروى الطبرانى

عن أبي امامة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سألته جارية وهو يأكل فناولها من الطعام الذي بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسأله أحد شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقى الله عليها الحياء فلم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم ظهور الآثار العجيبة فيما لمسه أو باشره وزوال العلل والعاهات وتبدل الصفات الذميمة بالصفات الحميدة وانقلاب الأعيان له صلى الله عليه وسلم ببركته وبآثاره صلى الله عليه وسلم روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة كان بطيء السير فلما رجع صلى الله عليه وسلم قال لأبي طلحة وجدنا فرسك بحرا أي كالبحر في شدة جريه فكان ذلك الفرس لا يجارى وروى البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم نخس جمل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وكان قد أعيا فنشط حتى كان لا يملك زمامه قال جابر رضي الله عنه انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أي وهي غزوة ذات الرقاع فأبطأ به جمله ومر به صلى الله عليه وسلم فقال له ما شأنك فقال له ابطأ بي جملي وأعيا فتخلفت فنزل ونخسه بمحجن وقال له اركب فصار لا يقدر على كفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اشتراه صلى الله عليه وسلم منه ثم لما قدم المدينة وفاه ثمنه وزاده ثم وهب له البعير مع الثمن وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم صنع مثل ذلك بفرس لجعيل بن زياد الأشجعي رضي الله عنه قال كنت في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم على فرس عجفاء ضعيفة في أخريات الناس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنك قلت انها عجفاء ضعيفة فضربها بمخفقة كانت في يده وقال بارك الله لك فيها فلقد رأيتني أول الناس ما أملك رأسها وبعت من بطنها عدة كثيرة وفي رواية فخفقها بمخفقة كانت معه قيل انها الدرة وقيل العصا والخفق الضرب وفي رواية انه باع من بطنها باثني عشر ألفا يعني من أولادها وأولاد أولادها وروى ابن اسحاق وابن سعد عن عبد الله ابن أبي طلحة انه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة الانصاري فرده هملاجا أي سريع السير لا يساير وروى البيهقي أن خالد بن الوليد رضي الله عنه كانت في قلنسوته شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فكان لا يشهد قتالا الا رزق النصر وروى مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها انها أخرجت جبة طيالسة أي ذات أعلام وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها فنستشفي بها وروى البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سكب من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد أي بعد ما سكب فيها فضل وضوئه وفي رواية انه تفل فيها وروى أبو نعيم انه صلى الله عليه وسلم بزق في بئر كانت في دار أنس بن مالك رضي الله عنه فلم يكن بالمدينة أعذب منها ومر على ماء في بعض أسفاره فسأل عن اسمه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب ببركته صلى الله عليه وسلم وروى ابن ماجه والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم أتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه أي ألقى فيه ماء فمه وريقه فصارت رائحته أطيب من المسك وروى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وهما يبكيان عطشا فسكتا وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم كان يتفل في أفواه الصبيان المراضيع فيجزيهم ريقه الى الليل وفي رواية انه كان يفعل ذلك بهم يوم عاشوراء وتقدم في باب ما جاء في شأنه صلى الله عليه وسلم عن أحبار اليهود عند ذكر قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أعطاه مثل بيضة الدجاج من الذهب وقال أدها الغرماء عما عليك وكان عليه أربعون أوقية فقال سلمان وأين تقع هذه مما علي فأخذها صلى الله عليه وسلم

فقلها على لسانه وقال خذها فان الله سيؤدى بها عنك قال سلمان فوزنت لهم منها أربعين اوقية وبقى عندى مثل ما اعطيتهم وروى الامام قاسم بن ثابت فى الدلائل عن المسور بن مخرمة رضى الله عنهما عن خنش بن عقيل وكان من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال سقانى رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب صلى الله عليه وسلم اولها وشربت آخرها يعنى انه صلى الله عليه وسلم شرب منها اولا لتحصل البركة فيها ثم ناوله الاناء فشرب بقيته قال فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وروى الامام احمد عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اعطى قتادة بن النعمان رضى الله عنه وقد صلى معه العشاء فى ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال لقتادة انطلق به فانه سيضيء من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق قتادة فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج من بيته كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وروى البيهقى انه صلى الله عليه وسلم دفع لعكاشة بن محصن رضى الله عنه جذل حطب وهو عود غليظ او اصل من اصول الشجر حين انكسر سيفه يوم بدر وقال اضرب به فعاد فى يده سيفا صارما طويل القامة أبيض اللون شديد المتن أى قوى الجرم صلبا فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى أن استشهد فى قتال أهل الردة وكان هذا السيف يقال له العون وروى أهل السير والبيهقى وابن عبد البر فى الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم دفع لعبد الله بن جحش رضى الله عنه يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع سيفا وقصة شاة أم معبد مشهورة رواها أصحاب السنن والسير وافردها الحافظ العلائى بالتأليف وملخصها ان النبى صلى الله عليه وسلم مر على خبائها وهو مهاجر للمدينة فنزل عندها وطلب منها زادا فقالت ما عندى غير شاة عجفاء لا لبن فيها فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها فدرت فحلب ما كفاه ومن معه وبقى فى الاناء بقية فلما جاء زوجها أخبرته بخبره وصفته فعرفه ثم قدمت عليه صلى الله عليه وسلم المدينة بولد لها صغير وأسلمت رضى الله عنها وتقدم عند ذكر رضاع حليمة له صلى الله عليه وسلم ان حليمة بعد أن أخذته لترضعه قام زوجها لشارفهما وهى الناقة المسنة فوجدها حافلة بالدر فحلب منها ما أشبعهم كلهم وباتوا بخير ليلة فقال لحليمة انها نسمة مباركة فقالت انى والله أرجو بركته الى آخر القصة وروى البيهقى قصة شاة عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه وملخصها انه كان وهو صغير يرعى غنما لعقبة بن أبى معيط فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه فقال له صلى الله عليه وسلم هل عندك لبن قال نعم لكنى مؤتمن فقال ائتنى بشاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله وأتاه أبو بكر رضى الله عنه بصخفة فحلب فيها وقال لابى بكر رضى الله عنه اشرب ثم قال للضرع اقلص فعاد كما كان وكان هذا هو سبب اسلام عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وروى مسلم والبيهقى قصة شاة المقداد بن الاسود رضى الله عنه قال كنت أنا وصاحبان لى قد بلغ منا الجهد أى من الجوع فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبلنا أحد فأتينا النبى صلى الله عليه وسلم فانطلق بنا الى أهله فاذا ثلاثة أعنز فقال احتلبوا امها الينا بيننا فكنا نحتلب ونشرب ونرفع للنبى صلى الله عليه وسلم نصيبه فيجيء من الليل ويشربه فوقع فى نفسى ذات ليلة انه صلى الله عليه وسلم يأتيه الانصار بلبن يشربه فلا حاجة له بهذه الجرعة فشربتها ثم ندمت خشية انه اذا لم يجدها يدعو على فأهلك فلم أنم ونام صاحباى فجاء صلى الله عليه وسلم كعادته فكشف الاناء فلم يجد شيئا فرفع بصره الى السماء فقلت يدعو على فقال اللهم أطعم من أطعمنى واسق من سقانى فأخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز لاذبح ما سمن منها فاذا هن حفل كلهن فحلبت فى اناء حتى علت الرغوة وجئت اليه صلى الله عليه وسلم

به شرب ثم ناولني فلما علمت انه روي واصبت دعوته ضحكت حتى استلقيت فقال صلى الله عليه وسلم احدى سوآتك يا مقداد يعني انك فعلت سوأة ما هي فقلت يا رسول الله كان مني كذا وكذا فقال ماهذه الا رحمة من الله لو كنت أيقظت صاحبيك فأصابا منها فقلت والذى بعثك بالحق ما أبالي اذا أصبتها وأصبت فضلك من أخطأها من الناس وروى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم اعطى بعض اصحابه وقد ارادوا السفر سقاء فيه ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه بالبركة فلما حضرت الصلاة نزلوا فحلوا وكاءه فاذا هو لبن حليب وزبدة في فمه وفي الشفا انه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس عمير بن سعد وضبطه بعضهم عمرو بن سعد ودعا له بالبركة في عمره وصحته فمات وهو ابن ثمانين فما شاب اى ببركة مس يده الشريفة لم يشب رأسه وشعره ولم يهرم وروى ابن حبان انه صلى الله عليه وسلم مسح برأس مدلوك الفزاري رضي الله عنه فكان ما مسته يده اسود وسائر رأسه ابيض يعني انه لم يشب موضع المس وروى الطبراني والبيهقي انه كان يوجد لعتبة بن فرقد رضي الله عنه طيب يغلب طيب نسائه اى أن رائحته تزيد على رائحة طيب نسائه حتى قالت زوجته ام عاصم كنا عنده ثلاث نسوة ما منا واحدة الا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب ريحا من صاحبتها وعتبة لا يمس طيبا فكان أطيب منا ريحا فقلت له في ذلك فقال أصابني الشرى على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال أخذني الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقعدني بين يديه وتجردت من ثيابي فتفل في كفه ودلكها بالاخرى ثم أمرهما على ظهري وبطني فعبق بي ما ترون والشرى بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالبا وتشتد ليلا وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم سلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو المزني رضي الله عنه لما جرح يوم حنين أي مسح صلى الله عليه وسلم وجهه بيده متكئا عليه حتى أخرج ما عليه من الدم ودعا له فكانت له غرة بيضاء منيرة كغرة الفرس من أثر يده الشريفة صلى الله عليه وسلم وروى ابن الكلبي انه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس قيس بن زيد الجذامي رضي الله عنه ودعا له فمات قيس وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض الا موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت عليه فانه اسود أى لم يشب ببركته صلى الله عليه وسلم وكان يدعى الاغر لما في وجهه من النور وروى البيهقي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني رضي الله عنه ولا مانع من التعدد وجاء انه صلى الله عليه وسلم مسح وجه خزيمة بن سواد بن الحارث فصارت له غرة بيضاء وروى انه مسح أيضا بناصية طلحة بن أم سليم فكانت له غرة ومازال على وجهه نور من آثار أنواره صلى الله عليه وسلم ومسح صلى الله عليه وسلم وجه قتادة بن ملحان رضي الله عنه فكان لوجهه بريق أي لمعان وصفاء بشرة حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة أي يقابل الناظر اليه وجهه بوجهه ليرى صورة وجهه فيه كالمرآة لشدة صفاء بشرته وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأس حنظلة بن حذيم الحنفي وهو بالحاء المهملة والذال المعجمة بوزن درهم ودعا له بالبركة فكان يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيضع محل الورم من الوجه والضرع على الموضع الذى مسه كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم الذى كان أصابه وروى ابن عبد البر في الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم نضح في وجه زينب بنت أم سلمة رضي الله عنهما نضحة من ماء فما كان يعرف في وجه امرأة من الجمال ما كان بها قال ابن عبد البر في الاستيعاب دخلت زينب رضي الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل فنضح في وجهها ماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى كبرت وعجزت وكانت عند عبد الله بن زمعة فولدت له وكانت من أفقه أهل زمانها وأعلمهم وفي الشفا انه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره ومسح على غير واحد من الصبيان والمجانين فبرأوا وفي الشفا أيضا وأتاه رجل ذو ادرة وهي انتفاخ في الخصيتين فأمره أن ينضحها بماء

من عين يجّ فيها فنعل نبرأ وروى الطبرى ان المهلب بن يزيد الطائى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه قرع فمسح برأسه فنبت شعره وروى عن طاوس بن كيسان اليمانى لم يؤت النبى صلى الله عليه وسلم بأحد به مس أى جنون فصك فى صدره الا ذهب المس وروى الامام أحمد عن وائل بن حجر انه صلى الله عليه وسلم مج فى دلو فيه ماء أخرج من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك وصح انه ضرب صدر جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب واثبتهم ومسح صلى الله عليه وسلم على رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما أى حقيرا ودعا له بالبركة فى خلقته وسائر أموره ففرع الناس طولا وتماما أى زاد عليهم فى الطول وتمام سائر الاعضاء وكمل الله خلقته بدعائه صلى الله عليه وسلم وفى الصحيحين ان أبا هريرة رضى الله عنه شكى اليه صلى الله عليه وسلم النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه اى فعل فعلا يشبه من يغرف من شئ ما يضعه فى آخر ثم امره بضمه ففعل فما نسى شيئا قال ابو هريرة رضى الله عنه فما كان أحد أحفظ منى لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عبد الله بن عمرو لتقدم اسلامه ولانه كان يكتب وأنا لا أكتب (ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) اجابة دعائه لاناس دعا لهم أو عليهم وهذا باب واسع جدا قال القاضى عياض فى الشفا اجابة دعوة النبى صلى الله عليه وسلم لجماعة دعا لهم أو عليهم متواترة معلومة ضرورة وقد جاء فى حديث رواه الامام أحمد عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل ادركت ولده وولد ولده أى وصل أثر الدعوة وبركاتها الى ولده وولد ولده وروى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قالت أمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله خادمك أنس ادع الله تعالى له فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته قال أنس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليعادون اليوم على نحو المائة أى يزيدون عليها وفى رواية وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت بيدى هاتين مائة من ولدى لا أقول سقطا ولا ولد ولد فقد أجاب الله دعوته صلى الله عليه وسلم وجاء انه مات له فى الطاعون الجارف من نسله سبعون ولدا وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال فى دعائه له وأطل حياته وان أنسا قال فأكثر الله مالى حتى ان لى كرما يحمل فى السنة مرتين وولد لصلبى مائة وستة وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه أنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا وما هو الا أنا وأمى وأم حرام خالتى فقالت أمى يارسول الله خويدمك أنس ادع الله له فدعا لى بكل خير وكان فى آخر ما دعا لى اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه وفى رواية وأطل عمره واجعله رفيقى فى الجنة فكان أنس رضى الله عنه يقول بعد ان طال عمره وكثر ماله وولده وأنا أرجو هذه يعنى كونه رفيقه صلى الله عليه وسلم فى الجنة ومن دعائه صلى الله عليه وسلم كما رواه البيهقى دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بالبركة أى بأن يبارك الله له فيما رزقه قال عبد الرحمن رضى الله عنه فلو رفعت حجرا من مكانه بيدى لرجوت ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم أن أصيب تحته ذهبا وفتح الله له أبواب الخيرات وكان حين قدم المدينة فقيرا لا يملك شيئا فآخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع فأراد سعد بن الربيع أن يطلق احدى زوجتيه ليتزوجها عبد الرحمن وأن يقاسمه ماله فقال لا حاجة لى فى ذلك بارك الله لك فى زوجتيك ومالك ثم قال دلونى على السوق فصار يتعاطى التجارة ففى أقرب زمن رزقه الله مالا كثيرا ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم حتى انه لما توفى رضى الله عنه بالمدينة سنة احدى وثلاثين أو اثنين وثلاثين حفر الذهب من تركته بالفوس حتى جرحت الايدى من كثرة العمل وأخذت كل زوجة من زوجاته الاربع ثمانين الفا وقيل ان نصيب كل واحدة من الاربع مائة الف وقيل بل صولحت احداهن على نيف

وتسابق الفاه من امة اثيرا واوصى رضى الله عنه بألف فرس وبخمسين الف دينار فى سبيل الله واوصى
بحديقة لامهات المؤمنين رضى الله عنهن بيعت بأربعمائة الف واوصى لمن بقى من اهل بدر لكل رجل
بأربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها واخذ عثمان فيمن اخذ وهذا كله غير صدقاته الفاشية فى حياته
وعوارفه العظيمة فقد اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير وهى الجمال التى تحمل الميرة وكانت
تلك العير بها سبعمائة بعير وردت عليه وكان ارسلها للتجارة فجاءت تحمل من كل شئ فتصدق بها وبما
عليها من طعام وغيره وبأحلاسها وأقتابها وجاء انه تصدق مرة بشطر ماله وكان الشطر اربعة آلاف
ثم تصدق بأربعين الفا ثم بأربعين الف دينار ثم بخمسمائة فرس فى سبيل الله ثم بخمسمائة راحلة وروى
انه رضى الله عنه لما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة فجاءه بأربعة آلاف درهم وقال
يارسول الله كان لى ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربى اربعة آلاف وامسكت لعيالى اربعة فقال صلى
الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له فى ماله ومن دعائه صلى الله عليه
وسلم دعاؤه لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما بالتمكين فى البلاد فنال الخلافة وجاء أنه صلى الله عليه
وسلم قال لن يغلب معاوية وقد بلغ عليا رضى الله عنه هذه الرواية فقال لو علمت لما حاربته ذكره ملا
على فى شرح الشفاء وروى ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية رضى الله عنه اللهم علمه الكتاب
ومكن له فى البلاد وقه العذاب ودعا له مرة وقال اللهم اجعله هاديا مهديا وورد فى فضائله أحاديث
أخر فكان أول التمكين له أن استعمله أميرا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم فكان أميرا على
الشأم عشرين سنة ثم صار خليفة عشرين سنة وانعقد الامر على استخلافه حين نزل له الحسن بن على
رضى الله عنهما عن الخلافة فبايعه الناس وأما ما وقع بينه وبين على رضى الله عنه بسبب طلبه لدم
عثمان فينبغى الكف عنه لانه كان باجتهاد للمصيب فيه أجران وللمخطئ أجر واحد وقد وردت
أحاديث فيها الوعيد الشديد لمن تعرض لسب أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أو تنقص
أحدا منهم وقد قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان
رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم
وقال تعالى للمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون
الله ورسوله أولئك هم الصادقون فبعد أن شهد الله لهم بالصدق وأخبر بانه رضى عنهم ورضوا عنه
فلا ينبغى لمؤمن أن يتعرض لاحد منهم بل يفوض ما وقع بينهم الى الله ويترك الخوض فيه ويعتقد أنهم
مجتهدون مأجورون وقال تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من
الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى وقال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك
عنها مبعدون فيؤخذ من مجموع الآيتين أنهم كلهم فى الجنة رضى الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم
الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى من سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل
الله منه صرفا ولا عدلا أى لا فرضا ولا نفلا والاحاديث فى ذلك كثيرة فنسأل الله أن يحيينا ويميتنا على
محبتهم وأن لا يجعل لاحد منهم فى عنقنا ظلامة وأن يجعلهم شفعاء لنا يوم القيامة آمين وعن المقداد
رضى الله عنه أن سعدا رضى الله عنه قال يارسول الله ادع الله أن يستجيب دعائى فقال ياسعد ان الله
لا يستجيب دعاء أحد حتى يطيب طعمته فقال ادع الله أن يطيب طعمتى فانى لا أقوى الا بدعائك فقال
اللهم أطب طعمة سعد واستجب دعوته وقد خرج أهل الصحيح كثيرا من دعوات سعد رضى الله عنه
المستجابة وهى مشهورة مأثورة فمنها أن رجلا نال من على رضى الله عنه وكرم وجهه بحضرة سعد فقال
اللهم ان كان كاذبا فارنى فيه آية فجاء جمل فتخبطه حتى قتله ومنها ما رواه البخارى أن سعدا رضى الله

عنه دعا على أبي سعدة بقوله اللهم أطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن قال الراوي فلقد رأيته شيخا كبيرا سقط حاجباه على عينيه يتعرض للجواري يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون أصابته دعوة سعد وروى الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم دعا بعز الاسلام أي بأن الله يعز الاسلام أي يقويه وينصره بأحد الرجلين بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر رضي الله عنه فكانوا قبل اسلام عمر رضي الله عنه لا يظهرون صلاتهم عند البيت خوفا من المشركين فلما أسلم رضي الله عنه صلوا معه عند الكعبة وقد روي من طرق أنه صلى الله عليه وسلم خص عمر رضي الله عنه بالدعاء فقال اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب اللهم أيد الاسلام بعمر وجمع بين الروايتين بأنه أولا دعا بأن الله يعز الاسلام بأحدهما ثم لما تبين له باعلام من الله والهام منه أن اللائق بذلك عمر خصه بدعائه ثانيا وكرره حتى استجيب له وتقدمت قصة اسلامه رضي الله عنه في باب تعذيب قريش للمستضعفين عند ذكر من هاجر من المسلمين ودعا صلى الله عليه وسلم لأبي قتادة رضي الله عنه كما رواه البيهقي في الدلائل بقوله أفلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة كأنه ابن خمس عشرة سنة في نضارته وقوته لم يتغير بدنه ولم يشب شعره ودعا صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدي وهو قيس بن عبد الله لما أنشده قصيدته التي يمدح النبي صلى الله عليه وسلم بها فلما وصل قوله فيها

فلا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

فقال له صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان أحسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة وقيل مائة وأربعين وقيل مائتين وثمانين وروى البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رضي الله عنهما بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد دعائه صلى الله عليه وسلم الحبر وترجمان القرآن وكان أعلم الناس بالتفسير والفقه والفرائض وأشعار العرب وأيامها ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم دعا لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه وروى أبو نعيم أنه صلى الله عليه وسلم دعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر المال قالت ضباعة بنت الزبير وهي زوجة المقداد خرج المقداد يوما لقضاء حاجته فبينما هو جالس خرج جرذ من جحره بدينار ولم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر فجاء بها المقداد للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبره فقال له أدخلت يدك في الجحر قال لا والذي بعثك بالحق فقال صدقة تصدق الله بها عليك بارك الله لك فيها قالت ضباعة فما فني آخرها حتى رأيت غرائر الورق في بيت المقداد ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وروى البخاري والامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم دعا لعروة بن أبي الجعد البارقي رضي الله عنه بمثل دعائه للمقداد قال عروة فلقد كنت أقوم بالكناسة وهو اسم لسوق بالكوفة أي أقوم فيه للتجارة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا وقال البخاري في حديث عروة فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم دعا لأم أبي هريرة رضي الله عنهما بأن يهديها الله للاسلام فأسلمت وحازت شرف الصحبة رضي الله عنها وكان أبو هريرة قبل ذلك حريصا على اسلامها فدعاها للاسلام فأبت وأسمعته ما يكره في حق النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يبكي وقال اني كنت أدعوها للاسلام فتأبى فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهديها فقال اللهم اهد أم أبي هريرة فخرج مستبشرا بدعائه فلما أتى الباب سمعت خشف أقدامه فقالت مكانك يا أبا هريرة فسمع صبها الماء فاغتسلت ولبست درعها وخمارها وفتحت له الباب فلما دخل قالت يا أبا هريرة اني أشهد أن لا اله

الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع أبو هريرة رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا وقال أبشر يا رسول الله فقد أجيبت دعوتك وهدى الله أمي للاسلام فحمد الله تعالى فقال يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا فقال اللهم حبب عبدك هذا وأمه الى عبادك وحببهم لهما فكان لا يسمع به أحد ولا يراه الا أحبه ورواه البيهقي أيضا في الدلائل وروى البيهقي عن عمران بن حصين رضي الله عنهما وعنا بهما قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وأقبلت فاطمة ووقفت بين يديه فنظر اليها وقد اصفر وجهها من الجوع فوضع يده على صدرها وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد قال عمران فرأيت وجهها وقد احمر وذهبت صفرته ثم جئتها فقالت ما جعت يا عمران بعد أي بعد دعائه صلى الله عليه وسلم لها قال البيهقي وكان هذا قبل نزول آية الحجاب وروى ابن اسحاق والبيهقي وابن جرير أنه صلى الله عليه وسلم دعا للطفيل بن عمرو الدوسي أن يجعل له آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب اني أخاف أن يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي الطفيل ذا النور وتقدمت قصته في باب الوفود عند ذكر وفد دوس وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما رضي الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم دعا على مضر حين تأخر اسلامهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاقحطوا حتى أكلوا الجلود والدم والعظام فقال له أبو سفيان انك تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال اللهم اسقنا غيثا مريعا طبقا غدقا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار فما أتى عليهم جمعة حتى مطروا وروى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم دعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا وروى أبو داود والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم دعا على صبي قطع عليه صلاته أي مر بينه وبين سترته أن يقطع الله أثره فأقعد قال ابن مهران رأيت مقعدا بتبوك يسمى يزيد بن بهرام فسألته أي عن سبب اقعاده فقال مررت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال اللهم اقطع أثره فما مشيت بعد وروى مسلم عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال له صلى الله عليه وسلم لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وروى الحاكم والبيهقي وابن اسحاق من طرق صحيحة انه صلى الله عليه وسلم دعا على عتيبة بالتصغير ابن أبي لهب وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الاسد وقيل ان المدعو عليه أخوه عتبة بالتكبير لكن الصحيح الاول لان عتبة المكبر ومعتبا أخاهما أسلما عام الفتح وحسن اسلامهما رضي الله عنهما وعقر الاسد انما هو عتيبة المصغر وتقدمت قصته في باب مراتب الوحي عند تعداد ما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ومن دعائه صلى الله عليه وسلم دعاؤه المشهور على أبي جهل وعقبة بن أبي معيط وغيرهما من عتاة قريش حين وضعوا السلا على كتفيه وهو ساجد مع الفرث والدم فاستجاب الله دعوته عليهم فقتلوا يوم بدر وتقدم الكلام على ذلك في الباب المذكور عند تعداد ما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية وروى البيهقي باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم دعا على الحكم بن أبي العاص بن أمية وهو أبو مروان وكان يختلج بوجهه أي يحرك وجهه وحاجبيه وشفتيه استهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم كن كذلك فلم يزل يختلج الى ان مات وتقدم الكلام عليه مبسوطا في الباب المذكور عند ذكر المستهزئين واستهزائهم وروى البيهقي وابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم دعا على محلم بن جثامة الكناني الليثي فمات بعد سبع ليال من دعائه ولما دفنوه لفظته الارض ثم دفنوه فلفظته وهكذا مرات فألقوه في شعب ورضموا عليه الحجارة وسبب دعائه عليه أنه صلى

الله عليه وسلم بعثه في سرية أمّر عليها عامر بن الاضبط فبلغوا بطن واد فقتل محلم عامرا لغدر الامر كان بينهما فلما بلغه صلى الله عليه وسلم دعا عليه ولما أخبره صلى الله عليه وسلم بأن الارض لفظته قال ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن الله أراد أن يجعله لكم عبرة وهذا الباب واسع جدا الان أدعيته صلى الله عليه وسلم المستجابة كثيرة لا تكاد تنحصر وما ذكر قطرة من بحر وفيه كفاية والله سبحانه أعلم (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم اخباره بكثير من المغيبات قال في الشفا وهذا بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره أي ماؤه الكثير وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على طريق القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب ولا يكون ذلك الا بوحي من الله تعالى فمن ذلك ما تقدم في هذا الكتاب في مواضعه وهو كثير ومن ذلك ما رواه أبو داود عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما أي يخطب فما ترك شيئا مما يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ورواه البخاري أيضا لكن رواية أبي داود ابسط وفيها انه ليكون منه الشئ أي يوجد الشئ مما حدثنا به قد نسيته فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم رآه ثم قال حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه أي أظهروا نسيانه خوف الفتن والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه باسمه واسم أبيه وقبيلته بحيث لم تبق فيه شبهة وروى الامام أحمد والطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه قال لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه الا ذكر لنا منه علما أي يذكر لنا من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره وقد خرج البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن ما أعلم به أصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على أعدائه لغلبتهم وفل شوكتهم كفتح مكة فانه أخبرهم به قبل وقوعه ولما فتحت قال لهم هذا الذي قلت لكم وأخبرهم بفتح بيت المقدس وأخبر تميما الداري رضي الله عنه حين اسلامه بأن الله سيفتح بيت المقدس وأقطعه أرضا بها فلما فتح في خلافة عمر رضي الله عنه أعطى تميما اعطاءه تحقيقا لوعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة وأخبر بفتح الشأم واليمن والعراق وظهور الامن في الممالك الاسلامية حتى تظعن المرأة أي تسافر وحدها من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله والحيرة مدينة بقرب الكوفة وقد حقق الله ما أخبر به وأخبر بأن المدينة ستغزى فكان ذلك في وقعة الحرة وأعلمهم بفتح خيبر على يد علي رضي الله عنه فكان ذلك كما تقدم واخبر بما يفتح الله على أمته من البلدان وبما يوسعه الله عليهم من الدنيا ويؤتون من زهرتها وانهم يقتسمون كنوز كسرى وقيصر فكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه ومن بعده من الخلفاء وأخبرهم بما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف وبأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة وان الناجية منها واحدة وان الناجي من كان على ما أنا عليه وأصحابي فكان ذلك كما أخبر وأخبر بأن أمته ستتبع سنن من قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع قال حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن اذن وروى البخاري عن جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال سيكون لامته أنماط وهي جمع نمط كسبب وأسباب وهو البساط يعني ان أمته يتوسعون في الدنيا حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسطة الله لهم الرزق بعد ما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة وانهم يغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى وتوضع بين يدي أحدهم صحفة وترفع أخرى وانهم يسترون حيطان بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال في آخر الحديث في رواية رواها الترمذي وأنتم اليوم خير منكم يومئذ أي لان الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب والبدن كما نشاهده من ابتلي به وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه

وسلم ان أمته اذا مشوا المطيطا أي مشية التبختر وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم
بينهم والمراد به وقوع العداوة والقتال بينهم وسلط الله شرارهم على خيارهم وأخبر ان الروم
ذات قرون أي جماعات وملته انهم سيارهم الى آخر الدهر بخلاف فارس فان الله مزقهم ومزق
ملكهم بدعوته صلى الله عليه وسلم وأخبر بذهاب الأمثل فالأمثل أي الأشرف فالأشرف من المسلمين
وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله أي لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا وروى
الترمذي عن أنس رضي الله عنه لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر
والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار وهي حشيش يحترق في
سرعة والمراد ارتفاع البركة من الأعوام والأيام وأخبر بنقص العلم وظهور الفتن وروى
الشيخان عن زينب أم المؤمنين رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال ويل للعرب من شر
قد اقترب وأخبر بأنه زويت له الأرض أي جمعت وضم بعضها الى بعض فأرى مشارقها ومغاربها وان أمته
سيبلغ ملك أمته ما زوي له منها فكان كذلك فانتشرت مملكتهم في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند
أقصى المشرق الى بحر طنجة وهي بلدة بساحل بحر المغرب وروى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله
عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة وأخبر بملك بني
أمية وولاية معاوية رضي الله عنه ووصاه اذا تملك بالعدل والرفق وقال له اذا ملكت فأسجح أي ارفق
قال معاوية رضي الله عنه فما زلت أطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي رواية انه قال له يا معاوية اذا ملكت فأحسن وروى الترمذي والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة
رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو أبي العاص أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا
وعباد الله خولا ومال الله دولا أي تداولوه واحدا بعد واحد والمراد انهم يستأثرون بالمال ويمنعون
الحقوق ويبذرون ويسرفون ويضيعون بيت مال المسلمين فكان كذلك وروى البيهقي والامام أحمد
انه صلى الله عليه وسلم أخبر بخروج ولد العباس بالرايات السود حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على أيديهم
كل جبار وفي رواية تخرج الرايات السود من خراسان لا يردها شيء حتى تنصب بايليا أي بيت المقدس
وأخبر العباس بأن الخلافة ستكون في ولده فكانوا يتوقعون ذلك وروى الحاكم انه صلى الله عليه
وسلم قال ان أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلا وتشريدا وأخبر بقتل علي بن أبي طالب رضي الله
عنه كما رواه الامام أحمد والطبراني وان أشقى هذه الأمة الذي يخضب هذه يعني لحية علي رضي الله عنه
من هذه يعني رأسه يشير الى انه يضرب على رأسه ضربة يسيل منها دمه حتى تبل لحيته وروى الشيخان
انه صلى الله عليه وسلم أخبر بقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو يقرأ في المصحف فكان كذلك
وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فقال يقتل فيها هذا
مظلوما يعني عثمان رضي الله عنه وان الله عسى أن يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه قال لعثمان رضي
الله عنه فلا تخلعه وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
سيقطر من دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وتكلم في هذا الحديث بعضهم لكن قال المحب الطبري
ان أكثرهم يروي ان قطرة من دمه أو قطرات سقطت في المصحف على قوله تعالى فسيكفيكهم الله
ونقل عن حذيفة رضي الله عنه قال أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال والذي نفسي بيده
لا يموت أحد وفي قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان الا تبع الدجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به في قبره
أخرجه الحافظ السلفي وأخبر صلى الله عليه وسلم ان الفتن يعني بين أصحابه لا تظهر ما دام عمر رضي الله
عنه حيا ولقي عمر رضي الله عنه يوما أبا ذر رضي الله عنه فأخذ بيده وعصرها فقال دع يدي يا قفل الفتنة

فقال له ماهذا يا أبا ذر قال جئت يوما ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرهت ان تخطى الناس فجلست في أدبارهم فقال صلى الله عليه وسلم لا تصيبكم فتنة ما دام هذا فيكم وروى الشيخان ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوما أيكم يحفظ ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة التي تموج كموج البحر فقال حذيفة رضي الله عنه ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ان بينك وبينها بابا مغلقا قال أيفتح أم يكسر قال يكسر قال اذن لا يغلق أبدا فقيل لحذيفة من الباب قال هو عمر قيل له أكان عمر يعلمه قال نعم كما يعلم ان دون غد الليلة اني حدثته حديثا ليس بالاغاليط وخطب خالد بن الوليد رضي الله عنه مرة بالشام فقال له رجل اصبر أيها الامير فان الفتن قد ظهرت فقال اما وابن الخطاب حي فلا انما ذلك بعده وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم اخبر بمحاربة الزبير لعلي وهو رأى الزبير ظالم وكان صلى الله عليه وسلم رآهما يوما وكل منهما يضحك فقال لعلي رضي الله عنه أتحبه فقال كيف لا أحبه وهو ابن عمتي صفية وعلى ديني فقال للزبير أتحبه فقال كيف لا أحبه وهو ابن خالي وعلى ديني فقال أما انك ستقاتله وأنت له ظالم فلما كان يوم الجمل قاتله فبرز له علي رضي الله عنه وقال له ناشدتك الله أسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله انك ستقاتلني وأنت لي ظالم قال نعم ولكن نسيته منذ سمعته منه صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك فرجع يشق الصفوف راكبا فعرض له ابنه عبد الله فقال مالك قال ذكرني علي حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتقاتلنه وأنت ظالم له فقال له ابنه انما جئت لتصلح بين الناس لا لمقاتلته فقال قد حلفت أن لا أقاتله قال أعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم ففعل فلما اختلف الامر ذهب فلما كان بوادي السباع خرج عليه ابن جرموز وهو نائم فقتله فقال علي رضي الله عنه أشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قاتل الزبير في النار وكان سبب هذا القتال أن قتلة عثمان رضي الله عنه بايعوا عليا لما بايعه الناس ولم يرض بمبايعتهم لكنه خشي الفتنة لكثرتهم ولغلبهم وأراد تأليف الناس فاشتد غيظ الناس من مبايعتهم اياه وامتنع معاوية وجماعة من البيعة لعلي رضي الله عنه حتى يسلم قتلة عثمان وأرادت عائشة رضي الله عنها أن تساوي الامر بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وتدفع الخوارج حتى يؤخذ منهم بدم عثمان رضي الله عنه فسارت في هودجها ومعها جماعة من الصحابة منهم طلحة بن عبيد الله والزبير رضي الله عنهما حتى التقوا مع علي رضي الله عنه وأرادوا الصلح بينه وبين معاوية فلم يتم الامر ووقع القتال بينهم فلتة من غير قصد وكانوا كلهم مجتهدين رضي الله عنهم ثم تبين لعائشة رضي الله عنها ان الحق مع علي رضي الله عنه في عدم تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه لكثرتهم وانتشارهم وتشعب أمرهم فكان يرى تأخير أمرهم حتى تجتمع كلمة المسلمين ثم يتتبعون ويقتاد منهم فلما تبين لها ذلك اصطلحت معه ورجعت الى المدينة في عز واكرام وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشار الى هذا القتال وأخبر به وذلك ان عائشة رضي الله عنها كانت مع نساء النبي صلى الله عليه وسلم يوما والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وهن يتحدثن فقال أيتكن تنبحها كلاب الحوأب بحاء مهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة اسم ماء أو موضع في طريق الذاهب من المدينة الى البصرة وفي حديث آخر أخبر انه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت فلما كانت وقعة الجمل ومرت عائشة رضي الله عنها بذلك المكان نبحتها كلابه فسألت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحوأب فهمت بالرجوع فخادعوها انه ليس الحوأب ثم تبين لها الامر فعادت بعد الصلح كما تقدم وروى الحاكم والبيهقي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة رضي الله عنها أي تعجبا من خروج المرأة على الخليفة فقال انظري يا حميرا أن لا تكوني أنت ثم التفت الى علي رضي الله عنه فقال ان وليت من أمرها شيئا فارفق بها وقد امتثل الامر رضي الله عنه

فانه أرسلها الى المدينة ومعها آخرها محمد وشيعها على رضي الله عنه بنفسه اميالا وسرح بنيه معها ومما وعما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ان عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية وكان هو مع على بصفين وكان كل من على ومعاوية رضي الله عنهما مجتهدا لكن عليا رضي الله عنه هو المصيب فى تأخير أمر قتلة عثمان ومعاوية رضي الله عنه هو المخطئ فى طلب التعجيل بأخذ ثاره وقبل استقرار أمر المسلمين واجتماع كلمتهم لكن حيث كان ذلك ناشئا عن اجتهاد فلا لوم عليه لحديث المشهور ان المجتهد اذا أصاب له أجران واذا أخطأ له أجر واحد فلا يجوز تنقيص واحد منهما رضي الله عنهما هذا مذهب أهل السنة والجماعة وماعداه زيغ وضلال نسأل الله الحفظ منه ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب قوله لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ويل للناس منك وويل لك من الناس وويل هنا للتحسر والتأسف لا للدعاء بالهلاك وسبب قوله ذلك انه صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى دمه لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ليدفنه وكان صغيرا فتوارى وشربه فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال له أما انك لن تمسك النار وقال له أيضا ويل للناس منك وويل لك من الناس حتى كان ما كان من أمره وأمر عبد الملك بن مروان الى أن وجه اليه الحجاج فقاتله ثم قتله وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يكر على الصفوف فيهزمها وكان الناس يرون أن ماعنده من القوة والشجاعة انما كان من ذلك الدم ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب قوله فى حق قزمان انه من أهل النار وذلك أن قزمان قاتل فى بعض الغزوات أى غزوة خيبر وقيل حنين قتالا شديدا حتى أعجب الصحابة رضي الله عنهم وكان شجاعا وهو ولى لبعض الانصار فلما رأى الصحابة أقدامه وشجاعته أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بخبره فقال أنه من أهل النار ثم لم يزل يقاتل حتى أثخن بالجراحة فجعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات وقيل انه أخرج من كنانته سهما فنحر به نفسه فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم به فقال ان الله ليؤيد بهذا الدين بالرجل الفاجر وأمر مناديا أن ينادى فى الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن وقوله صلى الله عليه وسلم فيه انه من أهل النار اما لكونه منافقا أو انه ارتد قبل موته لما كثرت عليه الجراحة أو أنه استحل قتل نفسه فلا ينافى أن قتل الشخص نفسه لا يقتضى كفره وروى الطبرانى والبيهقى أنه صلى الله عليه وسلم قال فى حق جماعة من الصحابة كانوا عنده فيهم أبو هريرة وحذيفة ابن اليمان وسمرة بن جندب آخركم موتا فى النار فكان بعضهم يسأل عن البعض فكان سمرة آخرهم موتا كبر سنه فأصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه بردلا يدفأ منه فأوقدت له نار ليصطلى بها فاحترق فيها لغفلة أهله عنه وضعفه عن الحركة فعلم صحة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم وأبهم لهم النار حيث لم يبين لهم أنها نار الدنيا ليجدوا فى أعمالهم ويدأبوا الى الخوف والمراقبة أو أنه لم يؤذن له فى ذلك وذلك من الحكم الخفية قال ابن حكيم الضبى كنت اذا لقيت أبا هريرة رضي الله عنه سألنى عن سمرة فاذا أخبرته بحياته فرح فسألته عن ذلك فقال كنا عشرة فى بيت فقال صلى الله عليه وسلم آخركم موتا فى النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيرى وغيره وكان اذا قيل له مات سمرة يغشى عليه حتى مات قبله وفى رواية للبيهقى كان اذا أراد أحد أن يغيظ أبا هريرة قال مات سمرة فيضعف ويغشى عليه ثم مات أبو هريرة قبل سمرة رضي الله عنهما وروى ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أنه صلى الله عليه وسلم قال فى حنظلة بن أبى عامر الانصارى الغسيل الذى استشهد يوم أحد انى رأيت الملائكة تغسله فسلوا امرأته عنه فسألوها فقالت انه خرج جنبا أعجله الحال عن الغسل وكان عروسا ابتنى بجميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق وكانت امرأة صالحة قال أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه وجدنا رأسه تقطر ماء أى وذلك من أثر تغسيل الملائكة ومن أخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب مارواه

الامام أحمد والترمذى بل وأصحاب الكتب الستة من قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون ثم تكون ملكا عضوضا فكانت كذلك بمدة الحسن بن على رضى الله عنهما وقال الخلافة فى قريش ولن يزال هذا الامر فى قريش ما أقاموا الدين أى فاذا غيروا غيرهم الله وقد وقع كما قاله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم والبيهقى أنه صلى الله عليه وسلم قال يكون فى ثقيف كذاب ومبير أى مهلك يكثر القتل قال العلماء أن المراد بهما الحجاج والمختار بن أبى عبيد قال النووى أجمع العلماء على أن المبير هو الحجاج والكذاب هو المختار بن أبى عبيد الثقفى كان يزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه وكان يتكهن ويزعم أنه يوحى اليه وكان له كرسى يضاهى به تابوت بنى اسرائيل فهو ضال مضل وكان فى أول أمره يظهر الصلاح والتنسك ويزعم أنه يأخذ بثار الحسين حتى استحوذ على الكوفة وقتل خلقا كثيرا واستمر على ذلك مدة حتى قتله مصعب بن الزبير وأما الحجاج فأمره أشهر من أن يذكر ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات مارواه الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما أن مسيلمة الكذاب يعقره الله وفى رواية يقتله وكان ادعى النبوة فى آخر حياة النبى صلى الله عليه وسلم فجهز اليه الصديق رضى الله عنه جيشا وأمر عليه خالد بن الوليد فقاتلوا مسيلمة وقومه حتى قتله الله وكان قتله على يد وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وشاركه فيه ناس فى التعبير عن قتله بالعقر اشارة الى أنه بهيمة من البهائم مات ميتة جاهلية ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات مارواه الشيخان عن عائشة رضى الله عنها أن فاطمة الزهراء رضى الله عنها بنته صلى الله عليه وسلم أول أهله لحوقا به أى أول أهل بيته لحوقا به فماتت بعده بستة أشهر ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات أنه أنذر أصحابه بمن يرتد بعده من العرب وبما يكون من قتالهم فوقع ذلك فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه فارتد بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم كثير من العرب الا أهل الحرمين وأهل البحرين فكفى الله أمر المرتدين بأبى بكر رضى الله عنه بعد أن قاسى منهم أمورا شديدة فما توفى رضى الله عنه حتى رجعت العرب الى الاسلام ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات مارواه البزار عن أبى عبيدة رضى الله عنه والبيهقى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه من قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الامر أى دين الاسلام بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبرية من الجبر وهو الاكراه والقهر وفسادا فى الامة فكان الامر كما أخبر ومما أخبر به من المغيبات مارواه مسلم وغيره من التنويه بشأن أويس القرنى رضى الله عنه وكان قد اشتغل ببر أمه عن الاجتماع بالنبى صلى الله عليه وسلم والا فقد أدرك زمن النبوة وهو خير التابعين بشهادة النبى صلى الله عليه وسلم وعن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتيكم أويس بن عامر مع أمداد من أهل اليمن من مراد من قرن كان به بياض أى برص فبرأ منه الا موضع درهم أى لانه دعا الله تعالى أن يزيله الا لمعة يتذكر بها نعمته تعالى عليه فمن أدركه منكم فاستطاع أن يستغفر له فليفعل ووصفه صلى الله عليه وسلم لهم بأنه أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده يبكى على نفسه ذو طمرين لا يؤبه به مجهول فى أهل الارض معروف فى السماء لو أقسم على الله لأبره تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء ألا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للناس ادخلوا الجنة وقيل لاويس قف واشفع فيشفعه الله فى ربيعة ومضر ياعمر وياعلى اذا أنتما لقيتماه فاطلبا منه أن يستغفر لكما فمكثا عشر سنين يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التى توفى فيها عمر رضى الله عنه قام على أبى قبيس فنادى ياأهل اليمن هل فيكم اويس فقام شيخ وقال لاندرى ما اويس ولكن ابن أخ لى اخمل ذكرا واهون من ان يرفعه اليك وهو فى ابلنا يرعاها فعمى عليه عمر رضى الله عنه كأنه لا يريده ثم قال اين هو فقال بأراك

مرات فركب عمر وعلي رضي الله عنهما اليه فاذا هو قائم يصلي فسلما عليه وقالا من الرجل قال راعي ابل اجير فقالا لسنا نسألك عن ذلك ما اسمك فقال عبد الله فقالا كلنا عبد الله ما اسمك الذي سمتك به امك قال ما تريدان مني فاخبراه بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما وسألاه ان يكشف لهما عن البياض الذي تحت منكبه الايسر لتحقق العلامة فكشف لهما وتحقق عندهما الوصف كما اخبر صلى الله عليه وسلم وسألاه الدعاء كما امرهما صلى الله عليه وسلم ثم سألاه من هما فعرفاه بانفسهما فقام اليهما وعظمهما وسلم عليهما وقال لهما جزاكما الله خيرا عن امة محمد صلى الله عليه وسلم واستغفر لهما كما امرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمر رضي الله عنه مكانك يرحمك الله حتى آتيك بنفقة من عطائي وكسوة من ثيابي فقال لا ميعاد لي ولا تراني بعد اليوم وما اصنع بالنفقة والكسوة ثم أقبل على العبادة وجاء في حديث صحيح ان خير التابعين رجل يقال له اويس القرني وقال الامام احمد ان سعيد بن المسيب أفضل التابعين قال القرافي لعل الامام أحمد لم يقف على هذا الحديث أو لم يصح عنده وقال النووي أفضلية أويس بشدة زهده وخشيته لله وأفضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه فلا منافاة وقيل أفضلهم الحسن البصري وقيل حفصة بنت سيرين قال بعضهم ولا شك ان الافضلية على الاطلاق لاويس والعلم النافع لسعيد بن المسيب والله أعلم ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه من اخباره بانه سيكون امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها ولفظه كيف انت اذا كنت وعليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تأمرني قال صل الصلاة لوقتها فان ادركتها فصل معهم فانها لك نافلة وقد وقع ذلك كما أخبر صلى الله عليه وسلم ومما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه البزار والطبراني بسند صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال يوشك أن يكثر فيكم العجم يأكلون أفياءكم ويضربون رقابكم وقد وقع ذلك كما أخبر صلى الله عليه وسلم وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال خيرامتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن يعني عظم البدن لكثرة أكلهم وشربهم وترفههم وعدم خوفهم من الله وعدم تفكرهم في عواقب الامور وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال هلاك أمتي على يد أغيلمة من قريش قال أبو هريرة رضي الله عنه راوي الحديث لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان وأراد يزيد وبعض بني مروان ولم يسمهم خوف الفتنة وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول أعوذ بالله من رأس الستين وامارة الصبيان فتوفي قبل ذلك وكانت ولاية يزيد عام الستين فعلموا بذلك انه هو الذي أراده أبو هريرة رضي الله عنه وكان ذلك باعلام من النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر صلى الله عليه وسلم بظهور القدرية في حديث رواه الترمذي وأبو داود والحاكم وأخبر انهم مجوس هذه الامة وكذا أخبر بظهور الرافضة في أحاديث رواها البيهقي من طرق متعددة منها قوله صلى الله عليه وسلم يكون في أمتي قوم يسمون الرافضة فارفضوهم وفي رواية فاقتلوهم فانهم مشركون وأخبر صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البغوي وغيره بأنه لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها وقد وقع ذلك من كثير من أهل البدع يتناولون كثيرا من الصحابة وأهل البيت وكثير من السفهاء يتعاطون سب كثير من الاولياء كسيدي محيي الدين بن العربي وسيدي عمر بن الفارض رضي الله عنهما فنعوذ بالله من أمثال ذلك فانه من موجبات سوء الخاتمة ونسأل الله أن ينفعنا ببركاتهم وان يحشرنا في زمرتهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الانصار يقلون حتى يكونوا كالملح في الطعام فمن ولي منكم شيئا يضر فيه قوما وينفع آخرين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم وقال لهم انكم ستلقون اثرة بعدي فاصبروا حتى تلقوني على الحوض فكان ذلك كله كما أخبر صلى الله عليه وسلم وأخبر

بيّن أن الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وجاء ذلك في أحاديث رواها الشيخان وغيرهما أخبر بأن آيتهم رجل اسود احدى ثديه مثل ثدي المرأة ومثل البضعة تدردر فلما قاتلهم علي رضي الله عنه خطب الناس وذكر الحديث وقال اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاؤا به فقال شقوا قميصه فلما رأى احدى ثديه مثل ثدي المرأة عليه شعرات سجد شكر الله اذ صدق نبيه صلى الله عليه وسلم وعلم انه رضي الله عنه على الحق وهم على الباطل اي زاده ذلك يقينا واخبر ان سيماهم التحليق اي حلق رؤسهم ولم يكن في الصدر الاول حلق الرؤس الا في نسك واخبر صلى الله عليه وسلم ان من أشراط الساعة ان ترى رعاء الشاء رؤس الناس والعراة الحفاة يتطاولون في البنيان وهذا كناية عن توسع من لا قدرة له في الدنيا عليها وعلوه على غيره حتى يصير رئيسا بعد فقره وذله ومما اخبر عنه من المغيبات ما رواه الشيخان ان قريشا لا يغزونه بعد غزوة الاحزاب وانه هو الذي يغزوهم فكان كذلك وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم اخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس والموتان على زنة البطلان والمراد منه الموت الكثير فكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه بعد فتح بيت المقدس ويسمى طاعون عمواس بفتحتين قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكر المسلمين وهو أول طاعون وقع في الاسلام مات فيه سبعون ألفا في ثلاثة أيام وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين وهو داء تموت به الغنم ثم استفاضة المال وفتنة وهدنة بينكم وبين بني الاصفر وروى أبوداود عن أنس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال له يا أنس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان أنت مررت بها أو دخلتها فاياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب امرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف ومسخ وضواحيها نواحيها وكلاؤها بشد اللام مرسى سفنها ففي هذا الحديث من اعلام نبوته ومن الاخبار بالغيب ما لا يخفى فاستمصرت البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه سنة سبع عشرة بناها عتبة بن غزوان رضي الله عنه وسكنت سنة ثماني عشرة وكان أنس رضي الله عنه ممن سكنها ومن شرفها انه لم يعبد بها صنم ومن أخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه الشيخان ان أمته يغزون في البحر كالملوك على الاسرة ولم يكن ذلك في حياته صلى الله عليه وسلم فكان ذلك كما أخبر والحديث مروي في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن خالته أم حرام بنت ملحان وكان رسول الله نام عندها يوما ثم استيقظ صلى الله عليه وسلم وهو يتبسم فقالت له ما أضحكك يا رسول الله فقال أناس من أمتي عرضوا علي يركبون ثبج البحر أي وسطه كالملوك على الاسرة قالت ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها ثم نام فرأى مثل ذلك فسألته فقال لها مثل ما قال أولا فقالت ادع الله أن يجعلني منهم فقال لها أنت من الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنه مع المسلمين الغزاة مع معاوية في خلافة عثمان رضي الله عنهما فركبوا البحر فلما رجعوا قربوا لها دابة لتركبها فوقعت وماتت شهيدة رضي الله عنها وكان عمر رضي الله عنه يمنع الناس من ركوب البحر فلما سمع هذا الحديث اذن للناس في ركوبه وأم حرام رضي الله عنها مدفونة بقبرس وقبرها معروف يزار واخبر صلى الله عليه وسلم ان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس وقد حقق الله ذلك بسلمان الفارسي والامام أبي حنيفة والبخاري وأمثالهم رضي الله عنهم وظهر فيهم من الاولياء والعلماء والتصانيف ما لا يعد ولا يحصى وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال هاجت ريح والنبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته أي وهي غزوة تبوك وقيل غزوة بني المصطلق فقال انها هاجت لموت منافق يعني رفاعة بن زيد بن التابوت وكان من عظماء

المورد كهف المنافقين وكان بالمدينة فلما رجعوا وجدوا ذلك كما أخبر صلى الله عليه وسلم ووجدوا هلاكه وقت اخباره صلى الله عليه وسلم وروى الطبرانى عن رافع بن خديج رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يوما لقوم من جلسائه ضرس أحدكم فى النار مثل أحد قال أبو هريرة رضى الله عنه ذهب القوم كلهم أى ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة ولم يعينه لكراهته أو طلبا للستر وروى أبو داود والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أخبر بالذى غل خرزا من خرز يهود خيبر وكان قد توفى فأخبر صلى الله عليه وسلم به ليصلى عليه فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس فقال ان صاحبكم قد غل فى سبيل الله ففتشوا متاعه ومامعه فوجدت تلك الخرزات التى غلها فى رحله وروى البيهقى ان ناقته صلى الله عليه وسلم ضلت فطلبها الناس فقال رجل من المنافقين كيف يزعم محمد انه يعلم الغيب ولا يعلم خبر ناقته ألا يخبره الذى يأتيه بالوحى فأتاه جبريل وأخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ما أزعم انى أعلم الغيب وما أعلمه ولكن الله أخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى فهى فى الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق وهو زيد بن اللصيب ومن أخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما أعلم به أصحابه حين تجهز عام الفتح وقد أراد اخفاء أمره من ان حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه كتب الى أهل مكة يعلمهم بمسيره صلى الله عليه وسلم اليهم وأخفى الكتاب وبعث به مع امرأة وقال لها أخفيه ما استطعت وقال صلى الله عليه وسلم لعلى والزبير والمقداد رضى الله عنهم انطلقوا الى روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فأتونى به فانطلقوا وجاؤا بالكتاب فسأل صلى الله عليه وسلم حاطبا فاعتذر وحلف انه ما فعل ذلك نفاقا ولا ارتدادا فقبل صلى الله عليه وسلم عذره كما تقدم ذلك مبسوطا فى غزوة الفتح ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما أظهره صلى الله عليه وسلم من شأن عمير بن وهب ابن خلف لما قدم المدينة وأظهر انه جاء لطلب فك ابنه وهب من الاسر وقد توافق مع صفوان بن أمية فى الحجر على ان صفوان يتحمل دينا كان عليه وهو يتوجه الى المدينة لقتل النبى صلى الله عليه وسلم فلما قدم المدينة سأله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك قال جئت لهذا الاسير فأحسنوا فيه فقال صلى الله عليه وسلم بل قعدت أنت وصفوان بالحجر وذكرتما أصحاب القليب وقلت لولا دين على وعيالى لخرجت الى محمد حتى أقتله فتحمل دينك وعيالك وجئت لتقتلنى فقال اشهد أنك رسول الله وقد كان كذلك وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله انى لاعلم انه ما أتاك به الا الله فالحمد لله الذى هدانى للاسلام أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم وتقدم ذلك فى غزوة بدر عند تعداد الاسراء ومن اخباره بالغيب قوله صلى الله عليه وسلم لابى بن خلف أنا أقتلك ان شاء الله حين قال له أبى عندى فرس أعلفها كل يوم فرقا أقتلك عليها وقد حقق الله قوله صلى الله عليه وسلم فانه قتل أبيا يوم أحد كما تقدم فى غزوة أحد ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قام ببدر قبل قتالهم وقال هذا مصرع فلان ووضع يده على الارض ثم قال هذا مصرع فلان ووضع يده عليها أو ذكرهم واحدا واحدا مشيرا الى مصارعهم فصرعوا كذلك ما تجاوز أحد منهم موضعه الذى أشار اليه ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه الشيخان وغيرهما من قوله صلى الله عليه وسلم فى الحسن بن على رضى الله عنهما ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك وذلك انه لما قتل على كرم الله وجهه بايع الناس الحسن على الموت وكان الذين بايعوه أكثر من أربعين ألفا وكانوا أطوع له وأحب من أبيه فبقى نحو سبعة أشهر خليفة بالعراق وخراسان وما وراء النهر ثم سار الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراآى الجمعان بناحية الانبار علم الحسن رضى

الله عنه انه سيقع قتال يذهب فيه كثير من المسلمين وعلم معاوية رضى الله عنه مثل ذلك فسعى بينهما جماعة بالصلح وأرسل له معاوية رضى الله عنه رقا أبيض وقال اكتب فيه ماشئت وأنا التزمه فاصطلحا على ان الحسن يفوض الامر له بشرط أن لا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشئ كان فى أيام أبيه فأجابه معاوية رضى الله عنه الى ذلك واشترط أن يكون الامر له بعد معاوية فالتزم معاوية ذلك كله وحقن الله دماء المسلمين وحقق الله قول نبيه صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به وفى رواية ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين (ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب مارواه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص رضى الله عنه لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون وذلك ان سعدا رضى الله عنه مرض بمكة وكان يكره أن يموت بالارض التى هاجر منها واشتد مرضه حتى أشفى أى أشرف على الموت فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده ولم يكن لسعد الا بنت فقال يارسول الله أوصى بمالى كله قال لا الى ان قال الثلث والثلث كثير وهو حديث مشهور ثم قال له صلى الله عليه وسلم لعلك تخلف أى تعيش حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون فشفاه الله من ذلك المرض وفتح الله العراق على يديه وهدى الله به أناسا أسلموا على يديه وغنموا معه وأضر الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبى وكانت المدة التى عاش فيها بعد ذلك المرض نحو خمسين سنة قال النووى فهذا الحديث من المعجزات وقد تحقق ما أخبر به فيه ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب مارواه البخارى عن أنس رضى الله عنه من اخباره صلى الله عليه وسلم بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينه وبينهم مسيرة شهر أو أزيد وذلك انه بعث جيشا جهة الشام وقال أميركم زيد بن حارثة فان أصيب فجعفر بن أبي طالب فان أصيب فعبد الله بن رواحة فان أصيب فمن يرتضيه المسلمون فلما التقوا مع المشركين كشف الله له عن موضع قتالهم وجاء فى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفع لى الارض حتى رأيت معركتهم فنعاهم لاصحابه وقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم اخذها جعفر فأصيب ثم اخذها ابن رواحة فأصيب وعيناه صلى الله عليه وسلم تذرفان حتى اخذ الراية سيف من سيوف الله يعنى خالد بن الوليد رضى الله عنه ففتح الله عليهم فلما اتاه يعلى بن امية رضى الله عنه وكان رسولا من الجيش قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت اخبرنى وان شئت أخبرتك فقال اخبرنى فأخبره ووصفهم له فقال والذى بعثك بالحق ماتركت من حديثهم حرفا واحدا وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اخبر بموت النجاشى يوم مات وهو بأرضه يعنى ارض الحبشة وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات وروى البيهقى انه صلى الله عليه وسلم اخبر رسول كسرى بموت كسرى يوم مات فلما تحقق ذلك أسلم وروى الماوردى فى اعلام النبوة ان النبى صلى الله عليه وسلم اخبر اصحابه بأن فيروز الديلمى قتل الاسود العنسى الذى ادعى النبوة بصنعاء فكان كذلك وروى الامام احمد انه صلى الله عليه وسلم اخبر اباذر رضى الله عنه بخروجه من المدينة وانه يعيش وحده ويموت وحده فسكن الربذة فى آخر عمره حتى مات بها وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم اخبران اسرع زوجاته لحوقا به اطولهن يدا اى من الطول بفتح الطاء وهو الجود والانعام وكانت زينب بنت جحش رضى الله عنها اكثرهن صدقة فكانت اول الزوجات موتا وروى البيهقى انه صلى الله عليه وسلم اخبر بقتل الحسين بن على رضى الله عنهما بالطف وهو مكان بناحية الكوفة ويعرف بكربلا واخرج صلى الله عليه وسلم بيده تربة وقال فيها مضجعه وفى رواية ان جبريل عليه السلام جاء بها وروى ابن عدى والبيهقى انه صلى الله عليه وسلم قال فى زيد بن صوحان العبدى رضى الله عنه يسبقه عضو من اعضائه الى الجنة فقطعت يده فى الجهاد وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم

قال في الذين كانوا معه على حراء حين تحركت بهم وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير اثبت فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم وعد بعضهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد مات بالطاعون وهو نوع من أنواع الشهادة وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال لسراقة بن مالك حين تعرض له في طريقه وهو مهاجر الى المدينة كيف بك اذا لبست سواري كسرى وتقدمت قصة تعرضه للنبي صلى الله عليه وسلم وانه أخذ امانا ثم أسلم عام الفتح رضي الله عنه ولما سلب انه كسرى ملكه في خلافة عمر رضي الله عنه اتي بسواريه لعمر رضي الله عنه فألبسهما سراقة رضي الله عنه تحقيقا لما أخبر به صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة وكانتا من ذهب وليس هذا من استعمال الذهب المحرم لانه انما فعل ذلك تحقيقا وتصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان يقرهما بعد ذلك ومثل ذلك لا يعد استعمالا محرما وروى ابو نعيم في الدلائل والخطيب البغدادي في تاريخه انه صلى الله عليه وسلم قال تبنى مدينة بين دجلة والصراة وهو نهر بالعراق مشهور يجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعني بتلك المدينة وهي بغداد وقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من بنائها في الدولة العباسية وجباية الاموال اليها وبقي أمر الخسف وسيظهر كما أخبر به صلى الله عليه وسلم وروى الامام أحمد والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتي من فرعون لقومه قال الاوزاعي فكانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم تبين انه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح ابواب الفتن على هذه الامة وكان سفيها مدمنا للخمر تفاءل يوما في المصحف فخرج له واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فرمى المصحف بالسهام ومزقه وأنشأ يقول

أتوعد كل جبار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يا رب مزقني الوليد

وفي هذا الحديث معنى لطيف وهو ان فرعون مصر الكافر كان اسمه الوليد بن مصعب فشاركه في التسمية بالوليد وبويع له بعد عمه هشام بن عبد الملك سنة خمس وعشرين ومائة ثم سلط الله عليه الجند فقتلوه ومزقوه بالسلاح كما مزق المصحف ولعذاب الآخرة أشد وأبقى وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقد وقع هذا في صفين في وقعة علي ومعاوية رضي الله عنهما وكانت دعواهما في اعتقادهما ودينهما واحدة وهو الاسلام وكل منهما كان مجتهدا وروى البيهقي والحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في سهيل بن عمرو العامري رضي الله عنه عسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك فان سهيلا رضي الله عنه قام في أهل مكة يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطبهم وثبتهم نحو قيام أبي بكر رضي الله عنه في أهل المدينة وخطبته اياهم وتثبيته اياهم كما تقدم بيان قيام سهيل لاهل مكة عند ذكره في جملة اسرى بدر وروى ابن اسحاق والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال لخالد بن الوليد رضي الله عنه حين أرسله لاكيدر دومة انك تجده يصيد البقر فخرج خالد بن الوليد ومعه اربعمائة وعشرون فارسا فأتوه في ليلة مقمرة فوجدوه يصطاد بقر الوحش هو وأخوه حسان فشدوا عليهما فقتلوا أخاه حسان وأسروا اكيدر فقدموا به على النبي صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله ومات على نصرانيته وقيل أسلم وعده ابن منده وأبو نعيم في الصحابة والله أعلم ومن أخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما كان يخبر به أصحابه عن المنافقين عما أسروه وأخفوه بينهم من النفاق والمكر ومن أقوالهم فيه صلى الله عليه وسلم وفي المؤمنين حتى ان بعضهم كان يقول لصاحبه

اسكت فوالله لولم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء وتقدم في قصة فتح مكة انه صلى الله عليه
وسلم أمر بلالا رضي الله عنه أن يعلو ظهر الكعبة و يؤذن عليها وأبوسفيان بن حرب وعتاب بن اسيد
والحارث بن هشام رضي الله عنهم جلوس بفناء الكعبة قبل أن يتمكن الاسلام في قلوبهم فقال
عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا اذلم يرهذا اليوم وقال الحارث أماوجد محمد مؤذنا غيرهذا
الغراب الاسود فقال أبوسفيان لا أقول شيئا ولوتكلمت لاخبرته هذه الحصباء فخرج عليهم النبي صلى
الله عليه وسلم وقال علمت الذي قلتم وذكرمقالتهم فقال الحارث وعتاب نشهد انك رسول الله ماطلع
على هذا أحد كان معنا فنقول اخبرك ومن أخباره بالغيب في الصحيحين من اعلامه صلى الله عليه
وسلم بصفة السحر الذي سحره به لبيدبن الاعصم اليهودي وانه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة
ذكر وانه في بئرذروان والمشاطة مايسقط من الشعر والجف وعاء الطلع الذي يكون عليه كالغشاء
فكان كما قال صلى الله عليه وسلم ووجد على تلك الصفة فأرسل صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه
فاستخرجوه وصارماء البئر كنقاعة الحناء وروى البيهقي وغيره انه صلى الله عليه وسلم أعلم عمه اباطالب
بأكل الارضة مافي صحيفة قريش التي تظاهروابها على بني هاشم حين امتنعوا من تسليم النبي
صلى الله عليه وسلم لقريش يقتلونه وان الارضة أبقت فيها اسم الله تعالى فوجدوها كما قال صلى
الله عليه وسلم وتقدمت القصة في ابتداء البعثة بتمامها هذا كله مع ماأخبربه من الحوادث التي تكون
بعده فجاء كثيرمنها كما أخبروبقي بعض سيظهر كما اخبرصلى الله عليه وسلم فمما أخبربه مما يكون بعده
مارواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتقوم
الساعة حتى تخرج نارمن أرض الحجاز تضيء أعناق الابل ببصرى أي وهي مدينة معروفة
بالشام وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحوثلاث مراحل وفي كامل ابن عدي عن عمربن
الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى يسيل وادمن أودية الحجاز
بالنارتضيء له أعناق الابل ببصري قال الحافظ ابن حجرفي شرحه على البخاري وكذلك العلامة
القسطلاني وهذا ينطبق على النارالتي ظهرت بالمدينة في المائة السابعة وتقدمتها زلزلة وكان ابتداؤها
يوم الاحد مستهل جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وستمائة وقيل ابتدأت يوم الثلاث ثالث الشهر
المذكور وجمع بأن الاول نظرلابتدائها الخفي على بعض الناس والثاني نظرالى ظهورها للخاص
والعام واشتدت حركتها وعظمت رجفتها وارتجت الارض بمن عليها وعجت الاصوات لبارئها
تتوسل أن ينظراليها ودامت حركة بعدحركة حتى أيقن أهل المدينة بالهلكة وزلزلوا زلزالا شديدا فلما
كان يوم الجمعة في نصف النهارثارفي الجوّدخان متراكم أمره متفاقم ثم شاع شعاع النار وعلا حتى
غشي الابصار ونقل العلامة القسطلاني عن القرطبي في تذكراته كان بدؤهازلزلة عظيمة ليلة الاربعاء
ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وان النار تزايدت الى ضحي يوم الجمعة فسكنت
بقريظة عندقاع التنعيم بطرف الحرة ترى في صورة البلد العظيم عليها سور محيط بها عليه شراريف
كشراريف الحصون وأبراج ومآذن ويرى رجال يقودونها لاتمر على جبل الادكته وأذابته و يخرج
من مجموع ذلك نهرأحمر ونهرأزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور والجبال بين يديه وينتهي
الى محط الركب العراقي فاجتمع من ذلك ردم صاركالجبل العظيم وانتهت النارالى قرب المدينة
وكان يأتي المدينة ببركة النبي صلى الله عليه وسلم نسيم بارد ويشاهدمن هذه النار غليان كغليان
البحروانتهت الى قرية من قرى اليمن فأحرقتها قال القرطبي وقال لي بعض أصحابنا لقدرأيتها
صاعدة في الهواء من نحوخمسة أيام من المدينة وسمعت انها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى

وقال أبو شامة وردت كتب من المدينة في بعضها أنه ظهرت نار بالمدينة انفجرت من الارض وسال منها وادمن نار حتى حاذى جبل أحد وفي آخر سال منها واد مقداره أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال يجري على وجه الارض يخرج منها مهاد وجبال صغار قال السيد السمهودي في تاريخ المدينة ان النفوس حينئذ سكرت من حلول الوجل * وفنيت من نزول الاجل * وضج المجاورون بالجؤار بالاستغفار * وعزموا على الاقلاع عن الاصرار * وعلى التوبة عما اجترحوا من الاوزار وفزعوا الى الصدقة بالاموال * ونالهم من الخوف والفزع مالا يمكن ذكره وحصره ثم صرفها الله عنهم ذات اليمين وذات الشمال * وظهر حسن بركة نبينا صلى الله عليه وسلم في أمته * ويمن طلعته في رفقته بعد فرقته * وفي المواهب ان مدة اقامة تلك النار اثنان وخمسون يوما وكان انطفاؤها في السابع والعشرين من شهر رجب ليلة الاسراء والمعراج وفي شرح البخاري للعلامة القسطلاني فقد ظهر ان النار المذكورة في حديث الباب هي النار التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي وغيره وكذلك قال النووي في شرح مسلم وكان ظهورها في أيامه وقد تضمن الحديث ثلاثة أمور خروجها من الحجاز وسيلان واد منه بالنار وقد وجدا وأما الثالث وهو اضاءة أعناق الابل ببصرى قال العلامة القسطلاني فقد جاء من أخبر به فاذا ثبت هذا فقد صحت الامارات وتمت العلامات ثم ذكر أن جماعة من أخبر أنه أبصرها من تيماء وبصرى على مثل ما هي عليه بالمدينة فتعين أنها المراد وارتفع الشك والعناد وأما النار التي تسوق الناس الى أرض المحشر فنار أخرى لم تظهر الى الآن وهي تخرج من قعر عدن ومن اخباره صلى الله عليه وسلم عما سيقع ما رواه أبو داود في سننه من قوله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن ذلك اخباره بأشراط الساعة وظهور المهدي وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وذكر الحشر والنشر وأخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وغير ذلك وحسبك هذا الفصل أن يكون مؤلفا مفردا يشتمل على أجزاء وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم ما خصه الله به زائدا على غيره من كمال خلقته وجمال صورته ونهاية قوته وفرط شجاعته ووفور عقله وعظيم حلمه وكل ما أكرمه الله به وميزه به على غيره من الاخلاق الزكية والاوصاف المرضية ومعرفة ذلك كله من تمام الايمان فان من الايمان التصديق بأن الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على هيئة لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمي مثله فكل ما يشاهد من بدنه صلى الله عليه وسلم آيات ومعجزات لمن شاهده وهي تدل على عظيم أخلاق باطنه فان المشاهد الظاهرة تدل على الباطن وذلك الباطن دليل على ما أورد في قلبه من العلوم والمعارف ولله در الابوصيري حيث يقول

فهو الذي تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

يعني حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه وهي غير منقسمة بينه وبين غيره لانه الذي تم معناه وصورته دون غيره والمراد أنه صلى الله عليه وسلم أعطى أعلى الصفات اللائقة بالبشر وشاركه غيره في الاتصاف ببعضها فيكون ذلك البعض مشتركا وتميز المصطفى صلى الله عليه وسلم بالزيادة التي لم يؤتها غيره وأما قوله صلى الله عليه وسلم أعطي يوسف شطر الحسن فالمراد منه أنه أوتي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا وفي الاثر ان خالد بن الوليد رضي الله عنه خرج في سرية من السرايا فنزل ببعض الاحياء فقال له سيد ذلك الحي صف لنا محمدا فقال أما اني أفصل فلا أي لان صفاته لا يمكن الاحاطة بها فقال الرجل أجمل فقال

خالد رضي الله عنه الرسول على قدر المرسل أي على حالة تليق به وهو رسول الله بعثه لتبليغ أحكامه فمن لازمه أنه بالغ الغاية فكل ما تصور فيه من كمال دون ما ثبت له فان الملك اذا بعث رسولا لقضاء ما يريد انما يرسل من يقدر على ذلك بحيث يكون ذا مرتبة شريفة وتصرف تام ولا يلزم منه مساواته لبقية الرسل لان عموم رسالته ونسخها الشرائع من قبله يقتضي رتبة زائدة عليهم فمن ذا الذي تصل قدرته الى معرفة ما أعطي صلى الله عليه وسلم وفي المواهب نقلا عن القرطبي عن بعضهم أنه قال لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم لعجزنا عن ذلك ولقد أحسن الابوصيري رحمه الله حيث قال

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى * في القرب والبعد منه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكل الطرف من أمم

وهذا مثل قوله في الهمزية
انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

يعني أن واصفيه لم يبلغوا حقيقته صلى الله عليه وسلم لانهم لم يحيطوا بها وانما غاية ما وصلوا اليه تصوير صورها الحاكية لبلاديها كما أن الماء لم يحك الا مجرد صورها لا غير ولنشرع في ذكر جملة من أوصاف ذاته الشريفة فنقول أما وجهه الشريف فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وروى الترمذي والامام أحمد والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه ومعناه أن جريان الشمس في فلكها كجريان الحسن في وجهه أي ان شدة النور والبريق واللمعان يعم وجهه الشريف ولا تختص ببعض منه دون باقيه فهو شبيه بجريان الشمس في فلكها ولله در القائل

لم لا يضيء بك الوجود وليله * فيه صباح من جمالك مسفر
فبشمس حسنك كل يوم مشرق * وببدر وجهك كل ليل مزهر

وفي البخاري سئل البراء بن عازب رضي الله عنهما أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل القمر فكأن السائل أراد مثل السيف في الطول فرد عليه البراء ردا بليغا فقال بل مثل القمر أي في التدوير أو أن السائل أراد مثل السيف في اللمعان والصقالة فقال بل فوق ذلك وعدل الى التشبيه بالقمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان فهو رد لتوهم السائل أن لمعانه كلمعان السيف بأنه وان شاركه في اللمعان لكن لمعان الوجه الشريف لا يساويه شيء وقال بعضهم يحتمل أن السائل سأل عنهما جميعا ففي هذا الحديث اشارة الى أن التشبيه بما لا يحسنه لا يليق الاقرار عليه لان السائل شبه وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ولو شبهه بالشمس لكان أولى فلذلك رد عليه البراء فقال بل مثل القمر وأبدع في تشبيهه لان القمر يملأ الارض بنوره ويؤنس كل من يشاهده ونوره من غير حر يفزع ولا ثقل في العين يضعفها والناظر الى القمر متمكن من النظر بخلاف الشمس فان النظر اليها يحصل للبصر منه كلال وضعف وروى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما أن رجلا قال له أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر والمراد أنه مثل الشمس في البهاء والاشراق ومثل القمر في الاستدارة والنور فقد كان مستديرا لا طويلا والمراد الاستدارة مع الاسالة كما في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أسيل الخدين وفي حديث عن علي رضي الله عنه كان في وجهه تدوير أي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل ولم يكن كثير السمن ولا نحيفا والمراد أنه ما كان في غاية التدوير بل كان فيه سهولة وهي أحلى عند العرب وغيرهم من كل ذي ذوق سليم وطبع قويم فالمقصود تشبيهه بمحاسن

كل حسن وروى الترمذى عن جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة مقمرة وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر اليه والى القمر فلهو فى عينى أحسن من القمر وفى رواية بعد قوله حمراء فجعلت أماثل بينه وبين القمر وعندى أحسن من القمر وروى البخارى عن كعب ابن مالك رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه وقالت عائشة رضى الله عنها دخل على النبى صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا تبرق أسارير وجهه وهى جمع أسرار جمع سر بكسر السين وهى الخطوط التى فى الجبهة تبرق عند السرور ولذلك قال كعب كأنه قطعة قمر اشارة الى موضع الاستنارة وهو الجبين وهذه الاستنارة التى تحصل عند السرور زائدة على ما هو موجود قبل من النور والبهاء المشبه بضياء الشمس ونور القمر وروى الطبرانى عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال التفت الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه مثل شقة القمر وهى بكسر الشين قطعة القمر وهذا محمول على صفته عند الالتفات أو أنه كان متلثما فلا ينافى أن وجهه كله يوصف بتلك الاستنارة وقد أخرج الطبرانى حديث كعب بن مالك رضى الله عنه من طرق فى بعضها كأنه دارة قمر وروى أبو نعيم عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارة القمر وروى البيهقى عن امرأة من همدان نسى اسمها بعض الرواة قالت حججت مع النبى صلى الله عليه وسلم فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه البردان يكاد يمس شعره منكبه اذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه الى فيه فيقبله قال أبو اسحاق البيهقى الراوى عنها فقلت لها شبهيه فقالت كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله وروى الدارمى والبيهقى وأبو نعيم والطبرانى عن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال قلت للربيع بنت معوذ رضى الله عنهما صفى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لو رأيته لقلت الشمس طالعة وروى مسلم عن أبى الطفيل عامر بن واثلة الليثى الصحابى رضى الله عنه وهو آخر الصحابة موتا ولد عام الهجرة وتوفى عام مائة حدث يوما فى آخر عمره فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بقى على وجه الارض أحد رآه غيرى فقيل له صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان أبيض مليح الوجه وروى الترمذى عن الحسن ابن على رضى الله عنهما قال سألت خالى هند بن أبى هالة وهو أخو السيدة فاطمة رضى الله عنها من أمها خديجة رضى الله عنها وأبوه أبو هالة واسمه النباش وقيل مالك وقيل زرارة وكانت خديجة متزوجة به قبل النبى صلى الله عليه وسلم ثم مات عنها وأما هند ابنه فصحابى رضى الله عنه أسلم وهاجر وقتل سنة ست وثلاثين يوم الجمل وهو مع على رضى الله عنه وهو خال الحسن والحسين رضى الله عنهما قال الحسن بن على رضى الله عنهما كان خالى هند بن أبى هالة وصافا لحلية النبى صلى الله عليه وسلم وكنت أشتهى أن يصف لى منها شيئا أتعلق به فقال لى يوما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما أى عظيما فى نفس الامر معظما فى صدور الصدور وعيون العيون يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقالت أم معبد حين وصفته لزوجها أبلج الوجه تعنى مشرقه مضيئه ومنه تبلج الصبح اذا أسفر قال فى المواهب وما أحسن قول السيد على وفا رضى الله عنه حيث قال

ألا يا صاحب الوجه المليح * سألتك لا تغيب فأنت روحى
متى ما غاب شخصك عن عيانى * رجعت فلا ترى الا ضريحى
بحقك جد وقل يا حبيبى * وداوى لوعة القلب الجريح
ورق لمغرم فى الحب أمسى * وأصبح فى الهوى دنفا طريح
محب صادق بالاشواق ذرعا * وآوى منك للكرم الفسيح

وفى المواهب نقلا عن النهاية لابن الاثير أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا سر فكان وجهه المرآة وكأن الجدر تلاحك وجهه والملاحكة شدة الموافقة والمراد أنه يرى شخص الجدر فى وجهه صلى الله عليه وسلم لشدة ضيائه وقول ابن أبى هالة رضى الله عنه فى حديثه المتقدم يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر فيه تشبيه وجهه الشريف بالبدر وهو أبلغ فى العرف من التشبيه بالقمر لان البدر هو القمر وقت كماله وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بهذا البيت

لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المنور ليلة البدر

وقد صادف تشبيه صلى الله عليه وسلم معناه الحقيقى أيضا فمن أسمائه صلى الله عليه وسلم البدر فقد روى أن الله قال لموسى صلى الله عليه وسلم ان محمدا هو البدر الباهر والنجم الزاهر والبحر الزاخر ولهذا أنشد نساء الانصار لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة فى الهجرة ومن غزوة تبوك

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا مادعا لله داع

وما أحسن قول ابن الحلاوى فى صفته صلى الله عليه وسلم

يقولون يحكى البدر فى الحسن وجهه * وبدر الدجا عن ذلك الحسن ينحط
كما شبهوا غصن النقا بقوامه * لقد بالغوا فى المدح للغصن واشتطوا

أى فقد حصل للبدر والغصن غاية فى الفخر بهذا التشبيه على أن هذه التشبيهات الواردة فى صفاته صلى الله عليه وسلم انما هى على عادة الشعراء والعرب والا فلا شئ فى هذه التشبيهات المحدثات يعادل صفاته الخلقية والخلقية ولله در سيدى محمد وفا رضى الله عنه حيث قال

كم فيه للابصار حسن مدهش * كم فيه للارواح راح مسكر
سبحان من أنشاه من سبحاته * بشرا بأسرار الغيوب يبشر
فاسوه جهلا بالغزال تغزلا * هيهات يشبهه الغزال الاحور
هذا وحقك ماله من مشبه * وأرى المشبه بالغزالة يكفر
يأتى عظيم الذنب فى تشبيهه * لولا لرب جماله يستغفر
غلب الملاح بحسنه وجماله * وبحسنه كل المحاسن تفخر
فجماله مجلى لكل جميلة * وله منار كل وجه نير
جنات عدن فى جنى وجناته * ودليله أن المراشف كوثر
هيهات ألهو عن هواه بغيره * والغير فى حشر الاجانب يحشر
كتب الغرام على فى أسفاره * كتبا أؤول بالهوى وتفسر
فدع المدعى وما ادعاه فى الهوى * فدعيه بالهجر فيه تهجر

وقوله بالهجر هو بضم الهاء الهذيان والتخليط والتهجر الاذى والهلاك ويقال تهجر سار وقت الهاجرة أى شدة الحر فكأنه قال مدعى المحبة بمجرد اللفظ شبيه بالسائر فى شدة الحر فأتعب نفسه وأذاها بما يلام عليه عاجلا وآجلا وأما بصره الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه الله فى كتابه العزيز بقوله تعالى مازاغ البصر وماطغى أى مال بصره عما رآه ليلة الاسرى وماتجاوزه بل أثبته اثباتا صحيحا أوماعدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها وماجاوزها وقد قال تعالى فى علة الاسراء لنريه من آياتنا فقوله تعالى مازاغ البصر وماطغى يفيد أنه صلى الله عليه وسلم أعطى قوة البصر بحيث أنه لا يحصل له تخيل فى شئ رآه حتى يكون على خلاف الواقع بل متى تعلق بمبصر أدركه على ماهو به فى الواقع وان كان فى غاية الخفاء وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم يرى بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار فى الضوء والمعنى أن رؤيته فى النهار الصافى والليل المظلم متساوية لان الله تعالى لما رزقه الاطلاع بالباطن والاحاطة بادراك مدركات القلوب جعل له مثل ذلك فى مدركات العيون وروى البيهقى وابن عدى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى فى الظلماء كما يرى فى الضوء وصح أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى المحسوس من وراء ظهره كما يراه من أمامه تقدم روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتى ههنا فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا سجودكم وفى رواية ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم انى لأراكم من وراء ظهرى وفى رواية لمسلم عن أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس انى امامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود فانى أراكم من امامى ومن خلفى وعن مجاهد أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه وهذه الرؤية رؤية ادراك وابصار حقيقية خاصة به صلى الله عليه وسلم انخرقت له فيها العادة فهى من المعجزات والرؤية عند أهل السنة لا تتوقف عقلا على مقابلة ولا على انفصال اشعة من الرائى متصلة بالمرئى نعم ذلك شرط بحسب العادة وقد خرق الله العادة لنبيه صلى الله عليه وسلم كما يخرقها للمؤمنين يوم القيامة فيرون ربهم من غير شرط من تلك الشروط ومما يدل على قوة بصره صلى الله عليه وسلم وان الله أعطاه قوة خارقة للعادة أنه كان يرى فى الثريا اثنى عشر نجما لم يتحقق الناس منها غير ستة أو سبعة فلم يرجميعها غير النبى صلى الله عليه وسلم لقوة جعلها الله فى بصره ومن قوة بصره صلى الله عليه وسلم أنه كان يرى الملائكة والشياطين ورفع له النجاشى حتى صلى عليه ورأى بيت المقدس حين وصفه لقريش ورأى الكعبة من المدينة حين بنى مسجده ورأى جبريل فى صور

وجاء فى حديث ابن أبى هالة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا التفت الطرف نظره الى الارض أكثر من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة فقو جميعا أراد أنه لا يسارق النظر ولا يلوى عنقه يمنة ولا يسرة اذ لا يفعل ذلك الا الطا صلى الله عليه وسلم كان يقبل جميعا ويدبر جميعا وقوله خافض الطرف معناه أنه اذا بصره ولا ينظر الى الاطراف والجوانب بلا سبب بل لم يزل مطرقا متوجها الى عالم ا متفكرا فى أمور الآخرة لان هذا شأن المتواضع المتفكر المشتغل بربه وقيل هو كا ولين جانبه أو عدم كثرة سؤاله واستفصاله وقوله نظره الى الارض أكثر من نظره ال السكوت وعدم التحدث لانه أجمع للفكرة وأوسع للاعتبار لاشتغاله بالباطن و بعث لاجله أو لكثرة حيائه وأدبه مع ربه أو لانه بعث لتربية أهل الارض لا أهل أحسن وقوله جل نظره الملاحظة معناه أنه يلحظ الشئ بمؤخر عينه من غير التفات التفت التفت جميعا وقيل المراد من الملاحظة المراقبة وقيل المراد أن نظره الى الا أهل الحرص على الدنيا وزخرفها عملا بقوله تعالى ولا تمدن عينيك الآية وفى حديث على رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم قال كان صلى الله عليه وسلم أدعج سواد العين مع سعتها أهدب الاشفار جمع شفر بالضم وهى حروف الاجفان التى والمراد أنه طويل شعر الاشفار مشرب العين بحمرة وهى عروق حمر رقاق وفى روا رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم أشكل العينين والشكلة هى الحمرة تكون فى بيا محبوب محمود قال الحافظ العراقى وهى احدى علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ول الى الشام سأل عنه الراهب فقال أفى عينيه حمرة فقال ما تفارقه فقال الراهب هو

على رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان أدعج العينين أهدب الاشفار مقرون الحاجبين وفى رواية أزج الحواجب سوابغ من غير قرن يعنى ان طرفى حاجبيه قد سبغا أى طالا حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا وهذا هو مراد من قال مقرون الحاجبين فلا تنافى بين الروايتين وفى رواية بعد قوله أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدرّه الغضب أى يحركه ويظهره أى يظهر ويرتفع عند الغضب وفى المواهب عن على رضى الله عنه قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقمت لاخطب يوما أى أعظهم وأذكرهم ليتمكن ايمان من آمن ويؤمن من لم يكن آمن فخطبت وحبر من أحبار اليهود واقف بيده سفر أى كتاب كبير ينظر فيه فلما رآنى قال لى صف لى أبا القاسم فقلت ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحديث يعنى المذكور فيه جملة من أوصافه صلى الله عليه وسلم قال على رضى الله عنه ثم سكت فقال الحبر وماذا فقلت هذا ما يحضرنى الآن أى من صفته قال الحبر فى عينيه حمرة حسن اللحية فقال على هذه والله صفته قال الحبر فانى أجد هذه الصفة التى وصفتها يا على والتى ذكرتها لك فى سفر آبائى وانى أشهد أنه رسول الله الى الناس كافة (وأما سمعه الشريف صلى الله عليه وسلم فحسبك أنه قال انى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى رواه الترمذى والامام أحمد وابن ماجه والحاكم وصححوه كلهم من رواية أبى ذر رضى الله عنه وقوله أطت بفتح الهمزة وشد الطاء أى صاحت من ازدحام الملائكة وكثرة الساجدين فيها وروى أبو نعيم عن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه اذ قال لهم تسمعون ما أسمع قالوا ما نسمع من شئ قال انى لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط وما فيها موضع شبر الا وعليه ملك ساجد أو قائم (وأما جبينه) صلى الله عليه وسلم فقد جاء فى وصفه أنه كان واضح الجبين والمراد جنس الجبين لان لكل انسان جبينين وهما مكتنفان الجبهة يمينا وشمالا وفى رواية صلت الجبين أى واسع الجبينين والمراد بسعتهما امتدادهما طولا وعرضا وسعتهما محمودة عند كل ذى ذوق سليم وذكر ابن أبى خيثمة أنه صلى الله عليه وسلم كان أجلى الجبين اذا طلع جبينه أى اذا طلع بوجهه على الناس تراءى جبينه كأنه السراج المتوقد يتلألأ وكانوا يقولون هو كما قال حسان رضى الله عنه

متى يبد فى الليل البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجا المتوقد
فمن كان أو من قد يكون كأحمد * نظام لحق أو نكال لملحد

وروى البيهقى عن رجل من الصحابة رضى الله عنهم ولا ضرر فى ابهامه لان الصحابة كلهم عدول قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين ولله در سيدى محمد وفا رضى الله عنه حيث يقول فى وصفه صلى الله عليه وسلم

جبينه مشرق من فوق طرته * يتلو الضحى ليله والليل كافره
بالمسك خطت على كافور جبهته * من فوق نوناتها سينا ضفائره
مكمل الخلق ما تحصى خصائصه * منضر الحسن قد قلت نظائره

وعن مقاتل أوحى الله الى عيسى عليه السلام اسمع وأطع يا ابن الطاهرة البتول انى خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فاياى فاعبد وعلى فتوكل فسر لاهل سوران انى أنا الله الحى القيوم لا أزول فصدقوا النبى الامى صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين المقرون الحاجبين الاهدب الاشفار الادعج العينين الاقنى الانف الواضح الخدين أى سهل الخدين ليس فيهما نتو ولا ارتفاع الكث اللحية عرقه فى وجهه كاللؤلؤ وريحه كالمسك ينفح منه كأن عنقه ابريق فضة وفى

حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم قال كان صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صيغ من فضة وفي حديث آخر من رواية هند بن أبي هالة رضي الله عنه كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة والمراد وصف عنقه بالدمية وهو العاج في الاشراق والاعتدال وظرف الشكل وحسن الهيئة والكمال لا بصورة العاج يتأنق الناس في صنعتها وبالفضة في اللون والاشراق والجمال وقوله في الحديث السابق أقنى الانف القنا في الانف طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه وهو معنى قول ابن الاثير وهو السائل الانف المرتفع وسطه ووصف صلى الله عليه وسلم بانه دقيق العرنين أي أعلى الانف حيث يكون الشمم وهو ما تحت مجتمع الحاجبين وقال ابن أبي هالة رضي الله عنه اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم أي وليس هو باشم والاشم الطويل قصبة الانف مع استواء أعلاه (وأما رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم) فقد دل على وصفه قول غير واحد انه صلى الله عليه وسلم كان عظيم الهامة أي الرأس وفي رواية البيهقي عن علي رضي الله عنه ضخم الرأس أي عظيمه من غير افراط وهو محبوب ممدوح لانه أعون على الادراكات ونيل الكمالات اما مع الافراط في العظم فهو آية البلادة (وأما فمه الشريف صلى الله عليه وسلم) ففي مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان ضليع الفم أي عظيمه أو واسعه من غير افراط والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم لدلالة السعة على الفصاحة والصغر على ضدها والمولدون من الشعراء يمدحون صغره وهو خطأ منهم أو لمعنى لا يلتفت اليه أو ان ذلك بالنسبة للنساء وزاد في حديث ابن أبي هالة رضي الله عنه كان يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه أي جوانب فمه وفي حديث عن البزار والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسع الفم أشنب مفلج الاسنان والشنب رونق الاسنان وماؤها وتحديدها ومفلج الاسنان متفرقها وقال علي رضي الله عنه مبلج الثنايا بالموحدة أي براقها وجاء في رواية براق الثنايا أي مضيئها وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين أي بعيد ما بين الثنايا والرباعيات اذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه وكان صلى الله عليه وسلم قوي الاسنان وهذا هو المراد من رواية عظيم الاسنان فالمراد شدتها وقوتها وتمامها ولا يتوهم في سياق المدح غير هذا وكان عليه الصلاة والسلام أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم وكان صلى الله عليه وسلم ضخم الكراديس وهي رؤس العظام وذلك يدل على وفور المادة وقوة الحواس وكثرة الحرارة وكمال القوى وفي رواية جليل المشاش والكتد وفسر برؤس العظام كالركبتين والمرفقين أي عظيمهما وفي الصحاح المشاش رؤس الاصابع اللينة التي يمكن مضغها والكتد بفتحتين مجتمع الكتفين وفي المواهب عن أبي قرصافة أي وهو جندرة بن خيشنة الكناني الليثي الصحابي رضي الله عنه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأمي وخالتي فلما رجعنا قالت لي أمي وخالتي يابني ما رأينا مثل هذا الرجل أي خلقا وخلقا الا أحسن وجها ولا أنقى ثوبا ولا ألين كلاما ورأينا كالنور يخرج من فيه وأما ريقه صلى الله عليه وسلم فحسبك ما تقدم في قصته فتح خيبر لما بصق في عيني علي رضي الله عنه وهو أرمد جيء به يقاد فشفي حتى كأن لم يكن به وجع وروى الطبراني انه عليه الصلاة والسلام دخلت عليه عميرة بنت مسعود الانصارية هي واخواتها يبايعنه فوجدنه يأكل قديدا أي لحما مقددا فمضغ لهن قديدة فأخذتها فمضغت كل واحدة منهن قطعة منها فلقين الله أي متن وما وجدلا فواههن خلوف أي تغير رائحة وتقدم في معجزة ظهور الآثار العجيبة فيما لمسه ذكر جملة من بركات ريقه صلى الله عليه وسلم وروى ابن عساكر انه صلى الله عليه وسلم أعطى الحسن بن علي رضي الله عنهما لسانه وكان قد اشتد ظمؤه فمصه حتى روي وروى الطبراني ان امرأة بذية اللسان جاءته صلى الله عليه وسلم وهو يأكل قديدا فقالت الا تطعمني

فناولها من بين يديه فقالت لا الا الذى فى فيك فأخرجه فأعطاها اياه فأكلته فلم يعلم منها بعد ذلك شئ مما كانت عليه من البذاءة (وأما فصاحة لسانه) صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فكان صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله كلاما وأعظمهم نظاما وأسرعهم اداء حتى ان كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ففصاحة كلامه غاية لا يدرك مبداها ومنزلة لا يدانى منتهاها وكيف لا يكون كذلك وقد جعل الله لسانه سيفا من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو اليه عباده ويكشف عن مراده بحقيقة ذكره فهو أفصح خلق الله اذا لفظ وانصحهم اذا وعظ لا يقول هجرا ولا ينطق هذرا أى لا يخلط فى كلامه ولا ينطق بما لا ينبغى لانه كان أشد حياء من العذراء فى خدرها كلامه كله يثمر علما وشرعا وحكما لا يتفوه بشر بكلام أحكم منه فى مقالته ولا أجزل منه فى عذوبته وخليق بمن عبر عن مراد الله بلسانه وأقام الله به الحجة على عباده ببيانه وبين مواضع فروضه وأوامره ونواهيه وزواجره ووعده ووعيده وارشاده أن يكون أحكم الخلق جنانا وأفصحهم لسانا وأوضحهم بيانا وقد كان عليه الصلاة والسلام اذا تكلم تكلم بكلام مفصل بين يعده العاد ليس بهذرمسرع لا يحفظ وروى مسلم والبخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث سردا وفى رواية انما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما تفهمه القلوب كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه والمراد المبالغة فى الترتيل والتفهيم وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يعيد الكلمة ثلاثا حتى تعقل عنه وروى ابن عساكر وأبو نعيم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له يارسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا فقال كانت لغة اسماعيل قد درست فجاءنى بها جبريل فحفظتها وروى العسكرى ان على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما قدم بنو نهد على النبى صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث المتقدم فى المكاتبات وفيه ذكر خطبتهم وما أجابهم به النبى صلى الله عليه وسلم وكلمهم بما هو معروف من لغتهم قال على فقلنا يانبى الله نحن بنو أب واحد ونشأنا فى بلد واحد وانك لتكلم العرب بلسان مانعرف أكثره قال ان الله عز وجل ادبنى فأحسن تأديبى ونشأت فى بنى سعد ابن بكر وتقدم فى المكاتبات جمل كثيرة من مخاطباته ومكاتباته صلى الله عليه وسلم لقبائل العرب وتكليم كل قبيلة بما تعرفه وذلك يدل على كمال فصاحته وبلاغته ومعرفته وسعة اطلاعه على لغات العرب قال فى المواهب وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته الى مشاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند وقد جمع العلماء من كلامه الموجز البديع الذى لم يسبق اليه دواوين وفى كتاب الشفا للقاضى عياض من ذلك مايشفى العليل ثم ذكر فى المواهب جملة من ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وكقوله الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كما شئت وقوله جمال الرجل فصاحة لسانه وقوله انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وفى رواية ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق وقوله الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقوله الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه وقوله القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى وقوله الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم وحسن الخلق نصف الدين وقوله لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف عن الحرام ولا حسب كحسن الخلق وقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله وقوله التجاوز عن الذنب لا يزيد العبد الا عزا وصنائع المعروف تقى مصارع السوء والتواضع لا يزيد العبد الا رفعة وما نقص مال من صدقة وقوله اخسر الناس صفقة من اذهب آخرته بدنيا غيره وقوله ان من كنوز البر كتمان المصائب وقوله لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك ومن عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله وقوله من ضمن

لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له على الله الجنة وقوله لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقوله السعيد من وعظ بغيره وقوله إنما الأعمال بالنيات وقوله نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله وأمثال هذه الأحاديث الجوامع مما أطال العلماء في شرحها وبيان ما اشتملت عليه من المعاني والأحكام روى الترمذي عن عطية بن عروة السعدي رضي الله عنه قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئا فإن اليد العليا هي المنطية والسفلى هي المنطاة ومال الله مسؤول ومنطي قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقد كان من معجزاته وخصائصه صلى الله عليه وسلم أن يكلم كل ذي لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها وكان أحدهم لا يتجاوز لغته وإن سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربي وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم إلا بقوة إلهية وموهبة ربانية لأنه بعث إلى الكافة طرا وإلى الناس سودا وحمرا فعلمه الله جميع اللغات قال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه أي لغتهم فلما بعثه للجميع علمه الجميع وكان كلامه صلى الله عليه وسلم بأي لغة يقع في غاية البيان ولا يوجد غالبا متكلم بغير لغته إلا قاصرا في الترجمة نازلا عن الأصيل في تلك اللغة إلا نبينا صلى الله عليه وسلم فإنه زاده الله تكريما وشرفا إذا تكلم بأي لغة كان أفصح بها من أهلها وهو جدير بذلك فقد أوتي في سائر القوى البشرية المحمودة زيادة ومزية على الناس مع اختلاف الأصناف والأجناس مما لا يضبطه قياس ولا يدخل في تحقيقه الباس ومن تكلمه صلى الله عليه وسلم بلغة الحبشة ما رواه البخاري من قوله صلى الله عليه وسلم لأم خالد وهي بنت خالد بن سعيد بن العاص سناه سناه وفي رواية سنه سنه يعني حسنة يصف لها خميصة أعطاها إياها وأم خالد رضي الله عنها ولدت بأرض الحبشة وتربت بها فعرفت شيئا من كلامهم وكقوله يكثر الهرج وفسروه بالقتل على لغة الحبشة وقوله في قصة طعام جابر رضي الله عنه إن جابرا قد صنع لكم سورا ومعناه بالفارسية الطعام الذي يدعى إليه وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال هجر النبي صلى الله عليه وسلم وهجرت وصليت ثم جلست فالتفت إلي وقال شكم درد فقلت نعم يا رسول الله فقال قم فصل فإن في الصلاة شفاء وشكم بكسر الشين وفتح الكاف وسكون الميم معناه بالفارسية البطن ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة ومعناه بالفارسية الوجع وهم يقدمون المضاف إليه على المضاف فقوله شكم درد معناه وجع بطن والمعنى على الاستفهام أي أبك وجع بطن فقال أبو هريرة رضي الله عنه نعم فقال له قم فصل فإن في الصلاة شفاء ورواه بعضهم دردم بزيادة ميم في آخره وهذه الميم في اللغة الفارسية ضمير المتكلم قال العلامة ملا علي القاري في شرحه على الشفا إنه لا يظهر لي وجه خطاب أبي هريرة رضي الله عنه بهذه الكلمة اللهم إلا أن يحمل على المزاح والمطايبة في المخاطبة يعني كما إذا رأيت إنسانا يشتكي شيئا فأظهرت له أن بك مثل ما به من الشكوى إظهارا للمطايبة في المخاطبة لزيادة المحبة وضبطه بعضهم اشكنب درد بفتح الهمزة وسكون الشين وفتح الكاف ونون ساكنة وباء موحدة ساكنة ومعناها عندهم الكرش وقد يزيدون لها هاء فيقولون اشكنبه وذكر الكرش لا يناسب تفسيره بوجع البطن إلا أن يقال إن الكرش قد تطلق ويراد بها البطن قال ملا علي وحديث العنب دودو يعني اثنين اثنين والتمر يك يك يعني واحدة واحدة فمشهور على ألسنة العامة ولا أصل له عند الخاصة والله سبحانه وتعالى أعلم (وأما صوته) الشريف صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال ما بعث الله نبيا قط إلا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت وروى نحوه عن علي رضي الله عنه وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في العشاء والتين

والزيتون

والزيتون فلم أسمع صوتا أحسن منه وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم حسن النغمة رواه أبو الحسن بن الضحاك وروى الطبراني والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه وكان صوته يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره وروى البيهقي عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في خدورهن وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوم الجمعة على المنبر فقال للناس اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة في بني غنم فجلس في مكانه وروى ابن سعد عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي ابن عم طلحة بن عبد الله رضي الله عنه وكان من مسلمة الفتح قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففتحت اسماعنا حتى كنا نسمع مايقول ونحن في منازلنا وروى ابن ماجه عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت كنا نسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشي أي سريري قال العلامة الزرقاني فسماعها له وهي على سريرها داخل بيتها البعيد عن محل القراءة دليل على قوته *(وأما ضحكه)* صلى الله عليه وسلم ففي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا أي ضحكا تاما بحيث ينفتح فمه حتى أرى لهواته انما كان يتبسم واللهوات بفتح اللام جمع لهاة وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي فيه فضحك حتى بدت نواجذه أي أضراسه فهذا كان منه نادرا ولم تره عائشة رضي الله عنها ورآه أبو هريرة رضي الله عنه فرواه وقال ابن أبي هالة رضي الله عنه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام أي يبدي أسنانه ضاحكا وحب الغمام هو البرد بفتحتين فشبه أسنانه بالبرد في الصفاء والبياض واللمعان والرطوبة قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر من مجموع الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم كان معظم أحواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك أي ولم يقهقه والمكروه من الضحك انما هو الاكثار منه أو الافراط فيه لانه يذهب الوقار فالذي ينبغي أن يقتدى به صلى الله عليه وسلم من أفعاله ما واظب عليه من ذلك وهو التبسم فيقتصر عليه وضحكه كان لبيان الجواز وقد روى البخاري في الادب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه واذا ضحك صلى الله عليه وسلم يتلألأ أي يضيء في الجدر بضم الجيم والدال جمع جدار أي يشرق نوره عليها اشراقا كاشراق الشمس عليها وكان صلى الله عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل عليه السلام لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اعظاما له بترك الاشتغال بشيء يشغله عنه أو اعتبارا وتفكرا بما أتاه به وكان صلى الله عليه وسلم اذا خطب أو ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما *(وأما بكاؤه)* صلى الله عليه وسلم فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع عيناه حتى تهملا ويسمع لصدره أزيز يبكي رحمة لميت وخوفا على أمته وشفقة من خشية الله وعند سماع القرآن وأحيانا في الصلاة وقد حفظه الله من التثاؤب ففي تاريخ البخاري ومصنف ابن أبي شيبة عن يزيد بن الاصم ابن أخت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها قال ما تثاءب النبي صلى الله عليه وسلم قط وفي رواية ما تثاءب نبي قط وفي البخاري مرفوعا ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب وأما يداه الشريفتان صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن الكفين أي غليظهما وغليظ أصابعهما من غير قصر ولا خشونة وذلك جمال في الرجال وذم في النساء وبأنه عبل الذراعين أي قويهما

ضخم وارحب الكفين أى واسعهما ويكنون بذلك عن العطاء والكرم وقد مسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة خد جابر بن سمرة رضى الله عنهما تأنيسا وشفقة قال جابر فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار والبرد كناية عن لين كفه ورطوبته أوهو بمعنى الراحة واللذة والطيب قال ابن الاثير كل محبوب عندهم بارد وبرد الظل طيب العيش والغنيمة الباردة اه فقال بعضهم ان برد اليد نعمة ممدوح عند العرب لاسيما فى الزمن الحار ولا بعد فى انه خاص به صلى الله عليه وسلم مع كمال حرارته الغريزية وروى الطبرانى والبيهقى عن وائل بن حجر رضى الله عنه لقد كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدى جلده فأتعرفه بعد فى يدى أى فأعرف أثره بعد مفارقته لى وانه لاطيب رائحة من المسك وقال يزيد بن الاسود رضى الله عنه ناولنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فاذا هى ابرد من الثلج واطيب ريحا من المسك رواه البيهقى وروى الطبرانى عن المستورد بن شداد عن أبيه رضى الله عنهما قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فاذا هى ألين من الحرير وابرد من الثلج وروى الامام أحمد من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم دخل على سعد بن أبى وقاص يعوده حين اشتكى عام حجة الوداع قال سعد فوضع يده صلى الله عليه وسلم على جبهتى فمسح وجهى وصدرى وبطنى فما زلت يخيل الى انى أجد برد يده صلى على كبدى حتى الساعة وفى البخارى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم قال مامسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت ريحا قط أو عرفا قط أطيب من ريح أو عرف النبى صلى الله عليه وسلم والمراد اللين فى الجلد فلا ينافى الغلظ فى العظام الذى جاء فى وصف على وابن أبى هالة رضى الله عنهما حيث قالا غليظهما أى الكفين فى خشونة أى فى العظام أى فيكون قد جمع له نعومة البدن وقوته فكانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما غيرانها مع ضخامتها كانت لينة كما فى حديث أنس رضى الله عنه وروى الطبرانى والبزار عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال اردفنى النبى صلى الله عليه وسلم خلفه فى سفر فمامسست شيئا قط ألين من جلده صلى الله عليه وسلم وأصيب عائذ بن عمرو المزنى فى وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره فسلت النبى صلى الله عليه وسلم الدم أى ازاله بيده عن وجهه وصدره ثم دعا له فكان أثر يده عليه الصلاة والسلام الى منتهى مامسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس رواه الحاكم وأبو نعيم وغيرهما وتقدمت جملة من بركات يده صلى الله عليه وسلم فى معجزة ظهور الآثار فيما لمسه *(وأما بياض ابطيه)* صلى الله عليه وسلم فقد جاء فى عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة قال الحافظ ابن حجر واختلف فى المراد من ذلك فقيل المراد ان لونهما كلون جسده الشريف وانه لم يكن تحت ابطيه شعر البتة وقيل كان بداوم تعهده فلا يبقى فيه شعر وعند مسلم فى حديث حتى رأينا عفرة ابطيه ولا تنافى بينهما لان الاعفر مابياضه ليس بناصع وهذا شأن المغابن يكون لها فى البياض دون بقية الجسد وقال الطبرى من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان الابط من جميع الناس متغير اللون الا هو عليه الصلاة والسلام قال الولى العراقى الخصائص لا تثبت بالاحتمال ولم يثبت ذلك بوجه من الوجوه ولا يلزم من ذكر أنس وغيره بياض ابطيه ان لا يكون له شعر لاحتمال انه كان يديم تعهده فان الشعر اذا نتف بقى المكان أبيض وان بقى فيه آثار الشعر وقال عبد الله ابن أرقم الخزاعى رضى الله عنه كنت أنظر الى عفرة ابطيه والعفرة بياض ليس بالناصع فهذا يدل على ان أثر الشعر هو الذى جعل المكان أعفر والا فلو كان المكان خاليا عن نبات الشعر جملة لم يكن أعفر نعم الذى نعتقده انه لم يكن لابطه رائحة كريهة انتهى كلام الحافظ ولى الدين العراقى قال العلامة الزرقانى وقد يمنع دلالته على ماقال بما تقدم عن الحافظ ان شأن المغابن كونها أقل بياضا

من باقي الجسد وروى البزار عن رجل من بني حريش وهم بطن من الانصار قال ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على من عرق ابطيه مثل ريح المسك *(وأما بطنه وظهره)* صلى الله عليه وسلم فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم كان سفاض البطن أي مستوى البطن مع الصدر عظيم مشاش المنكبين والمشاش بضم الميم ومعجمتين رؤس العظام كالركبتين ووصف بعض الصحابة ظهره صلى الله عليه وسلم بقوله اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلا فنظرت الى ظهره كأنه سبيكة فضة وروى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان بعيد ما بين المنكبين أي عريض الصدر فقد روى ابن سعد عن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم رحب الصدر أي واسعه *(وأما قلبه)* الشريف صلى الله عليه وسلم فقد ثبت له من الكمال ما لم يثبت لغيره وقد جعل الله القلوب محل السر والاخلاص الذي هو سر الله يودعه قلب من شاء من عباده فأول قلب أودعه السر قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه أول مخلوق وصورته صلى الله عليه وسلم آخر صورة ظهرت من صور الانبياء فهو أولهم بوجود صورته النورية المخلوقة قبل الانبياء كلها وآخرهم ظهورا في هذا العالم اذ لا نبي بعده وقد جعل الله سبحانه وتعالى اخلاق القلوب اعلاما على اسرار القلوب فمن تحقق قلبه بسر الله اتسعت اخلاقه لجميع خلق الله فيعاملهم برفق ولين على مقتضى الحال فيعامل كل انسان بما يليق بحاله بغاية الرفق حتى العصاة ينهاهم عن معصيتهم ببيان ما يضرهم وما ينفعهم كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاذا لم يفد في كفهم عن المعاصي الا الزجر الشديد عاملهم به وأقام عليهم الحدود ليكفهم عن العود الى ما صدر منهم وذلك من سعة الخلق لانه نفع لهم بل قتال الكفار والبغاة من سعة الخلق ولذلك جعل الله لنبينا صلى الله عليه وسلم جثمانية اختص بها من بين سائر العالمين فتكون خواص جثمانيته آيات دالة على أحوال نفسه الشريفة وعظيم خلقه وتكون أحواله واخلاقه العظيمة آيات على سر قلبه المقدس المطهر ولما كان قلبه صلى الله عليه وسلم أوسع قلب اطلع الله عليه كان هو الاولى أن يكون هو قلب العبد الذي يقول فيه تعالى ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن ومعناه وسع قلبه الايمان بي ومحبتي ومعرفتي والا فمن قال ان الله يحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا من ذلك بالمسيح وحده وقد روى الطبراني عن أبي عتبة الخولاني يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ان لله آنية من أهل الارض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها اليه ألينها وأرقها وكان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء بمنزلة سائر النبيين يضيق صدره من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به كما قال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فلما اسري به زاده الله قوة فاتسع قلبه وانشرح صدره وقد صح ان جبريل عليه السلام شق قلبه صلى الله عليه وسلم واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك أي هذا هو الموضع الذي يتوصل الشيطان منه الى وسوسة الناس ثم غسله في طست وانما خلقت هذه العلقة في ذاته الكريمة ثم استخرجت منه لانها من جملة الاجزاء الانسانية التي اقتضت الحكمة وجودها في الانسان فخلقها تكملة للخلق الانساني فلا بد منها ونزعها أمر رباني طرأ بعد خلقها فاخراجها بعد خلقها ادل على مزيد الرفعة والتعظيم وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقه بدونها وأيضا لو خلق سليما منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته فأظهره الله على يد جبريل ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر وهذا الشق وقع له صلى الله عليه وسلم أربع مرات الاولى في بني سعد وهو ابن أربع سنين عند حليمة السعدية رضي الله عنها والثانية وهو ابن عشر والثالثة عند البعثة والرابعة عند المعراج وذكر بعضهم خامسة ولم تثبت فالاولى والثانية ليتقوى من صغره وينشأ على

قوة الايمان والرحمة والثالثة لتقوى لتحمل أعباء الوحي والرابعة لتقوى على مشاهدة ما أراه الله اياه ليلة الاسراء من عجائب الارض والسماء والشق باقسامه هو المراد بقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك فانه لو لم يشرح لكان ضيقا والقلب اذا ضاق لا يجد لطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد العدو في الابتداء حصل الامن وزال الضيق وانشرح الصدر واتسع وتيسر له القيام باداء العبودية ووجد لطاعة لذة وللايمان حلاوة وههنا نكتة دقيقة لطيفة هي انه تعالى قال حكاية عن موسى عليه السلام رب اشرح لي صدري وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ألم نشرح لك صدرك فاعطى بلا سؤال قال الاستاذ أبو علي الدقاق رضي الله عنه كان موسى عليه السلام مريدا اذ قال رب اشرح لي صدري ونبينا صلى الله عليه وسلم مرادا اذ قال الله له ألم نشرح لك صدرك وفرق بين المريد والمراد *(وأما جماعه)* صلى الله عليه وسلم فقد كان يدور على نسائه أي يجامعهن في الساعة الواحدة من الليل او النهار وهن احدى عشرة قال قتادة بن دعامة لانس بن مالك رضي الله عنه أو كان يطيقه أي الدوران عليهن قال أنس كنا نتحدث انه أعطي قوة ثلاثين وفي رواية أربعين رجلا زاد أبو نعيم من مجاهد كل رجل من رجال الجنة وروى أبو نعيم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع يعني من أهل الجنة وروى الامام أحمد والحاكم عن زيد بن أرقم انه صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة في الاكل والشرب والجماع والشهوة فاذا ضربنا أربعين في مائة بلغت أربعة آلاف وبهذا يندفع ما استشكل من كونه صلى الله عليه وسلم أعطي قوة أربعين فقط وسليمان عليه السلام أعطي قوة مائة رجل أو ألف رجل فان منشأ الاشكال حملهما على رجال الدنيا وليس كذلك بل ما ورد في سليمان عليه السلام محمول على رجال الدنيا لعدم ورود ما يخالف ذلك وفي نبينا عليه السلام على رجال الجنة كما ورد وذلك بأربعة آلاف فقد زاد على سليمان عليه السلام بكثير وزال الاشكال وذكر ابن العربي انه كان له عليه الصلاة والسلام من القوة في الوطء الزيادة الظاهرة على الخلق وكان له في الاكل القناعة فاكثر أكله بلغة ليجمع الله له الفضيلتين في الامور الاعتيادية كما جمع له الفضيلتين في الامور الشرعية وهما ما شارك أمته فيه من التكاليف وما خص به منها ومن كل ما يقربه الى الله تعالى مما لم يطلع عليه أحد من الخلق حتى يكون حاله كاملا في الدارين وروى ابن سعد عن أنس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه التسع في ليلة وروى مرسلا انه صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل عليه السلام بقدر فاكلت منها فاعطيت قوة أربعين رجلا من رجال الجنة ووصله أبو نعيم والديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعين فيه ما في القدر وروى ابن سعد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه شكا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل قلة الجماع فتبسم جبريل حتى تلألأ مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من بريق ثناياه جبريل عليه السلام فقال له أين أنت من أكل الهريسة فان فيها قوة أربعين رجلا وأخذ من هذا وما أشبهه انه يستحب للرجل تناول ما يقوي شهوته لاستكثار الوقاع كالادوية المقوية للمعدة لتعظم شهوتها للطعام وكالادوية المثيرة للشهوة ورده الغزالي بانه صلى الله عليه وسلم انما فعله لانه كان عنده من النساء عدد كثير ويحرم على غيره نكاحهن ان طلقهن أو مات عنهن فكان طلبه القوة لهذا المعنى لا للتمتع والتلذذ مع انه لا يشغل قلبه عن ربه شئ فلا تقاس الملائكة بالحدادين قال وما مثال من يفعل ما يعظم شهوته الا كمن بلي بسباع ضارية وبهائم عادية تنام عنه احيانا فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يراد التخلص منها وروى الدارقطني من حديث حذيفة رضي الله عنه بلفظ أطعمني

جبريل

جبريل الهريسة أشد بها ظهرى وأتقوى بها وروى مثل ذلك من حديث جابر بن سمرة وابن عباس رضى الله عنهم وكلها أحاديث واهية أوردها ابن الجوزى فى الموضوعات بل صرح الحافظ ابن ناصر الدين أيضا بأنها موضوعات فى جزء له سماه رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة وقد حفظ الله النبى صلى الله عليه وسلم من الاحتلام بل جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ما احتلم نبى قط أى لانه من تلاعب الشيطان ولا سلطان له عليهم *(وأما صفة قدمه)* الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد كعلى وهند وأنس رضى الله عنهم بأنه كان شثن القدمين أى غليظ أصابعهما مع غاية النعومة رواه الترمذى وغيره وفى رواية ضخم القدمين وجاء من حديث جابر بن سمرة رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم منهوس القدمين أى قليل لحم العقب فيهما وعن ميمونة بنت كردم الثقفية رضى الله عنها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول أصبع قدميه السبابة على سائر أصابعه رواه الامام أحمد والطبرانى وعلى هذا يحمل ما اشتهر على الالسنة ان سبابة النبى صلى الله عليه وسلم كانت أطول من الوسطى وربما يتوهم بعض الناس ان ذلك فى يديه قال الحافظ ابن حجر لما سئل عنه وهو غلط ممن قاله وانما ذلك فى أصابع رجليه وعن عبد الله بن بريدة رضى الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم أحسن البشر قدما رواه ابن سعد (وأما طوله) صلى الله عليه وسلم فقال على رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل وهو الى الطول أقرب رواه البيهقى ورواه الترمذى بلفظ لم يكن بالطويل ولا بالقصير وروى عبد الله بن الامام أحمد عن على رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب أى المفرط طولا وفوق الربعة اذا جاء مع القوم غمرهم أى زاد عليهم فى الطول فكان فوق كل من معه وروى البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة وهو الى الطول أقرب وفى رواية عند الترمذى عن على رضى الله عنه لم يكن بالطويل الممغط أى المتناهى فى الطول ولا بالقصير المتردد وكان ربعة من القوم وفى رواية عن عائشة رضى الله عنها ولم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب الى الطول الا طاله أو زاد عليه صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما أى يزيد عليهما طولا اكراما من الله حتى لا يزيد عليه أحد صورة فاذا فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الربعة رواه ابن عساكر والبيهقى واختلف فى زيادة طوله صلى الله عليه وسلم هل هو باحداث الله له طولا حقيقة حينئذ ولا مانع منه أو ان ذلك يرى فى أعين الناظرين فقط وجسده باق على أصل خلقته على حد قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم قال الزرقانى وهذا هو الظاهر فهو مثل تطور الولى وذلك كيلا يتطاول عليه أحد صورة كما لا يتطاول معنى فمثل ارتفاعه المعنوى فى عين الناظر فرآه رفعة حسية وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم وروى ابن سبع فى الخصائص انه صلى الله عليه وسلم كان اذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين وحكمته أن لا يزيد أحد عليه صورة كما تقدم ووصفه ابن أبى هالة بأنه صلى الله عليه وسلم بادن متماسك أى معتدل الخلق كأن أعضاءه يمسك بعضها بعضا من غير ترجرج وفسره بعضهم بأنه ليس بمسترخى البدن (وأما شعره) الشريف صلى الله عليه وسلم فعن قتادة قال سألت انسا رضى الله عنه عن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شعر بين شعرين لا رجل ولا سبط أى مسترسل والمراد ان شعره ليس نهاية فى الجعودة وهى تكسره الشديد ولا فى السبوطة وهى عدم تكسره وتثنيه بالكلية بل كان وسطا بينهما وخير الامور أوساطها قال الزمخشرى الغالب على العرب جعودة الشعر وعلى العجم سبوطته فقد أحسن الله برسوله صلى الله عليه وسلم الشمايل وجمع فيه ما تفرق فى الطوائف من الفضائل وكان شعر رأسه صلى الله عليه وسلم يضرب الى منكبيه وفى رواية الى أنصاف أذنيه وجمع بأنه تارة يكون الى

نصف الاذن وتارة الى المنكب وفى رواية كان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة والجمة هى الشعر الذى نزل الى المنكبين والوفرة ما نزل الى شحمة الاذنين وملخص ذلك ان شعره تارة يكون كذا وتارة كذا فلا تنافى بين الروايات وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره وكان المشركون يفرقون رؤسهم وكان أهل الكتاب يسدلون رؤسهم وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ تألفا لهم ثم فرق صلى الله عليه وسلم رأسه قال القرطبى حبه لموافقتهم كان أولا فى الوقت الذى كان يستقبل فيه قبلتهم ليتألفهم حتى يصغوا الى ما جاء به فلما غلبت عليهم الشقوة ولم ينفع فيهم ذلك أمر بمخالفتهم فى أمور كثيرة كقوله ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم وسدل الشعر ارساله والمراد به تركه على حاله يشبه شعر الناصية المقصوص وأما الفرق فهو فرق الشعر بعضه من بعض روى أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت أنا فرقت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه أى شعر رأسه قال العلماء والفرق سنة لانه الذى رجع اليه صلى الله عليه وسلم والصحيح جواز الفرق والسدل معا لكن الفرق أفضل وروى الترمذى عن أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها قالت قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمة تعنى يوم فتح مكة وله أربع غدائر أى ذوائب وفى رواية انها رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا ضفائر أربع قال فى شرح المصابيح لم يحلق رأسه صلى الله عليه وسلم فى سنى الهجرة الا عام الحديبية ثم عام القضاء ثم فى حجة الوداع فليعتبر الطول والقصر منه بالمسافات الواقعة منه فى تلك الازمنة وأقصرها ما كان بعد حجة الوداع فانه توفى بعدها بثلاثة أشهر وأما شعر لحيته صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم أسود اللحية حسن الشعر كما رواه البيهقى وروى مسلم من حديث ابن سيرين قال سألت أنس بن مالك رضى الله عنه هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب فقال لم يبلغ الخضاب كان فى لحيته عليه الصلاة والسلام شعرات بيض وفى رواية له لم ير من الشيب الا قليلا لو شئت ان أعد شمطات كن فى رأسه فعلت وجاء ان الذى ابيض فى لحيته ورأسه كان سبع عشرة أو ثمانى عشرة شعرة أو عشرين شعرة وفى رواية ما شانه الله ببيضاء وانما كان كذلك لان النساء يكرهن الشيب غالبا ومن كره من النبى صلى الله عليه وسلم شيئا كفر فرحمهن الله بعدم شيبه ولان فيه ازالة لبهجة الشباب ورونقه والحاقه بالشيوخ الذين يكون الشيب فيهم دالا على ضعف القوة ومفارقة قوة الشباب والنشاط والملاق الشين على الشيب يحمل على هذه الاعتبارات فلا ينافى انه وقار ونور روى ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه مرفوعا الشيب نور من خلع الشيب فقد خلع نور الاسلام وروى الديلمى عن أنس مرفوعا أيما رجل نتف شعرة بيضاء متعمدا صارت رمحا يوم القيامة يطعن به وروى ابن سعد ان حجاما أحد من شاربه صلى الله عليه وسلم فرأى شيبة فى لحيته فأهوى اليها فأمسك صلى الله عليه وسلم يده وقال من شاب شيبة فى الاسلام كانت له نورا يوم القيامة وروى البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا الشيب نور المؤمن لا يشيب رجل شيبة فى الاسلام الا كانت له بكل شيبة حسنة ورفع بها درجة وقول أنس رضى الله عنه انه لم يبلغ الخضاب يدل على انه صلى الله عليه وسلم ما خضب لحيته ولا يعارضه ما فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة فانه محمول عند العلماء على صبغ الثياب لما فى سنن أبى داود كان يصبغ بالورس والزعفران حتى عمامته وحمله بعضهم على عمومه وقال يصبغ شعره واستدل بما فى السنن انه كان يصفر بهما لحيته وأجيب باحتمال انه كان مما يتطيب به لا انه كان يصبغ بهما والحاصل انه اختلف العلماء هل خضب النبى صلى الله عليه وسلم شيبه أم لا قال القاضى عياض منعه الاكثرون وهو مذهب مالك أى ووافق أنسا على الانكار

وتأول حديث ابن عمر بحمله على الثياب لا الشعر وقال النووي المختار انه صبغ شعره حقيقة لان التأويل خلاف الاصل لكنه فعل ذلك في وقت وتركه في معظم الاوقات فأخبر كل بما رأى وكان صلى الله عليه وسلم اذا ادهن لم يتبين شيبه لتفرقه وكان كثير شعر اللحية وكان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته بالماء وقد وصفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأنه ذو مسربة وفسرت بخيط الشعر بين الصدر والسرة ووصفه أيضا ابن أبي هالة رضي الله عنه بأنه كان صلى الله عليه وسلم موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين أي لم يكن عليهما شعر اشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل أي تيمنا وتبركا وجاء انه صلى الله عليه وسلم لم يحلق رأسه في غير نسك فتبقية الشعر في الرأس وعدم ازالته الا لنسك اقتداء به صلى الله عليه وسلم سنة قال في المواهب ومنكرها مع علمه يجب تأديبه ومن لم يستطع التبقية يباح له ازالته وعن محمد بن سيرين قال قلت لعبيدة السلماني عندنا شئ من شعر النبي صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنس فقال لان تكون عندي شعرة منه أحب الي من الدنيا وما فيها (وأما مشيه) صلى الله عليه وسلم فعن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا أي تمايل الى قدام كأنما ينحط من صبب أي كأنما ينزل في موضع منحدر والمراد ان مشيه ليس فيه تبختر ولا تصنع رواه الترمذي وروى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها وعند الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحدا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى له أي كأنما تجمع وتجعل مطوية تحت قدميه مع كونه على غاية من التأني وعدم العجلة أي بالنسبة له لا لمن يماشيه بدليل قول أبي هريرة رضي الله عنه وانا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث أي غير مبال بجهدنا أو غير مسرع بحيث تلحقه مشقة اي فكان يمشي على هينته ويقطع ما نقطع بالجهد من غير جهد منه وروى ابن سعد عن يزيد بن مرثد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى أسرع حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه قال الزمخشري أراد السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت امتثالا لقوله تعالى واقصد في مشيك أي اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا يدب دبيب المتماوتين ولا يثب وثب الشياطين وروى انه كان اذا مشى يمشي مجتمعا أي قوي الاعضاء غير مسترخ في المشي وعند ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما كان يمشي مشيا يعرف فيه انه ليس بعاجز ولا كسلان وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري للملائكة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ظل في شمس ولا قمر لانه كان نورا رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان وروى ابن المبارك وابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ظل ولم يقم مع الشمس قط الا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوءه ضوء السراج قال ابن سبع كان صلى الله عليه وسلم نورا فكان اذا مشى في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل لان النور لا ظل له ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعلني نورا (وأما لونه) الشريف الازهر صلى الله عليه وسلم فقد وصفه جمهور أصحابه الواصفين له بالبياض منهم أبو بكر وعمر وعلي وأبو جحيفة وابن عمر وابن عباس وابن أبي هالة والحسن ابن علي والطفيل بن واثلة وابن مسعود والبراء بن عازب وعائشة وأنس رضي الله عنهم ورواياتهم في الصحيحين وغيرهما ففي بعضها كان أبيض مليحا وفي بعضها أبيض مليح الوجه وفي رواية لابي الطفيل ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره وفي شعر أبي طالب

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وفى رواية عن على رضى الله عنه أبيض مشرب بحمرة وقال أبو هريرة رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صيغ من فضة أى كأنما خلق منها والتشبيه بالفضة باعتبار ما كان يعلو بياضه من الاضاءة ولمعان الانوار والبريق الساطع فلا ينافى أنه مشرب بحمرة وفى رواية لانس أزهر اللون وهو بمعنى قول على أبيض مشرب بحمرة وفى رواية لانس أزهر اللون ليس بأبيض أمهق أى شديد البياض كلون الجص وفى رواية ولا آدم أى شديد السمرة قال الحافظ ابن حجر وتبينا بمجموع ما يؤخذ من الاحاديث المتفرقة أنه ليس بالابيض الشديد البياض ولا بالآدم الشديد الادمة وانما يخالط بياضه حمرة والعرب قد تطلق على من كان كذلك أسمر ولهذا جاء فى بعض روايات أنس رضى الله عنه كان أسمر اللون فالمراد ان بياضه يميل الى السمرة أى فيه حمرة قليلة وفى الشفا من قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان أسود يقتل (وأما طيب ريحه وعرقه) ودمه وفضلاته صلى الله عليه وسلم فقد كانت الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم يمس طيبا روى ابن مردويه عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسرى به ريحه ريح عروس وأطيب من ريح عروس والمراد أنه ازداد طيب ريحه بعد الاسراء فلا ينافى أنه طيب الرائحة من حين ولد كما رواه أبو نعيم والخطيب ان أمه آمنة لما ولدته قالت ثم نظرت اليه فاذا هو كالقمر ليلة البدر ريحه يسطع كالمسك الاذفر وروى الامام أحمد عن أنس رضى الله عنه ما شممت ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية للبخارى ومسلم ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة النبى صلى الله عليه وسلم واذا أودع الله بعض الحيوان محاسن بعض المشمومات كالمسك من الغزال والزباد من الهرة فلا بدع فى أن يدع فى أشرف خلقه ما هو أطيب من ذلك فى نفس خلقته وفى رواية للترمذى ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أبو يعلى والطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى زوجت ابنتى وأنا أحب أن تعيننى بشئ فقال ما عندى شئ ولكن اذا كان غدا فأتنى بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة وآية ما بينى وبينك أن أجيف ناحية الباب فلما كان الغد أتاه بذلك فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يسلت العرق عن ذراعيه حتى امتلأت القارورة فقال خذها وأمر ابنتك أن تغمس هذا العود فى القارورة فتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين وروى الدارمى والبيهقى وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كان فى رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال أى خارقة للعادة منها أنه لم يكن يمر فى طريق فيتبعه احد الا عرف أنه سلكه من طيب عرقه وعرفه ولم يكن يمر بحجر الا سجد له ولله در من قال

ولو أن ركبا يمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل به الركب

وروى أبو يعلى والبزار عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر فى طريق من طرق المدينة وجدوا منه أى الطريق رائحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق قال بعض العارفين ان القلب الطاهر الحى يشم منه رائحة الطيب كما أن القلب الخبيث الميت يشم منه رائحة النتن لان نتن القلب والروح يتصل بباطن البدن أكثر من ظاهره والعرق يفيض من الباطن فالنفس الطيبة يقوى طيبها ويفوح عرف عرقها حتى يبدو على الجسد والخبيثة بضدها وما أحسن قول من قال

يروح على غير الطريق التى غدا * عليها فلا ينهى علاه زمانه

تنفسه في الوقت أنفاس عطره * فمن طيبه طابت له طرقاته
تروح له الارواح حيث تنسمت * له سحرا من حبه نسماته

وروى ابن عساكر وأبو نعيم والخطيب باسناد حسن عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت قاعدة أغزل والنبي صلى الله عليه وسلم يخصف نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا فبهت فقال مالك بهت قلت جعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم انك أحق بشعره حيث يقول ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل

واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت بروق العارض المتهلل

هكذا اقتصر عليه العلامة الزرقاني في شرح المواهب وزاد في شرح الشهاب الخفاجي على الشفا قالت عائشة رضي الله عنها فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين عيني وقال ماسررت بشئ كسروري بهذا وقوله غبر حيضة بضم الغين وشد الباء ومعناه ان أمه لم تحمل به في آخر الحيض بل بعد انقضائه وحصول الطهر وهو محمود مصلح للولد به يكون صحيح الجبلة محكم البنية وحيضة بكسر الحاء وقوله وفساد مرضعة أي ولا حملت عليه في حال رضاعه فيفسد رضاعه والمغيل بوزن مكرم بالكسر من الغيل بفتح المعجمة وسكون التحتية وهي ان ترضعه وهي حامل وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأنورهم لونا لم يصفه واصف قط الا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤة أي في البياض والصفاء وأطيب من المسك الاذفر أي طيب الرائحة وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا أي نام وقت القائلة فعرق فجاءت أمي أم سليم بنت ملحان الانصارية رضي الله عنها بقارورة فجعلت تسلت العرق وتجعله فيها قال القاضي عياض كانت محرما له من قبل الرضاع فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم ماهذا الذي تصنعين قالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وفي رواية لطيبنا وهو أطيب الطيب وفي رواية كان صلى الله عليه وسلم يدخل بيت أم سليم وليست فيه فينام على فراشها أي لعلمه برضاها وفرحها به قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها فقيل لها هذا النبي صلى الله عليه وسلم نائم في بيتك على فراشك فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع صلى الله عليه وسلم فقال ماتصنعين ياأم سليم قالت يارسول الله نرجو بركته لصبياننا قال أصبت والعتيدة كالصندوق الصغير الذي تترك فيه المرأة مايعز عليها من متاعها وقيل حقة للمرأة تعد فيها الطيب وفي رواية قالت هذا عرقك ادوف أي أخلط به طيبي وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت كفه صلى الله عليه وسلم ألين من الحرير وكأن كفه كف عطار مسها الطيب أولم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها أي طيبا خلقيا خصه الله به معجزة وتكرمة ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها وروى الطبراني عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدي جلده فأتعرفه بعد في يدي وانه لاطيب من ريح المسك وفي الشفا والمواهب أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يتغوط انشقت الارض وابتلعت بوله وغائطه وفاحت لذلك رائحة طيبة ولم يطلع على مايخرج منه بشر قط يعني اذا بال أو تغوط على الارض فلا ينافي ذلك مارواه الحاكم والدارقطني والطبراني وأبو نعيم عن أم أيمن رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت مافيها وأنا لا أشعر أنه بول أي لطيب ريحه فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم قال ياأم أيمن قومي فأهريقي مافي تلك الفخارة فقلت

فدوانه شربت ما ام افضل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال أما والله لا يوجعك بطنك أبدا وروى عبد الرزاق وأبو داود عن أميمة بنت عباد بن عبد الله التميمي وأمها رقيقة بنت خويلد أخت خديجة رضي الله عنها فرقية خالة السيدة فاطمة رضي الله عنها وكانت أميمة رضي الله عنها صحابية من المبايعات قالت كان للنبي صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يبول فيه وعيدان بفتح المهملة واسكان التحتية ومهملة مفتوحة جمع عيدانة بالهاء وهي الطوال من النخل وكان يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شئ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما وكانت أم حبيبة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وكانت بركة جاءت معها من الحبشة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم أين البول الذي كان في القدح قالت شربته قال صحة يا أم يوسف أي جعله الله صحة فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه وصحح ابن دحية انهما قصتان احداهما قصة أم أيمن والثانية قصة بركة أم يوسف قال في المواهب وقد وضح ان بركة أم يوسف غير بركة أم ايمن لان أم يوسف كانت تخدم أم حبيبة رضي الله عنها وجاءت معها من الحبشة وأم ايمن هي مولاته صلى الله عليه وسلم وحاضنته قال القاضي عياض والنووي حديث شرب المرأة البول صحيح وفيه دلالة على طهارة بوله وكذا سائر فضلاته صلى الله عليه وسلم وحديث شرب البول كاف في الاحتجاج لكل الفضلات قياسا وكذا حديث الدم الذي شربه عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وروى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله انك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئا من الاذى فقال يا عائشة وما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شئ وروى ابن سبع عن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال صحبته صلى الله عليه وسلم في سفر فلما أراد قضاء الحاجة تأملته قد دخل مكانا فقضى حاجته فدخلت الموضع الذي خرج منه فلم أر له أثر غائط ولا بول ورأيت في ذلك الموضع ثلاثة أحجار فأخذتهن فوجدت لهن رائحة طيبة وعطرا أي طيبا وكانت الصحابة رضي الله عنهم يتبركون بدمه صلى الله عليه وسلم وشعره وماء وضوئه وجميع آثاره وروى البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني الدم بعد فراغه من الحجامة فقال اذهب يا عبد الله فغيبه وفي رواية اذهب بهذا الدم فواره حيث لا يراه أحد فذهبت فشربته ثم أتيته صلى الله عليه وسلم فقال ما صنعت قلت غيبته قال لعلك شربته قلت شربته وفي رواية قلت جعلته في أخفى مكان ظننت انه خاف عن الناس قال لعلك شربته قلت شربته قال ويل لك من الناس وويل للناس منك فقوله ويل لك للتحسر والتألم وذلك اشارة الى محاصرته وتعذيبه وقتله وصلبه على يد الحجاج وقوله وويل للناس منك اشارة لما أصابهم من حروبه ومحاصرة مكة بسببه وقتل من قتل وما أصاب أمه وأهله من المصائب وما لحق قاتليه من الاثم العظيم وتخريب الكعبة فهو بيان لما تسبب عن شرب دمه فانه بضعة من النبوة نورانية قوت قلبه حتى زادت شجاعته وعلت همته عن الانقياد لغيره ممن لا يستحق امارة فضلا عن الخلافة وفي رواية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حملك على ذلك قال قد علمت ان دمك لا تصيبه نار جهنم فشربته لذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمسك النار ومسح على رأسه وجاء في رواية ان ابن الزبير رضي الله عنهما لما شرب دمه صلى الله عليه وسلم تضوع فمه مسكا وبقيت رائحته في فمه الى ان صلب بعد قتله رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وكانت خلافته بمكة تسع سنين قال الامام مالك رضي الله عنه وكان أحق بها من عبد الملك وأبيه مروان وروى الزبير بن بكار انه حين ولدته أمه رآه صلى الله عليه وسلم فقال هو هو فسمعته أمه فأمسكت عن رضاعه فقال أرضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب في ثياب ليمنعن البيت وليقتلن دونه وهذا مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ووقع كما أخبر فقد بويع له بالخلافة سنة

خمس وستين بعد وفاة معاوية فأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراقين وخراسان وحج بالناس ثمان سنين حتى ثارت الفتنة بينه وبين عبد الملك بن مروان فبعث اليه الحجاج فحاصره ستة أشهر وسبعة عشر يوما حتى لم يبق معه أحد فقاتل حتى قتل رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين وعمره ثنتان وسبعون سنة وأيام وروى الشعبي قال هاج الدم برسول الله صلى الله عليه وسلم فحجمه أبو طيبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشكموه فأعطوه دينارا وقال لابن الزبير واره يعني الدم فتوارى ابن الزبير رضي الله عنهما فشرب الدم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله فقال اما انه لا تصيبه النار أو لا تمسه النار قال الشعبي فقيل لابن الزبير كيف وجدت طعم الدم فقال اما الطعم فطعم العسل وأما الرائحة فرائحة المسك وهذا من باب قلب الاعيان الذي عد من معجزاته صلى الله عليه وسلم وروى ابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حجم النبي صلى الله عليه وسلم غلام لبعض قريش فلما فرغ من حجامته أخذ الدم فذهب به من وراء الحائط فنظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا فحسا أي شرب دمه حتى فرغ ثم أقبل فنظر صلى الله عليه وسلم في وجهه فقال ويحك ما صنعت فقلت غيبته في بطني فقال صلى الله عليه وسلم اذهب فقد أحرزت نفسك من النار ولا منافاة لاحتمال تعدد الواقعة وفي سنن سعيد بن منصور أن مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه يوم أحد مص جرحه حتى أنقاه ولاح بعد المص أبيض فقال مجه فقال لا والله لا أمجه أبدا ثم ازدرده أي ابتلعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا فاستشهد يومئذ بأحد فظهر صدق قوله صلى الله عليه وسلم انه من أهل الجنة وفي رواية انه قال من سره أن ينظر الى رجل خالط دمي دمه فلينظر الى مالك بن سنان (وكان صلى الله عليه وسلم) يستتر عند البراز وغيره فمن تستره وحسن أدبه ما دل عليه قول عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط رواه ابن ماجه والترمذي وعن علي رضي الله عنه قال أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يغسله غيري فانه لا يرى أحد عورتي الا طمست عيناه وروى الحاكم وأبو عوانة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما منذ أنزل عليه القرآن وفي رواية قالت من حدثكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه ما كان يبول الا قاعدا وفي رواية الا جالسا والمراد من حدثكم ان ذلك عادته فلا ينافي ما صح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قائما والسباطة المزبلة وموضع القمامة والاوساخ فهذا كان منه صلى الله عليه وسلم للتشريع وبيان الجواز أو لكونه لم يجد في السباطة المذكورة موضعا خاليا عن الاوساخ يجلس فيه وأيضا عائشة رضي الله عنها ما شاهدت هذه الحالة فأخبرت بما شاهدته من أحواله المستمرة وعادته الدائمة وقيل السبب في بوله قائما ما روي عن الامامين الشافعي وأحمد رضي الله عنهما ان العرب كانت تستشفي لوجع الصلب بالبول قائما فلعله كان به وجع صلب وروى البيهقي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال انما بال صلى الله عليه وسلم قائما لجرح كان بمأبضه والمأبض بهمزة ساكنة بعدها موحدة مكسورة ثم ضاد معجمة باطن الركبة فكأنه لم يتمكن لاجله من القعود وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يدخل الخلاء قال اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخبائث أي ذكران الشياطين واناثهم وكان عليه الصلاة والسلام يستعيذ اظهارا للعبودية والا فهو معصوم من الشياطين كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويجهر بذلك للتعليم وكان اذا أراد قضاء الحاجة لا يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض واذا خرج من الخلاء قال غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني الاذى وعافاني منه وكان يقول اذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره وبقية الآداب شهيرة

فلا حاجة الى الاطالة بها والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم ما أكرمه الله به من الأخلاق الزكية والاوصاف المرضية زيادة على ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه واعتدال حركاته وسكناته فمن ذلك ما خصه الله به من كمال العلم والحلم والصبر والشكر والزهد والعدل والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة وغير ذلك من الاخلاق الحميدة التي جماعها حسن الخلق وقد اتصف بم اجميعها صلى الله عليه وسلم ونحن اذا شاهدنا من اتصف بصفة او صفتين وجدناه يعظم قدره ويضرب به الامثال ويتقرر له بذلك الوصف في القلوب مكرمة يتفرد بها كما تراه في اشتهار حاتم بالكرم وكسرى بالعدل وحسان بالفصاحة وعنتر بالشجاعة فيقولون أجود من حاتم واعدل من كسرى وأفصح من حسان وأشجع من عنتر فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل الصفات الحميدة الى ما لا يأخذه عد ولا احصاء ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة وانما يكون بتفضل الكبير المتعال ومن تأمل في صفاته صلى الله عليه وسلم وجده حائزا لجميع صفات الكمال محيطا بشتات محاسنها بلا خلاف بين نقلة الاخبار من ثقات الرجال بل بلغ ذلك مبلغ القطع بالتواتر لا يشك فيه الا مخذول مستغرق في بحار الضلال وناهيك بقوله تعالى له وانك لعلى خلق عظيم وقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ولنشرع في ذكر جملة من أخلاقه العظيمة فنقول (أما وفور عقله) وحلمه وذكائه صلى الله عليه وسلم فلا مرية انه كان أعقل الناس وأذكاهم فطنة وفهما ومن تفكر في تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم بحسن تصرفه وسياسته العامة والخاصة لم يشك في رجحان عقله وثقوب فهمه وقد أطلعه الله على ظواهر أحوال الخلائق وخفياتها حتى يصلحها ويرشدهم للاحسن منها وهو مبعوث الى سائر العباد داع الى الله وهذا انما يكون باصلاح بواطنهم وظواهرهم وهو يتوقف على معرفة ذلك فموسى عليه الصلاة والسلام كان ينظر في أحكام أمته بالظاهر والخضر عليه السلام أعطاه الله العلم بباطن الامر والنظر اليه ونبينا صلى الله عليه وسلم أعطاه الله العلم بالظاهر والباطن فكان ينظر الى ظواهر الخلائق وبواطنهم ويعامل كل انسان بما يستدعيه حاله من رعاية ظاهره أو باطنه فكان يسوس الخلق على حسب اختلاف أحوالهم حتى انه يأتيه الاعرابي الجلف فيتلطف به ويسوسه حتى ينطلق بالحكمة في أقرب زمن وكانت الاعراب كالوحش الشارد فساسهم واحتمل جفاهم وصبر على اذاهم الى أن انقادوا اليه واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه اهلهم وآباءهم وأبناءهم واختاروه على أنفسهم وهجروا في رضاه أوطانهم وأحباءهم وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل انسان منهم على قدر عقله ويفتيه على حسب حاله وهذا من أعظم ما أفاضه صلى الله عليه وسلم عليهم من العلم وقرره لهم من الشرع وكل ذلك دون تعلم سبق له من غيره ولا ممارسة تقدمت لشيء من ذلك ولا مطالعة للكتب فمن تأمل ذلك كله تحقق انه صلى الله عليه وسلم اعقل العالمين قال وهب بن منبه قرأت في أحد وسبعين كتابا من كتب الله المنزلة فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وفي رواية فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا أي لم يعطهم جميعا منه شيئا نسبته الى عقله الا كنسبة حبة بالنسبة الى رماله أولما كان عقله عليه الصلاة والسلام أوسع العقول اتسعت أخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يضيق عن شيء فمن ذلك اتساع حلمه في الحلم والعفو مع القدرة وصبره على ما يكره وغير ذلك من كريم أخلاقه (اما صبره) فحسبك فيه صبره عليه الصلاة والسلام على الكافرين وعفوه عن المقاتلين المحاربين له مع ما ناله منهم من الجراح

والجهد

والجهد بحيث كسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج وجهه يوم أحد حتى صار الدم يسيل على وجهه الشريف فصار ينشفه ويقول لو وقع شئ منه على الارض لنزل عليهم العذاب من السماء وشق ذلك على أصحابه وقالوا لو دعوت عليهم فقال انى لم أبعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة أى لمن أراد الله اخراجه من الكفر الى الايمان ثم قال اللهم "اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وفى رواية اللهم "اهد قومى وهو المراد من قوله اللهم "اغفر لهم فان المغفرة لا تكون الا بعد الهداية فالدعا بالمغفرة متضمن للدعاء لهم بالهداية وفى الشفاء عن عمر رضى الله عنه انه قال فى بعض كلامه بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول الا خيرا فقلت اللهم "اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وههنا دقيقة وهى ان حلمه صلى الله عليه وسلم وعفوه انما هو فيما يتعلق بنفسه الشريفة وأما اذا انتهكت حرمات الله فكان يغضب أشد الغضب ولهذا لما شغله المشركون عن الصلاة يوم الخندق قال اللهم "املأ بطونهم نارا وفى رواية ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا فالصلاة عماد الدين فرجح حق خالقه ودعا على من شغله عنها بخلاف شج الوجه فانه حقه صلى الله عليه وسلم فعفا فالصبر على الاذى هو جهاد النفس الاكبر وقد جبل الله النفس على التألم بما يفعل بها وكان الكفار والمنافقون يفعلون معه صلى الله عليه وسلم كثيرا من الاذى فكان يصبر ويعفو اذا كان فى حق نفسه لما علم من جزيل ثواب الصابرين والعافين أما اذا كان لله فانه يمتثل فيه أمر الله من الشدة كما قال تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (وأما حلمه صلى الله عليه وسلم) وعفوه مع القدرة فيدل عليه ما رواه الطبرانى وابن حبان والحاكم والبيهقى ان زيد بن سعنة بفتح السين المهملة وسكون العين المهملة وفتح النون بعدها هاء أحد أحبار اليهود الذين أسلموا قال لم يبق من علامات النبوة شئ وفى رواية ما بقى شئ من نعت محمد فى التوراة الا وقد عرفته فى وجه محمد حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت أتلطف له توصلا لان أخالطه فأعرف حلمه وجهله فابتعت أى اشتريت منه تمرا الى أجل وفى رواية لابى نعيم فأعطاه زيد بن سعنة ثمانين مثقالا ذهبا فى تمر معلوم الى أجل معلوم قال زيد بن سعنة فلما كان قبل مجيء الاجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه على عنقه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تقضينى يا محمد حقى فوالله انكم يابنى عبد المطلب مطل فقال عمر وفى رواية أبى نعيم فنظر اليه عمر وعيناه تدوران فى وجهه كالفلك المستدير فقال أى عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وتفعل به ما أرى فوالله لولا ما أحاذر فوته أى من بقاء الصلح بين المسلمين وبين قومه لضربت بسيفى رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر بسكون وتؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر أن تأمرنى بحسن الاداء وتأمره بحسن التباعة وفى رواية تأمرنى بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى ثم قال لقد بقى من أجله ثلاث فتكرم صلى الله عليه وسلم بالتعجيل وقال اذهب يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما روعته أى فى مقابلة ترويعك له ففعل ذلك عمر رضى الله عنه قال زيد فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فقد اختبرتهما أى بما رأيت من فعله صلى الله عليه وسلم فاشهد يا عمر انى قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وفى رواية ما حملنى على ما رأيتنى صنعت يا عمر الا انى كنت رأيت صفاته التى فى التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف فى التوراة وانى أشهدك ان هذا التمر وشطر مالى

في قراءة السلمي وأسلم هو وأهل بيته كلهم الا شيخا غلبت عليه الشقوة وروى أبو داود والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ثم قام فقمنا حين قام فنظرنا الى اعرابي قد أدركه فجذبه بردائه فحمر رقبته وكان رداء خشنا فالتفت اليه صلى الله عليه وسلم فقال له الاعرابي احملني على بعيري هذين أي حملهما مالي طعاما من مال الله الذي عندك فانك لا تحملني من مالك ولا من مال أبيك فقال له صلى الله عليه وسلم لا وأستغفر الله لا وأستغفر الله لا وأستغفر الله أي لا أحملك من مالي ولا من مال أبي وفي رواية المال مال الله وأنا عبده أي أتصرف فيه باذنه وأعطي من يأمرني باعطائه ثم قال لا أحملك حتى تقيدني من جبذتك التي جبذتني أي تمكنني من القود من نفسك فأفعل معك مثل ما فعلته معي من جبذ ردائي قال الاعرابي والله لا أقيد كها قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك صلى الله عليه وسلم أي تطمنا قلبه اذ ابدى بالمسرة تعجبا لسروره واعتبارا من حسن ظنه به وانه لم يفعل ذلك تقيسا له وهذا يقتضي انه كان مسلما غير منافق غير ان فيه جفاء البادية ثم دعا صلى الله عليه وسلم رجلا وفي رواية دعا عمر فقال احمل له على بعيريه هذين على بعير تمرا وعلى الآخر شعيرا وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه اعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة قال أنس رضي الله عنه نظرت الى صفحة عاتقه وقد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته وفي رواية مسلم وانشق البرد وذهبت حاشيته في عنقه ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء والعطاء المذكور يحتمل انه تحميل البعيرين المذكورين آنفا ويحتمل انه غيره وتكون هذه قصة أخرى وفي هذا بيان حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره على الاذى في النفس والمال والتجاوز عن جفاء من يريد تألفه على الاسلام وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها وقد سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت لم يكن فاحشا ولا متفحشا أي متكلفا للفحش أي لم يقم به فحش طبعا ولا تكلفا ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ومثل ذلك روي عن أنس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم وروى الحاكم وغيره عن عائشة رضي الله عنها مالعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما بذكر صريح اسمه وما ضرب بيده شيئا قط الا أن يضرب في سبيل الله ولا سئل شيئا قط فمنعه الا أن يسئل مأثما ولا انتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم وفي رواية عن أنس رضي الله عنه فان انتهكت حرمات الله كان أشد الناس غضبا وقد وصفه الله بحسن الخلق في قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وأمر بقوله ادفع بالتي هي أحسن الآية روي أن اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان فصيح اللسان قوي الجنان وكان قد صنع شعرا مشتملا على حكمة وظن أن أحدا لا يقدر أن يأتي بما فيه من الحكمة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع الي أو صلك ثم قال

لحى ذوي الاضغان تسلي نفوسهم * تحيتك الحسنى فقد ترفع النغل

فان هتفوا بالقول فاعف تكرما * وان خنسوا عنك الكلام فلا تسل

فان الذي يؤذيك منه استماعه * كأن الذي قالوا وراءك لم يقل

فقرأ عليه صلى الله عليه وسلم ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم فقال الاعرابي ليس هذا من كلام البشر وكان سبب اسلامه رضي الله عنه ومما يدل على كمال حلمه وصبره وعفوه صلى الله عليه وسلم اتساع خلقه للمنافقين قال ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون من الرجال ثلثمائة ومن النساء مائة وسبعين وكانوا

يؤذونه صلى الله عليه وسلم اذا غاب و يتملقون له اذا حضر وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى يؤيدها العناية الربانية وكان صلى الله عليه وسلم كلما أذن له فى التشديد عليهم فتح لهم بابا من الرحمة لانه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين فكان يستغفر لهم ويدعو لهم حتى أنزل الله تعالى عليه استغفر لهم أولا تستغفر لهم فقال عليه الصلاة والسلام خيرنى ربى فاخترت أن أستغفر لهم ولما قال الله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال صلى الله عليه وسلم فوالله لازيدن على السبعين وفى رواية فأنا أستغفر سبعين سبعين سبعين الى أن أنزل الله عليه فى سورة المنافقين سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فترك الاستغفار وروى ابن منده أن الحباب بن عبد الله بن أبى ابن سلول جاء يستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى قتل أبيه لما بلغه بعض مقالاته فى النبى صلى الله عليه وسلم لنفاقه وكان ابنه صحابيا صالحا فأبى صلى الله عليه وسلم أن يأذن له فى قتله وأمره ببره وحسن صحبته وروى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما لما مرض عبد الله بن أبى جاءه النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال قد فهمت ماتقول فامنن على وكفنى فى قميصك وصل على ففعل فكان طلب ذلك منه نفاقا لاعن حقيقة ايمان ولما مات كفنه النبى صلى الله عليه وسلم فى ثوب خلعه عن بدنه صلى الله عليه وسلم وصلى عليه تطييبا لقلب ابنه وتألفا لبقية المنافقين ولما قيل له صلى الله عليه وسلم فى ذلك قال ومايغنى عنه قميصى وانى لارجو أن يسلم بذلك ألف من قومه روى أن ألفا من الخزرج أسلموا لما رأوه يستشفع بثوبه و يتوقع اندفاع العذاب عنه وجاء أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أراد النبى أن يصلى عليه منعه وصار يجذبه بثوبه و يقول يارسول الله أتصلى على رأس المنافقين فنثر ثوبه من عمر رضى الله عنه أى جذبه منه بقوة وقال اليك عنى ياعمر وصلى عليه فخالف مؤمنا فى حق عدو منافق كل ذلك رحمة منه لامته لكمال شفقته صلى الله عليه وسلم على من تعلق بطرف من الدين وليطيب قلب ولده الصحابى الصالح ولتألف الخزرج لرياسته فيهم لانه لولم يجب ابنه الى ماسأل وترك الصلاة عليه قبل ورود النهى الصريح لكان سبة على ابنه وعارا على قومه فاستعمل صلى الله عليه وسلم أحسن الامرين فى السياسة حتى كشف الله الغطاء فأنزل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية فما صلى على منافق بعد ولا قام على قبره وهذه من الآيات التى جاءت موافقة لرأى عمر رضى الله عنه وقيل انما كفنه صلى الله عليه وسلم فى قميصه مكافأة له لانه ألبس العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم قميصا حين أسر يوم بدر فكافأه بقميصه حتى لايكون له على عمه منة وفى ذلك كله بيان عظيم مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم فقد علم ماكان من هذا المنافق من الايذاء له كقوله ليخرجن الاعز منها الاذل وقوله لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وتوليه كبر الافك ومع ذلك كله قابله بالحسنى وألبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال مجمع بن جارية رضى الله عنه مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أطال الصلاة على جنازة قط ماأطال على جنازة ابن أبى ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه وفى البخارى عن عمر رضى الله عنه لما صلى النبى صلى الله عليه وسلم على ابن أبى قال فصلينا معه قال أبونعيم ففيه أن عمر رضى الله عنه ترك رأى نفسه وتابعه صلى الله عليه وسلم ومن مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم عفوه عن لبيد بن الاعصم اليهودى حين صنع له صلى الله عليه وسلم سحرا فأعلمه الله به فأرسل واستخرجه من بئر ذروان ولم يعاقبه وقال قد شفانى الله وكرهت أن أثير شرا وعفا عن اليهودية التى سمت له الشاة بالنسبة لنفسه صلى الله عليه وسلم فلا ينافى أنه قتلها بعد ذلك لما مات بشر بن البراء قصاصا وتقدمت القصة بتمامها فى غزوة خيبر ورحم الله القائل فى حقه صلى الله عليه وسلم

وما الفضل الا خاتم أنت فصه * وعفوك نقش الفص فاختم به عذرى

وحسبك ما نقل في كتب السنة الصحيحة نقلا متواترا بلغ مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة الى أن أظفره الله عليهم وحكمه فيهم عام الفتح وهم لا يشكون في استئصال جماعاتهم وقطع دابرهم فما زاد على أن عفا وصفح وقال ما تقولون انى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء فانطلقوا كأنما نشروا من قبورهم وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال هبط ثمانون رجلا من التنعيم عام الحديبية صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغتة فأمسكهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وجاؤا بهم اليه صلى الله عليه وسلم فأعتقهم وأطلقهم وأنزل الله تعالى وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم الآية وقد لاطف صلى الله عليه وسلم أبا سفيان فقال له ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تسلم وتشهد أن لا اله الا الله فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما أحلمك وأوصلك فانظر الى هذه الملاطفة منه صلى الله عليه وسلم لابي سفيان مع ما كان منه من المحاربة وتحزيب الاحزاب وغير ذلك مما صدر منه فعفا عنه ولاطفه بالقول والفعل ومن رحمته صلى الله عليه وسلم ما رواه الدارقطني والحاكم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يصغي أي يميل الى الهرة الاناء حتى تشرب ثم يتوضأ بفضلها ومن رحمته شفقته على أهل الكبائر من أمته وأمره اياهم بالستر حيث قال من ابتلي بهذه القاذورات فليستتر وأمر أمته أن يستغفروا للمحدود ويترحموا عليه لما أغلظوا عليه فسبوه ولعنوه فقال قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه (وأما تواضعه) صلى الله عليه وسلم وحسن عشرته مع أهله وخدمه وأصحابه مع ما خصه الله به من الرفعة وعلو المقام فأمر لا تدرك له غاية كما يأتي وصفه قال بعضهم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان المشاهدة في قلبه وانما يحصل ذلك برياضة النفس ومجاهدتها في الاقبال على الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فعند ذلك تذوب النفس وتنفي قواها عن ميلها الى الشهوات ويتيسر لها استعمال القوى والجوارح في الطاعات كل الاوقات وعند ذلك تصفو من غش الكبر وتطمئن بذكر الله وتقبل عليه بجملتها فلم يبق لها تعلق بشئ من مألوفها فتلين للحق والخلق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها وقد كان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا صلى الله عليه وسلم فكلما ازداد قربا ازداد تواضعا وحسبك من تواضعه عليه الصلاة والسلام أن خيره ربه بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا تواضعا لربه مع أنه لو كان نبيا ملكا ما ضره ولكن رأى التواضع يزيده قربا من ربه فأعطاه الله بتواضعه أن جعله أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع فلم يأكل متكئا بعد أن اختار العبودية حتى فارق الدنيا وكان يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري والترمذي وغيرهما لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله والمعنى لا تتجاوزوا الحد في مدحي بأن تقولوا ما لا يليق بي كما تجاوزته النصارى ولكن قولوا الخ فأثبت لنفسه ما هو ثابت له من العبودية والرسالة وسلم لله ما هو له تعالى لا لسواه ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا ينهر خادما روى البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وفي رواية لابي نعيم فما سبني قط وما ضربني من ضربة ولا انتهرني ولا عبس في وجهي ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فعاتبني عليه فان عاتبني أحد قال دعوه ولو قدر شئ كان وفي رواية البخاري ولا قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وفي رواية ولكن يقول قدر الله وما شاء الله فعل ولو قدر الله كان ولو قضى لكان وكذلك كان صلى الله عليه وسلم

مع عبده وإمائه ما ضرب منهم أحدا قط وهذا أمر لا تتسع له الطباع البشرية ولا تطيقه ولا تقدر عليه
لولا التأييدات الربانية وما ذاك الا لكمال معرفته صلى الله عليه وسلم أنه لا فاعل ولا معطي ولا مانع الا الله
وان الخلق آلات ووسائط فالغضب على المخلوق في شئ فعله كالاشراك المنافي للتوحيد وقيل سبب ذلك
أنه كان يشهد تصريف محبوبه فيه وتصريف المحبوب في المحب لا يعلل بل يسلم ليستلذ فكل ما فعله
الحبيب محبوب وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
قط ولا ضرب امرأة ولا خادما الا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شئ فينتقم من صاحبه الا أن ينتهك
شئ من محارم الله فينتقم لله نعم يستثنى من ذلك ما رواه النسائي عن طفيل الاشجعي رضي الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم ضرب فرسه لما رآه متخلفا عن الناس وقال اللهم بارك فيها قال طفيل فلقد
رأيتني ما أملك رأسها ولقد بعت من بطنها باثني عشر ألفا أي وذلك من بركة قوله صلى الله عليه وسلم اللهم
بارك فيها وكنز جمل جابر رضي الله عنه حتى سبق الناس بعدما كان متأخرا عنهم وذلك معجزة فلا
يشكل على قول عائشة رضي الله عنها ما ضرب شيئا قط وروى ابن سعد وغيره عن عائشة رضي الله عنها
وقد سئلت كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا في بيته قالت كان ألين الناس بساما
ضحاكا لم يرقط مادا رجليه بين أصحابه وروى أبو نعيم عن عائشة أيضا رضي الله عنها ما كان أحد
أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه الا قال لبيك وروى أبو داود
والترمذي عن أنس والبزار عن أبي هريرة رضي الله عنهما ما التقم أحد أذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنحى رأسه عنه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها
الآخذ وروى الامام أحمد وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويرقع دلوه ويفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل
البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق ويفعل ذلك
ارشادا للتواضع وترك التكبر ومع ذلك فهو المشرف بالوحي والنبوة المكرم بالرسالة والآيات وتفلية
الثوب انما كانت للتعليم أو لتفتيش نحو خرق فيه ليرقعه أو لما علق به من نحو شوك أو وسخ لانه صلى الله
عليه وسلم نور ولا عفونة فيه وأكثر القمل من العفونة ومن العرق وعرقه طيب فلا يلزم من التفلية
وجود القمل وقيل كان في ثوبه قمل ولا يؤذيه وانما يفليه استقذارا له وقيامه بخدمة نفسه صلى الله عليه
وسلم دليل على كمال تواضعه وهذا الاينافي أنه كان له خدم يقومون بخدمته فيحمل قيامه بخدمة نفسه
على بعض الاوقات فكان تارة يخدم نفسه وتارة يخدمه غيره وتارة بالمشاركة لتعليم أمته وبيان ندب
الانسان الى خدمة نفسه وأنه لا يخل بمنصبه وان جل وكان يركب الحمار تارة موكفا وتارة عريا ليس
عليه شئ وفي ذلك غاية التواضع وارشاد للعباد وبيان أن ركوبه كذلك لا يخل بمروءة ولا رفعة بل فيه غاية
التواضع وكسر النفس وكان يردف خلفه الذكر والانثى فقد أردف صفية أم المؤمنين رضي الله عنها في
رجوعه من خيبر وأركب معه الصغار والكبار فكان اذا قدم من غزو استقبله الصبيان فيركبهم معه
ويأمر أصحابه باركاب من بقي وركب يوم بني قريظة والنضير وخيبر على حمار مخطوم بحبل من ليف
عليه اكاف من ليف وهذا نهاية التواضع وأي تواضع أعظم من هذا وقد ظهر له صلى الله عليه وسلم
من النصرة عليهم والظفر بأموالهم ما هو معروف وروى أبو داود وغيره عن قيس بن سعد بن عبادة
رضي الله عنهما قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا ليركبه
ووطأ عليه بقطيفة وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى

الله عليه وسلم أي كن معه في خدمته قال نعم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت أي
اركب أي تأدبا معه لا مخالفة لامره فقال اما أن تركب واما أن تنصرف أي ترجع ولا تمشي مع
دوابنا على الركوب فقال له اركب امامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها وفي رواية لابن منده فأرسل
ابنه معه ليرد الحمار فقال صلى الله عليه وسلم أحمله بين يدي قال سعد سبحان الله أتحمله بين يديك
قال نعم هو أحق بصدر حماره قال هو لك يارسول الله قال أحمله اذن خلفي وجاء في بعض روايات هذه
القصة أنه صلى الله عليه وسلم جاء على حمار مردفا اسامة خلفه فعلى هذا تقريب سعد رضي الله عنه
الحمار لا لعدم دابة يركبها صلى الله عليه وسلم بل ليرجع عليه وحده ويبقى اسامة على الحمار الذي
جاء عليه وفي البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم من خيبر واني لرديف أبي طلحة وهو يسير وبعض نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رديف
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني صفية رضي الله عنها اذ عثرت الناقة فقلت المرأة أي وقعت أو أوقعها
الدابة فقال صلى الله عليه وسلم انها أمكم تذكيرا لهم بوجوب تعظيمها فشددت الرحل وركب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وركبت خلفه وصح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال بينا انا رديف النبي
صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه الا آخرة الرحل وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة استقبله أغيلمة بني عبد المطلب فحمل واحدا بين يديه وآخر
خلفه وروى البخاري أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
وقد حمل قثم بن العباس رضي الله عنهما بين يديه والفضل خلفه أو قثم خلفه والفضل بين يديه شك الراوي
وذكر المحب الطبري في مختصر السيرة النبوية التي صنفها أنه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عريا
الى قباء وأبو هريرة رضي الله عنه معه قال يا أبا هريرة أأحملك قال ماشئت يارسول الله أي فافعله فقال
اركب فوثب أبو هريرة رضي الله عنه ليركب فلم يقدر واستمسك أي تعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم
فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أبا هريرة أأحملك قال ماشئت يارسول الله فقال اركب
فلم يقدر أبو هريرة رضي الله عنه فتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه
وسلم ثم قال يا أبا هريرة أأحملك فقال لا والذي بعثك بالحق لا رميتك ثالثا وذكر المحب الطبري أيضا
في كتابه المذكور أنه عليه الصلاة والسلام كان في سفر وأمر أصحابه باصلاح شاة أي تهيئتها للاكل فقال
رجل يارسول الله علي ذبحها وقال آخر يارسول الله علي سلخها وقال آخر يارسول الله علي طبخها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم علي جمع الحطب فقالوا يارسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم
تكفوني ولكن أكره أن أتميز عليكم فان الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه وروى ابن اسحاق
والبيهقي عن أبي قتادة رضي الله عنه قال وفد وفد النجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه
فقال له أصحابه نحن نكفيك قال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم وروى أبو الطفيل
عامر بن واثلة رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وأنا غلام اذ اقبلت امرأة حتى
دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه فقالوا أمه التي أرضعته رواه أبو داود
وروى أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاع فوضع له بعض ثوبه
فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة
كان في عقلها شيء فقالت ان لي اليك حاجة فقال اجلسي في أي سكك المدينة شئت أجلس اليك
زاد مسلم حتى أقضي حاجتك فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغ من حاجتها وروى النسائي

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال كان عليه الصلاة والسلام لا يأنف أن يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي له الحاجة وفي رواية للبخاري كانت الامة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وفي رواية للامام أحمد ان كانت الوليدة من ولائد المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به لحاجتها فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت والمقصود من الاخذ باليد لازمه وهو الانقياد فقد اشتمل ذلك على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل والامة دون الحرة وحيث عم الاماء أي أمة كانت وبقوله حيث شاءت أي من الامكنة والتعبير باليد اشارة الى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحالة لساعدها على ذلك بالخروج معها وهذا من مزيد تواضعه وبراءته من جميع انواع الكبر صلى الله عليه وسلم ومن ثم أورده البخاري في باب الكبر اشارة الى براءته صلى الله عليه وسلم منه ووصفه صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بأنه لم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وفي رواية وكان لا يخرج شيئا من أطرافه وهو بين أصحابه أي كقطع ظفره أو قلع وسخه أو طرح براقه أو مخاطه وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ويكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان امتنع ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلي الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته ودخل الحسن السبط ابن علي رضي الله عنهما عليه صلى الله عليه وسلم وهو يصلي وقد سجد فركب على ظهره فأبطأ صلى الله عليه وسلم في سجوده حتى نزل الحسن رضي الله عنه فلما فرغ قال له بعض اصحابه يا رسول الله قد أطلت سجودك قال ان ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله أي جعلني كالراحلة فركب على ظهري ودخل عليه مرة جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما والحسن والحسين رضي الله عنهما على ظهره صلى الله عليه وسلم راكبين فقال لهما جابر رضي الله عنه نعم الجمل جملكما فقال له صلى الله عليه وسلم ونعم الراكبان هما وتقدم انه كان يحمل في الصلاة امامة بنت زينب ابنته من أبي العاص رضي الله عنهما ومثل هذا لا يشغل أرباب الكمال عما هم فيه من حسن الحال حيث وصلوا الى مرتبة جمع الجمع وهم الذين لا تحوم حولهم التفرقة فلا تمنعهم الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة فهم كائنون بائنون قريبون غريبون عرشيون فرشيون بحسب الارواح اللطيفة والاشباح الشريفة فالذي ما زاغ بصره وما طغى فيما رأى من آيات ربه الكبرى كيف يشغل قلبه قطعة من لحمه وهذا كله من شدة تواضعه وحسن خلقه صلى الله عليه وسلم ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه كان يعود المرضى الشريف منهم والوضيع والحر والعبد حتى عاد مرة غلاما يهوديا كان يخدمه صلى الله عليه وسلم فقعد عند رأسه فقال له أسلم فنظر الى أبيه فقال له أبوه أطع أبا القاسم فأسلم فخرج صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه والعيادة فيها مع التواضع رضى الله وحيازة الثواب ففي الترمذي مرفوعا من عاد مريضا ناداه مناد طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا ولابي داود من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم محتسبا بوعد من جهنم سبعين خريفا وانما كان فيها تواضع لان فيها خروج الانسان من مقتضى جاهه وتنزهه عن مرتبته الى ما دون ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يشهد الجنازة سواء كانت لشريف أو وضيع فيتأكد التأسي به صلى الله عليه وسلم وآثر قوم العزلة ففاتهم خير كثير وروى البيهقي وابن اسحاق عن أنس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم لما فتحت مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ رأسه على رحله حتى كاد يمس رحله تواضعا لله تعالى

وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام حج على رحل رث وعليه قطيفة أي كساء لخمل لا يساوي أربعة دراهم وذلك لانه في أعظم مواطن التواضع اذ الحج حالة تجرد وإقلاع وخروج من المواطن وسفر الى الله ألا ترى الى مافيه من الاحرام فانه اشارة الى ان المراد احرام النفس من الملابس تشبها بالمارين الى الله وليكون تذكرة للموقف الحقيقي وقال في تلبيته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله حجا لارياء فيه ولا سمعة وهذا قاله تخشعا وتذللا وعدا لنفسه كواحد من الآحاد فيكون دالا على عظيم تواضعه لان الرياء لا يكون عمن حج على رحل رث وانما يكون عمن حج على مراكب نفيسة وملابس فاخرة وأغشية محبرة وأكوار مفضضة هذا مع انه صلى الله عليه وسلم أهدى في هذه الحجة مائة بدنة وأهدى أصحابه مالا يسمع بمثله فن جملة ما أهداه عمر رضي الله عنه بعيرا أعطى فيه ثلثمائة دينار فأبى قبولها رواه أبو داود ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا صلى الصبح جاءه خدم أهل المدينة بآنيتهم فيها الماء يريدون التبرك بأثر يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فما يؤتى باناء الا غمس يده فيه فربما جاؤه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها ولا يمتنع لاجل البرد وهذا من مزيد لطفه وحسن خلقه وكمال تواضعه صلى الله عليه وسلم رواه مسلم والترمذي وغيرهما وفي ذلك دليل على بروزه للناس وقربه منهم ليصل كل ذي حق حقه وليعلم الجاهل ويقتدي بأفعاله وهكذا ينبغي للائمة بعده وروى أبو نعيم في الدلائل عن أنس رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس لطفا والله ما كان يمتنع في غداة باردة من عبد ولا أمة تأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه وما كلمه أحد قط الا أصغى اليه فلا ينصرف حتى يكون هو الذي ينصرف عنه وما تناول أحد يده قط الا ناوله اياها فلا ينزع حتى يكون هو الذي ينزعها ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه كان حسن العشرة مع أزواجه فكان ينام معهن في فراش واحد ولو كانت حائضا مع مواظبته على قيام الليل فينام مع احداهن فاذا أراد القيام لوظيفته قام فتركها فيجمع بين وظيفته من قيام الليل وأداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف وقد علم من هذا ان اجتماع الزوج مع زوجته في فراش واحد أفضل من نوم كل في فراش اذا قصد الانس لا الجماع لاسيما ان عرف من حالها حرصها على ان ينام معها فيتأكد الاستحباب ويكون تركه مكروها ولا يلزم من نومه معها الجماع ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم مارواه الشيخان انه صلى الله عليه وسلم كان يسرب أي يرسل لعائشة رضي الله عنها بنات الانصار يلعبن معها وذلك في أول تزوجه بها لانها كانت صغيرة وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم اذا شربت عائشة رضي الله عنها من الاناء يأخذه فيضع فمه على موضع فمها ويشرب اشارة الى مزيد حبها وهذا من شدة تواضعه صلى الله عليه وسلم واذا تعرقت عرقا بفتح العين واسكان الراء وهو العظم الذي عليه اللحم أخذه فوضع فمه على موضع فمها وكان يتكئ في حجرها ويقبلها وهو صائم رواه الشيخان وروى أصحاب السنن الستة انه صلى الله عليه وسلم كان يقبل نساءه وهو صائم كل ذلك للتلطف بهن وحسن العشرة معهن وهذا لا يكون الا من حسنت اخلاقه وكمل تواضعه وجاء انه صلى الله عليه وسلم وقف لعائشة رضي الله عنها يسترها وهي تنظر الى الحبشة يلعبون بالحراب وهي متكئة على منكبه قالت فقال لي اماشبعت اماشبعت فجعلت أقول لا رواه الترمذي وقال حسن صحيح وروى الامام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن فقال صلى الله عليه وسلم للناس تقدموا فتقدموا ثم قال تعالي حتى أسابقك فسبقته فسكت عني حتى حملت اللحم وبدنت وسمنت خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس تقدموا ثم قال تعالي أسابقك فسبقني فجعل يضحك ويقول هذه بتلك وانما قال ذلك لها تلطفا بها وتطييبا لخاطرها رضي الله عنها وذلك من كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم وروى الطبراني

في الصغير والاوسط عن أنس رضي الله عنه انهم يعني الصحابة رضي الله عنهم كانوا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحفة من بيت أم سلمة رضي الله عنها فوضعت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ضعوا أيديكم أي للاكل فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده ووضعنا أيدينا أنا كانا وعائشة رضي الله عنها تصنع طعاما عجلته حين رأت الصحفة التي أتي بها من بيت أم سلمة رضي الله عنها فلما فرغت من طعامها جاءت به فوضعته ورفعت صحفة أم سلمة فكسرتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا باسم الله أي من صحفة عائشة غارت أمكم ثم أعطى صحفتها أم سلمة رضي الله عنها وقال طعام مكان طعام واناء مكان اناء وهذا الحديث رواه البخاري بلفظ كان صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه فأرسلت احدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول غارت أمكم ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها فدفع الصحفة الى التي كسرت صحفتها وامسك المكسورة في بيت التي كسرت واتفقوا على أن التي كان في بيتها هي عائشة رضي الله عنها واختلفوا في التي جاء الطعام من عندها فجاء في رواية انها أم سلمة وفي أخرى انها صفية وحمل بعضهم ذلك على التعدد ولا مانع منه وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت ثم رجعت الى نفسي وندمت فقلت يا رسول الله ما كفارته قال اناء كاناء وطعام كطعام وجاء في بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم حين كسرت لم يثرب عليها أي لم ينلها ولم يعبها فوسع خلقه الشريف آثار غيرتها ولم يتأثر من فعلها ذلك بحضوره وحضور أصحابه لمزيد حلمه وعلمه بما تؤدي اليه الغيرة وقضى عليها بحكم الله في التقاص بجعل المكسورة عندها ودفع الصحيحة لضرتها وهكذا كانت أحواله صلى الله عليه وسلم مع أزواجه لا يؤاخذ عليهن ويعذرهن ويرفع اللوم عنهن وان أقام عليهن ميزان العدل من غير قلق ولا غضب فهو رؤف رحيم حريص عليهن وعلى غيرهن عزيز عليه أي شديد عليه ما يعنتهم أي ما يشق عليهم وفي الحديث اشارة الى أن المرأة ينبغي أن لا تؤاخذ فيما يصدر عنها من الغيرة لانها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبا بالشدة الغضب الذي أثارته الغيرة وقد أخرج أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الغيرى أي المرأة الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه وروى البزار والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه اذ أقبلت امرأة عريانة فقام اليها رجل فألقى عليها ثوبا وضمها اليه فتغير وجهه صلى الله عليه وسلم فقال بعض جلسائه أحسبها أي أظنها امرأته فقال صلى الله عليه وسلم أحسبها غيرى ان الله كتب الغيرة على النساء والجهاد على الرجال فصبرن منهن كان له أجر شهيد وفي المواهب عن عائشة رضي الله عنها قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بخزيرة طبختها له وقلت لسودة أم المؤمنين رضي الله عنها والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فأبت فقلت لها كلي فأبت فقلت لها لتأكلن أو لالطخن بها وجهك فأبت فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رأسي على فخذه وقال لسودة الطخي وجهها قصاصا فلطخت بها وجهي فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم والخزيرة لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فاذا انضج ذر عليه الدقيق وبالجملة فمن تأمل سيرته عليه الصلاة والسلام مع أهله وأصحابه وغيرهم من الفقراء والايتام والارامل والاضياف والمساكين علم انه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التي لا مرمى وراءها لمخلوق وان كان يشتد في حدود الله وحقوقه ودينه حتى قطع يد السارق وحد الزاني الى غير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يلاطف أصحابه ويباسطهم بالقول والفعل بما يولج حبه في القلوب

تطمينا لهم وتقوية لايمانهم وتعليما لهم أن يباسطوا أنفسهم بعضا لانهم اذا رأوا ذلك من أكمل
الخلق وأفضلهم وقد علموا قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة اطمأنت قلوبهم على
فعل ذلك مع بعضهم وروى عبد الرزاق والترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رجلا من البادية يسمى
زهيرا وفي رواية أخرى ابن حرام الأشجعي وكان يهادي النبي صلى الله عليه وسلم بموجود البادية أي بما
يستطرف ويستملح منها وكان صلى الله عليه وسلم يهاديه ويكافئه بموجود الحاضرة أي بما يستطرف
منها وكان صلى الله عليه وسلم يقول زهير باديتنا ونحن حاضرته وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فمشى صلى الله
عليه وسلم الى السوق فوجده قائما يبيع متاعه فاحتضنه من قبل ظهره ووضع يده الى صدره فأحس
زهير بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء حصول بركته
وفي رواية فاحتضنه صلى الله عليه وسلم من خلفه وهو لا يبصره فقال أرسلني من هذا فالتفت فعرف
أنه النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لا يألو ما ألصق ظهره أي لا يقصر في الصاق ظهره بصدر النبي صلى الله
عليه وسلم حين عرفه تبركا وتلذذا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ملاطفة معه من يشتري
العبد فقال زهير يا رسول الله اذن تجدني كاسدا فقال له صلى الله عليه وسلم أنت عبد الله قال وفي رواية
لكن عند الله لست بكاسد وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم وشدة تلطفه بأصحابه وأخرج أبو يعلى
عن زيد بن أسلم أن رجلا يلقب بعبد الله الحمار كان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم العكة من السمن تارة
والعسل أخرى فاذا جاء صاحبه يتقاضاه أي يطلبه الثمن جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعط
هذا ثمن متاعه فما يزيد النبي صلى الله عليه وسلم على أن يتبسم ويأمر فيعطي الثمن وفي رواية وكان
لا يدخل الى المدينة طرفة الا اشترى منها ثم جاء فقال يا رسول الله هذا أهديته لك فاذا جاء صاحبه
يطلب ثمنه جاء به فيقول أعط هذا الثمن فيقول ألم تهده لي فيقول ليس عندي ما أعطيه فيضحك صلى
الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه ووقع نحو ذلك لنعيمان بالتصغير ابن عمرو بن رفاعة الانصاري
رضي الله عنه ذكره الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح انه كان لا يدخل المدينة طرفة الا اشترى
منها ثم جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول هذا أهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه
أحضره الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول أعط هذا ثمن متاعه فيقول أولم تهده لي فيقول والله لم يكن
عندي ثمنه ولقد أحببت ان تأكله فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه وكان صلى الله عليه وسلم يمزح
ولا يقول الا حقا وذلك ان الناس مأمورون بالاقتداء به فلو ترك الطلاقة والبشاشة ولزم العبوس
لأخذ الناس نفوسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء فمزح ليمزحوا قال بعض
السلف كان للنبي صلى الله عليه وسلم مهابة فلولا أنه كان يتبسط لأصحابه ويداعبهم لما استطاعوا
مكالمته ولا القيام معه لشدة ما أفاضه الله عليه من الهيبة والجلال وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال قالوا يا رسول الله انك تداعبنا قال اني لا أقول الا حقا وروى الترمذي وأبو داود وغيرهما
أن رجلا كان به بله أي غفلة في أمور الدنيا قال يا رسول الله احملني أي مر لي ببعير أركب عليه لأغزو
معكم فباسطه صلى الله عليه وسلم فقال اني حاملك على ابن الناقة فسبق لخاطره استصغار ابن الناقة
فقال يا رسول الله ما عسى أن يغني عني ابن الناقة فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وهل يلد الجمل الا
الناقة أي لو تدبرت وتأملت لادركت وفهمت أن ابن الناقة يصدق على الجمل الكبير وجاءته امرأة
فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال احملوها على ابن بعير فقالت وما أصنع به وما يحملني يا رسول
الله فقال هل يجيء بعير الا ابن بعير وروى الترمذي وغيره أنه صلى الله عليه وسلم باسط عمته صفية بنت
عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضي الله عنه حين قالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال

يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز ففزعت فقال لها انك تعودين الى صورة الشباب فى الجنة ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وكان عليه الصلاة والسلام يمازح أصحابه بالقول والفعل للملاطفة ويخالطهم ويحادثهم تأنيسا لهم وجبرا لقلوبهم ويأخذ معهم فى تدبير أمورهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره جاءته أم قيس رضى الله عنها بابن لها صغير لم يأكل الطعام فأجلسه فى حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يقل شيئا وهو صلى الله عليه وسلم مع ذلك قلبه يجول فى الملكوت حيث أراد الله به وما ورد عنه عليه الصلاة والسلام فى النهى عن المداعبة محمول على الافراط لما فيه من الشغل عن ذكر الله وعن التفكر فى مهمات الدين وغير ذلك كقسوة القلب وكثرة الضحك وذهاب ماء الوجه بل كثيرا ما تولد الايذاء والحقد والعداوة وجراءة الصغير على الكبير قال عمر رضى الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به فكل ذلك محمول على الافراط ولذا قيل

فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه من كل سيد * ويورثه من بعد عزته ذلا

والذى يسلم من ذلك هو المباح الذى لا يؤدى الى حرام ولا الى مكروه فان صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم فهو مستحب وروى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لى أخ يقال له أبو عمير وكان له نغر يلعب به فمات فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير ملاطفة وتأنيسا له وتسلية وذلك من حسن الخلق وكرم الشمايل والتواضع وفى رواية للترمذى عن أنس رضى الله عنه قال ان كان النبى صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لأخ لى يا أبا عمير ما فعل النغير والنغير تصغير نغر بوزن رطب وهو طائر صغير كالعصفور والجمع نغران كصرد وصردان ومع ذلك كله كان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة والعظمة فى القلوب قبل بعثته وبعدها قدرا عظيما حتى ان قومه الذين كانوا يكذبونه بعد البعثة اذا واجهوه عظموه وقضوا حاجته لما ألقى عليه من الجلال والمهابة التى تدهش القلوب وتحيرها فمن رآه بديهة هابه قال الابوصيرى

كأنه وهو فرد من جلالته * فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

أى فلجلالته ومهابته عند رؤيته وهو منفرد اعظم من مهابة أعظم ملك عند رؤيته وهو مع عسكره وحشمه ولقد جاء اليه صلى الله عليه وسلم رجل لحاجة يذكرها فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هوّن عليك فانى لست بملك ولا جبار وانما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة أى اللحم المقدد فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس انى أوحى الى أن تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد وكونوا عباد الله اخوانا وانما قال ذلك لانه لما رأى تواضعه كان سببا فى تسكين روع الرجل حث الناس على التواضع ليتمكن الناس من قضاء حاجاتهم والتواضع انكسار القلب وخفض جناح الذل والرحمة للخلق حتى لا يرى له عند أحد حقا بل يرى الحق لغيره وقوله صلى الله عليه وسلم فانى لست بملك قصد به سلب صفة الملوك عنه لما يلزمها من الجبروتية والتكبر والافتخار وقال أنا ابن امرأة تأكل القديد تواضعا لان القديد طعام أهل المسكنة فكأنه قال أنا ابن امرأة مسكنة تأكل من مفضول الاكل فكيف يخاف منى وروى أبو داود وغيره أن قيلة بنت مخرمة التميمية رأته جالسا فى المسجد فارعدت من الفرق أى الخوف والفزع فقال لها صلى الله عليه وسلم يا مسكنة عليك السكينة فلما قال لها ذلك ذهب عنها ما كان بقلبها من الرعب وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال صحبت رسول الله صلى الله

عليه وسلم وما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لي صفه أي بجميع أوصافه لما قدرت وإذا كان هذا قوله وهو من عظماء الصحابة فما بالك بغيره ويبين ذلك ويوضحه ما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا فرغ من صلاة الليل حدث عائشة رضي الله عنها إن كانت مستيقظة وإلا اضطجع بالأرض ثم خرج بعد ذلك للصلاة وما ذاك إلا أنه صلى الله عليه وسلم كان يتهجد ليلا ويتنزل بما يتنزل به من الله فيظهر عليه حال حتى يظن أنه ليس من البشر فلو خرج على تلك الحالة التي كان عليها وما حصل له من القرب والتداني في مناجاته وسماع كلام ربه وغير ذلك من الأحوال التي يكل اللسان عن وصف بعضها لما استطاع بشر أن يلقاه فكان عليه الصلاة والسلام يتحدث مع عائشة ويضطجع بالأرض حتى يحصل التأنيس بجنسهم وهو التأنيس بعائشة التي هي من البشر أو من جنس أصل الخلقة الذي هو الأرض ثم يخرج إليهم ليتمكن الناس من مخالطته والتكلم معه وما كان يفعل ذلك إلا رفقا بهم وكان بالمؤمنين رؤفا رحيما وقد جاء في الحديث أنه لما أخبره على لسان إسرافيل بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا نظر عليه الصلاة والسلام إلى جبريل عليه السلام كالمستشير له فنظر جبريل إلى الأرض يشير إلى التواضع وفي رواية فأشار إلى جبريل أن تواضع فقلت نبيا عبدا فاختار عليه الصلاة والسلام العبودية تواضعا فلذلك أورثه الله الرفعة حتى رفع إلى السماء وأطلعه الله على الملكوت الأعلى وفي البخاري أن محمود بن الربيع الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه وقع على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس سنين فمج عليه الصلاة والسلام في وجهه مجة من ماء بئر في دارهم ممازحة بها فكان في ذلك المج من البركة أنه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم إلا تلك المجة فعد بسبب ذلك من الصحابة فقد علمت أنه عليه الصلاة والسلام كان مع أصحابه وأهله ومع القريب والغريب في غاية ونهاية من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق ولين الجانب حتى يظن كل واحد من أصحابه أنه أحبهم إليه وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويقف مع من استوقفه ويمزح مع الصغير والكبير أحيانا إذا اقتضاه المقام ويجيب الداعي وهذا الميدان لا تعد فيه الأوامر أو مستحبا أو مباحا فكان يباسط الخلق ويلابسهم ليستضيؤا بنور هدايته من ظلمات دياجي الجهل ويقتدوا بهديه صلى الله عليه وسلم وكانت مجالسته صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضي الله عنهم عامة المجالس تذكيرا بالله تعالى وترغيبا وترهيبا إما بتلاوة القرآن أو بما أتاه الله من الحكمة والمواعظ الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين كما أمره الله أن يذكر ويعظ ويقص وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يبشر وينذر فلذلك كانت تلك المجالس توجب لأصحابه رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه ما كنت أظن أحدا من الصحابة يريد الدنيا حتى نزل منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه ما عاب ذواقا قط ولا عاب طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه واعتذر كاعتذاره لما رفع يده عن الضب بأنه لم يكن بأرض قومه وهذا من حسن الأدب لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره وكل مأذون من جهة الشرع لا عيب فيه أما إذا كان حراما فإنه يعيبه ويذمه وينهى عنه للمنع منه شرعا لا من حيث ذاته فقد يكون حسن المذاق والصنعة فالعيب إن كان من جهة صنعة الآدميين فقد يجوز وأما من حيث صنعة الله فالعيب لا يجوز قال النووي ومن آداب الطعام المتأكدة أن لا يعاب كقوله مالح حامض قليل الملح غليظ رقيق غير ناضج ونحو ذلك ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أن هذه الدنيا التي شاع سبها في العالمين قديما وحديثا قال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فكان الذين يسبونها يظهرون الاستغناء عنها وعدم الاعتبار بها مع أنه

خلاف الواقع لان الله جعلها وسيلة لتحصيل الخبر فدحه صلى الله عليه وسلم لها ونهيه عن سبها فيه اظهار للمحقق من احتياج من فيها اليها وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر وفي رواية لا تقولوا خيبة الدهر فان الله هو الدهر أي هو الفاعل لما يحدث فيه والمعنى انكم اذا سببتم الدهر وقع السب على الله لانه الفعال لما يريد لا الدهر فجالب الحوادث ومتوليها هو الله لا غيره وجاء في رواية أنا الدهر بيدي الليل والنهار أي أقلبهما كيف شئت وأدبر مافيهما كيف أريد فهو كالتفسير لقوله أنا الدهر ومن تواضعه وحسن خلقه صلى الله عليه وسلم أنه ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن له بواب راتب روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة وهي تبكي عند قبر فقال لها اتقي الله واصبري فقالت اليك عني فانك خلو من مصيبتي وفي رواية فانك لم تصب بمصيبتي وخاطبته بذلك ولم تعرفه صلى الله عليه وسلم فجاوزها ومضى فمر بها رجل وهو الفضل بن العباس رضي الله عنهما فقال لها ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ما عرفته أي لانه صلى الله عليه وسلم من تواضعه لم يكن يستتبع الناس وراءه اذا مشى كعادة الملوك والكبراء وأيضا فقد كانت هي في غاية من الوجد والبكاء فقال الفضل للمرأة انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم زاد مسلم في رواية فأخذها مثل الموت من شدة الكرب الذي أصابها لما عرفت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت الى بابه فلم تجد عليه بوابا أي فكأنها تعجبت لانها لما قيل لها انه رسول الله صلى الله عليه وسلم استشعرت خوفا وهيبة في نفسها فتصورت أنه كالملوك له حاجب وبواب يمنع الناس من الوصول اليه فوجدت الامر بخلاف ما تصورته فقالت له صلى الله عليه وسلم معتذرة لم أعرفك فقال انما الصبر عند الصدمة الاولى وكونه صلى الله عليه وسلم ليس له بواب انما هو باعتبار أغلب الاحوال فلا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم لما جلس على بئر أريس كان أبو موسى الاشعري رضي الله عنه جالسا على باب الحائط كالبواب لا يدخل أحد عليه صلى الله عليه وسلم حتى يستأذن له وجمع بعضهم بينهما بأنه كان عليه الصلاة والسلام اذا لم يكن في شغل من أهله ولا انفراد من أمره يرفع حجابه بينه وبين الناس ويبرز لطالب الحاجة اليه واذا اشتغل بأمر نفسه اتخذ بوابا وأما حياؤه صلى الله عليه وسلم فحسبك ما في البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها واذا كره شيئا عرف في وجهه وهو اشارة الى أنه لم يكن يواجه أحدا بما يكرهه بل يتغير وجهه فيفهم أصحابه كراهته لذلك وأخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان صلى الله عليه وسلم يغتسل من وراء الحجرات وما رأى أحد عورته قط أي وهذا من شدة حيائه صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا في وجهه بشئ يكرهه فدخل عليه يوما رجل وعليه أثر صفرة فلما قام قال لاصحابه لو غير أو نزع هذه الصفة وفي رواية لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة وعلى حسب حياة القلب ويقظته ومعرفته لما يضره وينفعه في الدارين تكون فيه قوة خلق الحياء وقلة الحياء من موت القلب أي من فقد صفاته المقتضية للكمال وكلما كان القلب حيا كان الحياء أتم ولذا كان تمام الحياء في النبي صلى الله عليه وسلم اذ لا قلب أحيا من قلبه وفي الشرع الحياء خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ولذا جاء في الحديث الحياء من الايمان والحياء خير كله واذا لم تستح فاصنع ما شئت والحياء أقسام كثيرة منها حياء الكرم كحيائه صلى الله عليه وسلم من القوم الذين دعاهم الى وليمة زينب بنت جحش رضي الله عنها لما تزوجها وطولوا المقام بعد الاكل فاستحيا أن يقول لهم انصرفوا فقام فقاموا الا ثلاثة أو اثنين فمكثوا حتى انطلق

صلى الله عليه وسلم الى أزواجه فسلم عليهن ثم قاموا فأخبره أنس رضي الله عنه بقيامهم فجاء فدخل على
زينب رضي الله عنها وأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير
ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي
النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ومنها حياء العبودية وهو حياء ممتزج بمحبة وخوف
ومشاهدة عدم صلاحية عبوديته لمعبوده وان قدر المعبود أعلى وأجل فعبوديته له توجب استحياء
منه لا محالة ومنها حياء المرء من نفسه وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص
وقناعتها بالدون فيجد نفسه مستحييا من نفسه حتى كأن له نفسين يستحيي باحداهما من الاخرى وهذا
من أكمل ما يكون من الحياء فان العبد اذا استحيا من نفسه فهو بأن يستحيي من غيره أجدر وأحق
والحياء لا يأتي الا بخير لان من استحيا أن يراه الناس يأتي بقبيح دعاه ذلك الى أن يكون حياؤه من ربه
أشد فلا يضيع فريضة ولا يرتكب خطيئة وهو من الايمان لانه يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي
وأكمل الحياء وأولاه الحياء من الله وهو أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وكماله انما
ينشأ عن المعرفة ودوام المراقبة والحياء غريزي ومكتسب فالمكتسب هو الذي جعله الشارع من
الايمان وهو المكلف به غير أن من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى يكاد يكون المكتسب
غريزة وكان صلى الله عليه وسلم قد جمع له النوعان فكان في الغريزي أشد حياء من العذراء في خدرها
حتى روي انه صلى الله عليه وسلم كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد أي لا يديم نظره فيه
ولا يتأمله (وأما خوفه) صلى الله عليه وسلم من ربه جل وعلا فكان على غاية لا يساويه أحد فيها وكان
أتقى الناس وأشدهم خشية وكان صلى الله عليه وسلم يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل لغلبة الخشية
وكان يصلي ويبكي وتسيل دموعه من غير صوت ويسمع لجوفه صوت خفي والمرجل القدر من النحاس
وفي رواية أنين كأنين الرحا وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
وخوفه صلى الله عليه وسلم كان خوف هيبة وتعظيم واجلال وهذا لا يكون الا مع كمال المعرفة والمحبة
فهو تعظيم مقرون بالحب قال بعضهم الخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العاملين والهيبة للمحبين
والاجلال للمقربين فهو صلى الله عليه وسلم أكمل المحبين المقربين فكان خوفه خوف هيبة واجلال
وقد جمع الله له بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فكان يشهد الاشياء عيانا مع الخشية التامة
واستحضارا العظمة الالهية على وجه لم يجتمع لغيره صلى الله عليه وسلم ولذا قال ان أتقاكم وأعلمكم
بالله أنا (وأما شجاعته) صلى الله عليه وسلم فانه قد كان أشجع خلق الله وقد تواترت بذلك الاحاديث
والاخبار فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة
ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت
على فرس عري لابي طلحة والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وفي رواية كان فزع من عدو بالمدينة
فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا من أبي طلحة يقال له المندوب فركبه عليه الصلاة والسلام فلما
رجع قال ما رأينا من شئ أي يوجب الفزع وان وجدناه أي الفرس لبحرا أي واسع الجري قال
الراوي وكان فرسا يبطئ أي لا يسرع في مشيه وفي رواية ان أهل المدينة فزعوا مرة أي ليلا فركب
صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف أو فيه قطاف أي بطء فلما رجع قال وجدنا فرسكم هذا
بحرا فكان بعد لا يجارى وفي رواية فما سبق بعد ذلك ففي هذا الحديث بيان شجاعته صلى الله عليه
وسلم وذلك مأخوذ من شدة عجلته في الخروج الى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع

قبل وصول الناس وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته فى انقلاب الفرس سريعا بعد ان كان بطيئا قال القاضى عياض وقد كان فى أفراسه صلى الله عليه وسلم فرس اسمه مندوب فلعله صار اليه بعد وقال النووى يحتمل انهما فرسان اتفقا فى الاسم قال الزرقانى وهذا أولى وروى الامام أحمد والنسائى وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ما رأيت أشجع ولا أنجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجدة الشجاعة والشدة وفى رواية ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعطف أجود على أنجد للمناسبة بينهما اذ الجواد لا يخاف الفقر والشجاع لا يخاف الموت ولان النجدة جود بالنفس وهو أقصى مراتب الجود وروى ابن اسحاق والحاكم وغيرهما انه كان بمكة رجل يقال له ركانة وكان شديد القوة يحسن الصراع وكان الناس يأتونه للمصارعة فيصرعهم فبينما هو ذات يوم فى شعب من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ركانة الا تتقى الله وتقبل ما أدعوك اليه فتؤمن بالله ورسوله فقال له ركانة يا محمد هل لك من شاهد يدل على صدقك فقال أرأيت ان صرعتك أتؤمن بالله ورسوله قال نعم يا محمد فقال له تهيأ للمصارعة فقال تهيأت فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه ثم صرعه فتعجب من ذلك ركانة ثم سأله الاقالة والعودة ففعل به ذلك ثانيا وثالثا فوقف ركانة متعجبا وقال ان شأنك لعجيب قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبى روى البلاذرى انه قدم من سفر فأخبر خبر النبى صلى الله عليه وسلم أى دعواه النبوة وكان أشد الناس فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ان صرعتنى آمنت بك فصرعه فقال أشهد أنك ساحر ثم أسلم بعد وأطعمه النبى صلى الله عليه وسلم خمسين وسقا وقيل لقيه فى بعض جبال مكة فقال يا ابن أخى بلغنى عنك شئ فان صرعتنى علمت انك صادق فصارعه فصرعه وأسلم ركانة فى فتح مكة وقيل عقب مصارعته ومات فى خلافة معاوية رضى الله عنه وقيل فى خلافة عثمان رضى الله عنه وقيل عاش الى سنة احدى وأربعين وجاء فى بعض روايات هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم صارع يزيد بن ركانة فلعل تلك المصارعة قد تعددت فمرة مع ركانة ومرة مع ابنه يزيد ولكل منهما صحبة رضى الله عنهما وروى الخطيب البغدادى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء يزيد بن ركانة الى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ثلثمائة من الغنم فقال يا محمد هل لك أن تصارعنى قال وما تجعل لى ان صرعتك قال مائة من الغنم فصارعه فصرعه ثم قال هل لك فى العود قال وما تجعل لى قال مائة أخرى فصارعه فصرعه وذكر الثالثة فقال يا محمد ما وضع جنبى فى الارض أحد قبلك وما كان أحد أبغض الى منك وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقام عنه ورد عليه غنمه فاتضح بهذا انه صلى الله عليه وسلم صارع ركانة وابنه جميعا وصارع جماعة غيرهما منهم أبو الاسود الجمحى كما قاله السهيلى ورواه البيهقى وكان شديدا بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذب أطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتفرى الجلد أى يتقطع ولم يتزحزح عنه فدعا أبو الاسود رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتنى آمنت بك فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن به وقد حضر صلى الله عليه وسلم المواقف الصعبة كبدر وأحد وحنين وفر الكماة والابطال عنه وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع الا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة الا النبى صلى الله عليه وسلم روى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما وقد سأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا وفى رواية انهزموا فأكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام وفرت الاعراب ومن تعلم من الناس ولقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها

وهو صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة لانه في مثل هذا اليوم في حرمة الوغى وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة ليست بسريعة ولا تصلح لكر ولا فر ولا هرب وليست من مراكب الحرب بل من مراكب الطمأنينة فركوبها دليل على النهاية في الشجاعة والثبات وان الحرب عنده كالسلم وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه وكل ذلك مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو وروى مسلم من حديث البراء أيضا رضي الله عنه قال كنا اذا احمر البأس أي اشتد اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم وان الشجاع منا الذي يحاذيه ومعنى قوله اتقينا به جعلناه قدامنا واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه وروى الامام أحمد والنسائي عن علي رضي الله عنه كنا اذا حمي البأس وفي رواية اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ولقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا وروى أبو الشيخ في الاخلاق عن عمران بن حصين رضي الله عنهما وعنا بهما قال ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان أول من يضرب أي يقبل على ضربهم ويتوجه الى حربهم وبالجملة فقد كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس كما يوحي اليه قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم مع ما ورد من اعطائه قوة أربعين رجلا وربما يقاوم بعض الرجال ألفا كبعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم أجمعين بل له من القوة الالهية ما تعجز عنها القوى البشرية والملكية (وأما كرمه) صلى الله عليه وسلم فكان لا يوارى ولا يبارى فيه وقد وصفه بذلك كل من عرفه وشاع ذلك واشتهر حتى بلغ مبلغ التواتر وقد روى البخاري وغيره عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس أي وذلك لانه صلى الله عليه وسلم لما كانت نفسه أشرف النفوس ومزاجه أعدل الامزجة وشكله أملح الاشكال وخلقه أحسن الاخلاق لابد أن يكون فعله أحسن الافعال فلا شك يكون أجود الناس وأنداهم يدا وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا الا أعطاه فجاءه رجل فأعطاه صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قوم أسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر أي وذلك آية لنبوته صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل الذي أعطاه الغنم بين الجبلين قيل هو صفوان بن أمية وقيل غيره وروى مسلم والترمذي عن صفوان بن أمية الجمحي رضي الله عنه قال لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وانه لابغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي قال ابن شهاب الزهري أعطاه يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وجاء انه طاف معه صلى الله عليه وسلم يتصفح الغنائم وكان على دين قومه اذ مر بشعب مملوء ابلا وغنما فأعجبه وجعل ينظر اليه فقال صلى الله عليه وسلم أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب قال نعم قال هو لك بما فيه فقال صفوان أشهد انك رسول الله ما طابت بهذا نفس أحد قط الا نفس نبي ثم أسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وعاش الى سنة اثنين وأربعين من الهجرة وقيل توفي أيام قتل عثمان رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين والحكمة في كون اعطائه لم يكن دفعة واحدة بل تدريجا ان هذا العطاء دواء لدائه والحكيم لا يعطي الدواء دفعة واحدة بل تدريجا لانه أقرب الى الشفاء وقد علم صلى الله عليه وسلم ان داءه لا يزول الا بهذا الدواء وهو الاحسان فداواه به حتى برئ من داء الكفر وأسلم رضي الله عنه وهذا من كمال شفقته صلى الله عليه وسلم ورحمته ورأفته اذ عالجه بكمال الاحسان وأنقذه من حر النيران الى برد لطف الجنان وكان علي بن أبي طالب

رضى الله عنه وكرم وجهه اذا وصف النبى صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأصدق الناس لهجة رواه الترمذى وروى أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الا أخبركم عن الاجود الله الاجود وأنا أجود ولد آدم وأجودهم من بعدى رجل تعلم علما فنشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده ورجل جاهد فى سبيل الله حتى يقتل فهو صلى الله عليه وسلم بلا ريب أجود بنى آدم على الاطلاق كما انه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم فى جميع الاوصاف الحميدة وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال و بذل نفسه لله فى اظهار دينه وهدايته عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من الطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل اثقالهم قال فى المواهب ويرحم الله ابن جابر حيث قال فى وصف كرمه صلى الله عليه وسلم

هذا الذى لايتقى فقرا اذا * أعطى ولو كثر الانام وداموا
واد من الانعام أعطى آملا * فتحيرت لعطائه الاوهام

وقال ابن جابر أيضا فى وصفه صلى الله عليه وسلم

يروى حديث الندى والبشر عن يده * ووجهه بين منهل ومنسجم
من وجه أحمد لى بدر ومن يده * بحر ومن فمه در لمنتظم
يمم نبيا تبارى الريح أنمله * والمزن من كل هامى الودق مرتكم
لو عامت الفلك فى مافاض من يده * لم تلق أعظم بحرا منه ان تعم
تحيط كفاه بالبحر المحيط فلذ * به ودع كل طامى الموج ملتطم
لو لم تحط كفه بالبحر ماشملت * كل الانام وروت قلب كل ظمى

فسبحان من أطلع أنوار الجمال من أفق جبينه وانشأ أمطار السحائب من غمائم يمينه وروى الترمذى انه صلى الله عليه وسلم حمل اليه تسعون ألف درهم قال بعضهم هى التى جاءته من البحرين وقيل غيرها فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وروى الترمذى عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله أن يعطيه فقال ماعندى شئ ولكن ابتع على أى اشترواحسب على الشراء وفى رواية ماعندى شئ أعطيك ولكن استقرض حتى يأتينا شئ فنعطيك وفى رواية فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال له عمر رضى الله عنه ما كلفك الله مالا تقدر أى ماليس حاصلا عندك فكره النبى صلى الله عليه وسلم قول عمر رضى الله عنه لما فيه من حرمان السائل فقال رجل من الانصار حين رأى كراهة النبى صلى الله عليه وسلم للمنع يارسول الله أنفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر فى وجهه وقال بهذا أمرت وقيل ان القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماذكر هو بلال رضى الله عنه ولعل القصة تعددت وانما قال عمر رضى الله عنه ما كلفك الله مالا تقدر شفقة عليه صلى الله عليه وسلم لعلمه بكثرة السائلين له وتهافتهم عليه والانصارى راعى حاله صلى الله عليه وسلم فلذا سره كلامه فقوله بهذا أمرت اشارة الى انه أمر خاص به وبمن يمشى على قدمه وذكر ابن فارس انه صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة يوم حنين فأنشدت شعرا تذكر فيه أيام رضاعه فى هوازن فرد عليهم ما أخذه المسلمون من السبايا فكان ذلك عطاء كثيرا حتى قوم ما أعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة ألف ألف قال ابن دحية وهذا نهاية الجود الذى لم يسمع بمثله فى الوجود وفى البخارى من حديث أنس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أتى بمال من خراج البحرين فقال انثروه يعنى صبوه فى المسجد وكان أكثر مال أتى به صلى الله عليه وسلم أى من الدراهم أو الخراج فلا ينافى انه غنم فى حنين ماهو أكثر منه من أموالهم وقسمه ورد عليهم

سهم قال أنس رضي الله عنه فخرج صلى الله عليه وسلم الى المسجد ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه أي عنده فما كان يرى أحدا الا أعطاه اذ جاء العباس عمه صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اعطني فاني فاديت نفسي يوم بدر وفاديت عقيلا فقال له خذ فحثى في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يارسول الله مر بعضهم يرفعه علي قال لا قال فارفعه أنت علي فقال لا وانما فعل ذلك تنبيها له على الاقتصاد وترك الاستكثار من المال فنثر العباس رضي الله عنه منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يارسول الله مر بعضهم يرفعه على قال لا قال فارفعه أنت علي قال لا فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله قال ابن كثير كان العباس رضي الله عنه شديدا طويلا نبيلا فاحتمل شيئا يقارب أربعين ألفا وانطلق وهو يقول انما أخذت ما وعد الله فقد أنجز بشرا الى قوله تعالى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم قال أنس رضي الله عنه فما قام صلى الله عليه وسلم من ذلك المجلس وثم أي هناك منها درهم واشترى صلى الله عليه وسلم من جابر رضي الله عنه جملا ثم أعطاه ثمنه وزاده عليه ثم قال له اذهب بالجمل والثمن بارك الله لك فيهما وقد كان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله في ابتغاء مرضاته فتارة كان يبذل المال لفقير أو محتاج وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتألف به على الاسلام من يقوى الاسلام باسلامهم وتارة يؤثر على نفسه وأولاده فيعطي ما بيده للمحتاجين ويتحمل المشقة هو وعياله فيأتي عليه الشهر والشهران لا توقد في بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه الشريف من الجوع حتى ان ابنته فاطمة رضي الله عنها جاءته تشكو ما تلقى من الرحى وخدمة البيت وكانت سمعت بسبي جاء فطلبت منه خادما فقال لا أعطيك وأدع اهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع وامرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد فنعم احب اهله شفقة على الفقراء وهذه القصة رواها الامام احمد وغيره عن علي رضي الله عنه انه قال لفاطمة رضي الله عنها لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقد جاء الله اباك بسبي فاذهبي فاستخدميه فقالت وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت يداي بفتح الجيم وكسرها اي نفطت من كثرة الطحن فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما جاء بك اي بنية قالت جئت لاسلم عليك واستحييت ان تسأله ورجعت فقال ما فعلت قالت استحييت ان أسأله فأتيا جميعا النبي صلى الله عليه وسلم فقال علي يارسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقالت فاطمة لقد طحنت حتى مجلت يداي وقد جاء الله بسبي وسعة فأخدمنا فقال والله لا اعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما انفق عليهم ولكن أبيعهم وانفق عليهم اثمانهم فرجعا فأتاهما النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخلا في قطيفتهما اذا غطت رؤسهما كشفت اقدامهما واذا غطت اقدامهما كشفت رؤسهما فثارا فقال مكانكما ثم قال ألا أخبركما بخير مما سألتماني قالا بلى قال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام تسبحان في دبر كل صلاة عشرا وتحمدان عشرا وتكبران عشرا فاذا أويتما الى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا اربعا وثلاثين والحديث في البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه وفي شرح الزرقاني على المواهب أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه اعياء لان فاطمة رضي الله عنها شكت التعب من العمل فأحالها عليه وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه انه ما ترك هذا الذكر منذ سمعه قيل له ولا يوم صفين قال ولا يوم صفين ومن كرمه صلى الله عليه وسلم ما رواه البخاري ان امرأة أتته صلى الله عليه وسلم ببردة فقالت يارسول الله اكسوك هذه قال نعم فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة فقال يارسول الله ما أحسن هذه البردة فاكسنيها فقال صلى الله عليه وسلم نعم فجلس ما شاء الله في المجلس ثم رجع فطواها فأرسل بها اليه فلام الناس السائل وقالوا ما أحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذها

محتاجا اليها ثم سألته اياها وقد عرفت انه لا يسئل شيئا فيمنعه وفى رواية لا يرد سائلا فقال رجوت بركتها حين لبسها النبى صلى الله عليه وسلم لعلى أكفن فيها وفى رواية فقال الرجل والله ماسألتها الا لتكون كفنى يوم أموت قال سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه فكانت كفنه وروى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم أمر أن يصنع له غيرها فمات قبل أن يفرغ منها والرجل الذى سألها فكانت كفنه هو عبد الرحمن بن عوف أو سعد بن أبى وقاص كما قيل بكل ويحتمل تعدد القصة لكن استبعده بعضهم واستنبط السادة الصوفية من هذه القصة جواز استدعاء المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركا بهم و بلباسهم كما استدلوا لالباس الشيخ للمريد بحديث انه صلى الله عليه وسلم ألبس أم خالد بنت سعيد بن العاص رضى الله عنهما خميصة سوداء ذات علم رواه البخارى قال فى الشفا وهذه الخصال الممدوحة كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث أى لان هذه الفضائل والشمايل طبعت فى أصل فطرته ومادة خلقته قبل بعثته بل قبل حصول ولادته كما ورد كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقد قالت له خديجة رضى الله عنها وكذا ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة رضى الله عنها انك تحمل الكل وتكسب المعدوم وروى الترمذى عن معوذ بن عفراء قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يعنى بقوله قناع طبقا وأجر زغب أى قثاء صغار فأعطانى ملء كفه حليا وذهبا وفى مسند الامام أحمد عن ابنة الربيع بالتصغير قالت بعثنى معوذ بن عفراء بقناع من رطب وعليه اجر زغب من قثاء وكان صلى الله عليه وسلم يحب القثاء فأعطانى ملء كفيه حليا أو ذهبا وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد أى لسماحة نفسه وسخاوة كفه وثقته بربه وهذا بالنسبة لخاصة نفسه لقوة حاله فلا ينافيه انه كان يدخر قوت سنة لعياله أى تسكينا لقلوبهم وهذا وقع فى بعض السنين دون بعض وفى الشفاء عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم يسأله أى شيئا من العطاء فاستلف له نصف وسق فلما جاء الرجل أى رب الدين يتقاضاه أى يطالب النبى صلى الله عليه وسلم بوفاء الثمن أعطاه وسقا بكماله وقال نصفه قضاء ونصفه نائل أى عطاء قال الشيخ أبو على الدقاق الفتوة غاية الكرم والايثار وهذا الخلق لا يكون الا للنبى صلى الله عليه وسلم فان كل واحد فى القيامة يقول نفسى نفسى وهو صلى الله عليه وسلم يقول أمتى أمتى *(وأما أمانته)* صلى الله عليه وسلم وعدله وعفته وصدق لهجته فقد كان صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أمانة وأعدل الناس وأعفهم وأصدقهم لهجة ولقد اعترف له بذلك أعداؤه وكان يسمى قبل النبوة الامين روى الامام أحمد والحاكم والطبرانى انه حين اختلفت أكابر قريش عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر الاسود حكموا أن يكون الواضع أول داخل عليهم فاذا بالنبى صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد الامين قد رضينا به ففرش صلى الله عليه وسلم رداءه المبارك ووضع الحجر عليه وأمر كل رئيس أن يأخذ بطرف منه وهو آخذ من تحته ثم أخذه فوضعه فى موضعه وكانوا قبل بعثته صلى الله عليه وسلم يتحاكمون اليه فى كثير من قضاياهم وقال صلى الله عليه وسلم والله انى لامين فى السماء وأمين فى الارض وروى الترمذى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه ان أبا جهل قال للنبى صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك أى لا ننسبك الى الكذب انبوت صدقك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وفى رواية لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب وروى البيهقى والطبرانى وغيرهما أن الاخنس بن شريق بفتح الشين المعجمة وكسر الراء لقى أبا جهل يوم بدر فقال له يا أبا الحكم ليس هنا غيرى وغيرك يسمع كلامنا فيما بيننا اخبرنى عن محمد صادق أم كاذب فقال أبو جهل والله ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط زاد فى رواية ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة

والندوة والسقاية فاذا يكون لسائر قريش فهذا يدل على انه مامنعه عن توحيد الله الا طلب الجاه فطلب الجاه حجاب عظيم عن الحق والاخنس بن شريق اختلف فيه فقيل له اسلام وصحبة وقيل قتل كافرا يوم بدر وقيل الذى قتل كافرا شريق لا الاخنس وجاء ان هرقل لما سأل أبا سفيان رضى الله عنه فقال له هل كنتم تتهمونه بالكذب قال لا وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النضر بن الحارث العبدرى قال لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم أى أكثركم اقبالا من نسبة واصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم انه ساحر لا والله ما هو بساحر وسبب قوله ذلك ان أبا جهل أراد أن يرضخ رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وهو يصلى تحت الكعبة فتمثل له جبريل فى صورة فحل فغرفاه ويبست يده على الحجر فلما سمع بذلك النضر بن الحارث قال يامعشر قريش والله قد نزل فيكم أمر ما أتيتم فيه بحيلة قد كان محمد الخ ما تقدم زاد فى رواية وقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم وقلتم انه كاهن والله ماهو بكاهن وقد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقد قلتم شاعر والله ماهو بشاعر وقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه هزجه ورجزه وقلتم مجنون والله ماهو بمجنون ماهو بخنقه ولا تخليطه ولا وسوسته فانظروا فى شأنكم والله قد نزل بكم أمر عظيم وهذا غاية منه فى الانصاف وكان من شياطين قريش ومن أشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم وكان يقول فى القرآن أساطير الاولين فأخذ أسيرا يوم بدر فأمر النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه فقتله بالصفراء عقيب الوقعة وأما النضير بالتصغير فهو أخوه وقد أسلم عام الفتح وكان من المؤلفة وأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين مائة من الابل فاحذر ان يتصحف و يلتبس عليك ومن أمانته صلى الله عليه وسلم مارواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت مامست يده صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط لا يملك رقها أى لا يملكها نكاحا أو ملكا فان التزويج يسمى رقا قال صلى الله عليه وسلم لاسماء رضى الله عنها التزويج رق المرأة فلتنظر أين تضع رقها ومن عدله صلى الله عليه وسلم قوله أبلغوا عنى حاجة من لا يستطيع ابلاغى فانه من أبلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر وفى رواية ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة وكان صلى الله عليه وسلم لا يخير فى امرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وكان لا يؤاخذ أحدا بذنب أحد ولا يصدق أحدا على أحد رواه أبو داود عن الحسن البصرى مرسلا ومن عفته صلى الله عليه وسلم مارواه البيهقى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ماهممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يعملونه غير مرتين يحول الله بينى وبين ما أريد من ذلك ثم ماهممت بسوء حتى أكرمنى الله برسالته قلت ليلة لغلام كان معى يرعى لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة سمعت عزفا أى اعبا بالمعازف وهى الملاهى من الدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر فضرب على أذنى أى أنامنى الله فما أيقظنى الامس الشمس فرجعت ولم أقض شيئا ثم عرانى مرة أخرى مثل ذلك أى مثل ماهممت فى المرة الاولى فعصمنى الله ثم لم أهم بعد ذلك بسوء قط وكان صلى الله عليه وسلم يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان مجلسه مجلس حكم وعلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير (وأما زهده) صلى الله عليه وسلم فى الدنيا فقد تقدم من الاخبار ما يكفى وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها فأعرض عنها ولقد توفى ودرعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله وكان يقصد بذلك التشريع لامته كيلا يرغبوا فيها فتشغلهم عن الله تعالى وكان يقول فى دعائه اللهم اجعل رزق آل محمد فى الدنيا قوتا

وفسر القوت بما يمسك رمق الانسان والمراد قدر الكفاية وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا حتى مضى سبيله وفى رواية ماشبع من خبز شعير يومين متتابعين ولوشاء لاعطاه مالم يخطر ببال وفى رواية أخرى ماشبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقى الله وروى مسلم عن عائشة أيضا رضي الله عنها ماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفى رواية البخارى عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها ماترك صلى الله عليه وسلم الا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ولقد مات ومافى بيتى شئ يأكله ذوكبد الا شطر شعير فى رف لى فأكلت منه حتى طال على فكلته ففنى فياليتنى لم أكله وقال لى انى عرض على أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب أجوع يوما فاصبر وأشبع يوما فاشكر فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع اليك وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك وفى حديث آخر أن جبريل عليه السلام نزل عليه فقال ان الله يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فأطرق ساعة ثم قال ياجبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له أى لقلة معرفته بحقيقة الدنيا من سرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها ولمنافاتها للآخرة باعتبار درجاتها فقال له جبريل ثبتك الله يامحمد بالقول الثابت وفى رواية للبيهقى أنه صلى الله عليه وسلم قال يوما لجبريل ماأمسى لآل محمد كفة سويق ولا سفة دقيق فأتاه اسرافيل فقال ان الله تعالى سمع ماذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح الارض وأمرنى أن أعرض عليك ان أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمرذا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وفى رواية للامام أحمد والله لوشئت لأجرى الله معى جبال الذهب والفضة وفى رواية لابن عساكر لوشئت لسارت معى جبال الذهب وفى أخرى للطبرانى لوسألت الله أن يجعل لى تهامة كلها ذهبا لفعل وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا مانستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وروى الترمذى عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير وروى ابن ماجه والترمذى عن عائشة وأبى امامة وابن عباس رضي الله عنهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالى المتتابعة طاويا لايجدون عشاء وروى البخارى عن أنس رضي الله عنه قال ماأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة ولا خبزله مرقق ولا رأى شاة سميطا قط والخوان مايؤكل عليه كالكرسى على عادة المترفهين لئلا يحتاجوا الى الانحناء حال أكلهم فالصحابة انما كانوا يأكلون على السفر المبسوطة فى الارض والسكرجة فارسى معرب وهو بضم الثلاثة وشد الراء اناء صغير يؤكل فيه القليل من الادم وأكثر ما وضع فيه وأمثاله مايعتاده المترفهون من احضار المخللات ونحوها من المهضمات والمرغبات فى أطراف المأكولات والمرقق الرغيف الابيض اللين الواسع والسميط بمعنى المسموط المشوى بجلده بعد اخراج مافيه من القاذورات والنجاسات فان لم تخرج كان حراما وكذا حكم الرؤس والدجاج وانما يحسن السمط فى صغار الغنم وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت انما كان فراشه صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه أدما أى جلدا مدبوغا وروى الترمذى عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت كان فراش النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتى مسحا أى من شعر أبيض وقيل أسود نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة بأربع طاقات فلما أصبح قال مافرشتم لى الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطاءته أى لينته منعتنى أى كمال حضورى فى طاعتى أوشغلتنى عن القيام لصلاتى وقراءتى ولم يسألهم صلى الله عليه وسلم فى ابتداء ليلته لاستغراقه فى شهوده ونوره ووجود حضوره وروى

الشيخان والترمذي انه صلى الله عليه وسلم كان ينام أحيانا على سرير مرمول أي منسوج بشريط مفتول من سعف حتى تؤثر خشونة الشريط في جنبه لكونه يرقد عليه من غير حائل بينه وبينه وعن عائشة رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى لأحد قط أي لأحد من أصحابه وزوجاته وكانت الفاقة أحب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا طول ليلة فلا يمنعه أي جوعه صيام يومه وهذا كله لكمال زهده واقبال قلبه على ربه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها قالت عائشة رضي الله عنها ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به من الجوع وامسح بطنه وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة مالي وللدنيا اخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني استحي ان ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو أحب الي من اللحوق باخواني وأخلائي قالت رضي الله عنها فما أقام أي في الدنيا بعد أي بعد قوله ذلك الا شهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم وفي رواية لابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله عنها قالت ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه وقال يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض مني الا أن يكلفني ما كلفهم فقال اصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل واني والله لأصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة الا بالله قال العلماء من قال مالي صدقة على أعقل الناس يعطى للزهاد لأن العاقل من طلق الدنيا كما قيل

طلق الدنيا ثلاثا * واطلبن زوجا سواها
انها زوجة سوء * لا تبالي من أتاها
أنت تعطيها مناها * وهي تعطيك قفاها
فاذا نالت مناها * منك ولتك وراها

روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال صلى الله عليه وسلم ان أهل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع غدا في الآخرة أي لأن من كثر شبعه ورغب فيه ربما حصل مالا يأكله من غير وجهه فيجازى بالجوع في الآخرة اما في الموقف أو في النار ان دخلها للتطهير لا بعد دخول الجنة اذ لا عذاب فيها والجوع عذاب وروى ابن ماجه والحاكم عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أكثر الناس شبعا في الدنيا أطولهم جوعا في الآخرة وذلك لأن شأن المؤمن الكامل أن يشتد حزنه ويكثر فكره فيشفق على نفسه من استيفاء شهوته فيقل أكله كما ورد في حديث لأبي امامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من كثر تفكره قل مطعمه ومن قل تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه أي لأن كثرة المطعم تورث قسوة القلب وقال جمع من الصحابة منهم عمرو بن العاص رضي الله عنه البطنة تذهب الفطنة ومن قل طعامه قل شربه وخف نومه ومن خف منامه ظهرت بركة عمره أي لما يباشره من الطاعات في يقظته ومن امتلأ بطنه كثر شربه ومن كثر شربه ثقل نومه ومن كثر نومه محقت بركة عمره ولا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاما فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذاء بدنه وصلح حال نفسه ومن امتلأ جوفه من الطعام ساء غذاء بدنه وبطرت نفسه وقسا قلبه فلا تجتمع فيه موعظة ولا تدخله حكمة روى أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط كان اذا تغدى أي أكل في غدوة النهار وبكرته لم يتعش أي لم يأكل في المساء واذا تعشى لم يتغد وكان في أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان أطعموه أكل أي ان قدموه له ليأكل أكل وما أطعموه قبله منهم وما سقوه أي من الأشربة لبن أو غيره شرب وروى مثل هذا عن عائشة رضي الله عنها

ثم ان ما استفيد من كراهة الشبع محمول على الشبع الذى يثقل المعدة ويثبط عن القيام بالعبادة ويفضى الى النوم والكسل والبطر والاشر وقد تنتهى كراهة الشبع الى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة روى البخارى ومسلم ان عائشة رضى الله عنها كانت تقول لعروة بن الزبير تحضه له على التأسى بالنبى صلى الله عليه وسلم والاقتداء به فى التقلل والله يا ابن أختى ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء وروى مسلم عنها رضى الله عنها ما شبع آل محمد ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت فى يوم واحد مرتين خصت الزيت لانهم كانوا يأتدمون به كثيرا ومع ذلك لم يأكله فى اليوم الامرة زهدا فى الدنيا وعن ابى حازم سلمة بن دينار انه سأل سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه هل رأيتم فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم النقى يعنى الخبز الحوارى قال لا قلت كنتم تنخلون الشعير قال لا ولكنا كنا ننفخه رواه البخارى وفى رواية هل أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى قال ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى من حين ابتعثه الله حتى قبضه فقلت هل كان لكم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل فقال ما رأى النبى صلى الله عليه وسلم منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه قلت كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول قال كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقى ثريناه فأكلناه أى نديناه ولنياه ثم خبزناه فأكلناه وروى مسلم والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فى ساعة لا يخرج فيها أحد ولا يلقاه فيها أحد فاذا هو بأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قال كل منهما أخرجنا الجوع يا رسول الله قال وأنا والذى نفسى بيده أخرجنى الذى أخرجكما وهذا قاله تسلية وتأنيسا لهما فانطلقوا الى منزل أبى الهيثم بن التيهان الانصارى رضى الله عنه وكان رجلا كثير النخل والشياه واذا هو ليس فى بيته فلما رأت امرأته النبى صلى الله عليه وسلم قالت مرحبا وأهلا وفى رواية مرحبا بنبى الله ومن معه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان يعنى زوجها قالت ذهب يستعذب لنا الماء أى يستقى لنا ماء عذبا من بئر بعيدة وكانت أكثر مياه المدينة مالحة فبينما هم على ذلك اذ جاء الانصارى فوضع القربة ثم جاء يلتزم النبى صلى الله عليه وسلم ويفديه بأبيه وأمه وفى رواية فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله أى على هذه التى لم يظفر بها غيرى فى هذا اليوم ما أحد اليوم أكرم أضيافا منى فانطلق بهم الى بستانه فجاءهم بقنو فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدية أى السكين ليذبح لهم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب أى باعد نفسك عن ذات اللبن فلا تذبحها فذبح لهم فشوى نصف اللحم وطبخ نصفه وأتاهم به فلما وضع بين يديه صلى الله عليه وسلم أخذ من ذلك فجعله فى رغيف وقال للانصارى أبلغ بهذا فاطمة رضى الله عنها فانها لم تصب مثله منذ أيام فذهب به اليها فأكلوا من الشاة ومن القنو وشربوا من ذلك الماء العذب فلما ان شبعوا ورووا قال صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر رضى الله عنهما والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم وفى رواية انه قال هذا والذى نفسى بيده من النعيم الذى تسئلون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد ثم انطلق أبو الهيثم يصنع لهم طعاما وهذه تدل على انه قال لهم ذلك قبل أكلهم من الشاة وفى رواية فكبر ذلك على أصحابه أى كون هذا من النعيم الذى يسئلون عنه فقال اذا أصبتم مثل هذا فضرب بأيديكم فقولوا باسم الله فاذا شبعتم فقولوا الحمد لله الذى أشبعنا وأنعم علينا وأفضل فان هذا كفاف فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله انا لمسؤلون عن هذا يوم القيامة قال نعم الا من ثلاث كسرة يسد بها الرجل جوعته أو ثوب يستر به

عورته أوتحير يدخل فيه من الفزع والحزن وفى هذه القصة ونحوها ان اتيانهم دار أبى الهيثم رضى الله عنه لا ينافى شرفهم فقد استطعم قبلهم موسى والخضر عليهما السلام لارادة الله تسلية الخلق بهم وان يقتدوا بهم فعلوا ذلك تشريعا للامة وفى قول امرأة أبى الهيثم يستعذب الماء دليل على ان طلب الماء العذب لا بأس به وانه لا ينافى الزهد وان السبب لا ينافى التوكل اذ التوكل اعتماد القلب على الله وان لا يكون للعبد وثوق بسوى ربه فالحركة الظاهرة لا تنافيه وقصده صلى الله عليه وسلم بيت الانصارى رضى الله عنه من هذا القبيل ومن زهده صلى الله عليه وسلم ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى ذات يوم الى منزله فأخرج اليه فلقا من خبز فقال مامن أدم أى هل عندكم شئ من الادم آكل الخبز به قالوا الا شئ من خل قال نعم الادم الخل قال جابر فمازلت أحب الخل منذ سمعتها من نبى الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن أبى الدنيا عن ابن عمر رضى الله عنه قال أصاب النبى صلى الله عليه وسلم الجوع يوما فعمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم قال الارب نفس طاعمة ناعمة فى الدنيا جائعة عارية يوم القيامة الارب مكرم لنفسه وهو لها مهين الارب مهين لنفسه وهو لها مكرم وروى الترمذى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن أبى طلحة زوج أمه رضى الله عنهما قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه حجرين وانما رفع لهم ليعلمهم أن ليس عنده ما يستأثر به عليهم وتسلية لهم لاشكاية أن مابهم من الجوع أصابه فوقه حتى احتاج الى حجرين وفى قصة جابر رضى الله عنه فى حفر الخندق قام صلى الله عليه وسلم الى الكدية وبطنه معصوب بحجر وما أحسن قول البوصيرى رحمه الله

وشد من سغب أحشاءه وطوى * تحت الحجارة كشحا مترف الادم

والكشح مابين الخاصرة واقصر ضلع وانما حصل له الجوع فى بعض الاوقات ليحصل له تضعيف الاجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه حتى ان من رآه لا يظن به جوعا وانما يعرفه بعض الخواص كأبى طلحة بالصوت ونحوه لان جسمه صلى الله عليه وسلم كان يرى أشد نضارة وحسنا من أجسام المترفين المتلذذين بالنعم فى الدنيا وهذا المعنى هو الذى قصده البوصيرى رحمه الله بقوله مترف الادم أى حسن الجلد ناعمه وهو من باب الاحتراس والتكميل لانه لما ذكر انه شد من سغب أى جوع خاف أن يتوهم ان جسمه الشريف يظهر فيه أثر الجوع وهو الضعف فاحترس ورفع ذلك الايهام بقوله مترف الادم وحصول الجوع فى بعض الاوقات لا ينافى قوله صلى الله عليه وسلم حين سألوه عن مواصلته فى الصوم لست كأحدكم انى ربى يطعمنى ويسقينى لان كلا منهما حصل له فى وقت فأحاديث الوصال تدل على انه يستغنى عن الطعام والشراب فى بعض الاوقات وان الله يعطيه قوة الآكل الشارب فيها وفى بعض الاوقات يحصل له شئ من الجوع حتى يظهر لبعض أصحابه ويكون حكمة ذلك حصول الاجر والثواب وليقتدوا به ويصبروا اذا حصل لهم شئ من ذلك فهو تشريع لهم ولمن بعدهم ليزهدوا فى الدنيا ويتقللوا منها وقيل ان عصب الحجر على البطن ليس لاجل الجوع بل لان عادة العرب أو أهل المدينة ان يفعلوا ذلك اذا خلت أجوافهم وغارت بطونهم ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم تطييبا لقلوبهم بفعل مايعتادون فعله وليعلموا انه ليس عنده ما يستأثر به عليهم ومن زهده صلى الله عليه وسلم انه أوتى مفاتيح خزائن الارض فأعرض عنها وفتح كثير من البلاد فى حياته صلى الله عليه وسلم وجاءته أموالها فقسمها بين أصحابه وما استأثر بشئ منها ولا أمسك دينارا ولا درهما بل صرفها فى مصارفها وبالجملة فما من خلق كريم الا واتصف صلى الله عليه وسلم بأكمله وأعلاه وروى الشفاء عن على رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته أى طريقته المبنية على شريعته وحقيقته فقال المعرفة

رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة بالله كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي والفقر فخري والزهد حرفتي واليقين قوت روحي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي رواية وثمرة فؤادي في ذكر ربي وغمي لاجل أمتي وشوقي الى ربي قال ملا علي القاري في شرحه على الشفا والمصنف ثبت ثقة حجة فحسن الظن به انه ما رواها أي هذه الالفاظ الاعن بينة اه *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم التي اختص بها امداده بالملائكة ورؤية أصحابه لهم وقتالهم معه ومع أصحابه يوم بدر حتى هزموا المشركين وكانوا زهاء ألف والمسلمون ثلثمائة وثلاثة عشر حتى سمع بعض الحاضرين زجر الملائكة خيلها وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان يومئذ على دين قومه رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض وأرى النبي صلى الله عليه وسلم مرة جبريل لعمه حمزة رضي الله عنه فخر مغشيا عليه من عظمته وهيئته وحديثه رواه البيهقي وفي مسلم ان الملائكة كانت تسلم على عمران بن حصين رضي الله عنهما وعنا بهما وروى ابن سعد انها كانت تصافحه *(ومن دلائل نبوته)* صلى الله عليه وسلم ما تما نعت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعن الكهان على السنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش وما جاء عن علماء أهل الكتاب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته كما تقدم بسطه أول الكتاب في مواضعه قال كعب الاحبار نجد في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وأمته الحامدون يحمدون الله تعالى في السراء والضراء وقال وهب بن منبه في الزبور ياداود سيأتي من بعدك نبي يسمى أحمد ومحمدا صادقا سيدا لا أغضب عليه أبدا وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمته مرحومة وأعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الانبياء والرسل حتى يأتوا يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء وروى البيهقي انه لما قدم الجارود بن العلاء وكان أسقفا للنصارى على النبي صلى الله عليه وسلم رآه وتحقق صفاته قال والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذي بعثك بالحق نبيا لقد وجدت وصفك في الانجيل وبشر بك ابن البتول فطول التحية لك والشكر لمن أكرمك لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين مد يدك فاني أشهد أن لا اله الا الله وأنك محمد رسول الله وفي دلائل النبوة للبيهقي ان ثلاثة من اليهود أسلموا على يد النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر وأخبروا أن حبرا من يهود الشام يقال له ابن الهيبان قدم المدينة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فأقام عند اليهود فكانوا يستسقون به فحضرته الوفاة فجاؤه فقال يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الرخاء الى أرض البؤس قالوا أنت أعلم قال انما خرجت أتوقع مبعث نبي قد أظل زمانه ومهاجره هذه البلاد فاتبعوه فلا يسبقكم اليه أحد فانه يبعث بسفك دماء من خالفه وسبي ذراريهم ثم مات فلما فتحت خيبر قال أولئك النفر الثلاثة وكانوا شبابا احداثا يا معشر يهود والله انه للذي كان يذكر لكم ابن الهيبان قالوا ما هو به قالوا بلى ثم نزلوا وأسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهليهم في الحصن فردها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما ذكر في التوراة من صفاته وصفات أمته قال موسى رب اني أجد في التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال اني أجد فيها أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال أجد أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد وفي الزبور ياداود يأتي بعدك نبي يسمى أحمد ومحمدا صدوقا سيدا أمته مرحومة افترضت عليهم أن يتطهروا لكل صلاة كما افترضت على الانبياء وامرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت

الانبياء وأمرتهم بالحج والجهاد فيا داود انى فضلت محمدا وأمته على الامم كلها أعطيتهم ست خصال لم أعطها
غيرهم لا أواخذهم بالخطأ والنسيان وكل ذنب ركبوه عمدا إذا استغفروني منه غفرته لهم وما قدموه
لآخرتهم طيبة به أنفسهم عجلته لهم أضعافا مضاعفة ولهم في المدخور عندي أضعاف مضاعفة
وأعطيتهم على المصائب إذا صبروا وقالوا انا لله وانا اليه راجعون الصلاة والهدى والرحمة الى جنات
النعيم فان دعوني استجبت لهم فاما ان يروه عاجلا أو أصرف عنهم سوءا أو أدخره لهم في الآخرة ومما أخبر
الله به في القرآن انه مذكور في التوراة والانجيل من صفاته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن
المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين
آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ولو لم يكن هذا مكتوبا
عندهم في التوراة لكان الاخبار به على خلاف الواقع من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول
دعوته صلى الله عليه وسلم لان الكذب والبهتان من أعظم المنفرات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان
حاله وينفر الناس عن قبول مقاله فلما قال لهم هذا دل على ان ذلك النعت كان مذكورا في التوراة
والانجيل وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته لكن أهل الكتاب كما قال تعالى يكتمون الحق وهم
يعلمون ويحرفون الكلم عن مواضعه والا فهم قاتلهم الله قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا
أبناءهم وحرفوا ما وجدوه في التوراة والانجيل وبدلوه ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم
نوره ولو كره الكافرون وفي البخاري عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
عنهما أي وكان عبد الله ممن قرأ التوراة قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل
والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به
أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وفي رواية لابن اسحاق ولا صخب بالاسواق ولا متزين بالفحش
ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم ثم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى
ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق
شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به
بعد الخمالة وأسمي به بعد النكرة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة
وأهواء متشتتة وأمم متفرقة واجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وأخرج ابن سعد بمعناه ومذكور
في بعض الكتب المنزلة ان ابراهيم عليه السلام لما أمر باخراج هاجر حملها على البراق فكان لا يمر
بأرض عذبة سهلة الا قال أنزل ههنا يا جبريل فيقول له لا حتى أتى مكة فقال جبريل انزل يا ابراهيم
قال حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم ههنا يخرج النبي الذي من ذرية ابنك الذي تتم به الكلمة العليا وفي
التوراة مما هو مختار بعد الحذف والتحريف والتبديل ما ذكره ابن ظفر وابن قتيبة في اعلام النبوة
تجلى الله من سينا وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران فسينا هو الجبل الذي كلم الله فيه
موسى عليه السلام وساعير هو الجبل الذي كلم الله فيه عيسى فظهرت فيه نبوته وجبال فاران هي جبال
بني هاشم التي بمكة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحنث في احدها وفيه فاتحة الوحي وهو حرا
قال ابن قتيبة ولا اشكال في هذا لان تجلي الله من سيناء انزاله التوراة على موسى عليه السلام بطور
سيناء ويجب أن تكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل وأن يكون استعلانه من جبال فاران

أنزل الله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وهي جبال مكة وليس بين المسلمين وأهل الكتاب في ذلك
اختلاف فان قال قائل منهم ان جبال فاران ليست بمكة قلنا له أليس في التوراة ان الله أسكن هاجر
واسماعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل عليه
كتابا بعد المسيح أوليس استعلن وعلن بمعنى واحد وهو ما ظهر وانكشف فهل تعلمون دينا ظهر ظهور
الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه قال في المواهب وفي التوراة أيضا مما ذكره ابن
ظفر في اثناء خطاب لموسى عليه السلام والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه ما نصه وسأقيم لهم نبيا
مثلك من اخوتهم واجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل شئ أمرته وأيما رجل لم يطع من تكلم باسمي فاني
انتقم منه وفي هذا الكلام أدلة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله نبيا من اخوتهم وموسى
وقومه من بني اسحاق واخوتهم بنو اسماعيل ولو كان هذا النبي الموعود به من بني اسحاق لكان من
أنفسهم لا من اخوتهم ولقوله نبيا مثلك وقد قال في التوراة لا يقوم في بني اسرائيل أحد مثل موسى عليه
السلام وفي ترجمة أخرى مثل موسى لا يقوم في بني اسرائيل أبدا فذهبت اليهود الى أن هذا النبي
الموعود به هو يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفؤ الموسى عليه السلام بل كان خادما له في حياته
ومؤكدا لدعوته بعد وفاته فتعين أن يكون المراد به سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كفؤ موسى لانه
ماثله في نصب الدعوة والتحدي بالمعجزة وشرح الاحكام واجراء النسخ على الشرائع السالفة وقوله تعالى
أجعل كلامي في فيه واضح في ان المقصود به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لان معناه أوحي اليه بكلامي
فينطق به على ما سمعه ولا أنزل صحفا ولا الواحا لانه أمي لا يحسن أن يقرأ المكتوب وفي الانجيل عن
عيسى عليه السلام اني أطلب الى ربي فارقليط يكون معكم الى الابد وفيه أيضا على لسانه فارقليط روح
القدس الذي يرسله ربي باسمي أي بالنبوة يعلمكم جميع الاشياء ويذكركم ما قلته واني قد أخبرتكم بهذا
قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنوا به وفيه أيضا أقول لكم الآن حقا انطلاقي عنكم خير لكم فان لم
انطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم الفارقليط وان انطلقت أرسلته اليكم فاذا جاء يفيد العالم ويؤنبهم
ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبر بروح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر لجميع الخلق لانه ليس
يتكلم بدعة من تلقاء نفسه وفيه أيضا مما ذكره ابن ظفر بأن في الدر المنظم عن المسيح عليه السلام انه
قال أنا أطلب لكم من الله أن يعطيكم فارقليط آخر يثبت معكم الى الابد روح الحق الذي لن يطيق
العالم أن يقتلوه فهذا تصريح بأن الله سيبعث اليهم من يقوم مقامه وينوب عنه في تبليغ رسالة ربه
وسياسة خلقه وتكون شريعته باقية مخلدة أبدا فهل هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفت
النصارى في تفسير الفارقليط فقيل هو الحامد وقيل المخلص فان وافقناهم على انه المخلص أفضى بنا
الامر الى أن المخلص رسول يأتي بخلاص العالم وذلك من غرضنا لان كل نبي مخلص لامته من الكفر
ويشهد له قول المسيح في الانجيل اني جئت لخلاص العالم فاذا ثبت ان المسيح هو الذي وصف نفسه بأنه
مخلص العالم وهو الذي سأل الله أن يعطيكم فارقليط آخر ففي مقتضى اللفظ ما يدل على انه قد تقدم
فارقليط أول حتى يأتي فارقليط آخر وان نزلنا معهم على القول بأنه الحامد فأي لفظ أقرب الى أحمد
ومحمد من هذا وفي بعض تراجم الانجيل ان الفارقليط هو رسول يرسله الله وهو روح القدس وهو
مصدق بالمسيح ويعلم الخلق كل شئ ويذكرهم وفي الانجيل الفارقليط اذا جاء وبخ العالم على الخطيئة
ولا يقول من تلقاء نفسه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث وفيه أيضا فاذا جاء روح
الحق ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع من الذي أرسله وهذا كما قال تعالى في حقه صلى الله
عليه وسلم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى قال ابن ظفر فمن ذا الذي وبخ العالم على كتم الحق

وشريف الكلام عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس ومن ذا الذى أنذر بالحوادث وأخبر بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم ولله در أبى محمد الشقراطسى حيث قال

توراة موسى أتت عنه فصدقها * انجيل عيسى بحق غير مفتعل
أخبار أحبار أهل الكتب قد وردت * عما رأوا أو رووا فى الاعصر الاول

ويعجبنى قول العارف الربانى أبى عبد الله بن النعمان

هذا النبى محمد جاءت به * توراة موسى للانام تبشر
وكذا انجيل المسيح موافق * ذكر لاحمد معرب ومذكر

وفى الدلائل للبيهقى عن الحاكم بسند لا بأس به عن أبى امامة الباهلى عن هشام بن العاص الاموى قال بعثت أنا ورجل آخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث وانه أرسل اليهما ليلا قال فدخلنا عليه فدعا بشئ كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح واستخرج حريرة سوداء فنشرها فاذا فيها صورة حمراء فاذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ير مثل طول عنقه واذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله تعالى قال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا آدم عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء فاذا فيها صورة بيضاء فاذا رجل أحمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام ثم فتح بابا آخر واخرج حريرة فاذا فيها صورة بيضاء فاذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتعرفون هذا قلنا نعم محمد رسول الله ونبينا قال والله انه لهو ثم قام قائما ثم جلس وقال انه لهو قلنا نعم انه كأنه ينظر اليك فأمسك ساعة ينظر اليها ثم قال اما والله انه لآخر البيوت ولكنى عجلته لكم لانظر ما عندكم الحديث وفيه ذكر صور الانبياء ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم عليهم السلام قال قلنا له من أين لك هذه الصور فقال ان آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه الانبياء من ولده فأنزل الله عليه صورهم فكانت فى خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين ووضعها عند دانيال عليه السلام وفى الزبور فى مزمور أربعة وأربعين فاضت النعمة من شفتيك من أجل هذا باركك الله الى الابد تقلد أيها الجبار السيف فان شرائعك وسنتك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون تحتك فهذا المزبور ينوه بمحمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التى فاضت من شفتيه هى القول الذى يقوله وهو الكتاب الذى أنزل عليه والسنة التى سنها وفى قوله تقلد أيها الجبار دلالة على انه النبى العربى اذ ليس يتقلد السيوف أمة من الامم سوى العرب فكلهم يتقلدونها على عواتقهم وفى قوله فان شرائعك وسنتك نص صريح انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بهيبة يمينه والجبار هو الذى يجبر الخلق بالسيف على الحق ويصرفهم عن الكفر جبرا وعن وهب بن منبه قال قرأت فى بعض الكتب القديمة قال الله تبارك وتعالى وعزتى وجلالى لانزلن على جبال العرب نورا يملأ ما بين المشرق والمغرب ولاخرجن من ولد اسماعيل نبيا عربيا أميا يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الارض كلهم يؤمن بالله ربا وبه رسولا يكفرون بملل آبائهم ويفرون منها قال موسى سبحانك وتقدست أسماؤك لقد كرمت هذا النبى وشرفته قال الله ياموسى انى انتقم من عدوه فى الدنيا والآخرة وأظهر دعوته على كل دعوة وأذل من خالف شريعته بالعدل زينته وبالقسط أخرجته وعزتى لاستنقذن به أمما من النار فتحت الدنيا بابراهيم واختمها بمحمد صلى الله عليه وسلم فمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل فى شريعته فهو من الله برىء نقله فى المواهب عن ابن ظفر * (ومن دلائل نبوته) * صلى الله عليه وسلم خبر ورقة بن نوفل بن أسد فانه عرف نبوته عن الرهبان وقد أخبرته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها بما رأته منه من اعلام النبوة وبما أخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب

وانه رأى ملكين يظلانه فقال ان كان هذا حقا فمحمد نبي هذه الامة وقد عرفت ان لها نبيا ينتظر وهذا زمانه ثم انه كان يستبطئ الامر حتى قال

لبكر أم أنت العشية رائح * وفي الصدر من اضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم * كأنك عنهم بعد يومين نازح
فأخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه اذا غاب ناصح
فذاك الذي باخير محرة * بفور وبالنجدين حيث الصحاصح
الى سوق بصرى والركاب التي غدت * وهن من الاحمال قعص ذوابح
يخبرنا عن كل خير بعلمه * وللحق أبواب لهن مفاتح
بأن ابن عبد الله أحمد مرسل * الى كل من ضمت عليه الاباطح
وظني به أن سوف يبعث صادقا * كما بعث العبدان هود وصالح
وموسى وابراهيم حتى يرى له * بهاء ومنشور من الذكر واضح
وتتبعها جبا لؤي جماعة * شبابهم والاشيبون الجحاجح
فان أبق حتى يدرك الناس دهره * فاني به مستبشر الود فارح
والا فاني يا خديجة فاعلمي * عن ارضك في الارض العريضة سائح

وهذه شواهد صدق بايمانه مع ما ذكره بعضهم من انه صحابي بل هو أول الصحابة بناء على انه اجتمع به بعد الرسالة اذ صح انه أتاه بعد مجيء جبريل عليه السلام اليه واخباره له عن ربه بأنه رسول هذه الامة بعد انزال اقرأ باسم ربك الذي خلق عليه و بعد قول ورقة له أبشر فانا أشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك على ناموس عيسى وانك نبي مرسل وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم رآه في الجنة وعليه ثياب خضر وفي مستدرك الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا ورقة فاني رأيته في الجنة وعليه جبة أو جبتان قال ملا علي القاري في شرح الشفا وأما ما نقله الذهبي عن ابن منده انه قال الاظهر انه مات بعد النبوة قبل الرسالة فواه جدا ويرده ما في صحيح البخاري عنه صريحا وبالجملة فأخبار الاحبار والرهبان الواردة في ذكره صلى الله عليه وسلم وشهادتهم بأنه النبي الموعود به لا تكاد تنحصر وانما امتنع من امتنع منهم من الدخول في الاسلام حسدا وعنادا واختيار البقاء على الشقاء وقد قرع اسماعهم بأنه مذكور في كتبهم وان صفته عندهم كذا وصفة أصحابه كذا كقوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار الى قوله ذلك مثلهم في التوراة ثم قال ومثلهم في الانجيل كزرع الآية فقد احتج عليهم صلى الله عليه وسلم بما انطوت عليه صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه ولهم ألسنتهم ببيان أمره وتبيان ذكره ودعاهم الى المباهلة فامنهم الا من فرغن معارضته وعن ابداء ما ألزمهم باظهاره من كتبهم كآية الرجم وغيرها ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال *(ومن دلائل نبوته)* صلى الله عليه وسلم ما سمع من أجواف الاصنام وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم وأكثر ذلك مشهور وتقدم جملة من ذلك أول هذا الكتاب وكان ذلك سببا لاسلام كثير ممن شاهده *(ومن دلائل نبوته)* صلى الله عليه وسلم ما ظهر من خوارق العادات عند مولده وفي أيام رضاعه عند حليمة رضي الله عنها وما حكته أمه آمنة في مدة حملها وعند ولادتها وما حكاه من حضر مولده من العجائب كما تقدم ذلك كله مبسوطا في باب ذكر الخوارق التي ظهرت في رضاعه وقبله و بعده أيضا فارجع اليه ان شئت *(ومن دلائل نبوته)* صلى الله عليه وسلم انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا

وكان لا يقع الذباب على جسده ولا ثيابه قال القاضي عياض قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا وبحسب هذا الباب لو تقصي أن يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عديدة ومعجزات نبينا أظهر من معجزات سائر الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وانه ما أوتي نبي معجزة الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها أو ما هو أبلغ منها أما كثرتها فهذا القرآن وكله معجز وأقصر سورة منه معجزة وكل آية منه كذلك وقال بعضهم كل جملة منه معجزة وفي القرآن نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف واعجازه من طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء معجزتان فتضاعف العدد ثم فيه وجوه اعجاز آخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد وان نظرت الى بقية وجوه الاعجاز المتقدمة أوجب ذلك التضعيف الى ما لا يكاد يحصى ولا يستقصى هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم ان الاخبار والاحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في أبواب خوارق العادات والاخبار بالمغيبات تبلغ نحو ذلك من التضعيف مع ما في معجزاته صلى الله عليه وسلم من الشهرة والوضوح وكانت معجزات الرسل على حسب حال أهل زمانهم فلما كان زمن موسى عليه السلام كان غاية علم أهله السحر فبعث الله اليهم موسى عليه السلام بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم وكان في زمن عيسى عليه السلام أوفر ما كانوا عليه الطب فجاءهم بأمر لا يقدرون عليه وأتاهم بما لم يحتسبوا من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص دون معالجة للطب وهكذا سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانت بقدر علم أهل زمانهم ثم ان الله بعث سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها أربعة البلاغة المقرونة بالفصاحة والشعر والاخبار بانساب العرب وأيامها ووقائعها والكهانة وهي مزاولة الخبر عن الكائنات واظهارها وادعاء معرفة أسرارها فأنزل الله القرآن الخارق لهذه الاربعة بسبب ما فيه من الفصاحة والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن السبك الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في أساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الحوادث والاسرار والخبآت التي كانت على وفق ما أخبر فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من أصلها برجم الشياطين بالشهب وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وأنباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه ثم بقيت هذه المعجزة أعني القرآن بما فيه ثابتة الى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه منضما الى ما أخبر به من الغيوب فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور ما أخبر به على وفق ما أخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس أشد طمأنينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا وجميع معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بانتقالهم ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء نبي الا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله الي فأرجو اني أكثرهم تابعا يوم القيامة وقوله ما من الانبياء نبي الا أعطي ما مثله آمن عليه البشر معناه ليس نبي منهم الا أعطاه الله من المعجزات شيئا ألجأ من شاهده الى الايمان به فخص كل نبي بما اثبت دعواه من خوارق العادة التي أعطاه مولاه في زمانه وبعد انقراضه اختفى شأنه ولم يبق سلطانه ولم يبلغ برهانه كقلب العصا لموسى حية

تسمى وانما كان الذى أوتيت وحيا معجزا فى أعلى طبقات البلاغة وأقصى غايات الفصاحة كريم الفائدة عميم العائدة على السابقين واللاحقين من هذه الامة قرنا بعد قرن على مرور الازمنة فلذا رتب عليه قوله فأرجو أى بسبب بقائه وظهور نفعه أنى أكثرهم تابعا وقيل المراد انه وحى وكلام لا يمكن فيه التخيل ولا التحيل فان غير معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم قد قصد المعاندون ابطالها بأشياء طمعوا فى التخيل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وما أشبه ذلك مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للتخيل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر وخطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل والتمويه ثم ان عجز العرب عن معارضته من أكبر آياته وهو من جنس مقدورهم ورضوا بالبلاء والعناء والجلاء من أوطانهم والسبى والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد فذلك أبين آية وأظهر علامة وأبهر دلالة للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته فعجزهم عما هو من جنس مقدورهم أبلغ من خرق العادة بالافعال البديعة فى أنفسها كقلب العصا حية ونحوه فانه قد يسبق الى بال الناظر مبادرة قبل التأمل ان ذلك من الاختصاص بمزيد المعرفة فى ذلك الفن كما توهم فرعون حيث قال انه لكبيركم الذى علمكم السحر بخلاف مالا يعرف انه معجز الا بالتأمل والفكر فانه حينئذ يتحقق الفهم ويضمحل الوهم ويتبين للقلب الحى ان قلب العصا حية ونحوه مما لا يدخل تحت طوق البشر اذ هو فعل الفاعل القوى القادر والتحدى للخلائق المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يفعلوا مع توفر الدواعى على المعارضة ابلغ وأظهر من خرق العادة بغيره ولما دقت أنظار العرب وتوفرت عقولهم وكان لهم من الادراك ما ليس لغيرهم جاءتهم الآيات المحتاجة لدقة النظر وحسن المعرفة بوجوه الاعجاز وأما غيرهم من القبط قوم فرعون وبنى اسرائيل قوم موسى عليه السلام وغيرهم ماعدا العرب فانهم لم يكونوا بهذه الطريقة بل كانوا على غاية من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم فاستخف قومه فأطاعوه وأضل فرعون قومه وما هدى وجوز عليهم السامرى ربوبية العجل فعبدوه بعد ايمانهم وعبدت طائفة من بنى اسرائيل المسيح عيسى عليه السلام فجاءتهم من الآيات الظاهرات البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم مالا يشكون فيه ومع هذا قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير والعرب مع جهلها بأمور الشريعة والديانة أكثرها يعترف بوجوب الصانع وانما كانت تشرك معه غيره ومنهم من آمن بالله وحده قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ومنهم من أدرك بعثته صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم بكتاب الله فهموا حكمته لحدة فطنتهم وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا واكتسبوا احسانا وايقانا ورفضوا الدنيا كلها فى صحبته وبين همته وبركة متابعته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم فى نصرته فجميع هذه الاشياء لم توجد فى غير القرآن من بقية المعجزات ولم تكن لغير نبينا صلى الله عليه وسلم ممن أوتى خوارق العادات وأما كونه لم يؤت أحد من الانبياء شيئا من المعجزات الا وعند نبينا مثلها أو أبلغ منها فقد تصدى العلماء لبيان ذلك فقالوا انه صلى الله عليه وسلم أعطى ما أعطيه جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام واختص بأشياء لم يعطها أحد غيره فمن ذلك انه أوتى جوامع الكلم وكان نبيا وآدم بين الروح والجسد وغيره من الانبياء لم يكن نبيا الا فى حال نبوته أى بعد بعثته وزمان رسالته ولما أعطى صلى الله عليه وسلم هذه المنزلة علمنا انه الممد لكل انسان كامل مبعوث فمنه أفاض الله على جميع من تقدمه من الانبياء والمرسلين أحوالا كثيرة زيادة على ما عندهم من الفضائل ويرحم الله الابوصيرى حيث يقول

وكل آى أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن أنوارها للناس فى الظلم

يعنى ان كل معجزة أتى بها كل واحد من الرسل فانما اتصلت بكل واحد من نور محمد صلى الله عليه وسلم الذى أوجده الله قبل وجوده فى هذا العالم وما أحسن قوله فانما اتصلت من نوره بهم فانه يعطى أن نوره صلى الله عليه وسلم لم يزل تاما به ولم ينقص منه شئ ولو قال فانما هى من نوره لتوهم انه وزع عليهم وقد لا يبقى منه شئ وانما كانت آيات كل واحد من نوره صلى الله عليه وسلم لانه شمس فضل هم كواكب تلك الشمس يظهرن أى تلك الكواكب أنوار تلك الشمس للناس فى الظلم لان الكواكب ليست مضيئة بالذات وانما هى مستمدة من الشمس فهى عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل وجوده عليه الصلاة والسلام كانوا يظهرون فضله بالصفات التى اشتملوا عليها وأوصلوها الى أممهم فانما وصلت اليهم من نوره صلى الله عليه وسلم والحاصل ان جميع ما ظهر على ايدى الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين قبله صلى الله عليه وسلم من الانوار فانما هو من نوره الفائض الكثير الذى عم المشارق والمغارب ومدده الواسع من غير أن ينقص منه شئ فيكون ذلك كنور السراج اذا أوقد من نحو شمعة فنورها لم ينقص منه شئ ونور السراج نشأ من نورها مع بقاء نورها بجملته وأول ما ظهر ذلك فى آدم عليه السلام حيث جعله الله تعالى خليفة وأمده بالاسماء من مقام جوامع الكلم التى لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم الاسماء كلها على الملائكة القائلين أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ثم توالت الخلفاء فى الارض أى تتابعت الرسل بعد آدم عليه السلام الى عيسى عليه السلام فلما أراد الله ابراز صورة جسم نبينا صلى الله عليه وسلم لاظهار منزلته وشرفه عند الله ظهر اندراج كل نور فى نوره وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الانبياء ودخلت الرسالات كلها فى صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة الا وقد أعطى صلى الله عليه وسلم مثلها جمع فيه ما فرق فيهم فآدم عليه السلام أعطى أن الله خلقه بيده فأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شرح صدره فقد تولى الله شرح صدره وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوى قال تعالى ألم نشرح لك صدرك فتولى من آدم عليه السلام الخلق الوجودى ومن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق النبوى مع ان المقصود من خلق آدم خلق نبينا فى صلبه فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المقصود وآدم الوسيلة والمقصود سابق على الوسيلة وأما سجود الملائكة لآدم فقال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره ان الملائكة أمروا بالسجود لآدم لاجل أن نور نبينا صلى الله عليه وسلم كان فى جبهته ظاهرا ولله در القائل تجليت جل الله فى وجه آدم * فصلى له الاملاك حين توسل وفى المواهب عن الامام سهل بن محمد قال هذا التشريف الذى شرف الله به سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية أتم وأجمع من تشريف آدم عليه الصلاة والسلام بأمر الملائكة له بالسجود لانه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة فى ذلك التشريف لاستحالته فى حقه سبحانه اذ السجود من صفات الاجسام فالتشريف الذى يصدر عنه تعالى وعن الملائكة والمؤمنين أبلغ من تشريف تختص به الملائكة وهو السجود وأما تعليم آدم الاسماء فقد روى الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى رافع والحاكم من حديث أم حبيبة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثلت لى أمتى فى الماء والطين وعلمت الاسماء كلها كما علم آدم الاسماء كلها بل هو صلى الله عليه وسلم علم الاسماء والمسميات وحقائقها وخواصها وأسرارها ومنافعها ومضراتها فذات العلوم وحقائقها له صلى الله عليه وسلم والذى لآدم من ذلك بالنسبة له صلى الله عليه وسلم الاسماء

فقط ولله در الابوصيري حيث يقول   لذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الاسماء
ولا ريب أن المسميات أعلى من الاسماء لان الاسماء يؤتى بها لتبيين المسميات فهي المقصودة بالذات
واليه الايماء بقوله لذات العلوم والاسماء مقصودة لغيرها وهو المسميات فهي دونها فافضل العالم
بحسب فضل معلومه فنبينا صلى الله عليه وسلم أفضل من آدم عليه السلام وأما ادريس عليه الصلاة
والسلام فرفعه الله مكانا عليا وأعطى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المعراج ورفع الى مكان لم يرفع
اليه غيره لا رسول ولا ملك وأما نوح عليه الصلاة والسلام فنجاه الله ومن آمن معه من الغرق وأعطى
سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أنه لم تهلك أمته بعذاب من السماء قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم
وأنت فيهم وأما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما فأعطى سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم نظير ذلك وهو اطفاء نار الحرب عنه عليه الصلاة والسلام أي ابطال مكايد الكفار التي
كانوا يدبرونها الحربه وناهيك بنار حطبها السيوف وحرها الحتوف وموقدها الحسد ومطلبها الروح
والجسد قال تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله فكم أرادوا أن يطفؤا النور بالنار وأبى
الجبار الا أن يتم نوره وان يخمد شرورهم ويحفظ لمحمد صلى الله عليه وسلم سروره وظهوره وفي المواهب
انه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج مر على بحر النار الذي دون سماء الدنيا مع سلامته منه وروى
النسائي ان محمد بن حاطب رضي الله عنه قال كنت طفلا فانصبت القدر علي واحترق جلدي كله فحملني
أبي وفي رواية أمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل عليه الصلاة والسلام في جلدي ومسح بيده
على المحترق وقال أذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا لا بأس بي ورواه الامام أحمد أيضا والبخاري
في تاريخه وقد خمدت نار فارس لنبينا صلى الله عليه وسلم وكان لها ألف عام لم تخمد وروى ابن سعد عن
عمرو بن ميمون قال أحرق المشركون عمار بن ياسر رضي الله عنهما بالنار فكان صلى الله عليه وسلم يمر به
ويمر يده على رأسه فيقول يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم وروى أبو نعيم عن عباد
ابن عبد الصمد قال أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه فقال يا جارية هلمي المائدة نتغدى فأتت بها ثم قال
هلمي المنديل فأتت بمنديل وسخ فقال اسجري التنور فأوقدته فأمر بالمنديل فطرح فيه فخرج أبيض
كأنه اللبن فقلنا ما هذا قال هذا منديل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح به وجهه فاذا اتسخ
صنعنا به هكذا لان النار لا تأكل شيئا مر على وجوه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد ألقي غير واحد
من أمته صلى الله عليه وسلم في النار فلم تؤثر فيه روى ابن وهب عن ابن لهيعة ان الاسود العنسي لما
ادعى النبوة وغلب على صنعاء أخذ ذؤيب بن كليب فألقاه في النار لتصديقه بالنبي صلى الله عليه وسلم
فلم تضره النار فذكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه بالمدينة فقال عمر رضي الله عنه الحمد لله
الذي جعل في امتنا مثل ابراهيم الخليل وروى ابن عساكر ان الاسود بن قيس العنسي بعث الى ابي مسلم
الخولاني فأتاه فقال أتشهد اني رسول الله قال ما أسمع قال أتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فأتى بنار
عظيمة فألقاه فيها فلم تضره فقيل للاسود ان لم تنف هذا عنك أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فقدم
المدينة وقد قبض النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر الحمد لله الذي
لم يمتني حتى أراني في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من صنع به كما صنع بابراهيم عليه الصلاة والسلام وأما ما
أعطيه ابراهيم عليه السلام من مقام الخلة فقد أعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد بمقام المحبة ومما
أعطيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام انفراده في الارض بعبادة الله وتوحيده والانتصاب للاصنام
بالكسر والقسر وقد أعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كسرها بحضر من أولي نصرها عام الفتح
وهم اذلاء لا يستطيعون نصرها وكان كسرها بقضيب ليس مما يكسر الا بقوة ربانية ومادة الهية اجتزأ

ثم ابالانقاص عن الناس وما عول على القول ولا عرض فى القول بل قال جهرا فى مسرح بالحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد دخل صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول ذلك حتى سقطت رواه الشيخان وتقدم بسط ذلك ومما أعطيه الخليل عليه السلام بناء البيت الحرام الذى بوأه الله له ولا خفاء ان البيت جسد وروحه الحجر الاسود بل هو سويداء القلب بل جاء انه يمين الرب وذلك على التمثيل ولله المثل الاعلى روى الديلمى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله ومسحه كناية عن استلامه كما تستلم الايمان بفتح الهمزة جمع يمين وهو العضو المخصوص عند عقد العهود والمعنى انه يستلم باليد كما يستلم من اراد عهدا أو بيعا يمين صاحبه عند المعاهدة والحلف كما كانت عادتهم وقد أعطى الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أن وضعه بيده كما تقدم قبل باب ما جاء فى شأنه عن أحبار اليهود وأما ما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام من قلب العصا حية غير ناطقة فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حنين الجذع وقد مرت قصته مفصلة وكذا مشى الاشجار بين يديه وتكليمها له فان ذلك أعجب من العصا ولما أراد أبو جهل أن يرميه عليه الصلاة والسلام بالحجر رأى عند كتفيه صلى الله عليه وسلم ثعبانين فانصرف مرعوبا كما انصرف فرعون مرعوبا عند القاء العصا وأما ما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام من اليد البيضاء النورانية من غير سوء اى برص فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه لم يزل نورا ينتقل فى أصلاب الآباء وبطون الامهات من لدن آدم الى أن انتقل الى عبد الله أبيه ثم منه الى أمه آمنة وكان بينا ظاهرا فى جباههم وتقدم تفصيل ذلك وأعطى النبى صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان وقد صلى العشاء فى ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضىء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج رواه أبو نعيم والامام أحمد والطبرانى وأخرج البيهقى وصححه الحاكم عن أنس رضى الله عنه قال كان عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضى الله عنهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة فتحدثا عنده حتى ذهب من الليل ساعة فى ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصا فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا فى ضوئها اكراما لهما ببركته صلى الله عليه وسلم حتى اذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ مقصده رواه البخارى وغيره وأخرج البخارى فى تاريخه والبيهقى وابو نعيم عن حمزة ابن عمرو الاسلمى رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فتفرقنا فى ليلة ظلماء فأضاءت أصابعى حتى جمعوا عليها ظهرهم أى ركابهم وما سقط من متاعهم وان أصابعى لتنير أى تضىء ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام أيضا انفلاق البحر فأعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر فهو نظير انفلاق البحر بل أعظم فموسى تصرف فى عالم الارض بضربه البحر بعصاه فانفلق وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تصرف فى عالم السماء لما سأل الله انشقاق القمر حين طلبوه منه والفرق بينهما واضح فاذا عرضت الآيتين على العقول حق العرض حكمت آية السماء على آية الارض وذكر ابن حبيب ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف تكون بحار الارض بالنسبة اليه كالقطرة فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء حتى جاوزه وهو أعظم من انفلاق البحر لموسى عليه السلام لان بحار الارض قد يقع فيها جزر وانحسار فى مواضع منها بحيث يمكن المشى فى الارض التى بينها والبحر الذى بين السماء والارض لا مقر له من الارض حتى يسلك فيه بل هو على صفة الله أعلم بها ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام اجابة دعائه فى قوله رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل

عقدة من لساني يفقهوا قولي الآية قال تعالى قد أوتيت سؤلك ياموسى وقال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم قال الله تعالى قد أجيبت دعوتكما وأعطى نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك أعني اجابة الدعاء مالا يحصر كما تقدم كثير من ذلك ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام تفجير الماء له من الحجارة كما قال تعالى واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان الماء تفجر من بين أصابعه وهذا أبلغ في المعجزة لان الحجر من جنس الارض التي ينبع الماء منها بل قال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ولم تجر العادة بنبع الماء من اللحم بل لم يقع لغير المصطفى صلى الله عليه وسلم ويرحم الله القائل

وكل معجزة للرسل قد سلفت * وافى بأعجب منها عند اظهار
فما العصا حية تسعى بأعجب من * شكوى البعير ولا من مشي أشجار
ولا انفجار معين الماء من حجر * أشد من سلسل من كفه جار

ومما أعطيه سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام الكلام فأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو والتدلي والقرب المعنوي مع الرؤية التي منعها موسى عليه السلام وأما ما أعطيه هارون عليه الصلاة والسلام من فصاحة اللسان فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل وتقدم تفصيل ذلك وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام من شطر الحسن فقد أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله ومن تأمل ما تقدم في نعوته وشمائله صلى الله عليه وسلم تبين له التفضيل لنبينا صلى الله عليه وسلم على كل مشهور بالحسن في كل جيل وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام أيضا من تعبير الرؤيا فالذي نقل عنه من ذلك يزر يسيرا بالنسبة لما أعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك لانه أعطى من ذلك مالا يدخله الحصر ومن تصفح الاخبار وتتبع الآثار وجد من ذلك العجب العجاب وأما ما أعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد فكان في يده كالعجين والشمع يعرفه كيف شاء من غير احماء ولا طرق بآلة ولا قوة فأعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر في يده وأورق ومسح صلى الله عليه وسلم شاة أم معبد الجرباء الهزيلة فدرت وقد تقدمت قصتها وأما ما أعطيه سليمان عليه الصلاة والسلام من كلام الطير وتسخير الشياطين والريح والملك فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وزيادة أما كلام الطير والوحش فنبينا صلى الله عليه وسلم كلمه الحجر وسبح في كفه الحصى حتى سمعه الحاضرون وتكليم الجماد أغرب من تكليم الحيوان وكلمه ذراع الشاة المسمومة كما تقدم تفصيل ذلك وذلك اقوى في الاعجاز وأبلغ من احياء الانسان لانه جزء حيوان دون بقيته فهو معجزة لو كان متصلا بالبدن فكيف وقد أحياه الله وحده منفصلا عن بقيته مع موت البقية فصار الجزء حيا قادرا على النطق ولم يكن حيوانه يتكلم فهو أبلغ من احياء الموتى لعيسى عليه السلام واحياء الطيور لابراهيم عليه السلام وكذلك كلمه الظبي والضب وشكا اليه البعير وتقدم كل ذلك مفصلا وروى ان طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه صلى الله عليه وسلم ويكلمه فقال أيكم فجع هذا بولده فقال رجل أنا فقال اردده رواه أبو داود والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه وقصة كلام الذئب مشهورة وقد تقدمت وأما الريح التي سخرها الله لسليمان عليه السلام فكان غدوها شهرا ورواحها شهرا وكانت تحمله أينما أراد من أقطار الارض فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم البراق الذي هو أسرع من الريح بل أسرع من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش في ساعة زمانية وأقل مسافة ذلك سبعة آلاف سنة وتلك مسافة السموات وأما الى المستوى والرفرف فذلك مالا يعلمه الا الله وهذا كله بناء على ان العروج الى السموات كان على البراق

والذي اختاره السيوطي ان العروج كان على المعراج الذي تعرج عليه ارواح بني آدم والاسراء في البراق انما كان لبيت المقدس وأيضا فالريح سخرت لسليمان عليه السلام لتحمله لنواحي الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض حتى رأى مشارقها ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض ومن تسعى اليه الارض وأما ما أعطيه من تسخير الشياطين فقد روى ان أبا الشياطين ابليس اعترض سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فأمكنه الله منه وربطه بسارية من سواري المسجد وهذا أمكن وبما زاده صلى الله عليه وسلم على سليمان ايمان الجن به صلى الله عليه وسلم فسليمان عليه السلام استخدمهم ولم يؤمنوا به والنبي صلى الله عليه وسلم استخدمهم ولا شئ أعلى من الاسلام وأما عساكر والطير من جنود سليمان عليه السلام في قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فغيره منه عدّ الملائكة جبريل ومن معه في جملة أجناده باعتبار الجهاد في بدر العظمى وباعتبار تكثير السواد في غيرها لارهاب العدو على طريقة الاجناد وتعشيش حمامة الغار وتوكرها في الساعة الواحدة وحمايتها له من عدوه اذ الغرض من استكثار الجند انما هو الحماية من الاعداء وقد حصلت حمايته صلى الله عليه وسلم منهم بذلك التعشيش وأما ما أعطيه سليمان عليه السلام من الملك فنبينا صلى الله عليه وسلم خير بلا طلب بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار صلى الله عليه وسلم أن يكون نبيا عبدا ولله در القائل * يا خير عبد على كل الملوك ولي * أي جعلت له الولاية عليهم وكفى بذلك شرفا وأما ما أعطيه عيسى عليه الصلاة والسلام من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه ردّ العين لقتادة رضي الله عنه الى مكانها بعد ما سقطت فعادت أحسن ما كانت وروى أن امرأة معاذ بن عفراء رضي الله عنه كانت برصاء فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليها بعصا فأذهب الله عنها البرص ولم يمسها بيده لانها أجنبية وتقدم تسبيح الحصى في كفه وتسليم الحجر عليه وحنين الجذع لفراقه وذلك أبلغ من تكليم الموتى لان هذا من جنس ما لا يتكلم فحلول الحياة والادراك والعقل في الحجر الذي كان يخاطبه صلى الله عليه وسلم أبلغ من حياة الحيوان لانه كان محلا للحياة في وقت بخلاف الحجر لا حياة فيه قبل ذلك بالكلية قال أبو نعيم ونظير خالق الطين طيرا جعل العسيب سيفا كما تقدم وفي دلائل النبوة للبيهقي في قصة الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أرني قبرها فأراه اياه فأتاه فقال يا فلانة فقالت لبيك وسعديك وتقدمت القصة بتمامها والحاصل ان النبي صلى الله عليه وسلم شارك عيسى في ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وزاد بتكليم الجماد له واحياء الجزء من الميت بعد انفصاله كما في كلام ذراع الشاة المسمومة ولم يعهد مثله لغيره صلى الله عليه وسلم وأما نزول المائدة فكانت محنة لبني اسرائيل لا نعمة ولذلك لعنوا بسببها لما كفروا بها وعلى تقدير الكرامة فهي اجابة دعوة لعيسى عليه السلام فنظير ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم اجابته حين خفت أزواد القوم فجمعها فكانت كربضة العنز ولا خفاء انه طعام أقل من العشرة فدعا بالبركة فملأ الناس أوعيتهم والطعام بحاله وهم زهاء أماثرنا فيها ما هذه مائدة نزلت من السماء وطعام مبارك قال الله له كن فكان بدون تهديد ولا وعيد ولا تشديد ولا محنة ولا فتنة ولا سد باب التوبة بتقدير كفران النعمة بل كانت نعمة محضة وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رجل أهله فرأى ما بهم من الحاجة فخرج الى البرية يلتمس شيئا فقالت امرأته اللهم ارزقنا ما نعجن ونخبز فاذا الجفنة ملأى خميرا والرحى تطحن والتنور مملوء شواء فجاء زوجها وسمع الرحى فقامت اليه لتفتح له الباب فقال ماذا كنت تطحنين فأخبرته وان رحاهما لتدور وتصب دقيقا فلم يبق في البيت وعاء الا ملئ فرفع الرحى وكنس ما حولها فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه

وسلم قال مافعلت بالرحى قال رفعتها ونفضتها فقال صلى الله عليه وسلم لو تركتموها مازالت كما هي ايكم
حياتكم وفي رواية لو تركتموها لدارت الى يوم القيامة وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من انه كان
يعرف ماتخفيه الناس في بيوتهم كما قال تعالى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم أي بالمغيبات
من أحوالكم التي لا تشكون فيها فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد فقد أعطى نبينا صلى
الله عليه وسلم من ذلك مالا يحصى وتقدم جملة من اخباره بالمغيبات وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام
من رفعه الى السماء وهو حي فقد أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك ليلة المعراج وزاد في الترقي لمزيد
الدرجات وسماع المناجاة وبزيادة المحبة ورفعة المنزلة في الحضرة المقدسة بالمشاهدات فهذا تفصيل بعض
ما أوتيه في نظير ما أوتيه الانبياء وبالجملة فقد خص الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم من خصائص
التكريم بما لم يعطه أحدا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتفصيل ذلك متعسر أو متعذر وروى
الامام أحمد والبخاري وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود
وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته
الصلاة فليصل حيث كان زاد في رواية وكان من قبلي انما يصلون في كنائسهم وفي رواية ولم يكن من
الانبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه ونصرت بالرعب مسيرة شهر زاد في رواية يقذف في قلوب أعدائي
الرعب من مسيرة شهر وهذه الخصوصية حاصلة له مطلقا حتى لو كان وحده بلا عسكر ٣ وأعطيت ٣ ق
الشفاعة أي العظمى في اراحة الناس من هول الموقف وفي رواية وأعطيت الشفاعة فأخرتها لامتي كأنه
فهي لمن لا يشرك بالله شيئا وفي رواية فهي لكم ولمن يشهد أن لا اله الا الله فعلى هذا المراد بالشفاعة في ع
الشفاعة الخاصة وليس المراد حصر خصائصه في هذه الخمس المذكورة لان العدد لا مفهوم له فلا ينافي
ما ورد من خصائصه صلى الله عليه وسلم بل جاء في بعض روايات الحديث المتقدم زيادة على الخمس فقد
روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم
ونصرت بالرعب وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون وفي
رواية وأعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وفي رواية وأعطيت مفاتيح الارض
وجعلت أمتي خير الامم وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأعطيت الكوثر وفي رواية وان صاحبكم
لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه والحاصل ان خصائصه صلى الله عليه وسلم كثيرة
فكان كلما أعلمه الله بشئ منها أعلم أمته به وقد أفردت خصائصه صلى الله عليه وسلم بالتآليف وفيما ذكر
كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

* (باب في وجوب طاعته ومحبته واتباع طريقته وسنته) * قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا باد
الله ورسوله وقال تعالى وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع
الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا يعني من أطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا الى الخلق أحكام
الله فهو في الحقيقة ما أطاع الا الله وذلك في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله ومن أعماه الله عن الرشد
وأضله عن الطريق فان أحدا لا يقدر على ارشاده وهذه الآية من أقوى الادلة على ان الرسول معصوم
في جميع الاوامر والنواهي وفي كل ما يبلغه عن الله تعالى لانه لو أخطأ في شئ منها لم تكن طاعته طاعة
الله تعالى وقال تعالى ومن يطع الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين الآية وهذا عام في المطيعين لله من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم وعام في
المعية في هذه الدار وان فات فيها معية الابدان وقد ذكروا في سبب نزول هذه الآية ان ثوبان مولى رسول

الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت واستوحشت وحشة عظيمة حتى ألقاك فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك لأني إن دخلت الجنة فأنت تكون في درجات النبيين فلا أراك فنزلت هذه الآية وروى أيضا عن عكرمة مرسلا قال أتى فتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله إن لنا منك نظرة في الدنيا ويوم القيامة لا نراك فإنك في الجنة في الدرجات العلى فأنزل الله هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت معي في الجنة والعبرة في الآية بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ففي الآية الحث على الطاعة والترغيب فيها وهي عامة لجميع المكلفين وهو أن كل من أطاع الله وأطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية والمراتب الشريفة عنده تعالى وليس المراد الطاعة في شيء واحد أو شيئين وإلا لدخل الفساق والكفار بل المراد الطاعة بفعل المأمورات وترك المنهيات حسب الاستطاعة وليس المراد أن الكل في درجة واحدة لأنه لا يجوز أن يسوى بين المفضول والفاضل بل المراد كونهم في الجنة مع التمكن من الرؤية والمشاهدة وإن بعد المكان لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضا وإذا أرادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب والمعية والصحبة الحقيقية إنما هي بالروح لا بمجرد البدن وهي بالقلب لا بالقالب ولهذا كان النجاشي معه صلى الله عليه وسلم ومن أقرب الناس إليه وهو بين النصارى بأرض الحبشة وعبد الله بن أبي من أبعد الخلق عنه وهو معه في المدينة وذلك أن العبد إذا أراد بقلبه أمرا من طاعة أو معصية أو شخص من الأشخاص فهو بإرادته ومحبته معه لا يفارقه فالأرواح تكون مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية والمكانية بعد عظيم قال بعض السلف ادعى قوم محبة الله فأنزل الله قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فجعل سبحانه وتعالى اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام مشروطا بمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون تحقق شرطه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء محبة الله لهم اللازم لترك المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكفي في العبد وجود أصل المحبة حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومتى كان عنده شيء أحب إليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة ولا يهديه الله قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله ومرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه أو معاملة أحد منهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وإن قال بلسانه فهو كذب منه وإخبار بما ليس هو عليه وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون فجعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين الإيمان بالرسول واتباعه تنبيها على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلالة وكل ما أتى به الرسول عليه الصلاة والسلام يجب علينا اتباعه فيه إلا ما خصه الدليل ثم إن محبته صلى الله عليه وسلم هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون وإليها يشخص العاملون وإلى علمها شمر السابقون وعليها تفانى المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات والنور الذي من فقده ففي بحار الظلمات والشفاء الذي من عدمه حلت

بقلبه جميع الاسقام واللذة التى من لم يظفر بها نعيشه كله هموم وآلام وهى روح الايمان والاعمال والمقامات والاحوال التى متى خلت منها فهى كالجسد الذى لا روح فيه تحمل أثقال السائرين الى بلد لم يكونوا بالغيه الا بشق الانفس وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها وتبوئهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولاهى داخليها وهى مطايا القوم سراهم فى ظهورها دائما الى الحبيب وطريقهم الاقوم الذى يبلغهم الى منازلهم الاولى من قريب تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة اذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة ان المرء مع من أحب فيا لها من نعمة على المحبين سابغة لقد سبق القوم للسعادة وهم على الفرش نائمون ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم فى سيرهم واقفون

من لى بمثل سيرك المذلل * تمشى رويدا وتجى فى الاول

أجابوا مؤذن الشوق اذ نادى بهم حى على الفلاح وبذلوا أنفسهم فى طلب الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضى والسماح وواصلوا اليه السير بالادلاج والغدو والرواح ولقد حمدوا عند الوصول سراهم وانما يحمد القوم السرى عند الصباح وقد وضعوا للمحبة رسوما باعتبار أسبابها وعلاماتها وثمراتها فنها قول بعضهم المحبة موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب وقال آخر هى محو المحب لصفاته واثبات المحب لذاته وقال آخر هى استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وقال آخر هى استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وقال آخر هى معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وقال آخر أن تهب كلك لمن أحببت فلا تبقى لك منك شيئا وقال آخر أن تمحو من القلب ماسوى المحبوب وقال آخر غض طرف المحب عما سوى المحبوب وقال آخر هى ميلك الى الشئ بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك فى حبه وقال آخر هى سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه وقال آخر هى الميل لحب الصور الجميلة أو لوجود احسان أو انعام وهذا تعريف ببيان أسباب المحبة فقد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فاذا كان الانسان يحب من منحه من دنياه مرة أو مرتين معروفا فانيا منقطعا أو استنقذه من هلكة أو مضرة لا تدوم فما بالك من منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الاليم مالا يفنى ولا يحول واذا كان المرء يحب غيره لما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبى الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الاخلاق والتكريم المانح لنا جوامع المكارم والفضل العميم ولقد أخرجنا الله به من ظلمات الكفر الى نور الايمان وخلصنا به من نار الجهل الى جنات المعارف والايقان فهو السبب فى وصولنا للبقاء الابدى فى النعيم السرمدى فأى احسان أجل قدرا وأعظم خطرا من احسانه الينا فلا منة لاحد بعد الله كماله علينا ولا فضل لبشر كفضله لدينا فكيف ننهض ببعض شكره أو نقوم من واجب حقه بمعشار عشره فقد منحنا الله به منح الدنيا والآخره واسبغ علينا نعمه باطنة وظاهره فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وازكى من محبتنا الانفسنا وأولادنا وأهلنا وأموالنا والناس أجمعين بل لو كان فى كل منبت شعرة منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده وفى رواية عن أنس رضى الله عنه والناس أجمعين وفى رواية أخرى لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه قال القرطبى كل من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم ايمانا صحيحا لا يخلو حاله من وجدان شئ من تلك المحبة الراجحة غير انهم متفاوتون فنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الاوفى ومنهم من اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم اشتاق الى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وماله

ر وهو يبذل نفسه في الامور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ورؤية موضع آثاره على جميع ما ذكر لما وقر في قلوبهم من محبته غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات وتفاوت المحبين في محبته صلى الله عليه وسلم بسبب استحضار ما وصل اليهم من جهته من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى أتم لأن هذا ثمرة المعرفة وهي فيهم أتم روى ابن اسحاق أن امرأة من الانصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد فأخبروها بذلك فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرونيه حتى أنظره فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تعني صغيرة رواه البيهقي في الدلائل وفي بعض روايات هذا الحديث لما كثرت الصوارخ بالمدينة خرجت امرأة من الانصار فاستقبلت بأخيها وابنها وزوجها وأبيها قتلى لا تدري بأيهم استقبلت وكلما مرت بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا أخوك وأبوك وزوجك وابنك قالت فما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون أمامك حتى ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي اذا سلمت من عطب وقال عمرو ابن العاص رضي الله عنه ما كان أحد أحب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في أهلك فقال زيد والله ما أحب ان محمدا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني لجالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا من الناس يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا وفي المواهب ان عبد الله بن زيد الانصاري رضي الله عنه كان يعمل في جنة له فأتاه ابنه فأخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي فقال اللهم أذهب بصري حتى لا أرى بعد حبيبي محمد أحدا فكف بصره وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار وقال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا فعلق ذوق الايمان بالرضى بالله ربا الخ وعلق وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه هو ورسوله أحب الاشياء الى العبد ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في الدين وايثار ذلك على اغراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وفي قوله عليه الصلاة والسلام حلاوة الايمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المؤمن في الايمان بشيء حلو واثبت له لازم ذلك وقال العارف بالله ابن أبي جمرة اختلف في الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة أو معنوية فحملها قوم على المعنى وهم الفقهاء وحملها قوم على المحسوس وأبقوا اللفظ على ظاهره من غير أن يتأولوه وهم الصوفية ويشهد الى ما ذهبوا اليه أحوال الصحابة والسلف الصالح وأهل المعاملات مع الله فانه حكي عنهم انهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال رضي الله عنه حين صنع به ما صنع في الرمضاء اكراها على الكفر وهو يقول أحد أحد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذلك أيضا عند موته أهله يقولون واكرباه وهو يقول واطرباه غدا ألقى الاحبه محمدا وصحبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وهي حلاوة الايمان ومنه حديث الصحابي الذي سرق فرسه بليل وهو في الصلاة فرأى السارق حين أخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له في ذلك فقال ما كنت فيه ألذ من ذلك وما ذاك الا حلاوة الايمان التي يجدها

محسوسة في وقته ذلك وأمثال ذلك كثيرا قال العارف بالله تعالى تاج الدين بن عطاء الله ان القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعاني كما تتنعم النفوس بملذوذات الاطعمة وانما ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا لانه لما رضي بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه وألقى قياده اليه فتوجد لذة العيش وراحة التفويض ولما رضي بالله ربا كان له الرضى من الله وأوجده الله حلاوة ذلك ليعلم مامن الله به عليه وليعرف احسان الله عليه ولما سبقت لهذا العبد العناية عوفي قلبه من المرض فأدرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا معناه ان من رضي بما رضي به المولى فقد رضي بالاسلام دينا ولازم من رضي بمحمد نبيا أن يكون له وليا وان يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه زهدا في الدنيا وخروجا عنها وصفحا عمن جنى عليه وعفوا عمن أساء اليه الى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا فمن رضي بالله استسلم له ومن رضي بالاسلام عمل له ومن رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا يكون واحد منها الا بكلها اذ محال أن يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام دينا أو يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفاء به ومحبة الله على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال الاوامر والانتهاء عن المعاصي على حسب الاستطاعة فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله تعالى حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسل في الرجاء فيقدم على المعصية والندب أن يواظب على النوافل ويجتنب الشبهات والمتصف بذلك في عموم الاوقات والاحوال نادر وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال ما تقرب الي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه وفي رواية بشئ أحب الي من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت في شئ أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ففي الحديث دلالة على أن العبد اذا أدى الفرائض ودام على اتيان النوافل من صلاة وصوم وغيرهما أفضى به ذلك الى محبة الله تعالى وقد استشكل قوله كنت سمعه الخ بأنه كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره الخ وأجيب بأجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره في ايثاره أمري فهو يحب خدمتي ويؤثر طاعتي كما يحب هذه الجوارح ومنها أن المعنى ان كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه الا الى ما يرضيني ولا يرى ببصره الا ما أمرته به ومنها ان المعنى كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه ومنها انه على حذف مضاف أي كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك ومنها ان المعنى كنت مسموعه كقولهم فلان أملي بمعنى مأمولي والمعنى انه لا يسمع الا ذكري ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابي ولا يأنس الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده الا فيما فيه رضائي ولا يمشي برجله الا لما فيه رحمتي وبالجملة فالكلام كناية عن نصرة العبد وتأييده واعانته حتى كأنه سبحانه تنزل عنده منزلة الآلات التي يستعين بها ويدخل في ذلك سرعة اجابته في الدعاء ونجحه في الطلب قال أبو عثمان الحيري معناه أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي والمراد بالحديث حصر أسباب محبته في أمرين اداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله فاذا صار محبوبا لله أوجبت محبة الله له محبة أخرى فوق المحبة الاولى فتغلب هذه المحبة قلبه فلا يفكر ولا يهتم بغير محبوبه وتملك عليه روحه ولم يبق فيه متسع لغير

محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه حاكماً على قلبه مستولياً على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته الذي قد اجتمعت قوى قلبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان أبصر أبصر به وان نطق نطق به وان مشى مشى به فهو في قلبه ونفسه وأنيسه وصاحبه فالباء في قوله فبي يسمع الخ للمصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها فالمسئلة حالية لا علمية محضة ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه أي كما وافقني في مرادي بامتثال أمري والتقرب الى محابي فانا أوافقه في رغبته ورهبته وقوى أمر هذه الموافقة حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في اماتته لانه يكره الموت والرب يكره ما يكره عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي أن لا يميته ولكن مصلحته في اماته فانه ما أماته الا ليحييه وما أمرضه الا ليصحه ولا يخرجه من الجنة في صلب أبيه الا ليعيده اليها على أحسن أحواله فهذا هو الحبيب في الحقيقة لا سواه والقصد بقوله وما ترددت الخ بيان عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه وبالجملة فلا حياة للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت أعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمأنت به قلوبهم واستأنسوا بقربه وتنعموا بمحبته ففي القلب فاقة لا يسدها الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات ولن يصل العبد الى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدي اليه بطريق توصله اليه ويحرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فينجذب اليها بكليته ويدأب في تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارساً على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله ولا بخطرة فضلة والذلك قلبه بذكر الله ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه الى فضاء الخلوة بربه وذكره فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم امامه وأستاذه ومعلمه وشيخه كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع مبادي أموره وكيفية نزول الوحي اليه ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه ومعاشرته لاهله وأصحابه الى غير ذلك مما نعمه الله حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه فاذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث اذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا أنزلت عليه وماذا أريد بها وحظه المختص به منها من الصفات والاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفاء من الامراض *(ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات)* أعظمها الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتداء بهديه وسيرته والوقوف على ما حد لنا من شريعته قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد لربه عز وجل وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم محبة الله تعالى اياه قال الشاعر

تعصي الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه بنعمه الظاهرة والباطنة فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن أعظم منة الله على عبده منته عليه بتأهيله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم وأصل هذا نور يقذفه الله في قلب العبد فاذا دار ذلك النور وأشرقت له ذاته فرأى ما أهلت له نفسه من الكمالات والمحاسن فتعلو همته وتقوى عزيمته وتنقشع عنه ظلمات نفسه وطبعه لان النور والظلمة لا يجتمعان الا ويطرد أحدهما الآخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والانس الى الحبيب الاول

فقال

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

وبحسب هذا الاتباع توجد المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الامر الا بهما فليس الشأن أن تحب الله بل الشأن أن يحبك الله ولا يحبك الا اذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا وصدقته خبرا وأطعته أمرا أجبته دعوة وآثرته طوعا وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق بمحبته وعن طاعة غيره بطاعته قال المحاسبي علامة المحبة لله اتباع مرضاة الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ذاق العبد حلاوة الايمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه وأسرعت الجوارح الى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الايمان في القلب كما يدخل حب الماء الشديد البرد في اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد العطش فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعة غذاء لقلبه وسرورا له وقرة عين في حقه ونعيما لروحه يلتذ بها أعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد في الاوراد والاذكار وبقية الاعمال كلفة روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة قال ابن عطاء من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه وقال أبو اسحاق الرقي وكان من أقران الجنيد علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لا يظهر على أحد شئ من نور الايمان الا باتباع السنة ومجانبة البدعة فأما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه الصلاة والسلام فان ادعى علما لدنيا أوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وانما يعرف كون العلم لدنيا ورحانيا بموافقته لما جاء الرسول به من ربه تعالى والا فهو من الشيطان والنفس فاتباع هذا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم هو حياة القلوب وروضة البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الارواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين ومن علامات محبته أن يرضى مدعيها بما شرعه الله حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضى قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا مما قضاه ولم يسلم له قال العارف بالله تاج الدين بن عطاء الله الشاذلي رضي الله عنه وأذاقنا حلاوة مشربه في هذه الآية دلالة على ان الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد على كل مؤمن في كليهما فأحكام التكليف الاوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العبد وأحكام التعريف هو ما أورده عليك من فهم المراد فتبين لك من هذا انه لا يحصل لك حقيقة الايمان الا بأمرين الامتثال لامره والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه لم يكتف بنفي الايمان عمن لم يحكم أو حكم ووجد الحرج في نفسه حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم رأفة وعناية وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل فلا والرب انما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففي ذلك تأكيد بالقسم وتأكيده في المقسم به علما منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة والنصرة سواء كان الحق عليها أولها وفي ذلك اظهار لعنايته برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لامره ولم يقبل منهم الايمان حتى يذعنوا لاحكام رسوله صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر بل اشترط ان لا يوجد الحرج في نفوسهم من أحكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم موافقا لما في

أدوائهم أرث املالها وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فعنده يكون الحرج وهو الضيق والانسان لديه وكذلك اذ نور الايمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لواردات أحكامه مفوضة له في نقضه وابرامه وقال سهل ابن عبد الله رضي الله عنه من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم في سائر الاحوال ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه قال العارف بالله أبو عبد الله القرشي حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن أحببت ولا يبقى لك منك شيء فمن آثر هذا النبي الكريم على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له خبايا حقائق أسراره * (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم) * نصرة دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق بأخلاقه في الجود والايثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين وآثر ذلك على اعراض الدنيا * (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم) * التسلي عن المصائب ولا يجد من مسها ما يجده غيره حتى كأنه اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق بل بقوة سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب أعظم من التذاذ الخلي بحظوظه وشهواته والذوق والوجود شاهد بذلك فسكر المحبة ممزوجة بالحلاوة فاذا فقد تلك الحلاوة اشتاق الى تلك السكرة كما قيل

تشكي المحبون الصبابة ليتني * تحملت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذة الحب كلها * فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

* (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم) * كثرة ذكره وكثرة الصلاة عليه فمن أحب شيئا أكثر من ذكره قال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ذكر المحبوب على عدد الانفاس وقال آخر للمحب ثلاث علامات أن يكون كلامه ذكر المحبوب وصمته فكرا فيه وعمله طاعة له وقال المحاسبي علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون وقد أجمع الحكماء على ان من أحب شيئا أكثر من ذكره فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون بشيء ألذ من ذكر المحبوب فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات وانقطعت أوهامهم عن عارض دواعي الشهوات ورقت الى معادن الذخائر وبغية الطلبات وربما تزايد وجد المحب وهاج الحنين وباح الانين وتحركت المواجيد وتغير اللون وفتر البدن واقشعر الجلد وربما صاح وربما بكى وربما شهق وربما وله وربما سقط وربما زاد الوجد على المحب فقتله * (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم) * تعظيمه عند ذكره واظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع اسمه فكل من أحب شيئا خضع له كما كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم اذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة وشوقا أو تهيبا وتوقيرا قال بعض السلف واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ من هيبته واجلاله بما كان يأخذ به لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به وكان أيوب السختياني رحمه الله اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه وكان جعفر بن محمد رضي الله عنه كثير المزح والدعابة فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وكان عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى لونه كأنه قد نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينه دموع وكان

الزهري اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم يتغير وكانك ما عرفته ولا عرفك وكان صفوان بن حكيم من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه *(ومن علامات محبته)* صلى الله عليه وسلم كثرة الشوق الى لقائه اذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه قال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وعن معروف الكرخي رضي الله عنه المحبة الشوق لمشاهدة الصفات أومشاهدة أسرار الصفات فيري بلوغ النوال ولو بمشاهدة الرسول ولهذا كانت الصحابة اذا اشتد بهم الشوق وأزعجتهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشفعوا بمشاهدته وتلذذوا بالجلوس معه والنظر اليه والتبرك به صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بن خالد بن معدان ما كان خالد يأوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك فالقلب اذا ذاق طعم المحبة اشتاق وتأججت نيران الحب والطلب فيه ويجد صبره عن محبوبه من أعظم كبائره كما قيل . الصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه لا يحمد

وعن زيد بن أسلم قال خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكاء بالاسحار ياليت شعري والمنايا أطوار هل تجمعني وحبيبي الدار تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي ثم قام الى باب خيمتها فقال السلام عليكم ثلاث مرات وقال لها أعيدي علي قولك فأعادته بصوت حزين فبكى وقال وعمر لا تنسيه يرحمك الله فقالت وعمر فاغفر له يا غفار ويحكى انه رؤيت امرأة بعد موتها وقد كانت مسرفة على نفسها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي قيل بماذا قالت بحبي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه فنوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحي أن نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه *(ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم)* حب القرآن الذي أتى به وتخلق به واذا أردت أن تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم فانظر محبة القرآن من قلبك فانه من المعلوم ان من أحب محبوبا كان كلامه وحديثه أحب شيء اليه وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله تعالى وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه اقرأ علي قال أقرأ عليك وعليك أنزل قال فاني أحب أن أسمعه من غيري فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى بلغ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فرفع رأسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان من البكا رواه البخاري وهذا يجده من استنار قلبه ورق عند سماع الكتاب العزيز قال تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال صاحب عوارف المعارف أذاقنا الله حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يثير ندما والندم حار فاذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء ببرد اليقين بكى وأدمع لان الحرارة والبرودة اذا اصطرتا عند المام السماع بالقلب ظهر أثر ذلك في الجسد واقشعر منها الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه ويرتفع أثره نحو الدماغ فتندفق منه العين بالدمع وتارة يصل أثره الى الروح فتموج منه الروح موجا تكاد تضيق منه فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الاحوال وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ربما مر بآية من

وردة فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب انه مريض وكان الصحابة رضي الله عنهم اذا اجتمعوا يقولون لابي موسى رضي الله عنه ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون فكانوا يجدون في السماع القرآني من الوجد واللذة والحلاوة والسرور أضعاف ما يجد أهل السماع الشيطاني فاذا رأيت الرجل ذوقه وطربه وشأنه في سماع الابيات دون سماع الآيات وفي سماع الالحان دون سماع القرآن فتقرأ عليه الختمة وهو جامد كالحجر واذا أنشد بين يديه شيء من الشعر يميل كالنشوان فاعلم أن هذا من أقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله ورسوله أدام الله لنا حلاوة محبته ولا سلبنا غيره بمنه ورحمته *(ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم)* محبة سنته وقراءة حديثه فان من دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله تعالى أو من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تشربها روحه وقلبه ونفسه وتمتعه تلك الكلمة حتى تصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول

لي حبيب خياله نصب عيني * وسره في ضمائري مدفون
ان تذكرته فكلي قلوب * أو تأملته فكلي عيون

فحينئذ يستنير قلبه ويظهر سره وتتلاطم عليه أمواج التحقيق عند ظهور البراهين ويرتوي بري عطف محبوبه الذي لا شيء أروى لقلبه من عطفه عليه ولا شيء أشد لهيبه وحريقه من اعراضه عنه ولهذا كان عذاب أهل النار باحتجاب ربهم عنهم أشد عليهم من العذاب الجسماني كما أن نعيم أهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه واقباله أعظم من النعيم الجسماني لا حرمنا الله ذوق حلاوة هذا المشرب *(ومن علامات محبته)* صلى الله عليه وسلم ان يلتذ محبه بذكره الشريف ويطرب عند سماع اسمه المنيف وقد يوجب له ذلك سكرا يستغرق قلبه وروحه وسمعه وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة أدراك المحبوب عليه الصلاة والسلام فاذا كانت المحبة قوية وادراك هذا المحبوب قويا كانت اللذة بادرا كه تابعة لقوة هذين الامرين فصور في نفسك حال فقير معدم عاشق للدنيا أشد العشق ظفر بكنز عظيم فاستولى عليه آمنا مطمئنا كيف يكون سكره من الفرح أو من غاب عنه غلامه بمال عظيم مدة سنين حتى أضر به العدم فقدم عليه من غير انتظار له بماله كله وقد كسب أضعافه ومما يقوي هذه اللذة سماع الاصوات الحسنة المطربة بالانشادات بالصفات النبوية اذ صادفت محلا قابلا فلا تسأل عن سكرة السامع وسبب ذلك اجتماع لذة الالحان ولذة الاشجان فتسكر الروح سكرا عجيبا ألذ وأطيب من سكر الشراب وفي الحديث ان داود عليه السلام يقوم يوم القيامة عند ساق العرش ويمجد الله فاذا سمع أهل الجنة صوته انغمرت لذة نعيمهم في لذة السماع وأعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك رؤية وجهه الكريم التي تغنيهم عن الجنة ونعيمها فأمرهم حينئذ لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة وهذه صفة لا تلج كل اذن وسبب لا تحيى به كل أرض وعين لا يشرب منها كل وارد وسماع لا يطرب عليه كل سامع ومائدة لا يجلس عليها الطفيلي والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن علامات محبته)* صلى الله عليه وسلم محبة أصحابه وأهل بيته وذريته وقرابته وذلك ان الله تعالى لما اصطفى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع من سواه وخصه بما فضله به وحباه أعلى ببركته من انتمى اليه نسبا أو نسبة ورفع قدر من أطاعه وكان معه نصرة وصحبة وألزم الله مودة قرباه كافة بريته وفرض المحبة لاهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الآية نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم بحسب سباق الآيات التي قبلها والتي بعدها ولكنها دالة على ذلك فمن ذلك انه صلى الله عليه وسلم جاء ومعه علي وفاطمة وحسن وحسين آخذ كل منهما

بيده

بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساء ثم تلا هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق رواه الامام أحمد عن واثلة بن الاسقع زاد في رواية قال واثلة وأنا يارسول الله من أهلك قال وأنت من أهلي قال واثلة وانها من أرجى ما أرتجي وروى الامام أحمد أيضا عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيتها اذ جاءت فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وتحته كساء قالت وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله عز وجل هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فأومأ بها الى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي أي خاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة رضي الله عنها فأدخلت رأسي من البيت فقلت وأنا معكم يارسول الله قال انك الى خير انك الى خير وروى مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل فأجيبه واني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به وحث عليه ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي ثلاث مرات فقيل لزيد من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته قال بلى ان نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قيل ومن هم قال هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس قيل كل هؤلاء تحرم عليهم الصدقة قال نعم والثقلان تثنية ثقل بالتحريك كما في القاموس وهو كل شئ نفيس مصون ومراد زيد بن أرقم أن لا يقتصر على الازواج فقط بل هن مع آله ولا يشك من تدبر القرآن ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في الآية الكريمة أعني انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت لان سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وروى الامام أحمد أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اني أوشك ان أدعى فأجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي وان اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما وعترة الرجل أهله ورهطه أي أقاربه وروى البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال أيها الناس ارقبوا محمدا في أهل بيته أي احفظوهم فلا تؤذوهم وروى البخاري أيضا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي أن أصل من قرابتي وروى الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قال أحبوا الله لما يغذوكم به وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي وقال صلى الله عليه وسلم من أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم وروى الامام أحمد عنه صلى الله عليه وسلم من أبغض أهل البيت فهو منافق وروى ابن سعد عنه صلى الله عليه وسلم من صنع الى أحد من أهل بيتي معروفا فعجز عن مكافأته في الدنيا فأنا المكافئ له يوم القيامة ولله در القائل

يا آل بيت رسول الله حبكمو * فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكمو * من لم يصل عليكم لا صلاة له

ولقد أحسن القائل رأيت ولائي آل طه فريضة * على رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى * بتبليغه الا المودة في القربى

وروى الترمذى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال فى حسن وحسين اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وروى الترمذى من أحبنى وأحب هذين وأشار الى حسن وحسين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة وروى الامام أحمد عنه صلى الله عليه وسلم من آذى عليا فقد آذانى وأخرج الذهبى عنه صلى الله عليه وسلم من أحب عليا فقد أحبنى وقال صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب منى وأنا منه لا تؤذوا العباس فتؤذونى من سب العباس فقد سبنى وروى الترمذى انه صلى الله عليه وسلم قال للعباس والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله وأخرج البغوى انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل بن أبى طالب انى أحبك حبين حبا لقرابتك منى وحبا لما كنت أعلم من حب عمى لك وروى الدارقطنى انه صلى الله عليه وسلم قال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب خير أهلى أو من خير أهلى وأخرج الحاكم وصححه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا أهل البيت أحد الا أدخله الله النار وأما أصحابه رضوان الله عليهم فحبهم من محبته صلى الله عليه وسلم وتوقيرهم من توقيره وبرهم من بره فالمؤمن الكامل هو الذى يحبهم ويوقرهم ويقتدى بأقوالهم وأفعالهم ويحسن الثناء عليهم ويمسك عما حصل من الاختلاف بينهم ويعادى من يعاديهم ولا يلتفت الى أخبار المؤرخين وجهلة الرواة ولا الى ما يحكيه الرافضة والمبتدعة مما يقدح فى أحد منهم بل ينبغى له أن يلتمس لما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويحمله على أصوب المخارج لانهم أهل لذلك ولا يذكر أحدا منهم بسوء لان الله قد أثنى عليهم فى كثير من الآيات قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الخ السورة وعن الامام مالك قال بلغنى أن النصارى كانوا اذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين واستنبط الامام مالك من قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لانهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر ووافقه على ذلك جماعة من السلف وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وقال تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ويكفى ثناء الله عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم الله مغفرة وأجرا عظيما ووعد الله حق وصدق لا يخلف لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وقال تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا روى عبد بن حميد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وروى الترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر ورواه الحاكم أيضا عن ابن مسعود رضى الله عنه وروى البزار وأبو يعلى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابى كمثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال صلى الله عليه وسلم الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وروى مسلم وغيره لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وروى أبو نعيم

عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وروى الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه اذا ذكر أصحابى فأمسكوا وروى الديلمى عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله اختار أصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى منهم أربعة أبابكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابى وفى أصحابى كلهم خير وروى الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعا من أحب عمر فقد أحبنى ومن أبغض عمر فقد أبغضنى قال الامام مالك رضى الله عنه وغيره من أبغض الصحابة وسبهم فليس له فى فىء المسلمين حق وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال أيوب السختيانى رحمه الله من أحب أبابكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن أبغض أحدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح وأخاف أن لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وروى الطبرانى عن سهل بن يوسف بن سهل ابن أخى كعب بن مالك عن أبيه عن جده قال لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انى راض عن أبى بكر فاعرفوا له ذلك أيها الناس انى راض عن عمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبى عبيدة فاعرفوا لهم ذلك أيها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية احفظونى فى أصحابى واصهارى وأختانى لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب فى القيامة غدا وقوله اصهارى هم آباء زوجاته كأبى بكر وعمر وأبى سفيان رضى الله عنهم وقوله وأختانى هم أزواج بناته كعثمان وعلى وابى العاص بن الربيع رضى الله عنه وروى أبو نعيم عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم احفظونى فى أصحابى وأصهارى فانه من حفظنى فيهم حفظه الله فى الدنيا والآخرة ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه وروى سعيد بن منصور عن النبى صلى الله عليه وسلم من حفظنى فى أصحابى كنت له حافظا يوم القيامة وروى الطبرانى من حفظنى فى أصحابى ورد على الحوض ومن لم يحفظنى فى أصحابى لم يرد على الحوض ولم يرنى الا من بعد وروى عن كعب الاحبار ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا وله شفاعة يوم القيامة قال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه فنسأل الله دوام محبتهم والتوفيق لطريقتهم والفوز بشفاعتهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(باب فى ذكر وفاته) صلى الله عليه وسلم وهذا الباب مضمونه يسكب المدامع من الاجفان ويجلب الفجائع لاثارة الاحزان ويلهب نيران الموجدة على أكباد ذوى الايمان ولما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبى من الانبياء حتى يخير وقد عرف الله النبى صلى الله عليه وسلم اقتراب أجله بنزول سورة اذا جاء نصر الله والفتح فان المراد من هذه السورة انك يا محمد اذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس فى دينك الذى دعوتهم اليه أفواجا فقد اقترب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار فانه قد حصل مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ وما عندنا لك خير من الدنيا فاستعد للنقلة الينا وروى الطبرانى عن جابر رضى الله عنه قال لما نزلت هذه السورة قال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل نعيت الى نفسى فقال له جبريل وللآخرة خير لك من الاولى وروى البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال

رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان أمنّ الناس علىّ في صحبته وماله أبو بكر رضي الله عنه فلو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الاسلام لا يبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة أبي بكر رضي الله عنه وما زال صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب أجله في آخر عمره حتى مرض وكان مرضه في أواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما وكان ابتداء مرضه يوم السبت وقيل الاثنين وقيل الاربعاء في بيت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها وقيل في بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها وكان يتنقل في بيوت زوجاته رضي الله عنهن على حسب ما كان في صحته ثم لما اشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها فأذن له فخرج يهادى بين العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما حتى دخل بيت عائشة رضي الله عنها وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت لما دخل بيتي واشتد وجعه قال أهريقوا علىّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلي أعهد الى الناس فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه الماء من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده ان قد فعلتن الحديث وفيه انه قال ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر وهذا أوان انقطاع ابهري من ذلك السم وأصابته صلى الله عليه وسلم حمى شديدة روى ابن ماجه والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كانت عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها فقيل له في ذلك فقال انا معاشر الانبياء كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الاجر وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك أي يحم وعكا شديدا فقلت يا رسول الله انك توعك وعكا شديدا قال أجل اني أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك لأجرين قال أجل ذلك كذلك وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشيء فبكت ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت فسألناها عن ذلك فقالت سارني النبي صلى الله عليه وسلم انه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارني فأخبرني اني أول أهل بيته يتبعه فضحكت ولما اشتد به صلى الله عليه وسلم مرضه وعجز عن الخروج للصلاة قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله ان أبا بكر رجل رقيق اذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فعاودته مثل مقالتها فقال انكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس وفي بعض روايات الحديث ان عائشة رضي الله عنها قالت لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته الا انه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا وجملة الصلوات التي صلى فيها الصديق بالناس سبع عشرة صلاة فكان في تقديم الصديق رضي الله عنه للصلاة اشارة الى أنه الخليفة بعده صلى الله عليه وسلم وقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم رضيه لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ولما رأت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فأعلمه بمثل ذلك فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والفضل رضي الله عنهما وتقدم العباس أمامهم والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس في أسفل مرقاة من المنبر وثار الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس بلغني انكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث

اليه فأخلدفيكم الا انى لاحق بربى وانكم لاحقون بى فأوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وان الامور تجرى باذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم أن تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم فى الثمار ألم يوسعوا لكم فى الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولى ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستأثروا عليهم الا وانى فرط لكم وأنتم لاحقون بى الا فان موعدكم الحوض الا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغى وفى رواية للبخارى عن أنس رضى الله عنه فى ذكر هذه القصة قال مر أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقالا ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس النبى صلى الله عليه وسلم منا فدخل أحدهما على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وقد عصب رأسه بحاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالانصار فانهم كرشى وعيبتى وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وقوله كرشى وعيبتى أراد انهم بطانته وموضع سره وأمانته وانهم الذين يعتمد عليهم فى اموره وقيل أراد بالكرش الجماعة أى جماعتى وصحابتى وفى المواهب عن الواحدى بسند وصله الى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت عائشة رضى الله عنها فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله آواكم الله أوصيكم بتقوى الله وأستخلفه عليكم وأحذركم الله انى لكم نذير مبين أن لا تعلوا على الله فى بلاده وعباده فانه قال لى ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين قلنا يا رسول الله متى أجلك قال دنا الفراق والمنقلب الى الله والى جنة المأوى قلنا يا رسول الله من يغسلك قال رجال من أهل بيتى الادنى فالادنى قلنا يا رسول الله فيم نكفنك قال فى ثيابى هذه وان شئتم فى ثياب مصر أو حلة يمنية قلنا يا رسول الله من يصلى عليك قال اذا أنتم غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فان أول من يصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة ثم ادخلوا على أفواجا أفواجا فصلوا على وسلموا تسليما وليبدأ بالصلاة على رجال أهل بيتى ثم نساؤهم ثم أنتم واقرؤا السلام على من غاب من أصحابى ومن تبعنى على دينى من يومى هذا الى يوم القيامة قلنا يا رسول الله من يدخلك قبرك قال أهل بيتى مع ملائكة ربى وكذا رواه الطبرانى وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده فى الجنة ثم يخير فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذى غشى عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا فعرفت انه حديثه الذى كان يحدثنا وهو صحيح وفى رواية انها أصغت اليه قبل أن يموت وهو مستند الى ظهره وهو يقول اللهم اغفر لى وارحمنى وألحقنى بالرفيق الاعلى وروى عبد الرزاق عن طاوس رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم قال خيرت بين ان أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتى وبين التعجيل فاخترت التعجيل وروى ابن حبان عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أسأل الله الرفيق الاعلى الاسعد مع جبريل وميكائيل واسرافيل وظاهره ان الرفيق الاعلى

المكان الذى تحصل فيه المرافقة مع المذكورين وقال ابن الاثير أراد جماعة الانبياء الذين يسكنون أعلى عليين وقيل المراد به الله تعالى يقال الله الرفيق بعباده من الرفق والرحمة والرأفة وقيل المراد به حضرة القدس قال فى المواهب لما تجلى له الحق ضعفت العلاقة بينه وبين المحسوسات والحظوظ الضرورية فكانت أحواله صلى الله عليه وسلم فى زيادة الترقى ولذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كل يوم لا ازداد فيه قربا من الله فلا بورك لى فى طلوع شمسه وكلما فارق مقاما واتصل بما هو أعلى منه لمح الاول بعين النقص وسار على ظهر المحبة ونعمت المطية لقطع هذه المراحل والمقامات والاحوال والسفر الى حضرة ذى الجلال الذى كل شئ هالك الا وجهه قال السهيلى الحكمة فى اختتام كلامه صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب حتى يستفاد منه الرخصة لغيره انه لا يشترط أن يكون الذكر باللسان لان بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره اذا كان قلبه عامرا بالذكر قال الحافظ ابن رجب وقد روى ما يدل على انه قبض ثم رأى مقعده فى الجنة ثم ردت اليه نفسه ثم خير ففى المسند عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبى الا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد اليه فيخير فكنت قد حفظت ذلك فانى لمسندته الى صدرى فنظرت اليه حين ارتفع ونظر فقلت اذا والله لا يختارنا فقال مع الرفيق الاعلى فى الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وفى صحيح ابن حبان عن عائشة رضى الله الله عنها قالت أغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه فى حجرى فجعلت أمسه وأدعو له بالشفاء فلما أفاق قال أسأل الله الرفيق الاعلى مع جبريل وميكائيل واسرافيل ولما احتضر صلى الله عليه وسلم واشتد به الامر قالت عائشة رضى الله عنها ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول اللهم أعنى على سكرات الموت وفى رواية وجعل يقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات قال العلماء وكانت تلك السكرات من شدة الوجع لرفعة منزلته ولتقتدى به أمته فى الصبر وروى الحافظ ابن رجب أنه عليه الصلاة والسلام قال اللهم انك تأخذ الروح من بين القصب والعصب والانامل فأعنى عليه وهونه على والقصب عظام اليدين والرجلين ونحوهما قالت عائشة رضى الله عنها ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضى الله عنها واكرب أبتاه فقال لها لا كرب على أبيك بعد اليوم والمراد بالكرب ما كان يجده من شدة الموت وفى البخارى من حديث أنس رضى الله عنه ان المسلمين بينما هم فى صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلى لهم لم يفجأهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف سجف حجرة عائشة رضى الله عنها فنظر اليهم وهم فى صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر رضى الله عنه على عقبه ليصل الصف وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج الى الصلاة قال أنس وهم المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار اليهم بيده صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر زاد فى رواية فتوفى من يومه وفى رواية لم يخرج الينا صلى الله عليه وسلم ثلاثا فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه فلما وضح لنا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظرا قط كان أعجب الينا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا فأومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر أن يتقدم وأرخى الحجاب وروى مسلم ان أبا بكر رضى الله عنه كان يصلى لهم فى وجع النبى صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه حتى كان يوم الاثنين وهم فى صفوف الصلاة كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظر الينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم صلى الله عليه وسلم ضاحكا أى فرحا باجتماعهم على الصلاة

واتفاق كلمتهم واقامة شريعته وروى البيهقي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال لما بقي من أجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل فقال يا محمد ان الله قد أرسلني اليك اكراما لك وتفضيلا لك
وخاصة يسألك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجدك قال أجدني يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل
مكروبا ثم أتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك ثم أتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك ثم استأذن ملك
الموت فقال جبريل يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على
آدمي بعدك قال ائذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال يا رسول الله ان الله عز وجل أرسلني
اليك وأمرني ان أطيعك في كل ما تأمرني به ان أمرتني ان أقبض روحك قبضتها وان أمرتني ان
أتركها تركتها فقال جبريل يا محمد ان الله قد اشتاق الى لقائك قال صلى الله عليه وسلم فامض يا ملك الموت
الى ما أمرت به فقال جبريل يا رسول الله هذا آخر موطئي من الارض انما كنت حاجتي من الدنيا فقبض
روحه فلما توفي صلى الله عليه وسلم سمعوا صوتا من ناحية البيت السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله
وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من
كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فانما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته فقال علي رضي الله عنه أتدرون من هذا هو الخضر عليه السلام ورواه أيضا غير
البيهقي كالحاكم في المستدرك وابن أبي الدنيا ولفظه عن أنس رضي الله عنه قال لما قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل كثير شعر المنكبين في ازار ورداء
يتخطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذ بعضادتي باب البيت فبكى على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم أقبل على أصحابه فقال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت الحديث وفيه
ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر علي بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا فقال أبو بكر رضي الله
عنه لعل هذا الخضر جاء يعزينا قالت عائشة رضي الله عنها توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي
وفي يومي وبين سحري ونحري والسحر موضع القلادة من الصدر والمراد انه صلى الله عليه وسلم توفي
ورأسه بين حنكها وصدرها قال السهيلي ان أول كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع
عند حليمة الله أكبر وآخر كلمة تكلم بها الرفيق الاعلى وفي رواية جلال ربي الرفيع ويمكن انه تكلم بهما
ولما توفي صلى الله عليه وسلم كان أبو بكر رضي الله عنه غائبا بالسنح يعني العالية وهي منازل بني الحارث
ابن الخزرج عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد الخزرجي رضي الله عنهما وكان عليه الصلاة
والسلام قد أذن له في الذهاب اليها فسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه سيفه وتوعد من يقول مات رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال انما أرسل اليه كما أرسل الى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة والله اني
لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم فأقبل أبو بكر رضي الله عنه من السنح حين بلغه الخبر الى بيت
عائشة رضي الله عنها فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثا يقبله ويبكي ويقول توفي
والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما أطيبك حيا وميتا بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك
موتتين وأشار بذلك الى الرد على من يزعم انه سيجيء فيقطع أيدي رجال لانه لو صح ذلك لزم ان يموت موتة
أخرى فأخبر بأنه أكرم على الله أن يجمع عليه موتتين وقيل انه أراد لا يجمع الله عليك موت نفسك
وموت شريعتك وعن عائشة رضي الله عنها ان عمر رضي الله عنه قام يقول والله ما مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجاء أبو بكر رضي الله عنه فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال بأبي
أنت وأمي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله موتتين أبدا ثم خرج فقال أيها الحالف
على رسلك فلما تكلم أبو بكر رضي الله عنه جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال ألا من

كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وقال الله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فنشج الناس يبكون رواه البخاري فقال نشيج الباكي اذا غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب وعن سالم بن عبيد الأشجعي رضي الله عنه قال لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخذ بقائم سيفه وقال لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا قال فقال الناس يا سالم اطلب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجت الى المسجد فاذا بأبي بكر رضي الله عنه فلما رأيته أجهشت بالبكاء فقال يا سالم أمات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فوضع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشى الريح ثم سجاه والتفت الينا وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وقال انك ميت وانهم ميتون يا أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال عمر فوالله لكأني لم أتل هذه الآية قط وروى الامام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت سجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا فجاء عمر والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما فاستأذنا فأذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر عمر اليه فقال واغشياه ثم قاما فقال المغيرة يا عمر مات قال كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفني الله المنافقين ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال انا لله وانا اليه راجعون مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية للبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان أبا بكر رضي الله عنه خرج وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال أبو بكر رضي الله عنه أما بعد من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال والله لكأن الناس لم يعلموا ان الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس كلهم فما سمع بشر من الناس الا يتلوها وروى ابن أبي شيبة عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ان أبا بكر مر بعمر رضي الله عنهما وهو يقول ما مات رسول الله ولن يموت حتى يقتل الله المنافقين قال وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤسهم فقال أيها الرجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ألم تسمع الله تعالى يقول انك ميت وانهم ميتون وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ثم أتى المنبر الحديث وروى الطبراني ان العباس رضي الله عنه لما سمع عمر رضي الله عنه يقول من قال ان محمدا قد مات ضربته بسيفي قال له هل عندك عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك قال لا قال فانه قد مات ولم يمت حتى حارب وسالم ونكح وطلق وترككم على محجة بيضاء وهذا من موافقة العباس للصديق رضي الله عنهما وفي المواهب لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من أقعد ولم يطق القيام ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ومنهم من أضني وكان عمر رضي الله عنه ممن خبل وكان عثمان رضي الله عنه ممن أخرس فكان لا يستطيع أن يتكلم وكان علي رضي الله عنه ممن أقعد فلم يستطع أن يتحرك وأضني عبد الله بن أنيس فمات كمدا وكان أثبتهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه جاء وعيناه تهملان وزفراته تردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأكب عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا وميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع للأنبياء قبلك فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ولو ان موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس

اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن على بالك وفي رواية قبل جبهته وقال واصفياه ياخليلاه وفي رواية فجعل يقبله ويبكي ويقول بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا ثم خرج الى الناس الحديث قال القرطبي وهذا أدل دليل على كمال شجاعة الصديق رضي الله عنه لان الشجاعة هي ثبوت القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة أعظم من موت النبي صلى الله عليه وسلم فظهرت عنده شجاعة الصديق وعلمه رضي الله عنه وذكر الوائلي أبو عبد في كتاب الابانة عن أنس رضي الله عنه انه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين بويع أبو بكر رضي الله عنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوى على منبره عليه الصلاة والسلام تشهد ثم قال أما بعد فاني قلت لكم أمس مقالة وانها لم تكن كما قلت واني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد عهده الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا ويكون آخرنا موتا فاختار الله لرسوله صلى الله عليه وسلم الذي عنده على الذي عندكم وهذا الكتاب الذي هدى الله رسوله به فخذوا به تهتدوا واوا المقالة التي قالها ثم رجع عنها هي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت ولن يموت حتى يقطع أيدي وأرجل أناس من المنافقين وكان ذلك لعظيم ما ورد عليه ولكونه خشي الفتنة وظهور المنافقين فلما شاهد قوة يقين الصديق الاكبر وتفوهه بقول الله عز وجل كل نفس ذائقة الموت وقوله انك ميت وانهم ميتون وخرج الناس يتلونها في سكك المدينة كأنها لم تنزل قط الا ذلك اليوم رجع عن مقالته المذكورة وروى البخاري ان فاطمة رضي الله عنها لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه من الى جبريل ننعاه زاد في رواية رواها الطبري يا أبتاه من ربه ما أدناه وقد عاشت فاطمة رضي الله عنها بعده صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فما ضحكت تلك المدة وحق لها ذلك وأخرج أبو نعيم عن علي رضي الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد ملك الموت باكيا الى السماء والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتا من السماء ينادي وامحمداه وهذه مصيبة أصيب المسلمون لم يصابوا قط بمثلها كل مصيبة تهون عندها روى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه أيها الناس ان أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عند المصيبة التي تصيبه بغيري فان أحدا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي قال ابن الجوزي كان الرجل من أهل المدينة اذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه وقال له يا عبد الله اتق الله فان في رسول الله اسوة حسنة ورحم الله القائل

اصبر لكل مصيبة وتجلد * واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فانها * نوب تنوب اليوم تكشف في غد
واذا أتتك مصيبة تشجى بها * فاذكر مصابك بالنبي محمد

وقال آخر
تذكرت لما فرق الدهر بيننا * فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها ان المنايا سبيلنا * فمن لم يمت في يومه مات في غد

كادت الجمادات تتصدع من ألم مفارقته صلى الله عليه وسلم فكيف بقلوب المؤمنين ولما فقده الجذع الذي كان يخطب اليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه وصاح وكان الحسن البصري اذا حدث بهذا الحديث بكى ويقول هذه خشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتم أحق أن تشتاقوا اليه وروى ان بلالا رضي الله عنه كان يؤذن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقبل دفنه فاذا قال أشهد أن محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب فلما دفن صلى الله عليه وسلم ترك بلال الاذان ما أمر عيش من فارق الاحباب خصوصا من كانت رؤيته حياة الالباب

لوذاق طعم الفراق رضوى * لكان من وجده يميد
قد حملونى عذاب شوق * يعجز عن حمله الحديد

وكانت وفاته صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس فى الوقت الذى دخل فيه المدينة حين هجرته صلى الله عليه وسلم وكانت يوم الاثنين بلا خلاف وكان دفنه يوم الثلاثاء وقيل ليلة الاربعاء وقيل يوم الاربعاء ورثته عمته صفية رضى الله عنها بمراثى كثيرة منها قولها

ألا يارسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برًّا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما * ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكى النبى لفقده * ولكننى أخشى من الهرج آتيا
كأن على قلبى لذكر محمد * على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله أمى وخالتى * وعمى وخالى ثم نفسى وماليا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا * سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية * وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسنا أيتمته وتركته * يبكى ويدعو جده اليوم نائيا

ورثاه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضى الله عنه فقال

أرقت فبت ليلى لا يزول * وليل أخى المصيبة فيه طول
وأسعدنى البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحى والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل
نبى كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعى ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ورثاه الصديق رضى الله عنه بقوله ودعنا الوحى اذ وليت عنا * فودعنا من الله الكلام
سوى ما قد تركت لنا رهينا * تضمنه القراطيس الكرام

ورثاه الصديق رضى الله عنه أيضا بقوله لما رأيت نبينا متجدلا * ضاقت على بعرضهن الدور
فارتاع قلبى عند ذاك لهلكه * والعظم منى ما حييت كسير
أعتيق ويحك ان حبك قد ثوى * فالصبر عنك لما بقيت يسير
ياليتنى من قبل مهلك صاحبى * غيبت فى جدث على صخور
فلتحدثن بدائع من بعده * تعيى بهن جوانح وصدور

ورثاه حسان رضى الله عنه بمراثى كثيرة منها قوله

كنت السواد لناظرى * فعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفاته صلى الله عليه وسلم بقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه

ورجع الى قومه قال وهو يبكي بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك مالم يتبع نوحا في كثرة سنيه وطول عمره فقد آمن بك الكثير وما آمن معه الاقليل وأخرج ابن عساكر عن أبي ذؤيب الهذلي رضي الله عنه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم عليل فأوجس أهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتى اذا كان قرب السحر نمت فهتف بي هاتف يقول

خطب أجل أناخ بالاسلام * بين النخيل ومقعد الآطام

قبض النبي محمد فعيوننا * تذري الدموع عليه بالتسجام

فوثبت من نومي فزعا فنظرت الى السماء فلم أر الاسعد الذابح فعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قبض أوهو ميت أي قريب الموت فقدمت المدينة ولاهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا أهلوا بالاحرام فقلت مه فقيل قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عجيب ما اتفق انهم حين أرادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لاندري انجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى مامنهم رجل الاوذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لايدرون من هو اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا أي انتبهوا من النوم فغسلوه وعليه قميصه يضعون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص رواه البيهقي في دلائل النبوة بسند جيد وغسله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان العباس وابنه الفضل رضي الله عنهما يعينانه في تقليب جسمه الشريف وقثم بن العباس واسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبون الماء وأعينهم كلهم معصوبة حتى لا ينظروا جسده الشريف وهو يغسل خيفة ان يبدو مالم يؤذن في النظر اليه وقوله وأعينهم كلهم معصوبة أي الاعليا رضي الله عنه فكان يقول وهو يغسله بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا وروى أن عليا رضي الله عنه نودي وهو يغسله أن ارفع طرفك نحو السماء خوفا أن يديم النظر اليه وروى البيهقي عن علي رضي الله عنه قال غسلته صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر مايكون من الميت أي من الفضلات الخارجة فلم أر شيئا كان طيبا حيا وميتا وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط وعن جعفر الصادق رضي الله عنه قال كان الماء يستنقع أي يجتمع في جفون النبي صلى الله عليه وسلم فكان علي رضي الله عنه يحسوه أي يشربه وكفنوه صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة واختلف في معنى هذا الحديث فقال الجمهور ليس في الكفن قميص ولا عمامة أصلا وقال آخرون منهم الامام أبو حنيفة رضي الله عنه معناه كفن في ثلاثة أثواب غير القميص والعمامة ثم لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه صلى الله عليه وسلم أرسالا أي جماعات متتابعين يصلون عليه ولم يؤم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد وفي رواية ان أول من صلى عليه الملائكة أفواجا ثم أهل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم النساء واختلفوا في موضع دفنه فقال أناس عند المنبر وقال أناس بالبقيع فقال أبو بكر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامات نبي قط الا يدفن حيث تقبض روحه فقال علي

وأما أبناء عمه رواه الترمذي وابن ماجه وفي رواية الموطأ ما دفن نبي قط إلا في مكانه الذي توفي فيه فحفر له صلى الله عليه وسلم في المكان الذي توفي فيه وكان المباشر للحفر أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه فحفر لحدا في موضع فراشه حيث قبض صلى الله عليه وسلم واختلف الناس فيمن أدخله قبره وأصح ما روي أنه نزل في قبره عمه العباس وعلي والفضل وقثم بن عباس رضي الله عنهم ويقال دخل معهم أوس بن خولي رضي الله عنه وكان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس رضي الله عنهما لأنه تأخر في القبر حتى خرجوا قبله وروي أنه بني في قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها صلى الله عليه وسلم فرشها شقران رضي الله عنه وقال والله لا يلبسها أحد بعدك وهذا الفرش خصوصية له أما غيره فالجمهور على كراهية الفرش في القبر ولما دفن صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة رضي الله عنها أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وأنشأت تقول

ماذا على من شم تربة أحمد * أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها * صبت على الأيام عدن لياليا

وقالت رضي الله عنها ترثيه اغبر آفاق السماء وكورت * شمس النهار وأظلم العصران
والارض من بعد النبي كئيبة * أسفا عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها * وليبكه مضر وكل يمان

ورش قبره صلى الله عليه وسلم بلال بقربة بدأ من قبل رأسه وجعل عليه من حصباء العرصة حمراء وبيضاء ورفع قبره عن الارض قدر شبر ولما قبض صلى الله عليه وسلم تزينت الجنان ليوم قدوم روحه المقدسة وأظلمت الدنيا قال أنس رضي الله عنه ما رأيت يوما كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أظلم من يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نفضنا أيدينا من التراب وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا يريد أنهم وجدوها تغيرت عما عهدوه في حياته من الالفة والصفاء والرقة لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والتأييد (ومن آياته) صلى الله عليه وسلم بعد موته ما ذكر من حزن حماره يعفور عليه حتى تردى أي ألقى نفسه في بئر وكذا ناقته فانها لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت (ومن ذلك) ظهور ما أخبر أنه كائن بعد موته مما لا نهاية له ولا عد يحصيه وقد تقدم في المعجزات كثير من ذلك روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله اذا أراد بأمة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره أي كما وقع لأمة نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام وانما كان قبض النبي قبل أمته خيرا لانهم اذا قبض وانقطعت أعمالهم واذا أراد الله بهم خيرا جعل خيرهم مستمرا ببقائهم محافظين على ما أمروا به من العبادات وحسن المعاملات نسلا بعد نسل وعقبا بعد عقب * هذا ما يسره الله من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ونسأل الله أن يجعلنا من التابعين له المتمسكين بشريعته المقتفين لآثاره المقتدين به وأن يحشرنا في زمرته وزمرة أصحابه وأهل بيته وأن يمنحنا من المدد المحمدي ما منحه عباده الصالحين وأن يمتعنا بلذة النظر

الى وجهه الكريم من غير عذاب يسبق
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ان أبهى وأبهر ماتحلى بمحاسن قلائده صدور الاوراق وأجل وأكمل ماتعطر بعبير عنبره ارجاء السبع الطباق وأمتن ماتقتنص بحبائله شوارد الاجر وأوابد الثواب وأقوى ماتقتنى به قواصي الحسنات يوم الحساب لدى الحساب حمد من منح عباده آلاءه الهبيه وشكر من فتح لارشاد أصفيائه أبواب السعادة الابديه فسبحانه تعالت أركانه نشر ألوية الشريعة الغراء فوق رؤس الاشهاد وبسط جل شأنه بسط الحنيفية الزهراء حتى جابت كل واد وملأت قلب كل موحد هاد وأسس قواعد الاسلام بتشييد دعائم الاحكام وجعلها مستمرة فى كل حين مشمرة فى حفظها سواعد المفلحين الى يوم الدين أما بعد فان حياض العلوم لاتزال على صفحات الدهر متدفقه ورياض الفنون مثمرة مورقة مونقه لعمر الله انها الاشرف الصنائع وأربح البضائع أربابها دائما فى ارتفاع والمشتغل بها لم يزل فى نفع وانتفاع وان أجل ماتتسابق فيه الهمم وتشمر عن سوقها فى سوق تحصيله كل قدم الاشتغال بكتب السنة المحمديه والتفرغ لمطالعة أسفار السيرة النبويه ليتخلق المطلع عليها بجميل الاخلاق ويتحلى بمحاسن شيم أربابها الذين هم خير الخلق بالاتفاق هذا وان من أنفس ماصنف فى هذا الباب وأجل مايقتفيه ذووا الحجا والالباب السيرة النبويه التى عبقت رباها فأنشقت أنوف الموحدين وعلت رباها فأرغمت أنوف الكفرة الملحدين فلعمرك انه اسفر أسفر عن الاخلاق النبويه أى اسفار وكتاب أبان عن الشمايل المصطفويه من حل وترحال واقامة واسفار

كتاب عليه بهجة وجلالة * وفيه على التحقيق حسن ورونق
ففى كل سطر منه عقد منظم * ومن كل حرف نفحة المسك تعبق

وكيف لا وهى تصنيف أوحد الورى وأجل من تفنن ممن تبوأ ام القرى القدوة فى كل فن لاسيما علم الحديث والامام بين كل قوم القديم منهم والحديث

امام همام فى البلاغة بالغ * وحيد أبا الدهر منفرد العصر
اذا قسته بالشمس فالشمس دونه * وان قسته بالبدر أربى على البدر
وان قسته بالبحر فالبحر مالح * وان قسته بالدهر فاق على الدهر

الفهامة الالمعى والدراكة اللوذعى التقى الصالح الاستاذ السيد احمد دحلان احسن الله اليه بجميل الاحسان ولما كانت جزيلة الوضع جميلة الصنع حرية بأن تتلقى بالقبول والاقبال جديرة بأن تشد لتحصيلها الرحال رغب فى تكثيرها رغبة فى كثرة الخيرات ذو المآثر الجمة وصالح المبرات صاحب الهمة العليه والاخلاق المرضيه والشيم الانيقه والسمات الحميدة الرقيقه

فضله مجتدى لكل مجد * فى فنون الخيرات والطاعات
وحماه ملاذ كل ملم * جرعته من غصة الحادثات
كم له من شمايل وخلال * غرر فى جباه وجه السمات
أدب كامل ورقة طبع * وصفات تفوق كل الصفات

من لايزال على مدا الزمان ذا فهم صائب ورأى سديد أعين رؤساء الجهة البحريه محمد بك سعيد فالتزم طبعها بالمطبعة الوهبيه التى هى بحسن الثناء على منشيها اللوذعى الاديب حضرة مصطفى أفندى وهبى جديرة حريه فجاءت بعناية الله رقيقة الطبع دقيقة الصنع فى غاية من التحرير والتصحيح ونهاية من التهذيب والتنقيح فجزاه الله فى تكثيرها خيرا ورفع قدره فى الدارين دنيا وأخرى آمين

وكان تمام طبعه الجميل وإيناع ثمره البهيج الجليل بالمطبعة
الوهبية إحدى المطابع البهية المصرية في أواخر محرم
الحرام من سنة خمس وثمانين بعد مائتين وألف
من هجرة سيد الأنام الذي استنار الكون
بأنوار شموس هداه وأزاح ظلام
الشرك بنور محياه عليه وعلى آله
الكرام أفضل الصلاة
والسلام ما فاح مسك
ختام وطلع
بدر تمام
آمين
تم

6059